موسوعة

سليم حسن

مصر القديمة

الجزء الأول

فى عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الأهناسى



2001

مهرجان القراءة للجميع




مصر
فى عيون المرشد السياحى
You
Tube

موسوعة مصر القديمة

الجـــزء الأول

صورة الغلاف

رأس بـديــل

رأس نحتت من الحجر الجيرى الملون، يرجع تاريخـهـا إلى الأســرة الرابعــة، وهى ضــمن مجموعة متحف الفنون الجميلة فى بوسطن، والصـفـة المـمـيـزة لأسلوب النحت فى الأسرة الرابعة وما بعدها، تتضح فيما يسمى بالوجه البـديل أو الاحـتـيـاطى، وهو وجـه بسـيط، يتمسك بالشكل بوضوح وجلاء تامين.

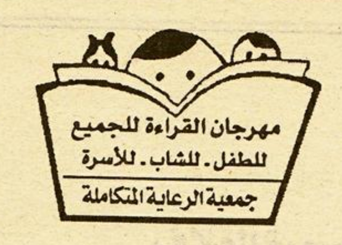
محمود الهندى

موسوعة مصر القديمة

الجزء الأول

فى عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العصر الإهناسى

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(موسوعة مصر القديمة)

موسوعة مصر القديمة

الجـــزء الأول

سـليم حســـن

الغـلاف

والإشراف الفنى:

الفنـان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سـمير سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشـباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخًا تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

تقديم

هذه الموسوعة التاريخية القيمة، لا غنى عنها لكل المتخصصين والدارسين لتاريخ مصر القديم والآثار المصرية القديمة.. ولا غنى عنها أيضاً لكل المثقفين الراغبين فى التزود بالمعرفة التاريخية لجذور الحضارة المصرية التى تغلغلت بين الشعوب التى تسكن أراضى المنطقة الجغرافية الواسعة الممتدة من مصر إلى بلاد النوبة والسودان وليبيا والمناطق السورية وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط واليونان.

ومؤلف هذه الموسوعة الضخمة هو الأستاذ الدكتور سليم حسن.. وهو من أوائل المصريين الذين أسسوا علم الآثار المصرية فى اللغة العربية.. بل هو الثانى فى الترتيب بين ثلاثة من العلماء المصرين الأفذاذ وهم:

الرائد الأول أحمد كمال باشا، وسليم حسن، وعالم الآثار الشامخ سامى جبرة.

وهم الذين جمعوا بين العمل الكشفى بالحفائر الأثرية التى قاموا بها فى مختلف المناطق الأثرية فى مصر، واكتشفوا آثاراً رائعة جديدة، وأثروا علم «الآركيولوجى ـ علم الآثار» وعلم «الأنثروبولوجى ـ علم دراسة حضارة الإنسان» بما كتبوه وصنّفوه وسجلوه تسجيلاً علمياً عن تلك الآثار التى اكتشفوها، وعن الآثار الأخرى التى لم تكن لها تسجيلات علمية، وأيضاً بما ألفوه من بحوث علمية تتناول تاريخ مصر القديمة من كافة النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية.

●●●

وبتتبع السيرة الذاتية للدكتور سليم حسن مؤلف هذه الموسوعة، نلاحظ على الفور أننا أمام عبقرية شخصية مصرية فذة تتميز بالوطنية الصادقة والشجاعة النادرة والمقدرة الفائقة على العمل والبحث والدراسة على مدى ثمانية وستين عاماً هى العمر الذى عاشه فى خدمة العلم والتاريخ والآثار.. فقد ولد فى ٨ أبريل ١٨٩٣م فى قرية ميت ناجى التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وانتقل إلى رحمة الله فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦١م.. وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٩م، وحصل على دبلوم المعلمين، والتحق بالمدرسة المسائية العليا لدراسة الآثار المصرية واللغة المصرية القديمة التى أنشأها أحمد كمال باشا، وحصل على دبلوم الدراسات العليا.

وفى عام ١٩١٩م عمل مدرساً فى مدرسة أسيوط الثانوية، ثم فى مدرسة الناصرية بالقاهرة، واختارته وزارة المعارف العمومية لوضع كتب التاريخ المصرى المقررة على مختلف مراحل التعليم فى المدارس المصرية.. وفى عام ١٩٢١ عين فى وظيفة أمين مساعد بالمتحف المصرى بالقاهرة، ثم أوفد إلى بعثة علمية بالنمسا عام ١٩٢٣م، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٣٤م.. وفى أثناء إقامته بالنمسا التحق بكلية الدراسات العليا بجامعة السوربون بباريس.

وعندما عاد إلى مصر عين أستاذاً لكرسى الآثار عام ١٩٣٥م، وأتيح له عندئذ القيام بحفائر أثرية ضخمة لحساب المتحف المصرى وجامعة فؤاد الأول فى منطقة الأهرام وأبى الهول بالجيزة وفى منطقة سقارة، حيث اكتشف مجموعات كاملة من الجبانات والمعابد

والقطع الأثرية التى ألقت الأضواء العلمية على تطور نظام الحكومة والإدارة والنظم الاجتماعية والعقائد الدينية فى عصر الدولة القديمة.. كما قام بعدة رحلات كشفية إلى بلاد النوبة حيث أجرى مجموعة من الحفائر أسفرت عن اكتشافات أثرية هامة.

وفى عام ١٩٣٦م عُين وكيلاً لمصلحة الآثار المصرية، وهو أول مصرى يشغل هذا المنصب الذى كان مقصوراً على العلماء الأجانب، الأمر الذى أثار حفيظة بعض هؤلاء العلماء فوقفوا ضده.. وكان الدكتور سليم حسن قد اتصل بالقصر الملكى لإسترداد مجموعة القطع الأثرية التى كانت فى حيازة الملك فؤاد الأول فأعادها الملك إليه لعرضها بالمتحف المصرى بالقاهرة.. ولكن عندما تولى الملك فاروق عرش مصر بعد وفاة أبيه طالبه بإرجاع هذه القطع الأثرية باعتبارها من الممتلكات الخاصة لأبيه، فرفض الدكتور سليم حسن هذا الطلب وإزدادت بالتالى فرص المؤامرات والتحديات ضد وجوده فى المناصب الرسمية المتعلقة بالآثار إلى أن صدر قرار بإحالته إلى المعاش عام ١٩٣٩م، وكان عمره آنذاك حوالى ستة وأربعين عاماً.

وكان هذا القرار بإحالته إلى المعاش فاتحة خير للدكتور سليم حسن، حيث تفرغ للبحث العلمى والتاريخى، فانكب على تأليف تلك الموسوعة التاريخية الرائعة التى تتكون من ١٦ جزءاً، وتأليف كتابه القيم فى الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة الذى يتكون من جزءين، بالإضافة إلى البحوث العلمية التى تنشر فيها اكتشافاته الأثرية باللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية. كما نشر ترجمة عربية لكتابه العلمى عن أسرار أبى الهول الذى كان قد كتبه باللغة الإنجليزية، كما أصدر أيضًا كتابين عن تاريخ أوروبا وتركيا. كما

ترجم إلى اللغة العربية كتاب بريستيد عن «فجر الضمير».. وهكذا بلغت أعماله حوالى ٥٠ عملاً ما بين مقالات وبحوث علمية وكتب.

وكان الرئيس الراحل جمال عبدالناصر قد تعاطف مع هذا العالم الجليل وتفهم قدره الذى يشرف مصر والمصريين، فأصدر قراراً بإيفاده لزيارة متاحف العالم التى تعرض مجموعات من القطع الأثرية المصرية.. كما أصدر قراراً بتعيينه مستشاراً للمتحف المصرى بالقاهرة عام ١٩٥٩م.

وفى عام ١٩٦٠م كرمته «أكاديمية نيويورك» التى تضم أكثر من ١٥٠٠ عالم من ٥٧ دولة فانتخبته عضوا فيها بأجماع الأصوات.

هذا وتعتبر موسوعة الدكتور سليم حسن، التى نقدم أجزاءها فى هذا التقديم المختصر، أعظم موسوعة فى التاريخ المصرى القديم وتاريخ الحضارة المصرية القديمة، فهى تعد الموسوعة المتكاملة الوحيدة - فى أية لغة من لغات العالم - التى وضعها وصنّفها عالم واحد بمفرده، تناول فيها شرحاً دقيقاً وتحليلاً مستفيضاً عن مراحل وتاريخ الحضارة المصرية بدءاً من عصور ما قبل التاريخ حتى قرب نهاية العصر البطلمى.

وبالرغم مما يقال - حقيقة وصدقا - إن علم الآثار يعتبر من العلوم المتجددة بإستمرار بسبب ما يتم كشفه تباعًا من آثار جديدة قد تؤدى إلى تصويب ما كان مستقراً من قبل من معلومات أثرية ، وبسبب التفسيرات الحديثة لقواعد اللغة ونصوصها القديمة مما قد يؤدى أيضا إلى إعادة النظر فى المعانى والتفسيرات السابقة ، إلا أن موسوعة الدكتور سليم حسن قد أسست فى اللغة العربية دراسة علم الأنثروبولوچيا التاريخية والأنثروبولوچيا الاجتماعية والثقافية باحتوائها

على الدراسات والبحوث المتعلقة بعلاقة الثقافة الشعبية المصرية المعاصرة بالتراث المصرى القديم ورموزه الطوطمية والعقائدية ، كما أثبتت مدى تأثير اللغة المصرية القديمة فى اللغة المصرية العامية الدارجة ، وتأثيرها أيضا فى مجال موروثات الأدب الشعبى.

هذا ويمكن - من الناحية العلمية - اعتبار هذه الموسوعة الجليلة تصنيفاً واضحاً لمدرسة مصرية صميمة وأصيلة فى فلسفة التاريخ .

ونقدم فيما يلى عرضاً موجزاً غاية الإيجاز لعناوين كل جزء من الأجزاء الستة عشر التى تتكون منها هذه الموسوعة مع عرض للبحوث والموضوعات التى يتضمنها كل جزء من هذه الأجزاء، علماً بأن عدد الصفحات الاجمالية لهذه الموسوعة يتجاوز ١٢ ألف صفحة.

الجزء الأول وعنوانه:

من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الإهناسى

ويتضمن معلومات غزيرة وقيّمة عن عصور ما قبل التاريخ، والعصور الحجرية [القديم والمتوسط والحديث]، وعصر المعادن، وحضارة كل من الوجه البحرى والوجه القبلى، وتاريخ الفنون فى تلك الحقبة التاريخية، وظهور رموز وعلامات وحروف اللغة المصرية القديمة، ودراسة أصل المصريين الأوائل، وقيام هؤلاء المصريين الأوائل بتنظيم وابتداع تقويم السنة الشمسية، وبداية وحدة مصر، وأصول الديانة المصرية، وبداية «العصر العتيق» الذى يتضمن الأسرتين الأولى والثانية، ثم يليه «عصر الدولة القديمة» الذى يتضمن الأسرات من الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة.. مع بيان أسماء وتواريخ الملوك فى جميع هذه الأسرات.. وانتهاء عصر الدولة القديم بثورة اجتماعية عارمة استغرقت تاريخ الأسرات من السابعة حتى العاشرة.

الجزء الثانى وعنوانه:

فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الإهناسى

ويتضمن هذا الجزء دراسة ممتعة عن تنظيم الحكومة المركزية فى عصر الدولة القديمة والحكومات الفرعية المحلية فى المقاطعات والأقاليم المصرية، والسلطة القضائية، والثروات الطبيعية فى مصر، النباتات والحبوب وبساتين الفواكه، والآلات الزراعية التى كان يستخدمها الفلاحون القدماء، وطرق صيد الحيوان واستئناسه واستخدام لحومه وجلوده وفرائه، ومبادئ الرفق بالحيوان، وأسماك النيل والبحيرات وطرق صيدها والأدوات المستخدمة فى الصيد، ودراسة عن الأحجار الكريمة وشبه الكريمة، والمعادن، ونظم الشئون الاجتماعية، وطرق المواصلات، وتجارة مصر الخارجية، والفنون والحرف، والكتابة وتطور الأدب المصرى القديم، والشعر والأغانى، وتنظيم الجيوش المصرية والحروب التى خاضتها مصر منذ عصر ما قبل التاريخ، والنظام الاجتماعى للأسرة المصرية.

الجزء الثالث وعنوانه:

العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية وليبيا.

ويتضمن تاريخ الأسرة الحادية عشرة وأسماء ملوكها الذين حاربوا لإعادة وحدة الأقاليم المصرية.. وتاريخ الأسرة الثانية عشرة وأسماء ملوكها والآثار التى تركوها، والحروب التى خاضوها خارج مصر، والتحصينات التى أقاموها فى النوبة والبلاد الآسيوية، وعلاقة مصر بجزر البحر المتوسط، ودراسة ممتازة عن الرخاء الاجتماعى فى عصر هذه الأسرة، مع دراسة متوسعة عن العمارة وفن النحت

وازدهار الأدب المصرى، وتحقيق العدالة الاجتماعية وتعميم المسئولية عن السلوكيات الأخلاقية، والعقائد الدينية التى سادت فى ذلك العصر.

الجزء الرابع وعنوانه:

عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية

ويتضمن هذا الجزء دراسة عن حالة ضعف نظام الحكم فى عصر الأسرة الثالثة عشرة مما أتاح الفرصة أمام قبائل الهكسوس الرعاة التى تسللت إلى مصر أن تفرض سيطرتها وتستولى على حكم البلاد.. ويفرد المؤلف بحثاً مستفيضا عن تاريخ الفترة التى وقعت فيها مصر تحت حكم ملوك هذه القبائل.. وكيف تولدت روح المقاومة لدى الشعب المصرى ضد هذا الاحتلال البغيض.. وكيف بدأ ملوك الأسرة السابعة عشرة فى شن الهجمات والدخول فى معارك ضد المحتلين حتى تمكن الملك «أحمس الأول» من طردهم خارج البلاد، وأسس الأسرة الثامنة عشرة. ويستعرض المؤلف تفاصيل القسم الأول من تاريخ هذه الأسرة المتضمن تاريخ الملوك: أمنحوتب الأول، وتحوتمس الأول، وتحوتمس الثانى، والملكة حتشبسوت، وتحوتمس الثالث عبقرى العسكرية المصرية ومؤسس الإمبراطورية المصرية.. ثم تاريخ إبنه أمنحوتب الثانى الذى تولى الملك بعده. كما أفرد المؤلف دراسات مستفيضة عن نظام الحكم واختصاصات الموظفين، والحياة الاجتماعية فى عصور هؤلاء الملوك.

الجزء الخامس وعنوانه:

السيادة العالمية والتوحيد

فى هذا الجزء يستمر المؤلف فى عرض تفاصيل القسم الثانى من تاريخ ملوك الأسرة الثامنة عشرة، بادئاً بالملك تحوتمس الرابع، ثم

أمنحـوتب الثـالث، ثم أمنحـوتب الرابع «أخنـاتون» ، وسـمنخ كـارع، ونفـرتيـتى، وتوت عنخ أمـون، والملك آى، وحـورإم حب .. مع دراسات تفصيلية عن نظام الحكم فى عهود هؤلاء الملك مع التركيز على عصر أخناتون وديانة التوحيد التى نادى بها والثورة الفنية والأدبية التى قادها.

الجزء السادس وعنوانه:

عصر رمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية

وفى هذا الجزء يستعرض المؤلف تفاصيل بداية عصر الأسرة التاسعة عشر التى بدأها الملك رمسيس الأول، وتلاه إبنه الملك المحارب سيتى الأول وماشيده من آثار تتمثل فى المنشآت المدنية والمعابد الدينية ، ومقبرته العظيمة بوادى الملوك، مع دراسة مفصلة عن حروبه ونظام الحكم فى عهده .. ويفرد الؤلف أكثر من ٥٠٠ صفحة من هذا الجزء ليقدم فيها دراسات واسعة عن عهد رمسيس الثانى الذى أعاد أمجاد الامبراطورية المصرية، وأضاف إليها المزيد من مناطق النفوذ، وسجل معاركه الحربية الخالدة وعلى رأسها معركة «قادش» التى انتصر فيها على الحيثيين ، وعقد معهم تلك المعاهدة الدبلوماسية الشهيرة. كما وصف المؤلف نظام الحكم فى عهده والمنشآت الدينية الضخمة التى أقامها فى بلاد النوبة وفى معظم أنحاء القطر المصرى، وعلى رأسها المعبد الشامخ فى أبى سمبل، والمنشآت الإضافية الضخمة بمعبد الأقصر، ومعبد الرمسيوم بغرب طيبة.. وأردف المؤلف بدراسة متوسعةعن أبناء رمسيس الثانى وبناته، وعن علاقة مصر التجارية بآسيا الصغرى وسائر أقاليم الامبراطورية، وعن المستوى الحضارى الذى بلغته مصر فى عهده.

الجزء السابع وعنوانه :

عصر مرنبتاج ورمسيس الثالث ولمحة فى تاريخ ليبيا

يبدأ هذا الجزء باستكمال دراسة تاريخ بقية ملوك الأسرة التاسعة عشرة من أبناء رمسيس الثانى وأحفاده وعلى رأسهم الملك مرنبتاح الذى قاد حروبا ضارية ضد الليبيين وشعوب البحر المتوسط الذين تكرر زحفهم إلى وادى النيل رغبة فى الاستيطان، وحروبه كذلك ضد دولة إسرائيل والنصب التذكارى الذى قال فيه «لقد قضيت على إسرائيل وقطعت بذرتها» وكان هذا النص أول ذكر فى الآثار المصرية لكلمة إسرائيل .. ويستمر المؤلف فى استعراض تاريخ الملوك الذى خلفوا مرنبتاح على عرش مصر، وكانوا ملوكا ضعافا انتهى بتاريخهم عصر الأسرة التاسعة عشرة، وبدأ عصر الأسرة العشرين التى أسسها الملك رمسيس الثالث الذى واصل الحروب المصرية ضد الليبيين والنوبيين وشعوب البحر، وسجلت فى عهده مناظر تفصيلية للموقعة البحرية التى قادها ضد شعوب البحر .. وذكر المؤلف كل المنشآت المدنية والمعابد الدينية التى أقامها رمسيس الثالث فى طول البلاد وعرضها، كما أفرد المؤلف دراسة واسعة عن الحضارة المصرية فى عهد هذا الملك، وعن الحياة الاجتماعية، وقصة أول إضراب قام به العمال فى عهده، وتفاصيل المؤامرة التى دبرت لقتله.

الجزء الثامن وعنوانه :

نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة بطيبة فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين.

وفى هذا الجزء يستمر المؤلف فى عرض تاريخ الملوك الرعامسة فى الأسرة العشرين، بدءا من رمسيس الرابع حتى رمسيس الحادى عشر، مع شرح واف لتاريخ كل ملك من هؤلاء الملوك وأهم أعماله،

والآثار التى تركها، بالإضافة إلى التركيز على دراسة القانون الجنائى المصرى الذى كان سائدا فى ذلك العصر، وكيفية إجراء التحقيقات والمحاكمات الجنائية، وكيفية تنفيذ العقوبات المحكوم بها. كما بيّن المؤلف عوامل ضعف نظام الحكم فى أواخر عصر الرعامسة ، الأمر الذ أدى إلى انتهاء عصر الأسرة العشرين وبداية عصر الأسرة الحادية والعشرين، حيث أستولى كهنة أمون على عرش مصر، وبدأ حكم الكاهن «حريجور» الذى أسس هذه الأسرة وأصبح أول ملك من ملوكها.

الجزء التاسع وعنوانه :

نهاية الأسرة الحادية والعشرين وحكم دولة الليبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبى ولمحة فى تاريخ العبرانيين.

يستعرض المؤلف فى هذا الجزء أسماء وتاريخ بقية ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وكذلك أسماء وتاريخ ملوك الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، مع استعراض الآثار التى تركوها والمقابر التى أقاموها لأنفسهم، وكبار رجال الدولة الذين تعاونوا معهم فى حكم البلاد .. ثم يفرد المؤلف دراسة مستفيضة خاصة بالعبرانيين، فشرح أصلهم ، والمملكتين اللتين أقاموهما فى فلسطين وهما مملكة إسرائيل ومملكة يهودا، مع التركيز على عصر الملكين داوود وسليمان. كما شرح أوجه حياتهم الاجتماعية العامة ، وعقائدهم الدينية، والنبوءات التى تنبأ بها أشهر أنبيائهم.

الجزء العاشر وعنوانه :

تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بيعنخى

يتضمن هذا الجزء شرحا وتحليلا لروابط الوحدة بين مصر والسودان منذ عصور ماقبل التاريخ.. ثم استعراضا ضافيا للعلاقات

المصرية النوبية خلال العصور التاريخية، سواء فى العصر العتيق ثم فى عصر الدولة القديمة فالدولة الوسطى فالدولة الحديثة .. وحصراً شاملاً للمنشآت المدنية والدينية والعسكرية التى أقامتها مصر فى بلاد النوبة، خصوصاً بالنسبة للحصون التى أقيمت لحماية مناجم الذهب وطرق المواصلات، مع التطور فى التعاون العسكرى بين الجنود المصريين والجنود النوبيين الذين اشتركوا فى فرق الجيش المصرى .. ثم قيام النوبيين بتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين التى حكمت مصر.

الجزء الحادى عشر وعنوانه :

تاريخ مصر والسودان من أول عهد بيعنخى حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ولمحة فى تاريخ آشور

فى هذا الجزء يستكمل المؤلف دراساته عن تاريخ الملوك النوبيين الذين حكموا مصر فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين (فى القرن الثامن قبل الميلاد) .. ويستعرض الحروب التى خاضوها لتثبيت أركان حكمهم، والآثار التى شيدوها فى مختلف أنحاء الديار المصرية والبلاد النوبية .. ويفرد المؤلف القسم الأخير من هذا الجزء لتقديم دراسة عن تاريخ مملكة آشور وعلاقتها بمصر، وازدهار الامبراطورية الآشورية حتى سقوطها فى نهاية الأمر.

الجزء الثانى عشر وعنوانه :

عصر النهضة المصرية ولمحة فى تاريخ الإغريق

وفى هذا الجزء يعرض لنا المؤلف تاريخ الأسرة السادسة والعشرين التى اتفق المؤرخون على تسمية عصرها بعصر النهضة

المصرية، ويتوسع المؤلف فى شرح تاريخ الملوك الستة الذين تتألف منهم هذه الأسرة، وعلى رأسهم الملك «بسماتيك الأول» مؤسس هذه الأسرة، حيث يذكر لنا بالتفصيل جميع الأعمال التى قام بها كل ملك من ملوك هذه الأسرة والتى أدت إلى تحقيق نهضة حقيقية فى مسار التاريخ المصرى القديم، وانعكست على الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وعلى علاقات مصر بالدول والبلاد المجاورة .. ثم أفرد المؤلف فى القسم الثانى من هذا الجزء دراسه ممتعة عن تاريخ الحضارة الإغريقية التى ظهرت فى بلاد اليونان، وعرض لنا فى هذه الدراسة كيفية ظهور الأساطير الإغريقية الأولى، وملحمتى الإلياذه والأوديسة، والتاريخ القديم لبلاد اليونان، وحروبها مع طروادة، وظهور ونمو المدن المستقلة، وتاريخ الحروب التى دارت بين الإغريق والفرس، وتاريخ الاسكندر المقدونى والغزوات الحربية التى قام بها.

الجزء الثالث عشر وعنوانه:

من العهد الفارسى إلى دخول الإسكندر الأكبر مصر

يبدأ هذا الجزء بدراسة تاريخ الفتح الفارسى (فى القرن السادس قبل الميلاد) والآثار السيئة المترتبة على هذا الغزو، وثورة المصريين ضد هذا الغزو المقيت فى نهاية عهد الملك الفارسى «دارا» .. وهى الثورة التى أدت إلى طرد الفرس من مصر، وتأسيس الأسرة الثامنة والعشرين، وتلتها الأسرة التاسعة والعشرون، حيث قام ملوكها المصريون بمواصلة الحروب ضد الفرس وصد هجماتهم المتكررة. وفى هذا الجزء أيضا يستعرض لنا المؤلف أحوال الجيش المصرى بعد طرد الفرس من مصر .. ثم يفرد لنا فى القسم الأخير من هذا الجزء

دراسة تفصلية واسعة عن تاريخ المملكة الفارسية وكيفية نشأتها، وتاريخ ملوكها الأوائل، وماهية الديانة واللغة والعادات الاجتماعية فى بلاد فارس القديمة. ومن أهم البحوث التى تضمنها هذا الجزء الثالث عشر ذلك البحث التاريخى الرائع لقناة السويس، وكيف فكر المصريون القدماء فى توصيل النيل بالبحر الأحمر منذ عصر الأسرة الثانية عشرة.

الجزء الرابع عشر وعنوانه:

الاسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة فى مصر

يتضمن هذا الجزء دراسة واسعة عن أثر الحضارة المصرية القديمة فى الحضارة الإغريقية، ومجىء الاسكندر بجيشه إلى مصر، وتأسيس مدينة الاسكندرية، ورحلته إلى واحة سيوه، وموت الاسكندر فى بابل، وتقسيم امبراطوريته بين قادة جيشه، وكيف أصبحت مصر من نصيب بطليموس بن لاجوس الذى توج نفسه ملكا عليها وأصبح على رأس أسرة البطالمة الذين حكموا مصر من بعده على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون.. ويتوسع المؤلف فى شرح نظام الحكم فى عهد بطليموس الأول وبطليموس الثانى، وازدهار الصناعة والتجارة والعمارة، وأحوال الحياة الاجتماعية، وموقف المصريين من الحكم البطلمى، وأحوال اليهود الذين كانوا يعيشون فى مصر فى ذلك العصر.

الجزء الخامس عشر وعنوانه:

من أواخر عهد بطليموس الثانى إلى آخر عهد بطليموس الرابع

يعتبر هذا الجزء أوسع دراسة باللغة العربية عن العصر البطلمى الأول فى مصر، حيث يتجول بنا المؤلف القدير فى تفاصيل تاريخ

كل من بطليموس الثانى والثالث والرابع، والاثار الرائعة التى تركها كل منهم فى مختلف أنحاء الديار المصرية، وشرح الوثائق والبرديات التى ترجع إلى تاريخهم والتى تحتفظ بها الآن متاحف أوروبا خصوصاً فى انجلترا وفرنسا، وتتضمن هذه الوثائق التى كتب أغلبها بالخط الديموطيقى عقوداً للزواج وعقودا لبيع المنشآت العقارية، وعقوداً لقرض الأموال.. الخ، كما تتضمن الدراسة أيضا أحوال الشعب المصرى بمختلف طبقاته خلال عهود هؤلاء البطالمة.

الجزء السادس عشر وعنوانه :

من عهد بطليموس الخامس إلى نهاية عهد بطليموس السابع

ويعتبر هذا الجزء آخر أجزاء الموسوعة التاريخية التى كتبها الدكتور سليم حسن، حيث لم يسعفه العمر لاستكمال دراسة بقية عصر البطالمة الذى انتهى بمصرع كليوباترا السابعة وبداية العصر الرومانى (عام ٣١ ق.م). ويتجول بنا المؤلف القدير فى رحاب تاريخ كل من بطليموس الخامس الذى ينسب إليه المرسوم الملكى المدون على حجر رشيد باللغة المصرية القديمة المكتوبة بالهيروغليفية والديموطيقية واللغة اليونانية، وهو الحجر الذى فتح الطريق أمام شامبليون ليفك رموز وعلامات وحروف الكتابة الهيروجليفية، وفتح الطريق بالتالى أمام المؤرخين وعلماء الآثار لقراءة معالم التاريخ المصرى القديم المدون على جدران المعابد والمقابر والنصب التذكارية وصفحات البردى.. ثم ينتقل المؤلف إلى استعراض تاريخ بطليموس السادس لنتعرف على سوء الأحوال والعلاقات التى سادت بين أفراد الأسرة البطلمية، الأمر الذى أدى إلى تدخل الرومان فى شئون مصر.. وفى عهد بطليموس السابع

حدثت ثورة فى طيبة اشترك فيها الشعب المصرى ضد حكم هذا الملك، الأمر الذى يثبت معه مدى كراهية المصريين لهؤلاء الحكام الأجانب الذين دب فى أخلاقهم الفساد من كل الوجوه .. ومع ذلك وبالرغم من سوء أحوال مصر فى الداخل والخارج، نجد أن فى عهد هؤلاء الملوك الثلاثة كانت تقام المعابد والمبانى الدينية العظيمة التى لا تزال آثارها باقية حتى الآن، وبخاصة معبد إدفو ومعبد كوم امبو ومعبد فيلة وغير ذلك من روائع الآثار المصرية.

مختار السويفى

الإهـداء

إلى روح صـديقى العزيز

احمد عبد الوهاب باشا

طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته .

إلى الذين أرادوا الإساءة إلىّ فأحسنوا ، وباعدوا بينى وبين الوظيفة فقربوا بينى وبين الإنتاج وخدمة العلم والوطن

إلى الذين شجعوا الدراسات المصرية

إلى كل أولئك أهدى هذه الموسوعة فى تاريخ الدولة الفرعونية القديمة .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأشكره ، وأسأله السداد والتوفيق ، والهداية إلى أقوم طريق . (وبعد) فهذه محاولة جريئة أردت بها أن أجمع فى مؤلف واحد تاريخ شعب عريق قديم ، له عقيدته وفلسفته فى الحياة ، وله ثقافته ونظامه وطرائق معيشته ، ولم أتخذ من تاريخ الفرعون نموذجا لتاريخ شعبه (كما جرت العادة بذلك فى الكتب) ، ولم أجعل حياته وعاداته ونظمه وثروته ومعتقداته مقياسا للحكم على أحوال رعيته ، فقد يكون الفرق بينهما كبيرا ، والهوة سحيقة ، بل جعلت حال الشعب أساسا لما كتبت ، وفى ذلك ما يقرّبنا من الحقيقة ، ويجنبنا مزالق الخطأ والضلال .

وإذا لازمنا التوفيق ، وأمكننا أن نبنى تاريخا من المادة التى وجدناها مبعثرة فى مقابر الدولة القديمة ومعابدها ، كان ذلك من غير شك أساسا متينا ودعامة قوية لدرس كل مدنيات العالم ؛ إذ أن مصر هى المنبع الأول الذى ظهرت لنا منه كتابات مدونة ، فى الوقت الذى كانت فيه كل ممالك العالم تقريبا تهيم على وجوهها فى الغابات ، وتتيه فى المجاهل والأحراج . ومن هذه المدنية المصرية اغترف العبرانيون والإغريق والأسيويون ، ومن ثم تسربت إلى أوروبا .

وإنك لتجد فارقا واضحا يفصل بين المدنية المصرية القديمة وبين ما عداها من مدنية الإغريق وغيرهم ، ذلك أن المصرى كان يفكر دائما فى دائرة الحس ولا يسمح لعقله بأن يحلّق فى أجواء المعقولات والمعانى ؛

فهو لا يؤمن بالحب وإن كان يقدس المحبوب ، ولا يعرف الشجاعة ولكنه يقدر الرجل الشجاع ، وتبعا لطريقته هذه فى التفكير كان لا بد له من أن يجسّم آلهته ويصورها ويتخذ لها من الحيوان والكائنات مظاهر يقدسها ويعبدها مع أعتقاده بالوحدانية . ويظهر أن شمس مصر الحارة التى كانت تلهب جسم المصرى ، وتشعره دائما بوجودها هى التى أرهفت عنده قوة الحس ، كما أن انتقابها واحتجابها فى أوروبا مال بالأوروبيين عن محيط المحسوسات إلى المعقولات .

ولقد اقتصرنا فى تاريخنا على الدولة القديمة وبداية العهد الإقطاعى لاتساع الموضوع وتشعب نواحيه وضرورة الإلمام بجميع أطرافه ، ولم نستطع أن نجزم فى كثير من الأمور برأى قاطع لأن هناك تراثا تحت الأرض لما يكشف عنه الزمن ، ولم يسمح لنا القدر بالتعرف عليه ، وإذاعة ما طواه من خبر يقين وسر دفين ، ومن التجديف والجرأة أن نقدمه للقراء حقيقة ثابتة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وهناك موضوعات جديدة حاولت سبكها على غير مثال سابق ، بل لم يطرق الكثير منها من قبل لقلة المصادر وغموضها ، فأطلقنا للخيال بعض الحرية لينسج من العناصر التاريخية القليلة التى وجدناها عن هذه الموضوعات ثوبا قشيبا تظهر به بين أترابها من الموضوعات التاريخية الأخرى ، ونقصد بذلك أن نكسو عظام الحقائق التاريخية الجافة لحما ثم نبعث فيها روحا يحركها فتصبح حية يراها القارئون ويتمثلونها .

وإن من يعرف اللغة المصرية القديمة ، وصعوبة فهمها ، واحتمال اللفظ كثيراً من المعانى يلتمس العذر لعلماء الآثار فى اختلافهم وتعدد آرائهم

وتباين مذاهبهم فى موضوعات كثيرة ، على أنا أوردنا أقوم هـذه الآراء وأقربها إلى المنطق والعقل وأقواها حجة ودليلا .

ولقد آثرت الأسلوب السهل فى إبراز موضوعات هذا الكتاب لوعورة موضوعاته ولتنساب المعانى إلى ذهن القارىء فى غير إجهاد فكر أو إعمال عقل ؛ ومن الاسف أن قليلا من الكلمات الأعجمية أو العربية المحرّفة قد اضطرنى إلى الاعتراف به واستعماله حينما وجـدت رديفه العربى غريبا أوقليل الاستعمال .

ولقد كانت رغبتنا فى أن يبدو كل موضوع من موضوعات الكتاب وحدة متماسكة مكتملة الاجزاء ، ظاهرة الاستقلال بجميع عناصرها ؛ سببا فى أن نتعرض إلى بعض الحقائق التاريخية أكثر من مرة ملمحين إليها ، أو مارين بها ، أو مسهبين فى ذكرها حسبما يقتضيه المقام .

ومن الواجب علىّ هنا أن أعترف بالمساعدة العظيمة التى قدمها لى كل من الأستاذ محمد النجار مدرس اللغـة العربية بمدرسة شبرا الابتـدائية والأستاذ عبد السلام عبد السلام ، فقد عنى الأول بقراءة النسخة الخطية ومراجعتهـا من الوجهة النحوية بقدر مـا سمحت به الظروف ؛ أما الثانى فقد تعهد قراءة تجارب الكتاب كله ووضع الفهرس له وساهم فى إنجاز طبعه بسرعة : هذا وإنى لأشكر صاحبى مطبعة كوثر على عنايتهما بطبع الكتاب طبعا جميلا فى تلك الظروف الدقيقة .

وقد جعلت الكتاب قسمين : يتحدث الأول عن عهد ما قبل التاريخ إلى نهاية الأسرة العاشرة ويتكلم الثانى عن مدنية الدولة القديمة حتى العصر الإهناسى

فإن كنت قد قاربت السداد وسلكت طريق الرشاد فهذا ما أرجوه وأحمد الله عليه ، وإن كان قد نبا بى الفكر أو شط القلم فالخير أردت وما توفيقى إلا بالله

القاهرة فى أول أغسطس سنة ١٩٤٠ — سليم حسن

قائمة بأهم التواريخ

من الدولة القديمة إلى الاسرة العاشره

(حسب تاريخ الأستاذ برستد) .

١ ـ بداية استعمال النتيجة سنة ٤٢٤١ ق . م

٢ ـ الأسرتان الأولى والثانية من ٣٤٠٠ ـ ٢٩٨٠ ق . م

٣ ـ الأسرة الثالثة ٢٩٨٠ ـ ٢٩٠٠ ق . م

٤ ـ « الرابعة ٢٩٠٠ ـ ٢٧٥٠ « «

٥ ـ « الخامسة ٢٧٥٠ ـ ٢٦٢٥ « «

٦ ـ « السادسة ٢٦٢٥ ـ ٢٤٧٥ « «

٧ ـ الأسرتان السابعة والثامنة ٢٤٧٥ ـ ٢٤٤٥ ق . م

٨ ـ « التاسعة والعاشرة ٢٤٤٥ ـ ٢١٦٠ ق . م

هذه التواريخ تقريبية محضة قد تزيد أو تقل عن مائة سنة

الفصل الاول

مقدمة عن تاريخ مصر وما قبل التاريخ

التاريخ المصرى وكتاب الإغريق والرومان

ظلت معلومات العالم أجمع عن تاريخ مصر القديم ضئيلة هزيلة حتى منتصف القرن التاسع عشر، وذلك يرجع إلى عدم معرفة قراءة نقوشها. حقًا إن عدداً لا بأس به من قدماء كتّاب الاغريق والرومان الذين وفدوا على أرض مصر طلبًا للوقوف على غرائبها وعجائبها ، قد وصفوا البلاد وصفًا مسهبًا و كتبوا بقدر ما وصلت إليه معلوماتهم عن تاريخها المجيد ، ولكن لسوء الحظ كان كل ما وصل إلينا من كتاباتهم قد أخذوه إما عن طريق الرواية أو مجرد وصف جغرافى ، وقد بقيت هذه الروايات مصدرنا الوحيد عن تاريخ مصر القديم حتى باكورة القرن التاسع عشر. وأهم هؤلاء الكتّاب المؤرخ «هرودوت» و«ديدور الصقلى» و«استرابون» وغيرهم ممن قاموا بسياحات فى مصر فى عهد ملوك البطالسة والعهد الرومانى. وهكذا بقى تاريخ البلاد الحقيقى قبل عصر البطالسة سرا غامضا لا نعرف شيئا عنه إلا ما وصل إلينا عن طريق المؤرخ المصرى « مانيتون » الذى كتب تاريخ البلاد فى عهد البطالسة نقلا عن أصول مصرية قديمة كما يظهر ولكن للأسف لم يصل إلينا منه إلا مختصر لا يشفى الغلة . على أن كثيراً مما ذكره فى كتابه لم تحققه المصادر الأصلية التى عثر عليها للآن بعد كشف أسرار اللغة المصرية وقد بقى العالم يرتكز فى معلوماته عن تاريخ مصر على ما تركه لنا كتّاب اليونان ، ومختصر مانيتون ، ولم تكن لدينا طريقة إلى تصحيح أغلاطهم وسد الفجوات التى

كانت تعترض الباحث فى تاريخ البلاد. ومن أجل ذلك قام بعض العلماء بمحاولات لحل رموز اللغة المصرية حتى يصلوا إلى معرفة تاريخ البلاد الحقيقى ، مثل الأب «كرشر» إلا أن ذلك لم يسفر عن نتيجة مرضية،ولكن منذ أن رست الحملة الفرنسية على شاطئ النيل بدأت صفحة جديدة فى تاريخ البلاد؛ إذ فى الوقت الذى كانت فيه الجنود الفرنسية تحارب المماليك كانت هناك حملة أخرى فرنسية علمية يجول أعضاؤها فى طول البلاد وعرضها لدرسها درساً علمياً منظماً من كل الوجوه فبحثوا جغرافية البلاد وحيوانها ونباتها وزراعاتها المختلفة وحرفها ثم درسوا أخلاق القوم وعاداتهم وآثارهم ونقلوا النقوش القديمة التى كانت وقتئذ ظاهرة على معابد البلاد وبعد ذلك قاموا بتدوين كل بحوثهم بدقة وعناية فى مؤلف خاص يشمل عدة مجلدات أطلق عليه: Description de l'Egypte ولكن بكل أسف لم يستفد التاريخ من كل هذه البحوث إلا أشياء ضئيلة ، وذلك لأن النقوش التى نقلوها من المعابد وغيرها بقيت صامتة إلى أن جاء « شمبليون » وحل رموزها كما سنذكره بعد . ومنذ حل رموز اللغة المصرية أخذ تاريخ البلاد الحقيقى ينجلى شيئاً فشيئاً مما قضى على الأساطير والخرافات التى نقلها كتاب اليونان الذين رادوا وادى النيل وكتبوا عنه . وقد بقيت هذه الأساطير تعتبر فى أعين العالم إلى هذا الوقت أنها تاريخ البلاد الذى يعتمد عليه.

الحملة الفرنسية وأعمالها العلمية فى مصر

الأساطير اليونانية تعتبر مصدر التاريخ المصرى

وفى الفترة التى كان فى خلالها علماء الآثار المصرية يسيرون بخطى وئيدة ثابتة فى كشف النقاب عن تاريخ البلاد الحقيقى بفضل المجهودات الجبارة التى كانت تبذل فى عمل الحفائر ، وحل رموز النقوش التى كانت على جدران المعابد وفى أوراق البردى فى وادى النيل ، كانت هناك جهود أخرى عظيمة يبذلها جماعة من علماء أوربا فى

علماء الآثار والتاريخ المصرى

بداية وضع علم ما قبل التاريخ

وضع أساس لعلم آخر جديد فى الجهة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط . وهذا العلم الجديد هو علم ما قبل التاريخ وقد كان فى بدايته غير مدعوم الأساس إذا قرناه بعلم الآثار المصرية . وكانت ماهيته تنحصر فى بحث حل مسألة أصل الانسان قبل التاريخ أو بعبارة أخرى قبل ظهور الكتابة وذلك بدرس بقايا العظام الأنسانية وغيرها مما خلفه أصحابها من الآثار والصناعات التى تركت بعدهم على سطح الأرض مهملة أو وجدت مدفونة فى المغارات والكهوف أو فى مجارى الأنهار القديمة . وقد أسفرت النتيجة أخيراً عن نجاح بعض العلماء بعد معارضات شديدة فى وضع أسس لهذا العلم

أول مؤلف فى علم ما قبل التاريخ

والواقع أنه بعد مجهود نصف قرن تمكن العالمان « بوشيه » و « بيرن » من وضع مؤلف يبحث فى عصر ما قبل التاريخ ، وقد جاء بعدهما طائفة من العلماء توصلوا إلى تثبيت أصول هذا العلم ببحوثهم حتى أصبح معترفاً به فى كل الأوساط العلمية فى أوربا .

الكتاب الاقدمون وعلم ما قبل التاريخ

ومن المدهش أن بعض الكتاب الأقدمين قد تكلموا عن هذا العلم قبل معرفته ووضع أصوله ، فقد أشار الشاعر اللاتينى لوكريه Lucrée إلى ذلك بقوله : « أن الأنسان الأول كان يجهل استعمال المعادن ، ولذلك كان يتخذ الأخشاب والعظام وخاصة الأحجار المهذبة بحذق ومهارة آلات وأسلحة للصيد والحرب ، وبعد ذلك بزمن أصبح الانسان زارعا ، ثم أخذ فى تحسين آلاته وصقل حد (بلطته) »

والواقع أن ذلك يتفق مع الحقائق التاريخية إذ وجدنا أن العصر الحجرى قد استعمل فيه الظران المهذب ثم المصقول ثم خلف ذلك عصر يشعر بالرقى والتدرج وهو عصر استعمال معادن . ويلاحظ أنه بظهور المعادن بدأ استعمال الظران يقل شيئاً فشيئاً ولا غرابة فأن استعمال النحاس ، ثم اختراع البرنز الذى حل محله الحديد

أزمان عصر ما قبل التاريخ

فترة قصيرة، كان من الأمور التى خطت بالأنسان خطوات جديدة نحو الرقى حتى العصر التاريخى أى عصر استعمال الكتابة والقراءة فى تدوين كل حوادثه وأعماله على أن أمم العالم لم تتساوكلها فى الوصول إلى هذه الدرجة بسرعة واحدة أوفى وقت واحد. فمثلا البلاد المصرية والأقطار الكلدية تعرفان الكتابة والقراءة منذ آلاف السنين قبل التاريخ الميلادى فى الوقت الذى بقيت فيه زمناً طويلا تجهل وجود الحديد ومن جهة أخرى نشاهد أن سكان ممالك البحر الأبيض المتوسط قد مكثوا عدة قرون مدفونين فى ظلمات عصر ما قبل التاريخ، ومع هذا فانهم كانوا يعرفون استعمال الحديد منذ أزمان طويلة قبل الفتح الرومانى

ومن الطريف المدهش أن أبحاث علماء ما قبل التاريخ قد ظلت غير معترف بها عند علماء الآثار المصرية معظم القرن التاسع عشر، وسبب ذلك أن هؤلاء الأثريين كانوا يشكّون فى وجود عصر فى تاريخ مصر قبل عهد الدولة القديمة، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن سكان مصر لم يكن لهم عهد طفولة كباقى الأمم، بل أنهم وجدوا فى التاريخ فجأة، وأن مدنيتهم كانت شبه كاملة، ولذلك رفض علماء الآثار أن يبحثوا عن منشأ هذه الثقافة الزاهرة التى كان لابد لها أن تصل إلى ما وصلت إليه تدريجًا بعد انقضاء عدة قرون، ولهذا السبب أبوا أن يفحصوا الآلات المصنوعة من الحجر، وهى التى وجدوها عفواً أثناء القيام بأعمال الحفر أو التى جمعت من فوق سطح الارض؛ وقد فسروا وجودها بأنها من عمل الطبيعة أو أنها صنعت فى عهد الأسر الفرعونية

علماء الاثار المصرية لا يعترفون بعلم ما قبل التاريخ

وهكذا بقى النضال بين علماء الآثار قائمًا إلى أن وفد على وادى النيل العالم الفرنسى أرسلان Arcelin فكان أول من أثبت وجود علم ما قبل التاريخ فى مصر. وقد دعم قوله بالبراهين

العالم أرسلان أول من أثبت وجود علم ما قبل التاريخ فى مصر

حضر هذا العالم إلى مصر فى عام ١٨٦٨ وساح فى النيل ذهاباً و إياباً وقام أثناء رحلته بأبحاث منتجة فجمع من حافة الصحراء التى أقيم عليها الأهرام بعض آلات من الظران المهذب التى تشبه ما عثر عليه فى أوربا ، وقد أسعده الحظ بأكثر من ذلك إذ عثر فى الهضبة التى تشرف على وادى الملوك تجاه الأقصر على مصنع عظيم من الظران يرجع عهده إلى العصر الحجرى القديم (الباليوليتى) ، وقد ظهر أن ما وجد فى هذه البقعة يشبه كثيراً ما عثر عليه فى سان آشل Saint Acheul . وفى الجنوب من البقعة السالفة الذكر وفى أبى منقار عثر على بعض آلات من العصر الحجرى الحديث

وبعد انقضاء فترة وجيزة على هذا الكشف عثر العالمان «لنرمان» و «هنرى» Lanormont & Henry على بعض آلات لها أهمية عظيمة بالقرب من جبانة طيبة وقد كان نتيجة هذا الكشف أن اعترفت جمعية درس أصل الانسان فى عام ١٨٧٠ بأمكان وجود عصر ما قبل التاريخ فى مصر. وقد جاء مؤيداً لهذا الرأى ما عثر عليه الأب «رتشرد» فى شبه جزيرة سينا ، وفى جوار القاهرة وفى طيبة غير أنه بالرغم من ذلك كان علماء الآثار يعارضون فى وجود علم ما قبل التاريخ فى مصر بحجة أنهم وجدوا مثل هذه الآلات التى عثر عليها هؤلاء الباحثون فى المقابر المصرية القديمة ، ولم يفهموا أن هذه الآلات ربما كانت من مخلفات أزمان ما قبل التاريخ وأنها بقيت مستعملة بالتوارث والعادة حتى العهود التاريخية. وقد بقى علماء الآثار أمثال «مريت باشا» و «لبسيوس» و «شاباس» على رأيهم رغم محاولات علماء ما قبل التاريخ فى إقناعهم بصحة وجود عصر فى تاريخ مصر قبل الدولة القديمة ؛ وقد استمر هذا أكثر من ثلاثين عاماً إلى أن وضع الأمور فى نصابها عالم من علماء الآثار

أعتراف جمعية درس أصل الانسان بوجود عصر ما قبل التاريخ فى مصر

أنفسهم وهو « جاك دى مرجان » الذى كان مديراً للآثار المصرية في ذلك العهد فجمع فى مجلدين ضخمين كل ما كتب فى هذا الموضوع وانتهى به البحث إلى أن أيد فكرة وجود عصر ما قبل التاريخ فى مصر وأضاف إلى ذلك ملاحظاته الشخصية التى جمعها مدة إقامته الطويلة فى وادى النيل . إذ فى خلال تلك المدة درس الأحوال والأماكن التى وجدت فيها الآلات الحجرية وأثبت بالبراهين الناطقة قدم الآلات التى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ ، عن الآلات التى بقى الانسان يهذبها بطريق العادة على نمط سالفتها فى العصور التاريخية ثم يستعملها وبعد أن وصل إلى هذه النتيجة أخذ يبرهن للعلماء على أن آلات ما قبل التاريخ المصرى تكاد تكون مماثلة لما هو محفوظ فى متاحف أوربا من نفس العصر

« دى مرجان » أول عالم أثري يعترف بوجود هذا العلم فى مصر

وبعد ذلك أثبت بصفة نهائية أن عصر الحجر المهذب فى مصر قد سبق عصر الحجر المصقول وأن الأخير قد خلفه عصر استعمال المعادن كما هو الحال فى إنجلترا وفرنسا وغيرهما .

وفي عام ١٨٩٧ وضع العالم «دى مرجان» نتائج أبحاثه أمام العالم ومنذ ذلك العهد اعترف فعلا بوجود عصر ما قبل التاريخ فى مصر ، ومن ثم أخذت البحوث تترى معززة رأي هذا العالم العظيم أو مكملة لبحوثه ، وفى بعض الاحيان كانت مصححة لبعض أخطائه فى نقط مختلفة . وقد مهدت لنا أبحاث الأستاذ « فلندرز بتري » « ودي مرجان » السبيل لايجاد صلة بين عصر ما قبل التاريخ المصرى وعصر الدولة القديمة وقد أطلق على هذه الفترة عصر ما قبل الأسرات

أبحاث فلندرز بتري فى علم ما قبل التاريخ فى مصر

وعثر الأثرى «لجران» بعد ذلك على محطات جديدة وعثر كذلك العالمان «ستون»

و« كار » وغيرهما فى منطقة الصحراء على حافة النيل على مواقع من هذا العصر. وقد أشار الأستاذ «شفينفورت» العالم الألمانى إلى وجود عدة محطات فيها آلات يرجع عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ

مصر والنيل

مما لا جدال فيه أن البلاد المصرية كانت تختلف اختلافاً بيّنا عما هى عليه الآن عندما بدأ يظهر فيها الانسان الأول . ولأجل أن نكون فكرة عن حالة البلاد الطبيعية فى هذا العهد يجب علينا أن نرجع إلى الوراء إلى عهود جولوجية سحيقة فى القدم أى قبل أن يظهر أثر الانسان بمدة قصيرة نسبياً . وهذا العصر يعرف فى التاريخ الجولوجى للقشرة الأرضية بالزمن الجولوجى الثالث . على أننا لن نبحث هنا عن المراحل الجولوجية التى سبقت هذا العهد ونعنى بذلك المرحلتين الأوليين . وكذلك لن نتكلم عن النيل الأولى (القديم) الذى سبق النيل الحالى ، بل سنكتفى هنا بأن نذكر بعض تفاصيل لا بد منها للباحث فى تاريخ مصر وطبيعة بلادها .

الازمان الجولوجية التى مرت بمصر

تكّون القشرة الأرضية فى البلاد المصرية من ثلاث طبقات متتابعة بعضها فوق بعض (أولا) نجد فى الزمن الجولوجى الأول أن التربة كانت تتألف من صخور شيستية متبلورة منها حجر « البرفير» والجرانيت ثم الديوريت

طبقات القشرة الارضية فى مصر

(ثانيًا) فى الزمن الجولوجى الثانى نجد أن التربة كانت تتكون من صخور رملية ..

(ثالثًا) ظهرت فى بداية الزمن الثالث طبقات جيرية تحتوى على قواقع نومولتية .

والواقع أن الصخور الشيستية المتبلورة السالفة الذكر ينحصر وجودها فى الصحراء الغربية وحول الشلال الأول . أما الصخور الرملية فأنها توجد فى بلاد النوبة وفى الوجه القبلى حتى إسنا وكذلك توجد فى الاقصر وبالقرب من القاهرة وفى الواحة الخارجة.

أما الطبقات الجيرية فقد تكوّنت منها الصحراء اللوبية ، وكذلك المرتفعات التى تحف نهر النيل من بداية مدينة الأقصر إلى القاهرة .

ولا جدال فى أن الكتل الكثيفة الصخريةمن الحجر النوبى الرملى التى تتألف منها تربة أرض مصر قد مرّت عليها تقلبات جولوجية كثيرة إذ كانت في الواقع تغطى جزئيًا بالماء أحيانًا ثم تظهر ثانية مما سهل للبحر الجيرى ثم البحر النيموليتى أن يتركا رواسبهما على السطح ويكوّنا طبقات جيرية كثيفة من الجير وهى التى تغطى فى كل مكان طبقات الحجر النوبى الرملى من إدفو إلى بداية الدلتا.وبعد ظهور هذا الاقليم من الماء نهائيًا– وقد حدث ذلك بعد العهد الأيوسينى – نجد أن الأقليم الشاسع الذى أطلق عليه فيما بعد مصر قد ظهر ، غير أنه شوهد فى سطحه ميل مزدوج خفيف من ناحية ؛ ومنحدرمن الناحية الأخرى. ويتجه الميل الأول من الجنوب إلى الشمال حسب اتجاه النيل . أما الميل الثانى فأنه أشد انحداراً ويبتدئ من الشرق إلى الغرب أى من شواطئ البحر الأحمر إلى إقليم الواحات . وهذان الميلان فى طبيعة أرض الوادى يرجع سببهما بلا نزاع إلى الظواهر البركانية التى حدثت فى الجهة الشرقية

الميل المزدوج فى طبيعة أرض مصر

منه وفى إقليم السودان . ولاشك أن نتائج هذه الظواهر عظيمة جداً من الوجهة الجغرافية لأنها كبقية التغيرات التى كان لا بد لسطح الوادى أن يخضع لها بفعل تأثير مياه النهر

صحراء العرب وصحراء ليبيا

والواقع أن نهر النيل قد شق مجراه فى هذه الهضبة غير المتكافئة فى ارتفاع جبالها ، بخط يكاد يكون مستقيما وكوّن منها منطقتين منفصلتين تختلفان اختلافاً بيّناً من حيث الارتفاع والشكل . أحداهما شرقية وهى التى تسمى صحراء العرب ويمتاز تكوينها الطبيعى بأن جبالها تصل إلى ارتفاع عظيم بالقرب من الشاطىء ثم تنحدر تدريجاً نحو الوادى . أما المنطقة الثانية فيطلق عليها اسم صحراء ليبيا وتبتدىء بتلال قليلة الارتفاع تسير مع السهل الرملى وتنتهى بعدة منخفضات يصل مستوى بعضها أحياناً إلى أقل من مستوى البحر . ويطلق على هذه المنخفضات اسم الواحات .

كيفية تكوين وادى النيل

وعلى هذا النحو تكوّن هيكل بلاد الفراعنة فى الزمن الجولوجى الثالث ، وفى نهاية هذا الزمن وبداية الزمن الجولوجى الرابع أخذت العوامل الجوية تؤثر بفعلها حتى نحتت فى سطح هذه الهضبة وادى النيل الحالى . إذ كانت تتساقط فى هذه الجهة سيول جارفة يمكن أن نعرف مقدار عظمها وشدتها من الأمطار الاستوائية الحالية . وقد كونت هذه الأمطار عدة مجار من الماء قامت مقام العمال فى نحت وديان عدة فى الصخور ، وهذه الوديان قد جفّ ماؤها منذ أزمان سحيقة ، غير أن أماكنها لا تزال باقية إلى الآن دالة على وجودها رغم نضوب الماء منها .

والظاهر أن النيل لم يستتب فى مجراه الحالى إلا منذ أزمان حديثة ولاريب أن سيره كان قدعوّق فى الأزمان الغابرة عند مرتفعات أسوان بحاجز من الجرانيت

تأثير الصخور فى تكوين مجرى النهر

ومكث مدة طويلة لم يتمكن من تذليل هذه العقاب الجرانيتية ، فكانت مياه النهر تضطر أن تدور حول هذه الكتل الضخمة ، ولكن فعل المياه تغلب فى النهاية وشق مجراه الحالى ، ولا تزال أحجار الشلال الأول شاهدة عدل على المقاومة التى كانت ولا تزال تعترض النهر فى سيره

يضاف إلى ذلك أنه كانت تعترض النهر الصخور النوبية الأقل صلابة من الجرانيت . وقد كانت هذه الصخور تؤلف عدة شلالات صغيرة من بداية مدينة السلسلة الحالية جنوباً،فكانت تعرقل سير النهر وتضع فى طريقه العقبة تلو العقبة . وكذلك كان يصادفه فى سيره مستويات أعلى من مستوى مجراه الحالى مما حتم تكوين عدة بحيرات خلفها فى جهات مختلفة فى الوادى

ولا أدل على ذلك من بقايا السد الذى كان يعترض النهر عند جبل السلسلة وكذلك سهل « كوم أمبو » فانه عبارة عن حوض ماء كانت تخزن فيه المياه التى كان يعوقها سد طبيعى اعترض لها فى طريقها

ويمكننا حسب نظام القوانين الطبيعية و تكوين الأنهار أن نحكم بأن النيل مر عليه عصران متتابعان متميزان فى تاريخ تكوينه

مرور عصرين على تكوين نهر النيل

أولا :— كان النهر فى بادئ الأمر ذا مياه سيّالة تجرى فى منحدر سريع من الجنوب الى الشمال مما جعله يقطع لنفسه أولا مجرى عظيما جداً قريب الغور كان ينحته لنفسه على كر السنين، ثم أخذ بعد ذلك ينكمش هذا المجرى الواسع شيئاً فشيئاً . وكان قطاع الوادى فى هذا الطور يشبه رقم ٧ ولكن الاختلافات التى كانت تحدث فى مقدار حجم المياه المتدفقة سنويًا ، وفى قوة التيارات كانت أحيانًا تزيد فى حدة التآكل فى

الصخور وأحياناً تقلل منها . ويمكن ملاحظة شدة هذا التآكل أوضعفه فى اختلاف حجم المدرجات التى يشاهد بعضها فوق بعض على طول شاطئ النهر . إذ الواقع أننا نراها الآن ظاهرة واضحة فى الصخور فتارة يكون المدرج واسعاً وطوراً يكون ضيقاً مما يدل على عدم انتظام الظواهر الطبيعية .

أما العصر الثانى فأنا نشاهد فيه أنه بعد العهد الذى حفر النهر فى خلاله مجراه قد خلفه عهد آخر ارتطم فيه المجرى ثانية . وتفسير ذلك أنه بعد عهد حفر النهر مجراه شوهد أن الجزء الأسفل من المجرى قد أصبح فى عمقه يقارب عمق سطح البحر ثم وقف بعد ذلك عند هذا الحد ، غير أن فعل التآكل كان لا يزال سائراً فى منحدر النهر ، ولكن مخلفات هذا التآكل لم تكن تكتسح كلها إلى البحر لقلة الانحدار بل كانت تتراكم فى قعر النهر . وكانت هذه الرواسب تزداد من عام إلى عام فى القعر مما سبب ارتفاع منسوب مجرى النهر وقلل من حدة انحداره ؛ ومن ثم أصبح سير مائه معتدلا وأخذت البلاد تستفيد منه . وهناك أدلة على هذه التغيرات واضحة ظاهرة فى مجرى النهر من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط . فمثلا فى منطقة القاهرة كان النيل فى الزمن الجولوجى الثالث له مجرى يبلغ عرضه فى هذه النقطة مقداراً عظيما . وكان جبل المقطم وهضبة الأهرام هما الحدان اللذان يجرى النهر فى وسطهما فى ذلك العهد . ولكن فى الزمن الجولوجى الرابع أخذت الرواسب تغمر هذا المجرى شيئاً فشيئاً وكانت تتألف من الحصى الذى كان يندفع مع التيار ثم بعد ذلك غطى فى آخر الامر بالغرين (الطمى الحديث) ، ومن ثم أخذ المجرى الواسع ينكمش تدريجاً حتى أصبح ولم يبق من هذا المتسع العظيم فى تلك النقطة إلا

مجرى صغير لا يزيد فى اتساعه عن بضع مئات الأمتار ، وفى نهاية الأمر أخذ النيل

تكوين الدلتا

يصب فى البحر الأبيض المتوسط ، غير أن ذلك لم يكن بوساطة مصبه الحالى بل بخليج ثلاثى الشكل يبعد عن البحر بنحو ٢٠٠ كيلو متراً تقريباً ، ولكن الرواسب التى كان يأتى بها النيل سنوياً أخذت تغطى هذا المصب تدريجاً حتى كوّنت منه الدلتا الحالية . و يشغل المصب القديم جزءاً من مدينة القاهرة الحاضرة .

ومن مدهشات الصدف أن « هيكاته » السائح اليونانى قد وصف مصر أو بعبارة أخري الدلتا بأنها منحة النيل وقد نقل ذلك عنه فيما بعد « هردوت » أبو

مصر منحة النيل

التاريخ ، و قد جاء هذا الوصف مطابقاً للواقع بل هو الواقع نفسه . ولا جدال فى أنه فى هذا العصر السحيق لم تكن هناك أية صحار فى أفريقية الشمالية إذ كانت كل هذه الأقاليم من المحيط إلى المحيط تغمرها رطوبة حارة تزيد من اخضرار الأراضى ، ولا بد أن منظر هذه البقاع كان يشبه أقاليم شمال البحر الأبيض المتوسط حيث يتوقف نمو النباتات على التقلبات الجوية وأمطارها الغزيرة التى تجعل

إفريقية الشمالية فى هذا العصر

وظيفة الأنهار فى رى الأراضى مسألة ثانوية محضة. فقد كانت هذه الأمطار تكوّن البحيرات الشاسعة التى تسبح فيها التماسيح وجاموس البحر وتنشأ فيها المستنقعات التى تحلّق فوقها الطيور . وهذه المستنقعات كانت تشغل الأماكن المنخفضة ، ولا تزال

تكوين الواحات

الواحات الحالية شاهداً ناطقاً على ذلك ، ولا أدل على حقيقة ماذكرنا من وجود بركة قارون فى الفيوم والبحيرات الملحة، و وادى النطرون. وكانت فى المناطق التى تحيط بهذه البحيرات حيوانات بعضها من آكلة الحشائش و بعضها من آكلة اللحوم وقد انقرض بعض أجناسها واختفى نهائياً

وعلى هذه الحال كانت تظهر للعيان الأرض المصرية عند بداية الزمن الجيولوجي الرابع وهو الوقت الذى ظهرت فيه أول قبيلة بشرية

والآن نبدأ بالكلام عن هذه العصور التى أخذ الانسان يظهر فيها ثم أخذ يتقدم نحو الرقي شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى تدوين أفكاره بالكتابة وهو بداية العصر التاريخى .

عصور ما قبل التاريخ

نشأة علم ما قبل التاريخ

نشأ علم ما قبل التاريخ فى أوربا ولذلك كان من البديهى أن تكون كل مصطلحاته وتعابيره العلمية أوربية محضة . وقد بدأت دراسة هذا العلم فى غربى أوربا ولذلك نجد بعض الاختلافات عندما نريد تطبيق ما وصل إليه من النتائج فى هذه الجهة بالنتائج التى وصل إليها فى شرقى أوربا . وليس من المستغرب إذن إذا كانت هناك اختلافات فى النتائج التى عرفت فى أوربا أن نجد مثلها عند تطبيقها على باقى بلاد المعمورة الاخرى ، وذلك أمر طبعى إذ أن تربة كل بلد وأحوالها تطبعها بطابع خاص يميزها عن غيرها من وجوه عدة .

عصر ما قبل التاريخ فى مصر وفى أوروبا

وقبل أن نخوض فى بحث موضوعنا يجب أن نتساءل : إلى أى حد يتفق عهد ما قبل التاريخ فى مصر مع عصر ما قبل التاريخ فى أوربا وإلى أى مدى يختلف عنه؟ والجواب على هذا هو أنهما يتفقان معاً فى كثير من الأحوال إلى حد ما وصلت إليه معلوماتنا اللهم إلا إذا ظهرت أشياء تنقض ذلك فى المستقبل ، ولذلك يجب علينا

أن نقتفى فى درس عصور ما قبل التاريخ المصرى عصور ما قبل التاريخ الأوربى وتقرنهما ببعض ثم نقرّب كلا منهما للآخر . وبهذه الطريقة يسهل علينا درس هذا العصر من تاريخ بلادنا .

وينحصر عصر ما قبل التاريخ المصرى فى المدة التى بدأ الانسان يظهر فيها فى وادى النيل إلى بداية الأسرة الأولى حوالى ٣٢٠٠ق.م

٣٢٠٠ ق.م.
بداية العصر التاريخى

وقد أسفرت البحوث التى قام بها العلماء فى مدة الأربعين عاماً الأخيرة عن تقسيم هذا العصر الطويل إلى ثلاثة أقسام رئيسية ولا يزال العصر الأول منها غير معترف به من كل رجال هذا العلم إذ البعض يقره وطائفة منهم تنكره

(١) العصر الأول ويطلق عليه اسم عصر ما قبل الحجرى القديم (الأيوليتى) وقد استعملت فيه أحجار الظران كما وجدت فى الطبيعة مع بعض التهذيب

(٢) العصر الثانى ويطلق عليه اسم العصر الحجرى القديم (الباليوليتى) وهو عصر استعمال الحجر المهذب تهذيباً بسيطاً بعد القطع ومنه يتفرع العصر الحجرى الحديث (النيوليتى) وهو عصر الحجر المصقول بعد التهذيب

أقسام عصر ما قبل التاريخ

(٣) العصر الثالث الذى ظهر فيه استعمال المعادن ويطلق عليه عصر بداية استعمال المعادن (الانيوليتى) . وقد استعمل فى هذا العصر الحجر والنحاس والحديد لعمل الآلات جنباً إلى جنب . وقبل أن نتكلم عن هذه العصور ببعض التفصيل يجب أن نلاحظ أنه يكاد يكون من ضروب المستحيل أن نحدد تاريخاً معيناً لعصور ما قبل التاريخ فى مصر اللهم إلا عندما ندخل فى عصر بداية استعمال المعادن (الانيوليتى) وذلك عندما نقرن الآلات التى ظهرت فى العصر الحجرى الحديث

بما بعدها فى عصر بداية المعادن (الانيوليتى) فأنه يمكن أن نضع تواريخ نسبيه وبخاصة بعد درس الفخار الذى ظهر فى العصر الحجرى الحديث

وكان أول من قام بهذا الدرس الفريد فى بابه الأستاذ « فلندرز بترى » وذلك بوساطة ملاحظات استنتجها من درس مقابر سليمة عثر عليها فى جبانات يرجع تاريخها إلى عصر بداية استعمال المعادن، وأمكنه أن يرتب أنواع الفخار المختلفة التى عثر عليها فى تلك المقابر إلى أصناف ظهرت فى أزمان متتالية ورقّمها من واحد إلى ثمانين . وهذه الأرقام تعادل ما يطلق عليه تتابع التاريخ أو تاريخ التتابع . فرقم ٨٠ يعادل بداية العصر التاريخى الحقيقى أى العصر الذى ظهرت فيه الكتابة

«فلندرز بترى» ودرس فخار ما قبل التاريخ

وأول عمل قام به السير « فلندرز بترى » فى ترتيبه التاريخى المتتابع أن أخذ رقم ٣٠ وخصّصه لأقدم ما عرف الى عهده من أنواع الفخار واحتفظ بالرقم من ١—٣٠ إلى ما عسى أن يكشف عنه من فخار أقدم عهداً مما عرف . والواقع أنه كشف حديثًا فى جهة بلدة البدارى عن موقع قديم جداً يرجع عهده إلى ما قبل رقم ٣٠ وقد خصص له العلماء فعلا رقم ٢٠ — ٢٩ ورغم أنه يكاد يكون من المستحيل أن نجزم بتاريخ قاطع لعصر ما قبل التاريخ المصرى إلا أنه يمكننا مؤقتًا أن نذكر على وجه التقريب أن العصر الحجرى الحديث يحتمل أنه قد بدأ منذ ١٠،٠٠٠ سنة وأن بداية المعادن قد بدأ حوالى ٦٠٠٠ أو ٥٠٠٠ سنة . وهذه التواريخ لا ترتكز على حقائق علمية بل وضعت لتكون مجرد مرشد أو أشارة يهتدى بها فحسب

التاريخ التتابعى

والآن نعود الى التكلم عن كل عصر من عصور ما قبل التاريخ حسب ترتيبها الطبيعى فى كلمة موجزة ثم نتناول الكلام عن كل عصر بشىء من الاسهاب

العصر الأيوليتى

عهد فجر العصر الحجرى القديم

لا جدال فى أن الانسان الأولى عند ماظهر على سطح البسيطة كان أول هم له أن يجد لنفسه سلاحا يدافع به عن كيانه ضد الحيوانات التى كانت تحيط به ويعيش فى وسطها. ولا بد أن أول ما فكر فيه من الأسلحة ما كان فى متناوله فمثلا كان يقطع فرع شجرة ويهذّبه ليدافع به عن نفسه وكذلك كان يجمع ما حواليه من الأحجار الصلبة التى هيأتها له الطبيعة ثم يهذّبها بنفسه بعض الشىء ليجعل لها حداً قاطعاً ويستعملها فى أغراضه. وهذه الآلات التى كانت تصنع بهذه الطريقة قد أطلق عليها فى علم الجولوجية اسم «ايوليت»

كينية دفاع الانسان الاولى عن نفسه

ويعزو علماء الجولوجية هذه الآلات إلى العصر الثالث الجولوجى غير أن وجود هذا العصر فى حياة الانسان على ظهر الأرض مشكوك فيه ويرجع السبب فى ذلك إلى عدم وجود بقايا الانسان فى هذا العصر مطلقا

أول ظهور الانسان

وفى استطاعة الانسان فى مصر أن يجمع قطعا عدة من آلات هذا العصر من هضبة الصحراء ولكنها كذلك مشكوك فى تاريخها، وسبب ذلك يرجع إلى أن فعل المؤثرات الجوية مثل الحر والبرد وتعاقب الليل والنهار يحدث تفتت قطع من الظران جديدة تشبه القطع الأيولتية القديمة وقد جمع الأستاذ «شفينفورت» قطعا كثيرة من هذا النوع من محطات أبواب الملوك. على أن كثيرا من هذه القطع يظهر فيها فعل يد الانسان. ولكنا نجدها مختلطة بآلات من العصر التالى لهذا العصر

الشك فى وجود الانسان فى الزمن الثالث الجولوجى

وهو ما يسمى العصر الباليوليثى (العصر الحجرى القديم). وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأنها من عصر أقدم . والواقع أنه لا توجد محطة مصرية قديمة أو حديثة وفيها آلات صنعتها يد الانسان وقطع من صنع الطبيعة نفسها ثم استعملها الانسان بمهارة . ولا نزاع فى أن المبدأ القائل بالاقتصاد فى استعمال القوى الانسانية فى الانتاج، قد لعب دوراً عظيما فى حياة الانسان الأولى فى مصر كما كان الحال فى البلاد الاخرى ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن الانسان كان يستعمل القطع الطبيعية فى الاستعانة بها على قضاء أغراضه فى أول نشأته وفى فترة عدم درايته بالصناعات

العصر الحجرى القديم

أقسام العصر الحجرى القديم

هذا العصر يعرف بعصر استعمال الحجر المهذب، وينقسم ثلاثة أقسام وهى الحجرى القديم الأسفل، ويشمل ما يقابله فى أوربا من الصناعات الشيلية[١] والآشيلية[٢]، ثم العصر الحجرى القديم المتوسط، وفيه تسود الصناعات الموستيرية، Mousterienne[٣] وأخيراً العصر الحجرى القديم الأعلى، وقد سادت فيه الصناعة الأور يجناسية

(١) نسبة لبلدة Chelles-Sur Marne وقد وجد فيها اقدم صناعة من عصر الحجر القديم السفلى

(٢) نسبة الى Saint Acheul احدى ضواحى بلدة Amiens فى فرنسا حيث وجدت صناعات من ثقافة هذا العصر فى المرتفعات التى تحف نهر Somme

(٣) نسبة الى مأوى صخرى فى قرية Le Moustier وهى على بعد عشرة اميال من Eyzies

Aurignacienne(١) ثم الصناعة السولوترنية Solutereenne(٢) ثم الصناعات المجدلية Magdalenienne(٣)

العصر الحجرى الحديث

و يتلو العصر السالف عصر بداية المعادن وهو عصر استعمال الحجر المصقول بعد التهذيب . وهذا العصر أقسامه مرتبكة ولا ضرورة للخوض فيها الان

عصر بداية استعمال المعادن

وهو عصر الانتقال ، اذ فى خلاله بدأ الأنسان يستعمل المعادن وقد توالى فيه استعمال النحاس والذهب ثم البرنز فالحديد على أن عهد استعمال الحديد فى مصر كان شاذاً بالنسبة للبلاد الأخرى وذلك أن مصر فى عهد أوج مجدها وسؤددها التاريخى بدأ يستعمل هذا المعدن فيها ولم يكن معروفاً من قبل

---

(١) نسبة الى بلدة Aurignac وقد وجد فيها مأوى صخرى وهو بالقرب من St. Gaudens في صقع البرانيز ، غير ان هذا المأوى قد ازيل الآن جملة بسبب قطع الاحجار منه

(٢) نسبة الى مأوى صخرى وجدت فيه ثقافة هذا العصر وهو بالقرب من قرية بهذا الاسم فى مقاطعة Saone-et Loire

(٣) نسبة الى الكهوف التى يطلق عليها اسم Madeleine Tursac على نهر دردونى Dordogne بفرنسا

مدينة العصر الحجرى القديم

أول ظهور الانسان

يعد هذا العصر العهد الذى وجد فيه أول أثر لبقايا الأنسان إذ عثر فيه فعلا على بعض عظام بشرية وعلى الآلات التى كان يستعملها الانسان غير أنه من المستحيل علينا أن نحدد فى أى عهد وقبل أى عدد من آلاف السنين قبل الميلاد ظهر الانسان فى العالم ، وكل ما يمكن الجزم به فى هذا الموضوع هو أن وجود الانسان على ظهر البسيطة يرجع إلى أزمان سحيقة جداً والتقديرات المعتدلة ترجع بظهور الانسان الى آلاف عدة من السنين ، وفى خلال هذا العصر الطويل جداً قد حدثت تغيرات وتقلبات عظيمة ظاهرة جلية لا تقتصر على شكل الآلات وصناعتها ولاشكل الانسان الذى كان يستعملها فحسب بل تتناول كذلك التقلبات الجوية التى كانت تحيط به والتى كان من أثرها أن حدث تغير كلى فى الحيوان والنباتات التى كانت تعيش وتنبت فيه وهذا العصر الذى نحن بصدده يقع فى أوائل الزمن الجولوجى الرابع . وفيه حدثت فى الجو تقلبات من بارد إلى حار كما أثبت ذلك علماء الجولوجية

ويتميز هذا الزمن بزحف الجليد الذى غمر الجبال الشامخة ثم تقهقر ثانية مما كان يسبب انخفاض درجة الحرارة . وكل ما يهمنا فى ذلك هو أن العصر الحجرى السفلى قد بدأ فى نهاية عصر حدث فيه تقهقر جليدى ، على حين أن العصرين الحجرى المتوسط والأعلى يتفقان مع الزمن الجليدى المتتابع وبظهور العصر الحجرى الحديث تبتدىء فترة تقهقر جليدى جديدة لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا .

العصر الحجرى القديم السفلى

العصر الحجرى القديم السفلى :— يمتاز هذا العصر بجو حار رطب يشبه جو المناطق الاستوائية الآن ، غير أنه كان يميل إلى البرودة التدريجية وهذه الحالة فى أوربا تنطبق على أفريقة الشمالية أيضاً على أن الوصف الذى أوجزناه عن القطر المصرى فى فجر عصر ما قبل التاريخ يمكن تطبيقه على الأقاليم الواقعة شمال حوض البحر الأبيض المتوسط ولدينا براهين عدة من حفريات العظام التى استخرجت من رواسب الزمن البلستوسينى (الزمن الرابع) وقد عرفنا أنه كان ينمو فى أوربا فى ذلك العهد حيوانات من ذوات الثدى ، فى وسط غابات كثيفة وعلى شواطئ مجارى مياه وكانت عظيمة الحجم مثل جاموس البحر ووحيد القرن ، والفيل الضخم والدب ، والضبع والغزال والحصان وغزال الأركس . وقد اختفى كثير من هذه الحيوانات الآن ، على حين أن بعضها قد هاجر فيما بعد نحو الأقطار الاستوائية هارباً من شدة البرد الذى اكتسحه فى الزمن الذى تلى هذا العهد .

« فك مور »

وعثر على بعض بقايا بشرية مختلطة ببقايا حيوانات معاصرة غير أن ما عثر عليه لم يكن إلا أجزاء من جماجم مثل فك «مور[١]» المشهور أو بعض عظام بسيطة . وقد سهّل جو هذا الزمن المعتدل للانسان أن يعيش فى الهواء الطلق على شواطئ الأنهار والبحيرات أو فى الغابات وكان هذا الانسان يتخذ أكواخاً من فروع الاشجار مسكناً له . أما مقابرهم فيظهر أنها قلبت رأساً على عقب بفعل الفيضانات

---

(١) نسبة الى مكان بهذا الاسم Mauer بالقرب من مدينة «اليهد لبرج» فى المانيا . والظاهر أن عهده يرجع الى زمن تقهقر جليدى . وهذا المكان يحتوى على بقايا حيوانات تؤكد الاستنتاج اذ يحتوى على بقايا عظم لوحيد القرن . وهذا الفك لا دقن له وهو عظيم الحجم ولكن الاسنان تدل على أنه للانسان . ويعتبرها المؤرخون انها من حجر الموستيرى

انحطاط الجنس البشرى فى هذه الفترة

التى كانت تخرّب هذه الجهات تخريباً ذريعاً ، ولذلك لم يعثر منها على آثار تذكر مع أن هذه البقايا الضيئلة التى عثر عليها فى الرواسب—وهى بلا شك ذات قيمة عظيمة عندنا—قد عرفنا منها ان الجنس البشرى فى ذلك الوقت كان منحطاً جداً غير أن عدم العثور على هيكل تام لم يمكننا من اعطاء رأى قاطع فى تركيبه الطبعى

آلات هذا العصر

أما عن صناعة هذا العصر فان معلوماتنا قد زادت لأن بعض المواد التى استعملها انسان ذلك العصر تكاد تكون غير قابلة للتلف رغم كر العصور . حقاً ان الدبابيس ذات القبضة المصنوعة من الخشب لم تحفظ لنا كغيرها من الأشياء المصنوعة من المواد القابلة للعطب مثل جلد الحيوان ولحاء الأشجار التى كان يستعملها ذلك الانسان غطاء له ، ولكن أسلحة الصيد والحراب وكذلك الآلات التى كان يستعملها فى سلخ فريسته كانت مصنوعة من حجر صلب وارهف حدها وقد قاومت هذه الآلات تأثير الزمن وبقيت الى عصرنا هذا . وقد عثر عليها مهملة على شواطئ الأنهار مدفونة تحت طبقات سميكة من الحصا الذى دحرجته تيارات الماء السريعة معها.وكان انسان ذلك العصر عندما يعوزه الظران وهو اهم مادة لصنع آلاته يستعمل بدلا منه الكورتسيت أو الأحجار البركانية أو الحجر الجيرى الأبيض الصلب وأهم آلة كانت مستعملة فى هذا العصر هى (البلطة) الغليظة البيضية الشكل

البلطة الغليظة وصنعها

وقد تكون مثلثة ذات شفرات حادة تتصل بحد مرهف قاطع . وتصنع هذه الآلة من قطعة من الظران طبيعية على شكل الكلى وذلك بازالة شظايا متعادلة من حروف قطعة الظران هذه بوساطة ازميل وهذه الآلة كانت عظيمة الخطر فى يد المحارب ؛ على أنها كانت كذلك تستعمل لأغراض أخرى . ويوجد نوع منها لم

يهذب إلا من أحد وجهيه ويستعمل كمقطع لتخليص العظام من اللحم ولسلخ الجلود .

وخلافاً لهذه الآلات التى يطلق عليها ذات الوجهين Bifaces والتى قد تصل أحياناً الى حجم عظيم ، فان إنسان هذا العصر أستعمل شظايا بسيطة كان يحصل عليها بقطع كاية من الظران تهمل نواتها فى النهاية ؛ ويلاحظ دائماً أن كل شظية تقطع بهذه الكيفية فيها بروز مستدير عند النقطة التى وقع عليها الكسر الذى يترك أثراً على هيئة تجويف فى النواة نفسها . وهذه العلامة تعد بمثابة خاصية مميزة للمصنع الذى صنعت فيه مما يثبت لنا أن هذه الشظية قد قطعت وهذبت قصداً وذلك مما لا يوجد فى الشظايا الطبيعية

خاصيات هذه الصناعة

وهذه الشظايا مرهفة الحد كالموسى القاطع ولذلك كانت تستعمل بدلا من السكاكين وأحياناً تستعمل كمقشط وذلك بعد اجراء بعض إصلاح فى أحد وجهيها أو فى نهاية الشظية . وهذه الاصلاحات أو (الرتوش) لاتتناول الوجه العلوى من الشظية ولذلك يطلق عليها اسم الآلات ذات الوجه الواحد ، وكذلك يدخل تحت هذا النوع من الآلات ذات الوجه الواحد الشظايا التى كانت تصنع بهذه الكيفية لتحضير الجلود والعظام التى كان يستعملها انسان هذا العصر

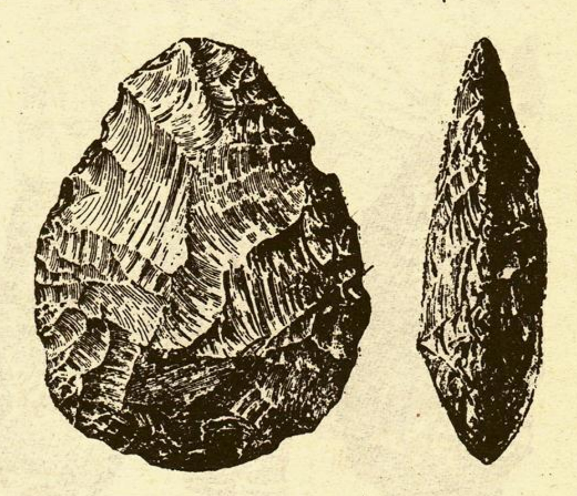
الآلات ذات الوجه الواحد

اما عن اخلاق هذا الأنسان وعاداته فانا لا نكاد نعرف عنها شيئاً قط اللهم إلا انه كان لا يختلف كثيراً عن قبائل الأقزام الذين يتجولون فى الغابات الاستوائية ويعيشون على صيد البر والبحر

واذا كنا لا نعرف شيئاً عن هذا الأنسان من الوجهة الاجتماعية أو الخلقية

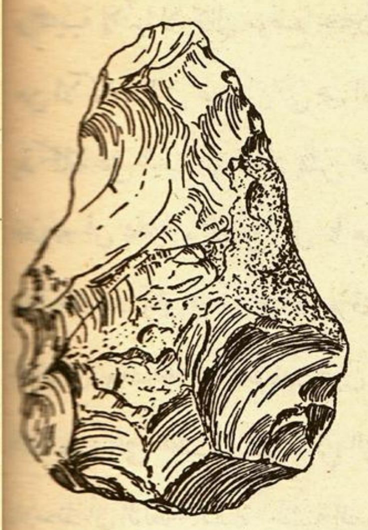
والدينية لأنها لا تزال موضع تخمين، إلا أننا من جهة أخرى يمكننا أن نحكم عليه من الآلات التى صنعها والتى هى الآن فى متناولنا إذ تبرزه لنا كانسان راق يسيطر بذكائه على الحيوان الذى يشن عليه الحرب يومياً ، يضاف إلى ذلك انه كان فى قدرته أن يخترع ويحسّن كل ما هو فى متناوله فقد عرف كيف يوقد النار و يطهو طعامه ، هذا رغم أنه كان لا يعرف إلى هذا الوقت صناعة الفخار . واستعداد هذا الانسان وقدرته على أسباب الرقى يظهر جلياً عندما تنتقل من طبقة إلى أخرى فى القطاعات التى بحثت فى الأماكن التى يرجع عهدها إلى العصر الحجرى القديم . فمثلا نلاحظ أن البلطة الثقيلة الخشنة الصنع التى توجد فى أسفل طبقة من العصر الحجرى تخف تدريجا فى الطبقات العلوية ويحل محلها آلات أحسن صنعاً وبذلك تختفى الصناعة الشيلية الخشنة أمام الصناعة الآشلية التى أنتجت آلات تعد من فرائد الفن.

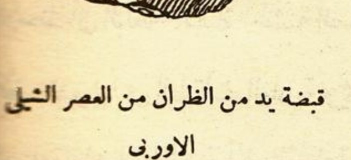
أختفاء الصناعه الشيلية الخشنة أمام الصناعة الآشلية الحسنة



ظران من العصر الحجرى القديم السفلى – صناعة شيلية عثر عليها فى « اسنا »

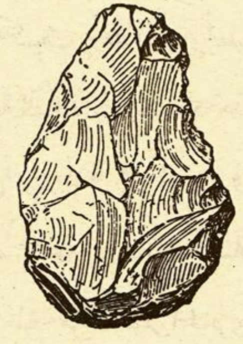
على ان كل ما كشف إلى الآن فى أوربا من العصر الحجرى القديم السفلى ينطبق فى مجموعه على كل ما عثر عليه فى مصر. وكذلك الأبحاث العدة التى





قبضة يد من الظران من العصر الشيلى
الاوربى



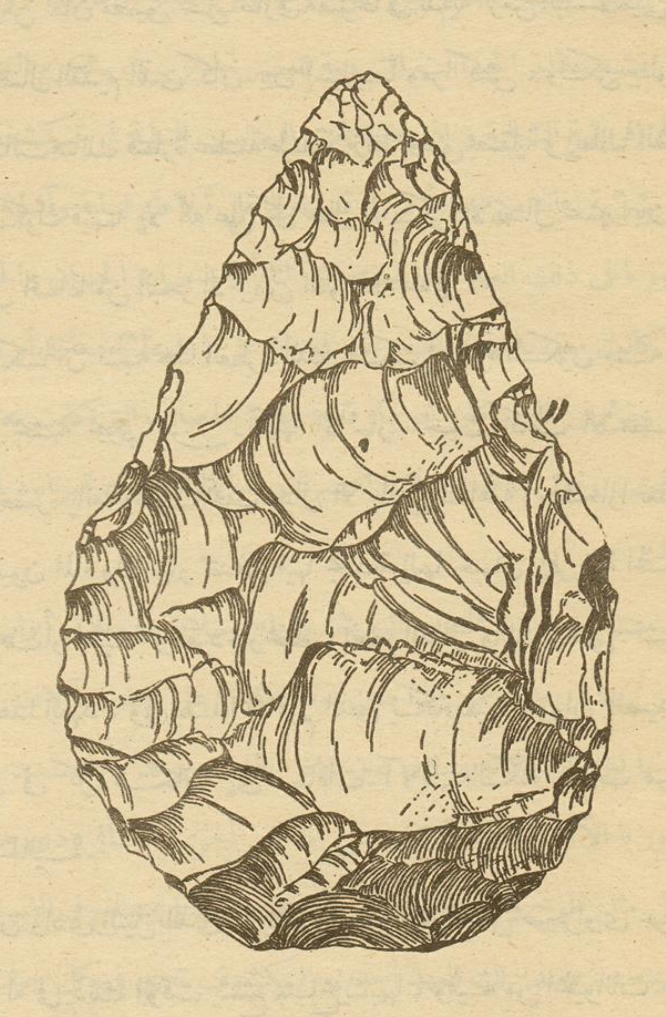




ظران من العهد الشيلى عثر عليه على طريق القوافل
بين الواحة الخارجة والعرابة



بلط من الظران عثر عليها فى طبية من العهد الآشيلى



قبضة يد من الظران من العصر الآشيلي
(تستعمل كبلطة)

عملت فى إفريقية الشمالية يتفق مع ما كشف فى أوربا. وقد صرّح علماء ما قبل التاريخ بأن حالة الحياة كانت على ساحل البحر الأبيض المتوسط كله واحدة، ولا ريب أن فى هذا الزمن كان مضيق جبل طارق مفتوحاً فى بداية الزمن البلستوسيني، وبذلك انمحى الاتصال القديم الذى كان بين إسبانيا ومراكش، ولكن يظن فى الوقت نفسه أنه كانت هنالك قنطرة عظيمة طبيعية تربط تونس بصقلية و إيطاليا الشمالية ولو أن ذلك مشكوك فيه إلا أنه على كل حال لم يكن الاتصال عسيراً بين شاطئى بحر داخلى أقل اتساعا من البحر الأبيض المتوسط الحالى.

الصناعة الاوربية تنطبق على ما عثر عليه فى مصر

ويمكننا أن نشبّه هذا القطر الذى انكمش الجزء المسكون منه إلى شريط ساحلى - بجنة تجري من تحتها الأنهار، حيث كانت الأمطار الغزيرة تكسوه خضرة يانعة وغابات تحف جبال الأطلس الشاهقة، وأشجارا تغطى السهول، وكانت عيون الماء والأنهار تتدفق فيها مجتذبة إليها حيوان إفريقية المختلف الأنواع كالجمل وحمار الحبشة والقردة ومختلف أنواع الغزال والثيران التى تشبه حيوانات أوربا فى هذا العهد. وفى هذا الاقليم الذى يكثر فيه حيوان الصيد نجد آثار الأنسان فى كل مكان إلى مسافات آلاف الكيلومترات من وسط المساكن الحالية.

وكان وادى النيل الذى لم يكن يفصله الا فاصل صحراوى عن الممالك المجاورة له فى ذلك الوقت يتمتع بمناخ يشبهها، وفيه من الحيوانات مثل ما فيها وقد عثر على بعض بقايا منها ولكنها لا تعطينا فكرة واضحة. ولا شك أن الأسنان والعظام التى استخرجت من مصب النيل عند سهل العباسية الحالى قد سدّت

مدنية إفريقية الشمالية مماثلة للمدنية المصرية فى هذا العصر

قصاً كان فى سلسلة الملاحظات التى قام بها علماء الحيوان والنبات لذلك العهد ، من مراكش إلى تونس . ورغم أن دراستها لم تتم إلى الآن إلا أننا نعلم أنها لتماسيح وحيوانات ثديية عظيمة الحجم مثل الفيل وجاموس البحر والثيران . وهذه العظام والأسنان تشبه عظام الحيوانات المنسوبة للعصر الحجرى القديم السفلى التى عثر عليها فى إفريقية الشمالية و إذا كانت الرواسب النيلية لم تكشف لنا للآن عن بقايا بشرية فاننا من جهة أخرى قد عثرنا على آلات شبلية وآشلية تشبه ما عثر عليه فى أوربا فى ذلك العهد . وبذلك ظهر لنا أن وحدة الحيوان والجو فى كلا الجهتين كانت متشابهة . وقد عثر فعلا على (بلط) مبعثرة أو مجتمعة على سطح الأرض فى كل مكان تقريباً؛ فنجدها على الهضاب التى كانت تحتضن النهر فى ذلك الوقت ، وعلى المرتفعات التى انحسرت عنها المياه ، وفى قعر الوديان ، وفى منحدراتها .

المصانع التى عثر عليها فى جهات مصر لصنع الظران من هذا العصر

وقد سبق أن ذكرنا المصانع التى عثر عليها «ارسلان» فى تلال أبواب الملوك وقد استغلها من بعده عدد من الباحثين وقد عثروا على بعض آلات جميلة لوزية الشكل لونها لون الشكلاته وذلك مميز خاص لها ، ويوجد منها عدد عظيم يزيّن متاحف أوربا الآن . وقد كشف عن أماكن أخرى العالم «دى مرجان» فى الوجه القبلى مثل طوخ والعرابة و إسنا ، وكذلك عثر على مصانع فى الفيوم وفى منطقة الأهرام بمنف . ومنذ ذلك العهد أخذت الكشوف تترى فى كل جهات الوادى ، وسنكتفى بذكر أهمها ونخص بالكلام المحطة التى عثر عليها بالقرب من نجع حمادى المعروفة بأبى النور ومصنعا فى الجبل الأحمر الواقع فى الشمال الشرقى من القاهرة

وقدوجدت فيه مجموعة آلات مصنوعة من حجر الكوارتسيت ، و بالقرب من قنا عثر على مصنع يرجع عهده إلى الصناعة الآشيلية .

العصر الحجرى القديم يمتد الى الصحراء

وقد كشفت الأبحاث أن العصر الحجرى القديم السفلى لا يقتصر على شاطئ النيل بل يمتد إلى الصحارى التى تحتضن هذا النهر العظيم بين جنبيها ، ولا أدل على ذلك من الآلات التى وجدها الأب «ريشار» فى الغابات المتحجرة الواقعة شرقى القاهرة الحالية ، وقد كان وجودها فى هذا المكان الباعث له على هذه الفكرة ثم جاءت أبحاث العالم «شفينفورت» أيضاً تؤيد هذه الفكرة. ولما كان العالم «دى مرجان» كلفاً بمعرفة مقدار امتداد الصناعات الأولية الفطرية لذلك العصر، أرسل العالم «لجران» لارتياد الصحراء اللوبية وفعلا صادف فى طريقه من الأقصر إلى الواحة الخارجة ثم من الخارجة للعرابة المدفونة عدة مصانع سطحية ؛ وكذلك عثر على طرق قديمة كانت تبتدئ من النيل إلى الواحات ، وقد لاحظ قاعدة عامة : هى أنه عند كل عقبة (أى عند كل نقطة يجتاز فيها طريق القوافل هضبة حادة) كانت توجد محطة من العصر الحجرى القديم السفلى وكذلك قام «هنرى دى مرجان» شقيق «دي مرجان» مدير مصلحة الآثار برحلة وقد لاحظ نفس الملاحظات فى الوديان التى تربط إسنا بواحة كركور.

« لجران » وبحوثه

ولا يفوتنا أن نذكرهنا المصانع العدة التى عثر عليها «شفينفورت» قبل بداية الحرب العظمى فى أبى العجاج الذى ينفذ على النيل شمال أسوان . وهذه المصانع كانت تصنع فيها آلات من الحجر النوبى وقد قام عدد من العلماء فى السنين الأخيرة بفحص الواحات فحصاً منظما فعثرت الحملة التى قام بها الأمير كمال الدين حسين على

ابحاث العلماء الآخرين

آلات من الصناعة الشيلية والأشيلية على الهضاب التى تمتد غرب الواحات ويمكن رؤيتها حتى على مرتفعات « العوينات » فى قلب الصحراء .

على أن هذه المحطات السطحية مهما كانت فائدتها فانها فى الواقع لم تشف غلة الباحث المدقق إلا قليلا . إذ أنها وإن كانت قد كشفت لنا عن وجود إنسان العصر الحجرى القديم ومواطن سكناه فى مصر إلا أنها لم تبرز لنا شيئًا عن صناعته وتدرجها نحو الرقى . ويلاحظ أن فى هذه الأماكن التى كان يختارها الانسان الأولى قريبة من المياه ومن مناطق خصبة عامرة بالنبات زاخرة بحيوان الصيد كانت تسكن القبائل الفطرية أحيانًا قرونا عدة حتى يأتى وقت يضطرون فيه إلى الهجرة منها . ومن أجل ذلك نجد على سطح الأرض آلات مختلطًا بعضها ببعض وأسلحة من الحجر تركها السكان الذين كانوا غالبًا من شعوب مختلفى الثقافة . وليس من السهل وجود أماكن لم يحدث فيها اختلاط . وقد كان من حسن حظ الباحث «سند فورد» أنه عثر على محطة من هذا النوع الاخير فى إقليم قنا

اختلاط المدنيات لتعدد الثقافات

ومنذ زمن بعيد أخذ العلماء يبحثون عن الرواسب التى تخبىء فى باطنها أقدم الآلات التى صنعها الانسان الفطرى . وقد جادت الصدف السعيدة بوجود آلات مرتبة حسب قدمها فى طبقات جولوجية بعضها فوق بعض . وقد حاول بعض العلماء من قبل الوصول إلى ذلك ولكنهم لم يفلحوا حتى أسعد الحظ العالم «دى مرجان» قبل موته ببضعة أشهر فعثر على رواسب فى طبقات بعضها فوق بعض حلّت المشكل نهائيًا وهذه الرواسب كانت موجودة غير أنه كان من الضرورى البحث عنها فى

«دى مرجان» أول من كشف طبقات مرتبة ترتيبًا تاريخيًا

مظانها ، وكان ذلك لا يتأتى إلا فى جوف الأرض على بعد عميق أى عند مصب النهر القديم إذ هناك تقف المياه فى طريق مجراها وتترك رواسبها التى لا يمكن حملها أبعد من ذلك . وقد كان من الطبعى أن تتجمع هذه الرواسب طوال مدة العصر الحجرى القديم السفلى حافظة فى طبقاتها التى تكوّن بعضها فوق بعض بقايا الصناعات المعاصرة لكل طبقة .

وهذه الأراضى قد أصبحت فى مستوى واحد عند بداية الدلتا وعلى حافتها حيث لم يتمكن الغرين الحالى من تغطيتها بعد أن زالت عنها المياه وجفّت فى أول العصر الحجرى القديم . وبهذه الكيفية بقى سهل العباسية الصغير لم يمس بعيداً عن فعل الفيضان . وهذا السهل يمتد من سفح هضبة النيل القديمة الواقعة فى الشمال الشرقى من القاهرة . وقد سهّل أخذ الرمل والزلط لمبانى مدينة القاهرة الحالية منه حفر هذا الشريط الصحراوى إلى عمق عظيم يبلغ نحو ٣٠ متراً ، أو يزيد كما سهّل ذلك أيضاً درس المنطقة ومحتويات طبقاتها . وفعلا وجدت الرواسب النيلية فيها بسمك عشرة أمتار فى المتوسط وعثر فى وسط الزلط على الآلات التى تبرهن على توالى صناعات العصر الحجرى القديم تواليا تاريخيًا فوجدت الآلات الشيلية ثم الآشيلية بعضها فوق بعض ؛ وقد اختلط بها بعض بقايا الحيوانات المعاصرة . وهذه الآلات وجدت منفصلة بوضوح عن الآلات الموستيرية التى لا توجد إلا على سطح السهل . وقد حقّق هذه النتيجة البحث الذى قام به كل من الأثرى « سندفوود » و « اركل » . وكانت جامعة شيكاجو قد كلفتهما ببحث عام فى وادى النيل وتوابعه فقاما ببحوث منظمة فى رواسب مرتفعات جهات « قاو »

كشف طبقات متوالية نوالياً تاريخياً فى سهل العباسية

بحوث العالمان « سند فورد » ، « وأركل »

و«أرمنت» ومنخفض الفيوم وقد كانت البحوث منتجة وبخاصة فى «وادى قنا» حيث أصاب الباحث « مرى » نجاحا من قبل إذ جمع مجموعة من الآلات الجميلة . فهناك وجدت آلات العصر الحجرى القديم السفلى فى مكانها الأصلى فى الرواسب البلستوسينية كما وجدت صناعات مما يرى على السطح ؛ فوجد منها من أول الشيلية الى الموستيرية . وكان بعضها منفصلا عن بعض بوضوح على المرتفعات التى يتراوح عمقها بين ٣٥ متراً وخمسة أمتار تقريباً على كلا شق الوادى .

العصر الحجرى القديم المتوسط

ترجع معرفتنا للانسان الموستيرى فى أوربا أكثر من معرفتنا لانسان العصر الذى سبقه إلى عوامل طبيعية غيّرت معيشته تغيراً عظيماً وذلك أن درجة الحرارة التى كانت مرتفعة فى العصر الشيلى قد أخذت فى الانخفاض فى العصر الذى أعقبه كما تبرهن على ذلك كثرة الرواسب الأشيلية من بقايا فيل عظيم ذى شعر كثيف وهو المعروف بالماموث الذى لا يعيش الآن فى الجو البارد . وبانتهاء العصر الحجرى القديم السفلى ينتهى كذلك عصر تقهقر الجليد؛ ويتفق العصر الحجرى القديم المتوسط مع عصر جليد طويل امتد حتى العصر الحجرى القديم الأعلى . وفى ذلك العصر أخذت الحيوانات ذوات الجلد السميك تتقهقر نحو الجنوب متخلية عن أماكنها تدريجاً إلى الحيوانات الأخرى ذوات الثدى التى هاجرت من البلاد الشمالية ولم يبق فى مكانه إلا الماموث ووحيد القرن صاحب الخرطوم المقسم بنتوء . وفى خلال هذا العصر أخذ الانسان يتخلى عن عيشة الهواء الطلق واتخذ مأواه أما تحت

عصر جليد طويل امتد حتى العصر الحجرى القديم الاعلى

أول سكنى الكهوف والمخلفات التى عثر عليها فيها

الصخور أو فى الكهوف العميقة التى كان يشاطره فيها الضبع ودب الكهوف التى كانت أول من سكنها؛ أما موقده فكان يقيمه على الفضاء الذى يتقدم مدخل كهفه أو عند باب الكهف نفسه . وهناك وجدت مخلفاته وجبانته مختلطة مع بقايا آلاته وقد تكوّن من هذه البقايا فيما بعد أكوام من الرواسب متماسكة بفعل الترشيح المختلط بالمواد الجيرية . وفى هذه الأكوام تجمعت عظام الحيوانات التى كان يصطادها الانسان مع آلات الظران . وهذه الأكوام كانت فى الواقع بمثابة سجلات غير مكتوبة وبها يمكن المؤرخ أن يعرف مقدار الرقى أو الانحطاط فى الصناعة من مستوى لآخر من الطبقات التى كان بعضها موضوعا فوق بعض وضعاً تاريخياً . وكذلك يمكنه أن يرتّب حيوانات هذا العصر حسب قدمها التاريخى .

سجلات هذه الكهوف وفائدتها للتاريخ

وأعظم من ذلك كله أن الانسان الموستيرى كان يدفن فى هذا المغارات نفسها ومعه حليه وسلاحه . وقد كان مجهزا بما يحتاج إليه فى آخرته ، وقد عثر على هياكل آدمية تامة درست درسا علمياً؛ ولاشك أن الحفائر المنظمة التى عملت فى هذه المقابر التى سكنها الانسان مدداً طويلة مكّنت العلماء من وضع أساس لتاريخ الصناعات التى أتت متتابعة منذ العصر الموستيرى إلى العصر الحجرى الحديث

العثور على هياكل آدمية تامة

وقد بدت تغيرات واضحة فى فن تهذيب الظران إذ نجد أن الدبوس الذى حذق فى إتقانه الانسان الآشيلى إلى درجة عظيمة قد أخذ ينحط انحطاطا عظيما فى عهد الانسان الموستيرى إذ صغر حجمه حتى أصبح ضئيلا جداً وكان ذلك بمثابة اعلان لأهمال استعماله ؛ أما الآلة الخاصة بهذا العصر فهى شظية من الظران مثلثة الشكل مرهفة الحد قد اقتطعها الصانع من نواة حجرية جهزت

بعناية لهذا الغرض بطريقة تحتاج إلى مهارة فائقة . وقد أطلق المؤرخون على هذه الآلة اسم ظهر السلحفاة لقربها من هذا الشكل . وهذه الآلات الحادة كانت بمثابة سهام يثبتها المحارب فى نهاية حربته ، وكذلك كان يصنع شظايا أخرى يستعملها محشة أو مقراضاً أو منشاراً لحاجياته اليومية . على أن كل هذه الآلات كانت لا تهذّب إلا من وجه واحد وهو العلوى عادة أما تهذيب الوجهين فقد استمر على العكس يستعمل فى بعض « أقراص » ذات حد قاطع وهى التى كانت تستعمل أحجاراً للمقلاع

أهم آلة فى هذا العصر ظهر السلحفاة

انتشار المدنية الموستيرية

وقد انتشرت المدنية الموستيرية كسابقتها فى كل إفريقية الشمالية وعثر عليها فى آسيا . وقد وجدت براهين عدة تثبت ذلك . وبينما نجد وحدة ظاهرة فى الجو والصناعة فى العصر الشيلى الآشيلى على كلا شاطئى البحر الداخلى ، إذ نجد فى الوقت نفسه أنه قد ظهر خلاف بين الموستيرى الأوربى وما يماثله فى أفريقية . حقًا قد عثر فى جبال الأطلس وبلاد الحبشة على آثار امتداد الجليد ، والرواسب التى عثر عليها فى كهوف بلاد الجزائر مما يدل على أنها كانت مستعملة . ولكن من جهة أخرى تدل الملاحظات العامة التى قام بها العلماء على أن برودة الجو التى كانت محسوسة تمامًا فى أوربا فى العهد الحجرى القديم المتوسط كانت أقل بكثير فى المنطقة الأفريقية وذلك لأن انخفاض الجبال الأفريقية لم يساعد على تكوين جليد بدرجة عظيمة مثل الجليد الذى كان فى أوربا الوسطى .

اختلاف درجة الحرارة فى إفريقية عنها فى أوربا فى هذا العصر

أما الحيوانات وإن كان قد حدث فيها بعض التغيير إلا أنها بقيت على حالتها الاستوائية أو السودانية فلم نجد من بينها الماموث أو الحيوانات الأخرى التى تميز

الانسان الموستيرى أكثر سعادة فى مصر منه فى أوربا

العصر الموستيرى ،وفى الجملة فأن الحالة العامة للحياة قد بقيت تقريباً كما كانت عليها فى العصر المتقدم الذكر . وقد كان أنسان العصر الموستيرى أكثر سعادة فى أفريقية منه فى أوربا إذ كان الأخير مضطراً لأن يعيش فى الكهوف . أما الأنسان الأفريقى فقد استمر يعيش فى الهواء الطلق ويتمتع بالصيد . والظاهر أن الكهوف لم تكن تستعمل إلا عند ما تكون بالقرب من الجبال حيث يشعر الأنسان ببرودة الثلج . أما فى مصر حيث كان ارتفاع الجبال ضئيلاً فأنه لم يعثر على كهف سكن فيه الأنسان يرجع تاريخه إلى هذا العصر . والواقع أن المحطات الموستيرية توجد عادة على سطح الأرض وهى فى تبعثرها تتفق فى مجموعها مع المحطات التى عثر عليها فى العصر السابق . والآلات المدببة التى يمتاز بها هذا العصر وهى التى وجدت معها النواة التى صنعت منها فقد عثر عليها فى أماكن عدة فى وادى النيل وفى المناطق الصحراوية التى كانت لا تزال وقتئذ آهلة بالسكان وقد وجدت هذه الشظايا المدببة فى حالات كثيرة مختلطة مع البلط التى خلفها السكان الأول . وهذا الاختلاط العادى لتلك الآلات الذى يمكن ملاحظته على حدود الصحراء كما يلاحظ فى مصانع تلال طيبة قد حدا بالعالم « دى مرجان » أن يعتقد أن هذين الصنفين من الصناعة قد أخرجتهما يد واحدة فى عصر واحد ، أما الرأى القائل بأن الصناعات الموستيرية قد وجدت فى أماكن مختلفة منفصلة بوضوح عن الصناعة الشيلية الأشيلية فأصبح لا يؤخذ به وقد اعترف العالم «دى مرجان» نفسه فى كتابه الذى طبع بعد وفاته بذلك الرأى . وتفسيراً لذلك يمكن الأنسان أن يقارن محطات الجبل الأحمر بمحطات العباسية التى لا تبعد عن بعضها إلا بضع مئات من

انتشار صنع الآلات المدببة

الأمتار. فيلاحظ الانسان فى الأولى آلات من الشظايا المدبية يرجع عهدها إلى العصر الموستيري وبلطا من العصر الأشيلي ، وكلا النوعين قد اختلط بصاحبه . كل هذه وجدت مطمورة فى سفح الهضبة على طول مجرى ماء مختف ، أما فى المحطة الثانية (العباسية) فأن الأمر على عكس ذلك فالآلات التى توجد على عمق بعيد يرجع عهدها إلى العصر الحجرى القديم السفلى،أما الآلات الموستيرية فأنها تظهر على سطح الأرض وذلك أنه لما كان تقهقر الماء محسوساً فى ذلك العصر فقد تسبب عنه ظهور رواسب متراكمة فى خلال القرون التى سلفت فى قعر مصب النهر الذى أصبح فيما بعد بداية الدلتا .

الآلات الموستيرية ظهرت على السطح فى سهل العباسية





أسلحة مدببة من الظران (صناعة موستيرية)

وهذه الأراضى المتخلفة سمحت لبعض القبائل الموستيرية أن تعيش عليها وقد جاءت الأبحاث العلمية المنظمة التى قام بها علماء ما قبل التاريخ وعلماء الجولوجية منذ عدة أعوام مثبتة لهذه النتيجة الأولى . ومن أهم هذه الأبحاث ما قامت به كل من

بحوث مس كيتون ومس «جردنر» فى الفيوم

« مس كيتون » و « مس جردنر »فى الفيوم . إذ عثر على بحيرة قديمة موستيرية وهى التى عرفت بقاياها فيما بعد ببحيرة موريس . وقد بقى جزء منها إلى الآن يطلق عليه اسم بركة قارون. وكذلك عثر العالم«سند فورد»وزميله«آركل»فى الوجه القبلى وفى الفيوم على محطات موستيرية على تلال قليلة الارتفاع بين أغوار الوديان الحالية وبين السطح الأعلى الذى توجد فيه الصناعات الشيلية والأشيلية. وتدل الملاحظات العدة التى استنتجها العلماء واتفقوا عليها جميعاً أن البلاد كانت ولا تزال فى ذلك العهد فى معظمها تروى ، غير أن النيل وروافده كانت قد أخذت فى النقصان رغم شدة انحدارها. وكان النهر إذ ذاك آخذاً فى حفر مجراه إلى عمق بعيد وفى الوقت نفسه بدأ مجراه ينكمش كما يبدو ذلك من تدرج انكماش شاطئيه . ولا نزاع فى أن الأنسان كان يتبع المياه التى لا مندوحة لحياته عنها فى تقهقرها . وقد بقى هكذا يتبع سير تقهقر المياه فى خلال العصور التى تلت بدون انقطاع حتى أصبح النيل على ما هو عليه الآن

العصر الحجرى القديم الأعلى

ازدياد الاختلافات بين أوربا وإفريقية من حيث المناخ

أخذت الاختلافات التى كانت بين أوربا وإفريقية فى العصر الحجرى القديم المتوسط تزداد فى خلال العصر الحجرى القديم الأعلى إذ بدأ البرد يزداد شدة فى أوربا وكان فى البداية رطباً ثم ازداد حدة حتى صار قارساً فى النهاية . وقد شاهد الأنسان الموستيرى كثرة وجود الماموث كما وجد جاموس البحر بكثرة فى العصر الشيلى . ومنذ ذلك العهد أخذ الماموث يندر وجوده فى آن واحد وأخذ الحيوان المسمى بالوعل (نوع من الغزال له قرون متفرعة) يظهر ، وكذلك أخذ الحصان يظهر بكثرة أما الأنسان فقد بقى يسكن كهفه حيث عثر على طبقات جديدة البقايا

جنس إنسان هذا العصر لا يختلف عن الجنس البشرى الحالى كثيراً

عرفنا منها تدريجاً مستوى الأرض . أما المقابر فكانت تحفر بجوار الموقد وقد عرفنا منها الجنس البشرى الجميل الذى أطلق عليه العلماء اسم Cro-Magnon(١) الذى لا يكاد يختلف عن الأنسان الحالى فى شىء ومن المدهش أنه عثر فى تلك الكهوف على مظاهر فن حقيقى غاية فى الأتقان ، ولم نجد علامات تدل على قرب ظهوره فى الفن الموستيرى الخشن الذى سبقه والواقع أنه لم يكن رائده فى إخراج صناعته المنفعة المحضة فقد لوحظ أنه لم يكن مجرد صانع بسيط بل كان يميل بطبعه لتنميق الأسلحة والأدوات المنزلية التى كانت تحذقها يده . ولقد كان عدد القطع الفنية المصنوعة من العظم والعاج وقرون الوعول كثيرة لدرجة أن العصر الحجرى القديم الأعلى يستحق أن يطلق عليه اسم عصر فن الحفر الدقيق وعصر صناعة العاج وحفره . ولم يكتف أنسان هذا العصر بتزيين خطافه والآلات التى كان يستعملها ، بأشكال هندسية أو نباتية بل تخطى ذلك إلى رسم الأشياء الصعبة المستعصية من الأشكال الحية حتى جسم الأنسان نفسه ، فنشاهد أنه كانت تحفر صور حيوان الماموث و بقر الوحش والوعل على ألواح الشيست وعلى العظام بمهارة يظهر فيها صدق التعبير والحركات التى تكاد تكون هى الطبيعة بعينها ، وكذلك كان يصور بأحجام كبيرة حيوانات أخرى تظهر فيها الحقيقة الخلابة ، وقد كان يحلى بها جدران كهفه ملونة باللون الأحمر أو الأسود ، وقد كانت أحياناً تصور تصويراً بارزاً أو تصنع من الصلصال وكثيراً ما كانت هذه الرسوم والأشكال تخفى فى نهاية غرف لا

ظهور علامات فن متقن جديد لم يكن منتظراً

---

(١) وهو مخباء صخرى بالقرب من سكة حديد بلدة Les Eyzies وقد عثر فيه على عدة مدافن آدمية ، وكان بعض الهياكل مزين بقلائد من اصداف البحر ولو أن البحر بعيد عن هذه المنطقة

ظهور الالوان على جدران الكهوف فى هذا العصر

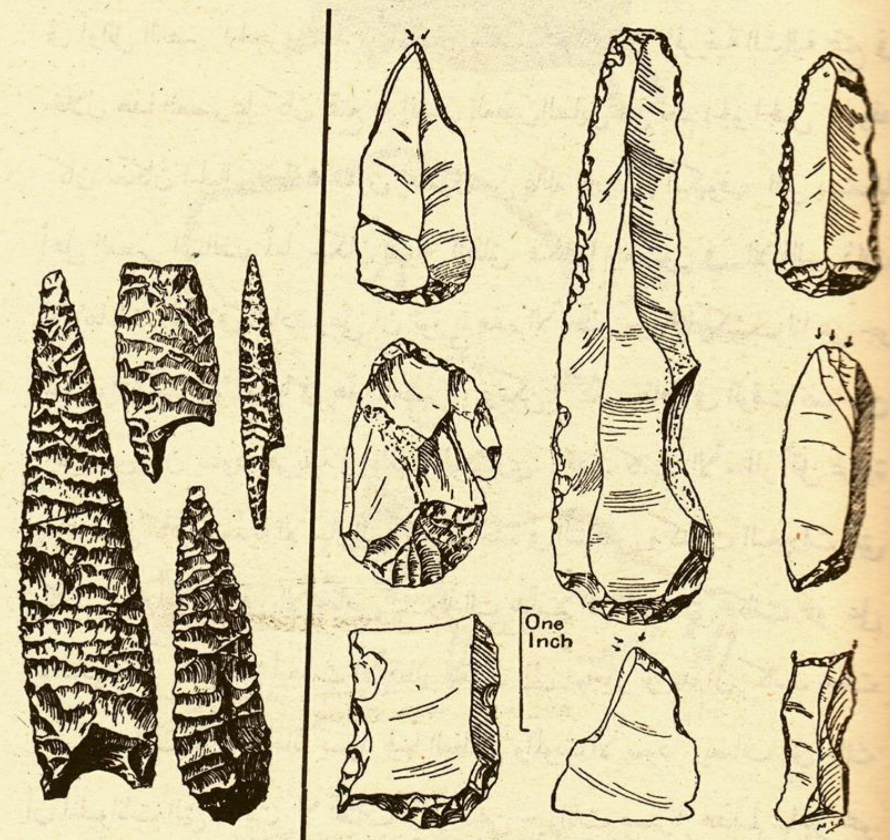
يكاد يصل إليها الانسان إذ كانت ثمة محاريب سرية لديانة فطرية ، كانت تقام فيها شعائر وطقوس سحرية ربما كان الغرض منها أن تجعل تحت تصرف الصياد ،



صناعات عظمية من العصر الحجرى القديم الاعلى

الحيوانات التي يريد صيدها ، وكذلك تمتاز صناعة هذا العصر باستعمال شظايا الظران بطريقة حازمة ، وذلك أن صانع هذا العصر ترك الصناعة الموستيرية ورجع إلى استعمال النواة القديمة التي كان يستخرج منها أسلحته الجميلة وهى التي كانت تمتاز بطولها ورقتها . والواقع أنه كان يستطيع بوساطة تحسينات حاذقة أن يصنع من تلك الشظايا البسيطة آلات متعددة الأنواع يصعب علينا غالباً أن نعرف كيف كان أنسان هذا العصر يستعملها . فمنها المنقش، والمبرد ذو الأسنان، والنصال ذات الحزات والنصال ذات الظهر .

ظهور آلات دقيقة الصنع



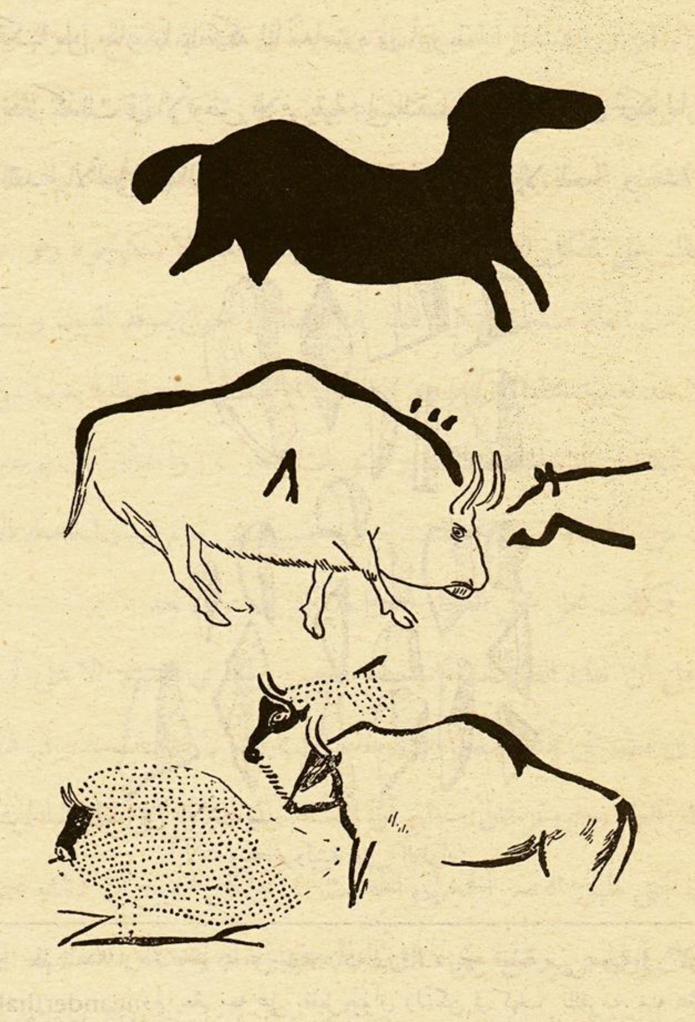
آلات من الظران ترجع للعهد الاورجناسى

ظران من الصناعة السلوترنية

والعصور الثلاثة التى ينقسم أليها العصر الحجرى القديم الأعلى لا تهم المؤرخ المصرى إلا من بعيد وسنكتفى هنا بأن نشير إلى أنه بين العهد الأوريجناسى Aurignacien الذى يظهر فيه فن الزخرفة والعهد المجدلى الذى يبلغ فيه هذا الفن قمته تظهر فى بعض الأقاليم الصناعية الغربية التى يطلق عليها اسم السلوترنية Solutreenne فتقدمت صناعة آلات الظران المهذبة من الوجهين وهى التى ظهرت فى شكل سنان مدهشة على «ورقة الغار» . ويجب هنا أن نشير إلى أن صناعة الظران كانت آخذة فى الانحطاط فى نهاية العهد المجدلى وأخذ يظهر فى أشكال هندسية وقد عثر على هذه الأشكال فى أوائل العصر الحجرى القديم الأعلى وقد استمر إنسان إفريقية الشمالية يتمتع فى خلال هذا العصر بما كان يتمتع به إنسان العصر السابق من نعم الجو الجميل . وقد كان سكان الجبال فقط هم الذين يحتمون من غائلة البرد فى الكهوف التى يستعملها أهل العصر السالف أما سكان الهواء الطلق فكانوا يعيشون فى الأقاليم ذات الارتفاعات القليلة فى العادة. على أن توزيع هذه الأمطار جغرافيا يكشف لنا عن جو أشد حرارة من جو أوربا فى هذا العصر ، ولكن أكثر جفافا فى الوقت نفسه من الجو الذى كان يسود إفريقية فى العهد الموستيرى ، فقد كانت الأمطار أقل غزارة إذ لم تكن كافية لتغذية الأنهار التى كانت آخذة فى التناقص وكذلك البحيرات التى كان سطحها آخذاً فى الانخفاض ، ولذلك بدأت النباتات التى كانت تنمو على الهضاب تقل ، وفعلا أخذت الأقطار تنقلب إلى صحار وبعد أن كانت جنات خضراء صارت قفاراً قاحلة يسود فيها العطش والموت الأسود . يضاف إلى ذلك أن الحيوانات التى كانت لا تختلف كثيراً عن حيوانات عصرنا هذا لم تهاجر نحو

بداية ظهور الجفاف فى أقاليم إفريقية الشمالية

الجنوب فكان منها ما هو منتشر مثل النعامة والغزلان والوعل وكذلك وحيد القرن والزرافة وحمار الوحش . أما الأنسان فكان يتبع تقهقر المياه وأخذت مساكنه تنكمش وتنحصر فى أماكن خاصة ولا سيما بعد أن أخذ يهجر الأقاليم الشاسعة التى

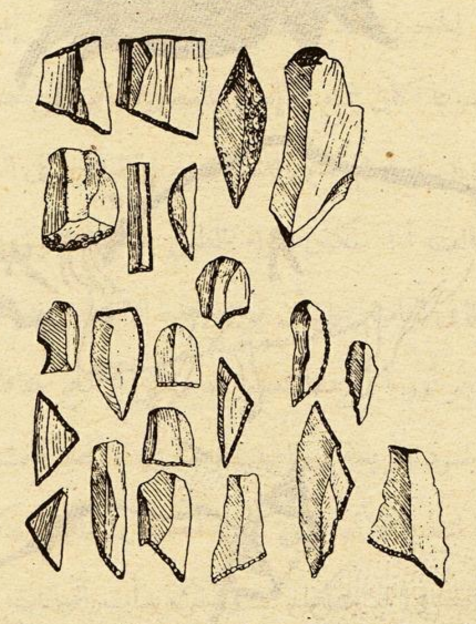


صور عثر عليها فى كهوف من العصر المجدلى

غزاها القحط ولم يعد إليها ثانية.

ولا نعرف إنسان هذا العصر إلا بآثار ضئيلة حفظت لنا فى الكهوف التى كان يسكنها . وجنس هذا الانسان لا ينسب لأنسان Neandrthal (١) ولا إلى إنسان Cro - Magnon . وعلى الرغم من أنه كان ذا ثقافة إلا أنه للأسف لم يترك لنا آثاراً تمكننا من مقارنتها بما تركه لنا معاصره فى أوربا .

ولم نعثر كذلك فى الأرض الافريقية على التقسيم الواضح الذى تركه لنا العصر الحجرى القديم الأعلى فى الشمال ، ولم نلاحظ فى الواقع إلا ناحية واحدة خاصة



آلات ميكروليتية من الظران

(١) فى عام ١٨٥٦ عثر بالقرب من بلدة « دسلدرف » على قطعة من جمجمة فى كهف صغير neanderthal ولم يعثر معه على بقايا حيوان ولكن فى كهف بالقرب منه عثر على عظام ماموت والظاهر أنها من العصر الجولوجى الرابع .

بالصناعة الأوريجناسية وهى التى أخذت آلاتها ترتقى نحو الأشكال المصنوعة من الأحجار المكروليتيية والأشكال الهندسية التى كانت على شكل أهلّة أو شكل منحرف الأضلاع . وهذه ما يطلق عليها الصناعة الكبسية Capsien نسبة إلى بلدة جفسة فى تونس .

الصناعة المكروليتية

والواقع أن الصناعة الجفسية منتشرة جداً فى مختلف أصقاع الجزائر وتونس . على أن وجود رواسب فى كهوف هذه الجهات على شكل طبقات بعضها فوق بعض يسهّل لنا تمييز العصور حسب ترتيبها التاريخى ومن بين هذه المحطات السطحية عدد عظيم يظهر على شكل الأمكنة التى يوجد فيها قواقع «الأسكرجو» وهى عبارة عن تلال ذات أبعاد صغيرة تتكون فيها بقايا المطاهى حول موقد القبيلة ويشتمل على عدد لا حد له من محار (الاسكرجو) القابل للالتهاب ومعه شظايا مدببة من الظران كانت تستعمل بلاشك لاستخراج محتويات المحار ، وأحيانا كان يوجد فى هذه التلال من المحـار ، وفى محطات أخرى جفسية بيض نعام مهشم استعمله الانسان آنية له فكانت تحل محل الفخار الذى لم يكن قد عرف بعد .

قواقع الاسكرجو

على أن هذه الصناعات الخاصة بالعصر الحجرى القديم الأعلى لم يوجد ما يشبهها فى مصر فى هذا العصر وتلك خاصية امتازت بها صناعات مصر فى ذلك العهد وقد كان العالم «دى مرجان» يظن أن الصناعة الموستيرية التى على شاطىء النيل قد امتدت حتى ظهور العصر الحجرى الحديث ، ولكن اتضح أن ذلك غير صحيح وقد كان أول من برهن على ذلك العالم «فينار» اذ وجد أن المحطات التى درسها بالقرب من قرية «السبيل» فى حوض «كوم امبو» يرجع تاريخها بلاشك إلى العصر

المدنية السبيلية

الحجرى القديم الأعلى .

ووقوع المحطة على ارتفاع أعلى من مستوى غرين النيل الحديث شاهد على انخفاض المياه ،الذى نعلم أنه كان عاما فى هذا العصر وقد سمى « فينار »هذه الصناعة باسم الصناعة السبيلية .

والواقع أن الصناعة الجفسية الحقيقية قد ظهرت فى مصر أيضا إذ أنه من الصعب أن يتصور الأنسان الاختفاء التام فى وادى النيل لصناعة عظيمة الانتشار فى غربه ، ظاهرة فى شرقه فى فلسطين وسوريا والحقيقة أنه إذا كانت هذه الصناعة نادرة فى وادى النيل نفسه فانما يرجع ذلك إلى أن السكان كانوا فى ذلك الوقت يقتربون من شاطىء النهر وأن الغرين الحديث قد أخفى فى معظم الأحيان صناعتهم فى هذه الفترة .

ومع ذلك فان هذه الآثار ترى فى الجهات التى بقيت بعيدة عن الفيضانات .

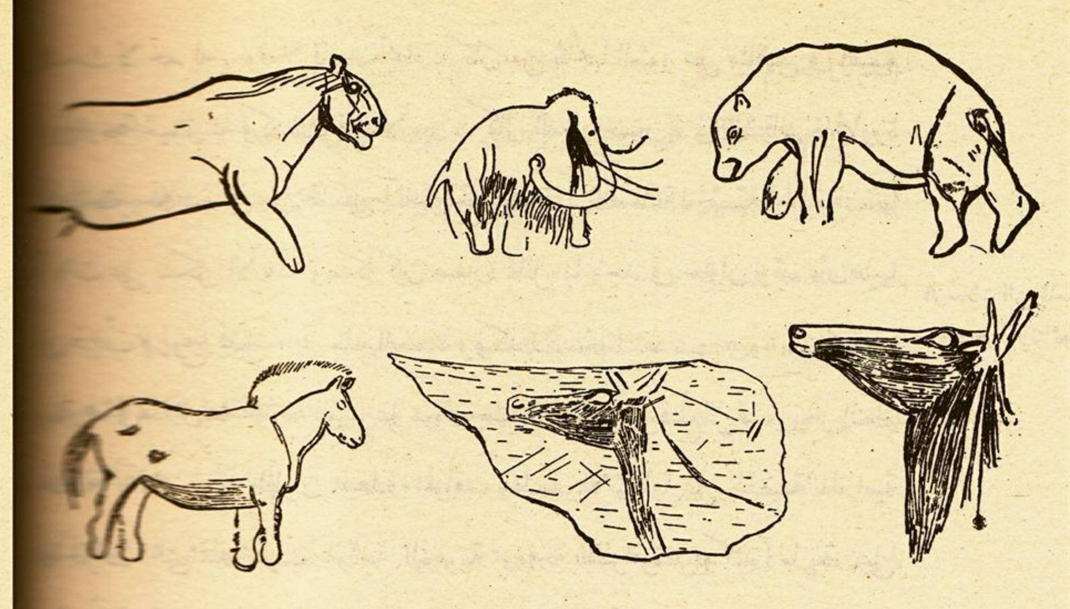
محطة حلوان المكروليتية وتشابهها بالمحطات الاسكوجونية

وأخيراً عرف أن محطة حلوان المكروليتية وهى التى وجدت فيها آلات على شكل أهلّة وشظايا صغيرة وسكاكين ضئيلة الحجم تشبه التى عثر عليها فى المحطات الأسكرجونية ، ليست من العصر الحجرى الحديث بل من العهد الجفسى الحديث وعثر كذلك العالم «بوفييه لا بيير» منذ بضع سنوات على محطة مماثلة على بعد عدة كيلومترات من شمالى حلوان . وقد وجدت كذلك حديثًا بعض أسلحة صغيرة فى وادى «المدمود» بالقرب من الأقصر يظهر أنها من صناعة هذا العصر . ولا نزاع فى أن قلة الرواسب من الغرين فى الأقاليم القاحلة التى تكتنف وادى النيل تضمن لنا العثور على مثل هذه الصناعات ، ولذلك تفتح أمامنا مجاهل الصحراء اللوبية مجالا

الرحلات التى قامت فى الصحراء ونتائجها

البحث لا حد له . وفعلا قامت أبحاث كان من نتائجها العثور على مناقش فى الفيوم وفى واحة سيوة . وكذلك قام الأمير « كمال الدين حسين» فى الأقاليم المجاورة للعينات برحلة عثر فى خلالها على آثار يرجع عهدها إلى الصناعة الجفسية الحقيقية: منها آلات على شكل الأهلّة وسكاكين صغيرة تماثل ما وجد فى حلوان وقد عثر عليها فى غرب مروج نخيل «مرجا» البعيدة ، وكذلك عثر «شويبس» و«منشكوف» وغيرهما فى خلال بعثة حديثة العهد على مواقد جفسية تحتوى على قطع من قشر بيض النعام مختلطة بآلات من الظران وهذه المواقد عظيمة الانتشار على الهضبة المترامية الأطراف التى تمتد غرب الواحة البحرية وواحة «الفرافرة». وكثيراً ما يعثر على مصانع صغيرة مجتمعة حول نقطة ماء راكدة أو جارية كما هو الحال فى منخفض عين «دلاّ» التى تشرف على الأراضى الصخرية التى كان يعيش فيها الأنسان الموستيرى منذ عدة قرون .

ويجب هنا أن نذكر صناعة غريبة فى بابها ظهرت فى إقليم « كوم امبو »وذلك أنه قد لوحظ على مدرجات ـ ذات ارتفاعات مختلفة تنبىء عن مستويات متتابعة لبحيرة قديمة قد جف ماؤها ـ تطور الآلات الموستيرية نحو الانحطاط مثل الصناعة الجفسية نفسها فأصبحت أشكالها مكروليتية وهندسية وقد عثر فى الصحراء على صخور منقوش عليها بعض صور بشرية وحيوانات ملونة وهذه الصخور المكتوبة كما يعبر عنها بين العمال فى مصر لا تعرف إذا استطعنا أن نقرّب بينها وبين تحف الفن المجدلى الجميل التى وجدت على جدران الكهوف، ولنا أن نعدها مظهراً لفن أقل إتقانا ينسب للعصر نفسه ؟ والواقع أن عدم وجود آلات من عصر هذه الرسوم



صورة عثر عليها فى بعض كهوف من العصر الحجلى

الساذجة يجعل تحديد زمنها من الأمور الصعبة جداً. ولا شك أن الحيوانات المس
على هذه الصخور تشعر بأن هذه الجهات كانت معمورة ومع كل فأننا نعرف أن
كانت مسكونة فى العصر التاريخى . ويلاحظ أن الحيوانات التى وجدت
مرسومـة على هـذه الصخور ينسب بعضهـا إلى أنواع حيوانات لا تزال تعيش
إلى الآن فى هذه الجهات مثل الغزال ، على حين أن البعض الآخر مثل الفيل
والخرتيت والزرافة والظباء والنعام قد تقهقر نحو خط الاستواء . أما الجاموس قد
اختفى كله . على أن وجود الكبش بين الحيوانات المستأنسة فى العصر الحجرى
الحديث يجعلنا نعتقد أن هذه الرسوم عملت فى زمن حديث . وعلى أية حال فأن
هذه الرسوم لو درست درساً علمياً مستفيضاً لوصلنا إلى ترتيبها حسب نوعها
على وجه التقريب .

ولا شك أن بعض هذه الرسوم يرجع إلى العهد الجفسى والبعض الآخر صناعته خشنة ويرجع تاريخه إلى ما بين العصر الحجرى القديم و بداية التاريخ . وهناك رسوم أخرى عند محطات عيون الماء يرجع تاريخها إلى العهود الحديثة فمنها ما هو من العصر الفرعونى والعصر الرومانى والعصر العربى والوقت الحالى .

العصر المزيوليتى (الحجرى المتوسط)

اعتاد بعض علماء علم أصل الشعوب القديمة أن يروا بين الانتقال من العصر الحجرى القديم إلى العصر الحجرى الحديث فترة انتقال مميزة أطلقوا عليها اسم العصر الحجرى المتوسط . والواقع أن واضع هذه التسمية هو العالم « دى مرجان » ، على أن هناك جمًا غفيراً من علماء ما قبل التاريخ لا يعترفون بوجود هذا العصر ، بل يعدون العصر الذى يلى العصر الحجرى القديم ، أو عصر الحجر المهذب هو العصر الحجرى الحديث وعصر الحجر المصقول ، والذين يعترفون بوجود هذا العصر ينسبون إليه محطة جديدة كشفت حديثًا على ساحل الدلتا الغربى فى بلدة مرمدة أبو غالب . والظاهر من شكل صناعتها المكروليتية أنها تتفق مع العهد الجفسى الحديث غير أن شكل الآلات فيها ليست واحدة فلا توجد بينها الآلات التى على شكل هلال أو سكاكين صغيرة الحجم بل عثر فيها على أسلحة صغيرة جداً مبنية على شكل منحت م.هف .

آثار مرمدة أبو غالب تمثل العصر الحجرى المتوسط

أما فى أوربا فأهم صناعة تنتسب إلى هذا العصر هى الصناعة الآزيلية نسبة إلى كهف « مادازيل » فى مقاطعة « أريج »

وذلك أن العالم « بيت » Piette وجد فى هذا الكهف طبقتين إحداهما فوق الأخرى فيهما كل مميزات الصناعة المجدلية وفوق هاتين الطبقتين بقايا ثقافة سماها هذا العالم العصر الآزيلى . وقد وجد فيها أفرانًا وأكوامًا من بقايا أكسيد الحديد وعدداً عظيما من عظام الغزال (وليس من بينها عظام الوعل) كما وجد ظرانًا مهذبًا من العهد المجدلى بكميات وافرة وسكاكين وخطاطيف ومصاقل وعظامًا مهشمة تدل على أنه كان يوجد فى هذا الأقليم الوعل ، والدب ، والخنزير ، وكلب البحر ، والقط البرى الخ . وقد عثر كذلك « بيت » Piette على قطع عدة من حجر الشيست عليها علامات باللون الأحمر . وعثر فوق الطبقة الآزيلية على طبقة أثرية أخيرة وفيها آلات مصقولة ومن ذلك استخلص أن العصر الآزيلى هو الحلقة التى تربط بين العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الحديث .

العصر الآزيلى يربط بين عصرين

العصر الحجرى الحديث

على أن العصر الحجرى الحديث نفسه مرتبط تمام الارتباط بالعصر الذى يليه وهو عصر بداية استعمال المعادن ولا يتميز العصر الحجرى الحديث عن عصر بداية المعادن بوجود معادن مختلفة فى كل فالواقع أن النحاس

استعمال النحاس أدوات للزينة

والذهب كانا موجودين فى كليهما غير أنهما كانا يستعملان فى العصر الأول أدوات للزينة وبدرجة محدودة . أما فى العصر الثانى فكانا يستعملان فى أغراض شتى وبدرجة عظيمة وبخاصة النحاس فأنه كان يستعمل فى صنع الآلات بدلا من الظران. ويعد علماء الجولوجية أن العصر الحجرى الحديث يبتدىء فى نهاية العهد البلوستسينى وبداية العصر الهيلوسينى أى العصر الرابع فى تكوين القشرة الأرضية . وهذا العهد هو فى الحقيقة فجر الأزمان الحديثة إذ فيه أخذت أحوال الحياة العامة للأنسان تتغير تدريجاً عن أحوال الحياة التى يخضع لها بنو البشر فى أيامنا هذه .

بداية العصر الحجرى الحديث تتفق مع عصر تقهقر جليدى

وتتفق بداية العصر الحجرى الحديث مع عصر تقهقر الجليد الذى ظل إلى يومنا هذا . ففى إفريقية الشمالية أخذ الجو يصير أكثر جفافاً وأشد حرارة من العصر السابق . وقد أخذ ذلك يظهر فى الهضاب الصحراوية التى بدأت تتكون منذ العصر الحجرى القديم الأعلى . والواقع أن قلة الأمطار وشدة التبخر سببا نقصاً محسوساً فى نظام المياه ولكن على الرغم من ذلك بقيت بعض جهات الصحارى معمورة وبخاصة الأماكن التى حول عيون الماء والبحيرات التى تكونت من مجارى مياه ضئيلة . أما باقى الجهات فقد

بداية تكوين الصحارى وتكوين وادى النيل

بقيت فيها الغابات اليانعة التى كانت تسبغ عليها بهجة ورونقاً إلى أراض عشبية لا يستطيع الأنسان أو الحيوان البقاء فيها ، وفى خلال هذه المدة أخذ وادى النيل يكوّن ببطء شكله الحالى وكذلك بدأ النهر يسير فى النظام الذى هو عليه الآن . وقد كان هذا النهر فى خلال تكوينه يترك رواسبه فى

الوادى الذى يغطيه بالمياه ثم ينكمش تدريجًا حتى أصبح على ما هو عليه الآن ؛ إذ كان فى كل عام يفيض على جانبيه فى تاريخ معين لمدة ثلاثة أشهر ويترك الغرين الذى يجلبه معه من منابعه مما يكسب الوادى خصباً ، وعند انتهاء هذا الفصل ينكمش مجرى النيل ثم يترك مجموعة من المستنقعات على حافة الصحراء حيث قد خلفت مياهه الجزء الأعظم من الغرين على السهل. وفى هذه المستنقعات كانت تنبت بكثرة النباتات المائية وبخاصة السنى (البردى) الذى كانت تأوى إليه الحيوانات الخطرة كجاموس البحر والتمساح. أما باقى السهل فكان يغطى كل عام بنباتات يانعة تنعدم وتزول بسرعة فى خلال تسعة الأشهر التى كان الحر فيها مهلكا . وكانت مخلفات هذه النباتات تؤوى الحيوانات والحشرات المؤذية . وقد تكونّت فى مصب النهر القديم المعروف بالدلتا طبقات غرين وكانت لانخفاضها مؤلفة من مستنقعات عدة مزدحمة بالبردى ولم تكن حدودها معينة . وذلك بسبب البرك التى تغمر معظمها .

بداية تكوين الدلتا

أما مساكن الأنسان منذ بداية هذا العصر فانها تتمشى مع التغيرات الجوية التى سنبينها . فقد هاجر إلى وادى النيل بجوار مجارى المياه الغزيرة التى لا تزال موجودة ، كل سكان وديان البيداء وصحراء العرب وهؤلاء كانوا البقية الباقية من قبائل أخذت تجوب فى خلال الأزمان السالفة الجبال والهضاب التى كانت تغطيها الغابات البكر .

الهجرة إلى وادى النيل لتحول الصحراء

والواقع أن العصر الحجرى الحديث هو العصر الحقيقى الذى أهلت فيه

مصر بالسكان .

أما القرى فكانت واقعة على المرتفعات البسيطة التى على حافة الوادى. وكان الجزء الخصب منه فى هذا الوقت أقل انخفاضًا واتساعًا مما هو عليه الآن بعد أن غمره الغرين مدة اثنى عشر ألفًا من السنين تقريبًا . ولا شك فى أن هذه القرى قد غطيت الآن بالطبقات السميكة من الغرين الذى لا ينفك يزداد من قرن لقرن ويمكن العثور عليها لولا أن ارتفاع منسوب المياه فى الطبقات الأرضية ، الذى نلاحظه الآن، يحول بيننا وبين الوصول إلى ذلك ؛ وهى موجودة غائرة فى سفح التلال أو المرتفعات الصناعية فى كل المدن المصرية التى ظهرت فى فجر التاريخ ، وتقع عادة بعيدة عن النيل وقريبة من الصحراء . ويظهر لنا فيها أسس يرجع عهدها إلى العصر الحجرى الحديث . ولحسن الحظ عثر على بعض قرى نيوليتية واقعة فى الصحراء أخطأها غرين النيل ، ونخص بالذكر قرية العمرى وهى « رأس حوف » القريبة من القاهرة . وقد سميت العمرى نسبة إلى الأستاذ العمرى الذى عثر عليها حديثًا وقد مات وهو فى ريعان شبابه وكذلك مرمدة بنى سلامة الواقعة على حافة الدلتا الغربية ، ثم ديمة ، وكوم أوشيم، وقصر الصاغة. والمواقع الأربعة الأخيرة فى مديرية الفيوم . أما فى الوجه القبلى فقد عثر على مدينة جديدة فى بلدة « دير طاسا » وفى طوخ والقطارة والجبلين .

قرى هذا العصر مدفونة تحت غرين النيل

العثور على بعض قرى من العصر الحجرى الحديث

وأهم من هذه البلاد من الوجهة الأثرية المقابر التى من العصر الحجرى

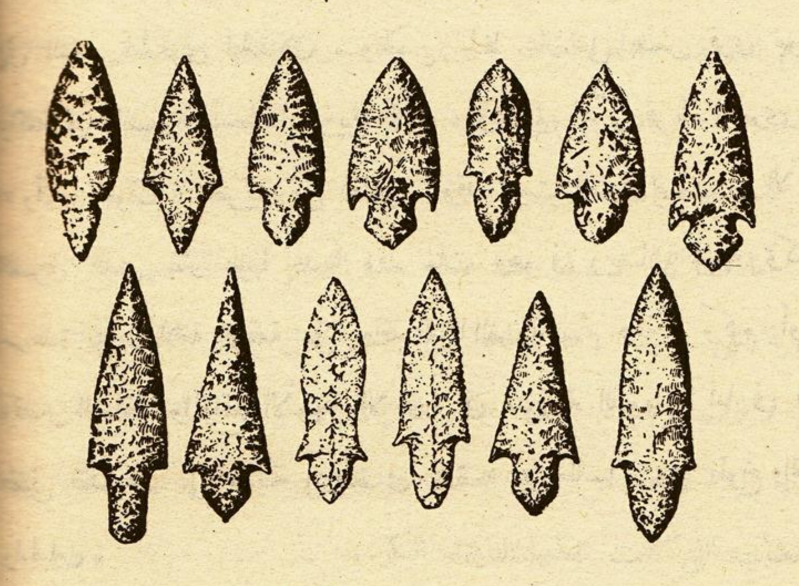
مقابر هذا العصر على حافة الصحراء

الحديث فانها محفوظة وواقعة على حافتى الصحراء على كلا جانبى النيل إذ هى بطبيعة الحال بعيدة عن الفيضان ، يضاف إلى ذلك ما يعثر عليه مهملاً على سطح الصحراء من بقايا الصناعات بالقرب من القرى والمقابر مما يدل على الأماكن التى كان لا يزال الأنسان يصنع فيها الظران .

ويمتاز العصر الحجرى الحديث بأنه عصر نهضة الصناعة . وقد كان ذلك نتيجة تحول الأنسان فى ذلك العهد من عيشة الصيد إلى عيشة الرعى وفلاحة الأرض . ولذلك قامت نهضة حقيقية فى صناعة الظران إذ خلفت

تقدم الصناعة فى هذا العصر

الأشكال المكروليتيــة التى كانت فى العصر الجفسى ، الأسلحة الكبيرة من الظران . ويجب أن نشير هنا إلى أطراف الحراب والنصال المهذبة تهذيباً جميلاً من كلا الوجهين وكذلك سنان السهام المصنوعة برشاقة ودقة . أما



رءوس سهام من جبانة العرابة

الآلة التى يتميز بها هذا العصر أكثر من غيرها حتى أن اسمها أصبح أحياناً يطلق على هذا العصر فهى الفأس المصقولة . وهى قطعة من الظران على شكل الكلى المستطيلة وهى منحنية من أحد طرفيها لتصير قاطعة . وقد كان يركب فيها مقبض ولذلك كانت تستعمل كفأس أو قدوم.

الفأس المصقولة تميز صناعة هذا العصر

وبجانب الظران كان يستعمل كذلك العظم فى عمل أسنة الخطاطيف ، ولعمل آلات كالمنحت أو المنقش والأبر لشغل الجلود . ومن صناعة هذا العصر كذلك النسيج وعمل الحصر والفخار الذى لم يعثر على أى نوع منه قبل هذا العهد ومن المدهش أنه انتشر فى هذا العصر بسرعة وأصبح استعماله منتشراً انتشاراً عاماً . ففى مصر السفلى عثر فى مرمدة بنى سلامة على أقدم فخار عمله الأنسان دون استعمال أية آلة فى صنعه . وأول نوع ظهر لنا كان خشن الصنع وليس عليه أى نوع من الزخرفة أللهم إلا فى القليل النادر فأنه كان يشاهد على حافة الأناء أو مقبضه شريط محفور بالأصبع .

استعمال العظام فى صناعة هذا العصر

وبجانب هذا الفخار ظهر نوع آخر دقيق الصنع لونه أحياناً أحمر وأحياناً أسود . وكان يصقل بكل اعتناء قبل حرقه وأشكال هذا الفخار متعددة وتشمل كل أنواع الأطباق والأكواب والجرار والأباريق . ويلاحظ أن بعض هذه الأوانى لها أزرار بارزة ، أو ثقوب فى جوانبها وذلك ليعلق فيها خيط تحمل به .

صناعة الفخار

أما فى الوجه القبلى فقد ظهر فى بلدة « دير طاسا » نوع من الفخار أسود لم يحرق حرقاً محكماً غير أنه يمتاز بأنه أول نوع من الفخار ظهرت عليه

الفخار الاسود وظهوره فى (دير طاسا)



، فخار عثر عليه فى الفيوم يمثل العصر الحجرى الحديث

مجموعة فخار من العصر الحجرى الحديث

زخرفة مرسومة بالمعنى الحقيقى . وهذه الرسوم كانت هندسية فى شكلها وقد صنعت بآلات وملئت تجاويفها بمادة بيضاء بمثابة ترصيع . وأظهر هذه الأنواع التى وجدت فى « دير طاسا » إناء قعره مستو ومفرطح على شكل السوسنة .

الانسان يسكن القرى

بدأ الأنسان فى هذا العصر يعيش عيشة الرعاة والفلاحين ، وأخذ يسكن القرى بعد أن كان جائلاً من مكان لآخر . وذلك يرجع لتغير حاله الجو فى إفريقية الشمالية وقد نشأ عن هذا الجفف المتوالى فى هذه الجهات بسبب قلة الأمطار أن اختفت النباتات والأشجار التى كانت تنبت على الهضاب المترامية الأطراف تدريجًا وكذلك أصبحت مناطق الصيد قليلة ومن أجل ذلك أخذت القبائل فى الأقاليم التى كانت تسكن فيها أو تجول فى أنحائها تتنبه إلى خطر الجوع من قلة حيوان الصيد فبدأت تربى الحيوانات القليلة الخطر كالثور والخروف والماعز والخنزير لتكون ذخيرة لهم من اللحوم الحية . وكذلك أخذت القبائل تزرع الحبوب المغذية وبخاصة الشعير .

ولما ازداد جفاف تلك ، الهضاب الشاسعة ، ولم تبق منابع ماء فى صحراء العرب أو فى صحراء لوبيا ، أخذ أفراد القبائل النيوليتية يجتمعون فى قرى فى وسط أراضيهم التى يتعيشون منها برعى الماشية أو بالزراعة فى وادى النيل ، وكانوا لا يزالون يحترفون صيد البر والبحر وذلك اقتصاداً لمواشيهم الأليفة من جهة وليقضوا على الحيوان البرى المفترس ، وعلى الحيوانات المائية الضارة

مثل جاموس البحر الذى كان يعد خطراً يهدد حياتهم على الدوام من جهة أخرى : غير أن الصيد لم يكن عندهم من الأمور الحيوية بل كان شيئاً ثانويًا . والواقع أن هذه القبائل أصبحت أهل فلاحة بالمعنى الحقيقى وكانت قرى العصر النيوليتى مؤلفة من عدد من العشش المنفصل بعضها عن بعض ويحتمل أنها كانت مسورة بسياج مؤلف من الأوتاد حماية لها . وقد عثر على قرى من هذا العصر فى مرمدة بنى سلامة وهى على نوعين مختلفين تمام الاختلاف فبعضها يشبه عشش الفلاحين الحاليين التى تقام فى وسط المزارع وقت الحصاد . وكانت العشة تتركب من جدران مصنوعة من الغاب يحفظها من التداعى أوتاد مثبتة فى الأرض . وإذا كانت العشة مبنية من جهاتها الأربع كانت تأخذ فى الغالب شكلا بيضيًا منظما بعض الشىء . وأحيانًا تكون هذه العشش على شكل ستارة مقوسة المنظر محكمة القفل من الجهة التى يهب منها الريح وبخاصة الجهة الجنوبية الغربية أو الجهة الشمالية . ولا شك فى أن وجود مواقد فى هذه العشش وكذلك وجود اوان مصنوعة من الفخار يدل دلالة واضحة على أنها كانت تستعمل سكنًا للأنسان . وقد عثر بالقرب من هذه العشش على أسوار بيضية الشكل لا تزيد مساحتها عن متر فى نصف متر تقريبًا ويحيط بها جدار لا يزيد ارتفاعه عن نصف متر ويستدل منه على أنه لم يكن فوقه مبنى آخر ولا يبعد أنه كان يستعمل مخازن لحفظ الحبوب . وكانت جدران هذه المخازن تقام من طين معجون توضع كتل منه الواحدة فوق الأخرى على

مساكن هذا العصر وأشكالها

مخازن غلال هذا العصر

غير نظام أما رقعة العشة فأنها كانت تغطى بطبقة من الطين المعجون ، وكانت تحفر بعض الشيء على شكل صحن وتجهز فى الجزء المنخفض منها بأناء مثقب مثبت فى الأرض لجمع المياه وتصريفها . أما أساس العشة فكان يثبت فى الأرض على عمق لا يزيد عن خمسة وعشرين سنتيمتراً . وكان يوجد فى العشش الممتازة قصبة ساق جاموس البحر مثبتة عمودياً فى الجدار الداخلى لتكون بمثابة سلم لتسهيل الدخول فيها . وقد وجدت بقايا حصر كانت على أرض سطح العشة ولا ريب فى أن هذه الأكواخ أو العشش كانت تستعمل مأوى لأهالى مرمدة القدماء يحتمون فيها من العواصف والمطر ويبيتون فيها ليلا عند اشتداد البرد ؛ ومن المدهش أنه لا يوجد فى هذه العشش أى أثر من آثار الأنسان ولا أية آلة من الآلات التى كانت تستعمل فى الحياة المنزلية . أما سقف هذه العشش القليلة الارتفاع فكان يصنع من حصير سميك من الغاب يوضع أفقياً . وفى حالة واحدة عثر على مكان عمودين متقابلين فى أحدى هذه العشش ومن المحتمل جداً أنهما كانا قد وضعا لأجل أن ينصب عليهما جلد حيوان لتغطية السقف وربما كان ذلك أول محاولة لعمل خيمة يحمى إنسان هذا العصر فيها نفسه من زمهرير البرد وقيظ الحر .

بلدة مرمدة

أما فى قرية العمرى السالفة الذكر فأن عششها وجدت على شكل مستدير وفى وسطها موقد . وعلى مقربة من هذه العشش كانت تقام سلات عظيمة من الحصير المجدول لها غطاء ومدهوكة بغرين النيل كانت تستعمل مخازن

المدينة العمرية

لحفظ الحبوب .

أما المدافن النيوليتية فكانت كالتى فى مرمدة تحفر فى القرية نفسها على مقربة من الأكواخ . وكانت تحفر كلها فى مكان خاص – كما هو الحال فى العمرى وفى كل الوجه القبلى – بالقرب من القرية على حافة الصحراء بعيدة عن فيضان النيل . وكان كل قبر على شكل حفرة بيضية المنظر كالكوخ نفسه

مقابر العصر النيوليتى ووصفها

وكانت الجثة توضع راقدة على الجانب الأيمن غالباً فى قرى الوجه القبلى . أما فى الوجه البحرى فكانت توضع على الجانب الأيمن مثبتة بحيث تضم الركبتان نحو الصدر فى معظم الأحيان ، أما وجه المتوفى فكان يتجه نحو المساكن . وقد عثر أحياناً على جثث موضوعة على حصير أو ملفوفة فى جلد أو حصير . وقد لوحظ فى مرمدة بنى سلامة أن يد المتوفى كانت توضع بالقرب من فمه وأحياناً شوهد أن أحدى أصابعه كانت فى أسنانه . وكذلك لوحظ أن حبوباً من القمح كانت مبعثرة فى يده أو حول رأسه وفى بعض المقابر عثر ضمن محتوياتها على أوان عادية ولوحة لطحن مادة الزينة وعلى آلات من الظران . وهذه المقابر لم تكن فوقها مبان أخرى . هذا خلاف قرية العمرى التى كان يعلّم فيها القبر بعدة أحجار مكومة بعضها فوق بعض . وقد استعمل كثير من هذه المقابر لدفن أكثر من واحد من أفراد الأسرة . وفى هذه الحالة كان يجهز مكان فى القبر للقادم الجديد وذلك بجمع عظام الموتى القدماء ووضعها بعناية فى جانب من القبر . وهذه العادات المأتمية التى تدل على أن القوم كانوا يعتقدون بحياة أخرى

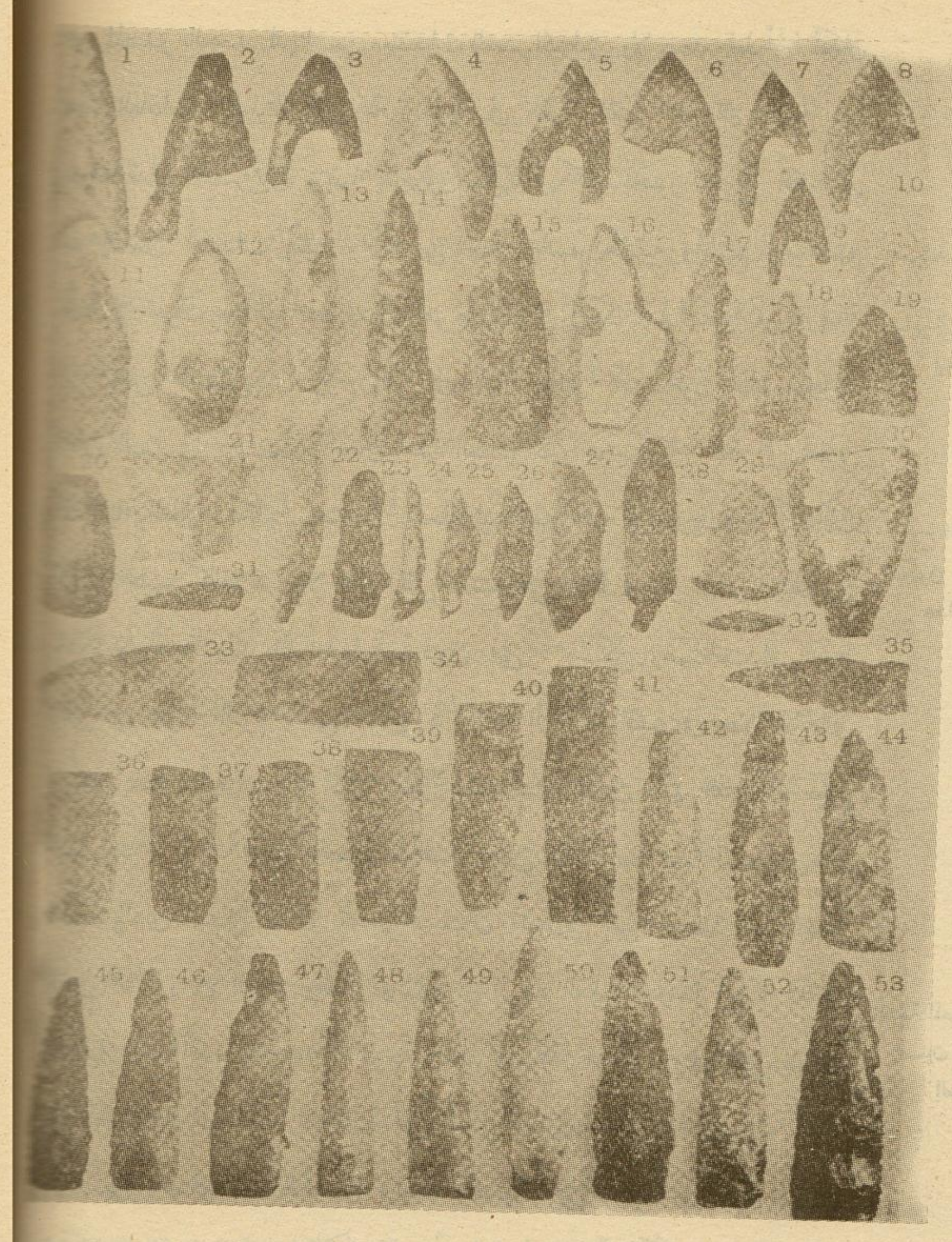
هى المصدر الوحيد لدينا عن معتقدات العصر النيوليتى ولا يبعد قط أن تكون هذه العادات النيوليتية التى عثر عليها فى هذه القبور هى التى نهج على منوالها قدماء المصريين وبقوا يسيرون عليها فى كل عصور التاريخ الفرعونى مع إدخال تحسينات عليها . أما من جهة ديانتهم الحقيقية وآلهتهم وعباداتهم فأننا لا نعرف عنها شيئاً قط وذلك أمر طبعى لأن الكتابة لم تكن معروفة بعد

ديانة هذا العصر

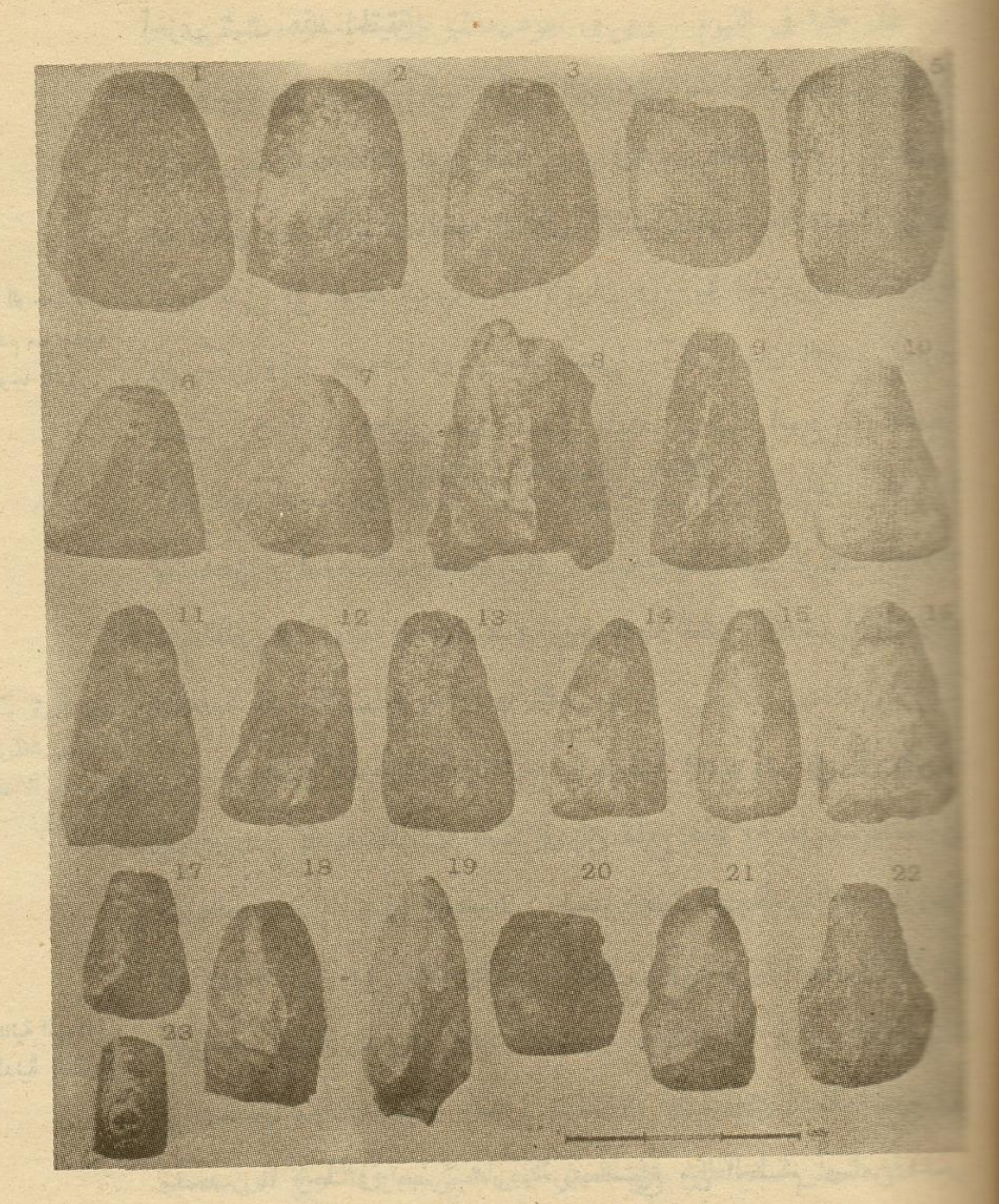
ومن المدهش أن روح الفن فى هذا العصر كاد يكون منعدماً وربما كان السر فى ذلك أن إنسان هذا العصر كان موجهاً كل همة إلى تحقيق الأشياء العملية فكانوا يصنعون الفخار ليستفيدوا منه لا للزينة ؛ وكذلك كانت حليهم كالقلائد والأساور التى تصنع من العظام أو الطين المحروق نادرة وساذجة ولا يظهر فيها أى ذوق فنى . ولكن رغم انعدام الروح الفنى فى هؤلاء القوم بالمعنى الحقيقى فأنا نجد الرشاقة الفنية فى بعض الأوانى وبعض سنان الحراب مما كان يبشر باستعدادهم للذوق الفنى الذى نما فيهم فيما بعد . ومنذ ذلك العصر نشاهد بعض علامات منها نستخلص أن مدنية وادى النيل كانت تنقسم قسمين متميزين عن بعضهما . وينحصر القسم الأول فى الفيوم والدلتا والثانى فى الوجه القبلى . وتمتاز مجموعة المدنية الشمالية بأنها أقدم من مدنية الوجة القبلى وأكثر تقدماً ، وهى التى ظهرت فيها سنان الحراب الفاخرة المهذبة على شكل « ورق الغار » الذى ورد ذكره فيما سبق وتعد هذه السنان والبلط المصقولة التى توجد فى كل مكان الآلات التى يمتاز بها هذا العصر . وقد وجدت أدلة كثيرة فى بحوث

روح الفن تكاد تكون معدومة فى هذا العصر

المدنية المصرية تنقسم قسمين فى هذا العهد



مجموعة آلات من الظران تمثل العصر الحجرى الحديث



آلات للطحن وبلط من العصر الحجرى الحديث

أخرى تثبت هذه الحقيقة .

وليس من بين الأماكن الشاسعة التى يحتلها سكان مرمدة بنى سلامة ما يمكن مقارنته بمحطات الوجه القبلى حتى فى عصر تقادة وذلك مما يحمل على الظن بأن المدنية فى الوجه البحرى كانت أكثر تقدماً ونمواً منها فى الوجه القبلى ففى الوجه البحرى بدأ الأنسان فى تربية الخنزير وجعله أليفاً ولم يكن وقتئذ معروفاً فى الوجه القبلى . وكان إنسان الوجه البحرى يستعمل كثيراً من الأوانى ذات الحامل المستدير وهذا النوع من الفخار كان نادر الوجود فى الوجه القبلى . وفى حين أن فخار الدلتا كان ذا لون أحمر أو أسود كله وكثيراً ما يكون مصقولا ، فأن الأوانى المصنوعة من الطين الأسود والمزخرفة بمادة بيضاء وكذلك الأوانى الحمراء ذات الحافة السوداء كانت خاصة بالوجه القبلى .

مدنية الوجه البحرى أقدم من مدنية الوجه القبلى

وقد أطلق علماء ما قبل التاريخ على مدنية العصر النيوليتى فى الوجه البحرى اسم المدنية المرمدية نسبة إلى أهم موقع عثر فيه على صناعات من هذا العصر . أما مدنية الوجه القبلى فيطاق عليها اسم المدنية الطاسية نسبة إلى بلدة « دير طاسا » القريبة من البدارى وهى التى وجدت فيها أقدم آثار مصرية إلى الآن من هذا العصر . وهذه البلدة تمتاز بحفائرها . ففى مصانعها وجدت البلطة والقدوم منتشرتين أما أدوات الزينة فنادرة فيها وينحصر ما وجد فى بعض محار وخرز مصنوع من العظام أو من الحجر الجيرى الأبيض . ويلاحظ أن بين هاتين المدنيتين مدنية أخرى وهى

المدنية المرمدية والمدنية الطاسية

التى عثر عليها فى الفيوم . وهى فى جوهرها تميل إلى مدنية الوجه البحرى غير أن لها بعض مميزات خاصة بها . فمثلا نجد أن مخازن الغلال تقام على مرتفع بعيدة عن المساكن ومجموعة فى مكان واحد ، هذا إلى أن مدافن الفيوم لم توجد بالقرية لأنها كانت مفصولة عنها كما هو الحال فى الوجه القبلى .

عصر بداية المعادن

يمتاز عصر بداية استعمال المعادن بظهور صناعة جديدة غطت على صناعة الظران وأعنى بذلك صناعة المعادن إذ وجدت فى هذا العصر آلات وحلى من النحاس والذهب فى بادىء الأمر ، ثم عرف فيما بعد استعمال الشبه « البرنز » . وباستعمال المعادن أخذ الانسان الأنيوليتى يستغنى تدريجاً عن صنع آلاته من الظران والأحجار الصلبة الأخرى التى كان يستعملها فى العصور السابقة . على أن صناعة الظران لم تدرس جملة بل بقيت بعض الشىء حتى فى العصور المصرية التاريخية ، وذلك لأن المصرى كان بطبعه عبداً للتقاليد والعادات فكان يستعمل الظران فى أوج مدنيته سناناً للسهام وغير ذلك .

استعمال البرنز بكثرة بدلا من الظران وغيره من الاحجار الصلبة

هذا العصر قد أطلق على العهد الذى سبق بداية التاريخ أى عهد ظهور الكتابة فى مصر .

والواقع أننا إلى الآن فى كل بحثنا عن مدنية ما قبل التاريخ فى العصور القديمة لم نجد مميزات بارزة يمتاز بها وادى النيل عن باقى ممالك العالم إلا بعض خصائص قليلة ، ولكن من جهة أخرى لاحظنا على وجه عام أن مدنية الوادى تتفق فى مجموعها مع المدنيات الأوربية فى تلك العهود السحيقة فى القدم ، وكذلك تتمشى بوجه خاص مع عصور ما قبل التاريخ العام فى إفريقية الشمالية .

المدنية المصرية تتفق بوجه عام مع المدنية الاوربية ومدنية شمال إفريقية

ومع أن عصر بداية المعادن فى أوربا يتفق مع عصر ظهور المعادن فى وادى النيل ، إلا أننا نشاهد من جهة أخرى أنه قد ظهرت فيه مميزات خاصة معلمة أخذت تزداد وضوحاً حتى أنها صبغت ثقافة هذا العصر بصبغة أصلية ، وأعطته لوناً خاصاً ميزه عن الممالك المجاورة . ويمكن تشبيه هذه المدنية الخاصة بانبثاق غصن ناشىء أينع فى أصل شجرة فى شيخوختها فأزهر وأثمر ثماراً مختلفة أنواعها . وهذه الحياة الجديدة التى انبعثت فى البلاد دبت دبيبها فى كل نواحى الفن والصناعات ، كصناعة الفخار ، وفى حفر العاج والخشب ، وتهذيب الظران وصنعه آلات بلغت الدرجة القصوى فى الأتقان .

مميزات المدنية المصرية

ويرجع الفضل فى إبراز هذه الثقافة المصرية من مكمنها فى بدايتها إلى جهود العلماء الذين وقفوا حياتهم عدة أجيال على القيام بالحفائر التى أنتجت العناصر التى منها تتألف تلك الثقافة ، لذلك كان لزاماً علينا قبل أن نبدأ فى درس هذه المدنية الأنيوليتية أن نمر سراعاً بكلمة موجزة على أعمال هؤلاء الباحثين فى الحفر والتنقيب .

وأول من فتح الطريق فى هذا المضمار هو الأستاذ « فلندرز بترى » وذلك فى عام ١٨٨٩ عند ما قام بحفائر فى اللاهون (كاهون)(١) وغيرها عند مدخل الفيوم ثم تابع أعماله فى ميدوم ، فطوخ فالبلاص . وكذلك قام العالم « دى مرجان » ، « واملينو » الفرنسى ، ثم « ماك ايفر »، « وجارستانج » ، بحفائر فى نقادة ، والعرابة ، والكاب ، وغيرها من المواقع الأثرية .

بحوث الاستاذ « فلندرز بترى » وغيره عما قبل التاريخ

أما فى بلاد النوبة فقد قام الأستاذ « ريزنر » بحفائر فى المواقع التى كان يهددها تعلية خزان أسوان . وقد وصف لنا البحاثة « ستون كار » مصنعاً عظيماً عثر فيه على سكاكين ذات وجهين فخمة الصنع وذات أحجام خارقة للحد المألوف . ويقع هذا المصنع فى (وادى الشيخ) بالقرب من بلدة مغاغة بجوار الآبار القديمة التى كانت تحفر لاستخراج الظران .

وفى عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ بدأ المستر « برنطون » بعمل حفائر فى جبانات بالقرب من بلدة البدارى الحالية . وقد أماطت بحوثه اللثام عن صفحة جديدة فى تاريخ ما قبل الأسرات فى مصر . أما فى الدلتا فقد قام « برشيا » العالم الأثرى الأيطالى بحفائر فى كوم القناطر وهى أول محطة كشفت من هذا العصر . وقفا أثره الأستاذ « ينكر » ببحوث فى تل اليهودية بالدلتا أيضاً . وحديثاً كشف كل من الأستاذ مصطفى عامر والأستاذ « منجين » عن محطة هامة من العصر الانيوليتى فى المعادى بين القاهرة وحلوان

بحوث المستر (برنطون)

بحوث الاستاذ « مصطفى عامر بك »

أما الصحراء فان الأبحاث لم تقم فيها على قدم وساق كما كانت فى

(١) تسمية خطأ عند الافرنج .

الوادى نفسه ، ومع ذلك فان البعثات القليلة التى بحثت فيها قد أسفرت عن بعض نتائج ؛ فالبعثة التى قام بها الأمير كمال الدين فى الصحراء حتى (جبل عوينات) عثر فيها على محطات مما قبل الأسرات ؛ وجدت فيها أسلحة وسكاكين عظيمة الحجم من الحجر النوبى ، وبالقرب منها عثر على أرحاء وأجران مصنوعة من حجارة ضخمة . وذلك برهان جديد على أنه كان يوجد فى هذه الجهات واحات، ولكنها طبعاً قد اختفت بجفاف العيون التى كانت تغذيها ؛ ولا مراء فى أنها كانت يانعة فى هذا العصر ومن المحتمل جداً أنها كانت لا تزال آهلة بالسكان فى العهد الفرعونى .

بعثة الامير «كمال الدين»

وقد عثر حديثاً العالم « بوفييه لابيير » على جبانة من نوع خاص فى صحراء العرب على مسافة قريبة من القاهرة تشبه فى أوربا ما يطلق عليه اسم « دلمن Dolmens » . وكل واحد من قبورها يتألف من حجر عظيم مستوى السطح موضوع على حجرين عموديين، وهو أول شئ من هذا النوع عثر عليه فى مصر . وهذه المقابر قد أقيمت على حافة وادى التيه . ولما كان وجه الشبه بين هذه المقابر ومثيلاتها فى أوربا عظيماً فقد نسبها الأب « بوفييه » إلى العصر الأنيوليتى ؛ غير أنه يظن كذلك قد تكون صنعت فى عصر متأخر عن ذلك .

المقابر التى تسمى « دلمن »

ولما كانت الكتابة منعدمة فى العصر الأنيوليتى حتى ظهور الأسرة الأولى ، كان من الصعب على المؤرخ أن يضع تواريخ مؤكدة للمدنيات المتتالية التى مرت فيها مصر فى أقدم عهودها ، لذلك يجب أن نكتفى

الآن بأقل الفروض . إذ الواقع أن بداية هذه المدنية ترجع بنا إلى عهود يكاد مقدار ألف سنة فيها لا يعد بالشيء الخارق للعادة من حيث الزمن. ومما يؤسف له أن نهاية هـذا العصر الذى هو فى الواقـع بداية العصر التاريخى لم يتفق عليه بصفة قاطعة للآن بين علماء الآثار ، بل الأمر تخطى ذلك فى النزاع حتى أن كل تأريخ قبـل عام ١٥٨٠ ق.م. فى التواريخ المصرية موضع شك ، ولا أدل على ذلك من أن السير « فلندرز بترى » قدر عمر المدنية البدارية بنحو ١٠٫٠٠٠ إلى ١٣٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، على حين أن أثريين آخرين قدروا عمرها بنحو ٥٠٠٠ سنة . على أن مثل هذه التواريخ لا تخرج عن أنها محض تخمين ولا ترتكز على أساس علمى.

عمر الحضارة المصرية

ومع أنه كان من المتعـذر وضـع تاريخ مؤكد لبداية عصر ما قبل الأسرات أو نهايتـه ، فانه من الممكن أن يقتفى الأنسان تتابع الخطوات المختلفة التى حدثت فى خلال هذا العصر . وهذا الأمكان قد نشأ نتيجة البحوث التى قام بها المستر « فلندرز بترى » فى (ديو سبوليس برفا)(١) لتتابع تاريخى خاص فى أنواع الفخار كشفت عنه حفـائره . وذلك أنه لاحظ أن نوعاً خاصاً من أوانى الفخار كان يحدث فيه انحطاط منظم ، وذلك أن البروز الذى كان فى الأصل بمثابة يد الأناء ، أخذ فى التلاشى تدريجاً حتى أصبح لا يزيد عن خط متموج لا معنى له حول رقبة الأناء . وهذا الانحطاط فى يد الأناء صحبه تدهور مشابه له فى شكل الأناء العام . ولذلك كان

« فلندرز بترى » والتتابع التأريخى

(١) موقعها الحالى بلدة « هو »

من الممكن أن يضع الأنسان تتابعًا تاريخيًا لكل الأوانى التى من هذا النوع . وبالوصول لهذا الترتيب كان من السهل أن يجد الأنسان أدوات أخرى من نوع هذه الأوانى ، قد تدرجت فى التغير.

وقد اتخذ أساسًا للتغير فى هذا النوع من الفخار فترات معينة تبتدى برقم واحد وتنتهى برقم مائة . وقد ترك الفترة من رقم ١ – ٢٩ خالية لما عسى أن يكشف من فخار أقدم من الأنواع التى عثر عليها فى قبور قديمة . أما الفترة بين ٣٠ – ١٠٠ فأنها تمثل ما قبل الأسرات وأوائل عصر الأسرات . وقد صار من الممكن أذن أن يضع الأنسان فى الفترات المتتابعة مجموعة هذا النوع من الفخار حسب طبقته المختلفة فى القدم فاذا كشف قبر مما قبل الأسرات ، ولم يكن من الممكن وضع تاريخ محدد له ، فأن مكانته فى التأريخ التتابعى يمكن الوصول إليها فى الحال وذلك بمقارنة الفخار الذى عثر عليه فيه بالطبقة المقابلة للفخار الذى اتخذ نوعه أساسًا .

وهذا النظام للتأريخ التتابعى ، كما يطلق عليه ، برهن على أنه أداة قيمة إلى أبعد حد لتحديد الآثار التى وجدت فى عصر ما قبل الأسرات . ولا نزاع فى أن هذا النوع من التأريخ لا يمكن أن يعطينا فترات متساوية من الزمن فى كل طبقة ، إذ من الجائز أن تكوّن طبقة أطول أو أقصر جداً عن التى تليها مباشرة . ولكن على أية حال يمكننا بوساطة هذا التأريخ أن نحدد ما سبق وما لحق بالنسبة لترتيب الحوادث الحقيقى .

تقسيم عصر ما قبل الاسرات إلى ثلاثة عهود

وعلى هذا الأساس ينقسم عصر ما قبل الأسرات إلى ثلاثة عهود

(١) عهد ما قبل الأسرات القديم وتاريخه التتابعى من ٣٠ ـ ٤٠

(٢) عهد ما قبل الأسرات المتوسط من ٤٠ ـ ٦٠ (٣) عهد ما قبل الأسرات الحديث من ٦٠ ـ ٧٨ وعند هذا الرقم يبتدئ العهد الأول للأسرات وذلك بظهور الأسرة الأولى التى بدأ التأريخ فيها بالكتابة .

وقد عثر حديثًا على مقابر أقدم من التى وجدها « فلندرز بترى » ونعنى بذلك المقابر التى كشفها المستر « برنطون » فى البدارى وقد عثر فيها على أنواع جديدة من الفخار وقد خصص لها « بترى » التأريخ التتابعى من ٢٠-٢٩ . وسنشرح ذلك فى حينه .

مدنية الوجه البحرى

مدنية الوجه البحرى . لقد ظلت البحوث العلمية عن عصر ما قبل التاريخ فى مصر موقوفة على الوجه القبلى إلى زمن غير بعيد ظنًا من العلماء أن كل المدنية القديمة أصلها من الوجه القبلى إلى أن أقام الأستاذ « ينكر » بحوثه المشهورة عن عصر ما قبل التاريخ فى جهة مرمدة بنى سلامة ، وأسفرت بحوثه عن مدنية يرجع عهدها إلى العصر النيوليتى ، وقد تكلمنا عن هذه المدنية فى حينها . وقد قام بعده الباحثون فى هذا الميدان فى الوجه البحرى . فوفق أخيراً العالمان مصطفى بك عامر والأستاذ « منجين » إلى كشف محطة جديدة فى المعادى يرجع عهدها إلى عصر ما قبل الأسرات الحديث . ومن ذلك يتضح لنا أنه توجد فجوة عميقة بين عصر مرمدة بنى سلامة الذى بدأ فى أوائل العصر الحجرى الحديث وبين عصر

المعادى الذى يشرف على حافة التاريخ أو بعبارة أخرى يختم به عصر بداية المعادن . ولا يبعد أن تملأ هذه الفجوة العميقة بكشف جديد فى هذا المضمار فى السنين المقبلة . وقد كشفت آثار من هذا العصر فى الوجه البحرى فى طرخان ، وطره .

مدنية الوجه القبلى : ومن جهة أخرى نجد أن المدنية الأنيوليتية فى الوجه القبلى معروفة بدرجة كبيرة . وتبتدىء بعصر البدارى الذى جاء مباشرة بعد عهد « دير طاسا » .

والبدارى كما ذكرنا بلدة تقع بالقرب من « قاوالكبير » فى إقليم أسيوط وقد كشف فيها عن موقع أثرى موضعه فى التأريخ التتابعى الذى اخترعه « فلندرز بترى » بين ٢٠ ـ ٢٩ . وهو أقدم تاريخ عرف إلى الآن فى عهد ما قبل الأسرات . وقد عثر على الصناعات البدارية فى بلاد النوبة .

عصر نقادة

أما العصر الذى يلى عصر البدارى فيطلق عليه العهد النقادى نسبة إلى بلدة نقادة القريبة من قوص . وقد قام بحفائر فيها الأستاذ « بترى » والمستر « كويبل » عام ١٨٩٥ . وأهم مواقع ما قبل الأسرات فى الوجه القبلى طوخ ، وبلاص شمالى الأقصر ، ثم « ديوسبوليس برفا » بالقرب من نجع حمادى والعامرة ، ونجع الدير والمحاسنة وبيت خلاف ، وجرزة ، وأبو صير الملق وحرجة عند مدخل الفيوم .

البدارى : كان أهل عصر البدارى بحكم طبيعة البلاد زراعًا للأرض ، وذلك بعد أن انكمش الوادى وأصبح محاطًا بالصحراء على كلا حافتيه

وكان أنسان البدارى قصير القامة ضئيل الجسم طويل الجمجمة ويمكن مشاهدة هذه الخواص فى المصرى الحالى الذى يظن أنه من نسلهم . والظاهر أنه كان يختلط بدمه بعض دم الزنوج .

مدنية البدارى

وقرى هذا العصر كانت مجموعة من الأكواخ البيضية الشكل أو المستديرة وكانت مصنوعة من مواد خفيفة مثل البوص والأخشاب، ولم نجد بينها المساكن التى تشبه بيوت أهل مرمدة بنى سلامة ، وهى التى كانت تحتوى على حجرات مقببة مصنوعة من الطين المعجون . وقد استعملها السكان غرفاً للنوم . على أن هذا النقص فى البدارى قد يكون لمجرد الصدفة ؛ ولكن من المحتمل جداً أنه يدل على أن هذا التقدم فى بناء المساكن فى الدلتا لم يكن قد أدخل على مبانى الصعيد إلى هذا الوقت . وكان يوجد فى وسط الكوخ حفرة تقوم مقام الموقد . أما المواد الغذائية فكانت تحفظ فى سلة . وتدل الآثار التى عثر عليها فى هذه الأكواخ على تقدم عظيم فى أسباب الراحة ، إذ كان أثاث المنزل يحتوى على حصير ، بل وعلى أسرة من الخشب كانت توضع عليها وسائد من القماش أو من الجلد محشوة بالقش .

وقد أخذت أسباب الراحة فى المساكن تزداد فى خلال عصر ما قبل الأسرات . فمثلا فى عصر ما قبل الأسرات القديم فى بلدة « الحمامية » كانت الأكواخ المستديرة الشكل لا تزال مستعملة بجانب المساكن البيضية الشكل المقامة من الطين المعجون ، وتشبه ما عثر عليه فى (مرمدة بنى سلامة)

وليس بينهما خلاف إلا أن كتل الطين التى بنيت بها مساكن الحامية كان لا يوضع بعضها فوق بعض مباشرة ، بل كان بين كل صفين من كتل الطين رباطان من البوص . والظاهر أن حوالى التاريخ التتابعى ٤٠ حدث تغيير فى شكل الكوخ . إذ نشاهد أن البيت المستدير الشكل قد أهمل وحل محله الشكل المستطيل . وحوالى التاريخ التتابعى ٤٥ لوحظ أن العشش التي كانت تقام من مواد خفيفة أخذت مكانها العشش التى كانت تصنع من الطين المعجون . ويدل وجود الموقد فى أحد الأكواخ فى « حمامية » على أن هذا النوع من المساكن قد خلف النوع السابق .

مدنية « حمامية »

وفى خلال عصر ما قبل الأسرات الحديث ظهر تقدم محسوس فى فن البناء عثر عليه فى الوجه البحرى فى محطة المعادى التى كشفها الأستاذ مصطفى عامر بك ، إذ أن القرية التى أميط اللثام عنها فى هذه الجهة تتألف من منازل ذات شكل مستطيل . وقد استعمل فى بنائها الطوب المجفف أى اللبن ، الذى خلف كتل الطين غير المنتظمة فى الشكل ، وقد كانت تستعمل دون أن تجفف . وهذا التقدم العظيم فى فن المعمار لا بد أنه قد حدث فى الدلتا فى خلال العصر الطويل الذى يفصل عصر مرمدة عن عصر ما قبل الأسرات الحديث . وهذه الفترة مجهولة لنا تمامًا فى تاريخ الدلتا . أما مخازن القوم التى كانت تصنع أولا من سلات مجدولة تدهك بالطين بعد ذلك ، فكان يستعمل بدلا منها فى عهد المعادى أوان عظيمة الحجم

أول بناء باللبن فى عصر ما قبل الاسرات

مصنوعة من الفخار المحروق .

أما مقابر عصر بداية استعمال المعادن فى الوجه القبلى فأنها كانت تقام على مسافة من القرى كما كان الحال فى خلال العصر الحجرى الحديث ؛ ففى عهد البدارى كان القبر لا يزال حفرة بيضية أو مستديرة الشكل ؛ محفورة فى الأرض نفسها على بعد بسيط دون أى كساء أو طلاء من الداخل. أما المتوفى فكان يكفن فى حصير أو فى جلد ماعز وعادة كان يوضع فى تابوت ويغطى بالأعشاب . وقد عثر بجانب بعض المتوفين على ملابسهم اليومية وحليهم . وكانت رأس الميت تستند على مخدة كأنما يريد النوم ، وقد لوحظ أن وجهه كان متجهاً نحو القرية وفى أغلب الأحيان كانت يده ترفع نحو فمه . وقد كان يوجد بجانبه أناء وبعض آلات من النحاس ومن الظران والعظم ، وأحياناً وجدت لوحة من الأردواز لطحن التوتية مما يدل على أن تجميل العين والوجه كان شائعاً ؛ ووجدت فى بعض قبور هذا العصر دمى تمثل سيدات صنعت من العاج أو من الطين ، والظاهر أنها كانت تقدم هدية للمتوفى . وقد فسر بعض علماء الآثار وجودها بأنها تمثل آلهات أو أنها تحل محل زوجة المتوفى فى قبره .

مقابر الوجه القبلى في هذا العصر ومحتوياتها

والظاهر أن التابوت المصنوع من الخشب أو من الفخار لم يكن معروفاً فى مقابر البدارى ولكن من ناحية أخرى عثر على صندوق من القش المجدول مما يدل على أن الأنسان كان قد بدأ يفكر فى هذا العصر فى محاولة صنع تابوت ما . وتدل بقايا البوص التى عثر عليها فى هذه

أول محاولة لصنع تابوت للمتوفى

المقابر أنه كان يقام فوق الجثة مبنى من المواد الخفيفة ليحميها من التراب الذى كان يهال على المتوفى بعد الدفن ، وليكون له بمثابة غرفة تحت الأرض . وقد لوحظ أن كل قبر كان مستقلا عن الذى بجواره ، ومن الأشياء الهامة التى عثر عليها فى هذه المقابر الأمشاط المصنوعة من العاج وكانت تزين بزخرفة ، وكذلك عثر على دبابيس من نفس المادة كانت تستعمل لشبك الملابس . وعثر على خرز أنبوبى الشكل مصنوع من النحاس وعلى خرز مطلى بالمينا من حجر الكورتس ومن أحجار أخرى كلها كانت تلبس للزينة ، أما أصداف البحر الأحمر فأنها كانت تستعمل فى عمل الأحزمة والأساور والقلائد .

تقدم طريقة الدفن فى نقادة

وفى خلال عهد نقادة تقدمت طريقة الدفن بسرعة فأصبح شكل اللحد سواء أكان بيضياً أم مستديراً يشبه شكل العشة ولما تغير شكل الكوخ وأصبح مستطيلا تغير كذلك شكل القبر وأصبح شبه مستطيل . وكان هذا النوع الأخير صغير الحجم فى أول الأمر ولكنه كان يكبر حسب ثراء المتوفى . وقد عثر على مقبرة نموذجية لهذا النوع من الدفن فى « العمرة » ومحتوياتها لا تقل عن ٢١ أناء عظيما مصفوفة على مقاعد على جوانب ثلاثة من حفرة الدفن . وكذلك عثر على قبر لفرد من علية القوم يحتوى على ١٢ آناء كبيراً مصفوفة صفين على أحدى جوانب القبر وذلك عدا اثنى عشر أناء أخرى أحدها فخار مصقول من طرفيه . وهذا الثرى لم توضع جثته فى تابوت بل فى شبه التابوت ، إذ

حاول أن يصنع لنفسه صندوقاً مركباً من ألواح مربوط بعضها ببعض بحبل وهذا الصندوق يرتفع عن سطح رقعة القبر بنحو ٢٥ بوصة . وكان القبر من جهة أخرى مسقوفاً بعصى دهكت بالطين . وهذا مثل من الأمثلة التى يظهر فيها الفرق بين طبقات الشعب .

أما الخطوة الثانية فى شكل أقامة المقابر فنتيجة للرقى الطبيعى الذى نشأ من الشكل السابق . وذلك أنه لما كثر عدد القربان فأن البروز الذى كانت توضع عليه أوانى القربان فى القبرين السالفين قد صار رفاً أخذ يكبر تدريجاً حتى أصبح صاحب المقبرة يشعر بأنه سيضايقه فى مضجعه الأخير ، ومن أجل ذلك بدأت المقابر تأخذ شكلا جديداً فى عهد ما قبل الأسرات الحديث فصار شكل كل المقابر مستطيلا ، وفى الوقت نفسه أخذ استعمال بناء القبر ينتشر وذلك لتدعيمه وجعله صلباً ، وتقدم فن المعمار الأول أدخل بناء الجدران باللبن وكذلك استعملت القباب فى المقابر وأصبح من السهل عمل التحسينات اللازمة ، فأضيفت حجرات مجاورة لحجرة الدفن الأصلية خصصت للمئونة والقربان ، هذا إلى أنه صنع فى القبر سلم للنزول والصعود بوساطته . وسواء أكان القبر فى هذا العهد مسقوفاً أم غير مسقوف فأنه لم يظهر منه أى جزء على سطح الأرض يعرف بوساطته أين يرقد المتوفى ، وربما كان ذلك خشية أن يسطو اللصوص على محتوياته . ومن العادات الغريبة التى ظهرت فى أواخر هذا العصر دفن المتوفى تحت إناء عظيم منكس . وقد أخذت عادة لف الجثة فى

استعمال القباب فى المقابر

طرق دفن المتوفى

حصير أو جلود تختفى تدريجاً وأخذ يحل محلها وضع الجثة أولا فى سلة من البوص المجدول ثم توضع بعد ذلك فى تابوت حقيقى مصنوع من الفخار أحياناً وغالباً يكون مصنوعاً من ألواح كما سبق . وكانت عادة دفن عدد عظيم من الأجسام فى حفرة واحدة ؛ محصورة فى عهد ما قبل الأسرات القديم وقد لوحظ أحياناً أن الصياد كان يدفن بجانبه كلاب صيده

هيئة وضع المتوفى فى القبر

وكان المتوفى سواء أكان غنياً أم فقيراً يوضع فى القبر مقرفصاً على جانبه الأيسر اللهم إلا بعض شواذ كما شوهد فى العمرة حيث وجدت بعض الأجسام موضوعة على الجانب الأيمن لسبب مجهول ؛ وفى العادة كانت توضع الأجسام متجهة من الشمال إلى الجنوب أى فى الجهة الموازية لسير ماء النيل . وفى أغلب الأحيان كانت الرأس توضع فى الجهة الجنوبية وهناك بعض شواذ كثيرة لهذه القاعدة . وقد فسر بعض علماء الآثار سبب وضع الجثة مطوية فى القبر بأنها الحالة الطبيعية التى ينام بها الأنسان عادة وقد فسرها آخرون بطريقة علمية مقبولة أكثر من السابقة هو أن الجنين يكون بهذا الوضع فى بطن أمه ولكن الظاهر أن المصرى لم يفكر لا فى هذا التفسير ولا فى ذاك بل الواقع أن المصرى ربما كان قد تعود دفن الجثة من بادىء الأمر فى مكان ضيق اقتصاداً ثم أصبحت عنده عادة دفن الجثة بهذا الشكل فلم يتخلّ عنها حتى بعد أن أصبح المكان متسعاً والمصرى فى كل أطوار حياته عبداً لعاداته . وقد لوحظت بعض ظواهر غريبة فى بعض المقابر يجدر بنا الأشارة إليها . ومن ذلك

عثر على عدد من الأجسام منفصلة عظامها وليست موضوعة فى ترتيبها الطبعى مع أن كل الدلائل تدل على أن القبر لم يمس منذ الدفن وقد فسر بعض العلماء ذلك بأن هذه الأجسام مزقت بعد الموت أو قبل الدفن ، وقد أنكر بعضهم تلك العادة على المصريين ، ولكن من جهة أخرى عثر فى «دشاشة» التى يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات الحديث على مقابر سليمة لم تمسها يد إنسان ووجدت فيها الأجسام منفصلة عظامها عن بعضها ثم لفت فى الكتان الذى وجد أنه لم يمس بعد فى العصور التى تلت ، وذلك مما يدل على أن فصل العظام كان شائعاً فى عصر ما قبل الأسرات ، ومن المستبعد جداً أن لحمها كان يأكله الأنسان كما ادعى بعض العلماء .

تمزيق الجسم قبل الدفن

وربما كان أغرب ما أظهرته لنا مقابر ما قبل الأسرات وجود عدد لا يستهان به من الأجسام ؛ فيها الجزء الأمامى من عظم الساعد مكسور . وقد ذهبت العلماء فى تفسير ذلك مذاهب شتى ولم تقتصر هذه الظاهرة على الرجال بل وجدت فى النساء أيضاً والتفسير الذى يقبله العقل بعض الشىء أنه ربما كان هناك سبب جنازى يدعو لهذا الكسر الذى كان يحدث بعد الموت بلا شك ، أما السبب الذى دعا للكسر فسيبقى بدون تفسير على الأقل الآن .

كسر عظم الساعد قبل الدفن

وتدل نتائج الحفائر التى عملت فى عصر بداية المعادن أو عصر ما قبل الأسرات على أن المصرى كان قد بلغ شأواً بعيداً فى المدنية وأنه قد وصل إلى درجة جعلت بينه وبين عصر الوحشية هوة سحيقة ، ومهما نظرنا

إلى صناعته فى أى عهد من عصر بداية المعادن فانا نجده قد وصل إلى مستوى يجعله فى مصاف المتمدينين فقد كان فى هذا العهد كما كان أجداده فى العصور السالفة من أمهر الصناع والفنانين فى عمل الظران. وقد كان عصر بداية المعادن يمتاز باستعمال الظران والنحاس لصنع آلاته وحليه جنباً إلى جنب. وتدل البحوث على أن صناعة الظران كانت شائعة الاستعمال فى عصر البدارى وفى عهد ما قبل الأسرات القديم أى إلى عهد التابع التأريخى ٤٠ وأحياء هذه الصناعة التى بدأت فى العصر السالف استمر راسخ القدم بظهور السكاكين ذات الوجهين والسكاكين المصنوعة ذات الطرف المستدير؛ هذا إلى ظهور رءوس الحراب ذات الساق وكانت تصنع من شظايا غير منتظمة الشكل، ولكن بعناية؛ وكان النحاس فى هذا العهد لا يزال مادة نادرة الوجود ولا يستعمل إلا فى صنع الآلات ذات الحجم الصغير كالدبابيس التى كانت تستعمل لشبك الجلود بعضها ببعض، والأبر والكلاليب، والخطاطيف والمقاشط والمقصات. ولم يكن هذا المعدن يستعمل فى حالته النقية بعد، أما الآلات التى كانت تصنع منه فكان يحصل عليها بالطّرق.

استعمال النحاس والظران جنباً لجنب

ومنذ التأريخ التابعى ٤٠ أخذت صناعة الظران تتقهقر أمام صناعة النحاس، التى بدأت تزداد تدريجاً حتى أصبحت معظم الآلات التى يستعملها الأنسان فى حياته اليومية تصنع من هذه المادة.

سيادة استعمال النحاس منذ التأريخ التتابعى ٤٠

والواقع أن أهم ظاهرة بارزة فى مدنية ما قبل الأسرات هى اكتشاف

معدن النحاس واستعماله فى معدات الأنسان فى معظم مرافق الحياة وذلك على الرغم من وجود الذهب والفضة وأن كانت الأخيرة نادرة ، هذا إلى أن الحديد المطروق قد ظهر كذلك فى هذا العصر واستعمل فى صنع خرز أنبوبى الشكل ولكنه كان نادراً أيضاً . ولذلك كانت قيمته عظيمة لدرجة أنه كان ينظم فى القلائد الغالية مع حبات الذهب . ولكن النحاس كان فى هذا العصر « ملك المعادن » . ولذلك نتساءل من أين أتى هذا المعدن وكيف كشفت مادته أولا ؟ والظاهر أننا مدينون بكشف النحاس واستعماله لأول مرة إلى إنسان مصر فى عهد ما قبل الأسرات . على أن طريقة كشفه ليست واضحة لدينا ولا ترتكز على أساس تاريخى ، والمحتمل جداً أنها جاءت بطريق الصدفة المحضة إذا قبلنا أحدى النظريتين اللتين فرضهما كل من الأستاذ « إليت سمث » والأستاذ « برستد » . وقد عزا كل منهما السبب فى كشف معدن النحاس إلى استعمال المصرى مادة التوتية (نترات النحاس) التى سبق أن تكلمنا عنها وهى مادة كانت توجد فى معظم القبور المصرية فى هذا العصر ومعها لوحة من الأردواز لتطحن عليها قطع التوتية وكان يستعمل لطحنها حصاة كبيرة من الحجر الصلب . وكان الغرض من وجودها مع المتوفى أن تكون مادة للزينة ودواء للعينين لحفظهما من تأثير أشعة الشمس فى الصحراء وقد استعملها الرجل والمرأة على السواء لهذا الغرض .

ظهور الحديد فى هذا العصر

كيف اكتشف معدن النحاس

أما نظرية الأستاذ « برستد » فى اكتشاف النحاس فأنه تصور المعدّن

المصرى فى شبه جزيرة سينا قد وضع رحله فى مكان ؛ واتفق أنه أوقد ناره على قطعة من النحاس الغفل (التوتية) الذى كان مبعثراً بكثرة هناك ، وفى الصباح عندما كان يريد كنس بقايا موقده وقع نظره على قطع صغيرة من مادة لها بريق ولمعان . وبالطبع كانت هذه القطع الصغيرة ما أنتجه اختلاط النار بالمعدن الغفل . ومن هذه اللحظة علم المصرى أنه يمكنه الحصول على هذا المعدن بصهر حجر التوتية فى النار . وبهذه الكيفية يقول الأستاذ (برستد) إن الأنسان المصرى تعلم لأول مرة فى حياته كيف يمكنه أن يحصل على معدن أصبح بوساطته يضرب بسهم صائب فى الصناعات وفى الهندسة .

نظرية الاستاذ « اليت سمث » فى اكتشاف النحاس

أما الأستاذ « اليت سمث » فأنه يعزو هذا الكشف إلى زوج المعدن فيقول أن المعدّن قد جلب معه حجر التوتية من شبه جزيرة سينا إلى بيته ، واتفق صدفة أن زوجته كانت تستعمل عجينة من هذا الحجر لتجميل وجهها ، ولكن حدث أن سقطت هذه العجينة من يدها وهى أمام الموقد فى النار ، والظاهر أن ناره كانت متأججة فلم يمكنها إنقاذ عجينتها . وفى اليوم التالى عندما كانت تنظف بقايا نار أمس فى الموقد لتجهز الأفطار ، وجدت لدهشتها أن قطعة عجينة التوتية التى سقطت منها بالأمس قد اختفت ، ولكنها فى الوقت نفسه وجدت بعض قطع صغيرة من معدن لونه أحمر جميل مما جعلها تنسى خسارة أمس ، لأنها وجدت بدلا منها مادة أخرى جديدة تخلفت من حرق التوتية يمكنها أن تستعملها فى صنع أدوات زينة جديدة .

وقد كان من نتائج هذا الكشف العظيم ، أن أخذت صناعة الظران منذ تأريخ التتابع ٤٠ تتقهقر أمام صناعة النحاس التى أخذت فى الانتشار والتحسن السريع ، فأصبح يصنع منها معظم الآلات التى كان يستعملها أنسان هذا العصر ، ومن المدهش أنه كلما كان يقل استعمال الظران فى مهام الحياة كلما أخذ الصانع فى تحسين الآلات التى كان يستخرجها منه ، وربما كان السبب فى ذلك أنها كانت تعد فى هذا الوقت أدوات زينة وكماليات . وبجانب هذا الظران الفاخر المتقن الصنع كانت تستعمل حصوات معينة الشكل (الزلط) يهذب أحد طرفى الواحدة منها ويرهف ، ولكن فى العصر نفسه أخذ النحاس يحل محل الظران بكثرة مضطردة فى عمل آلات الحرب ، ورغم النهب المنظم الذى حدث فى مقابر هذا العصر للحصول على المعادن والأشياء الثمينة ، فأنه عثر فيها على مقصات ، وقدم وأزاميل ، وخناجر ، وخطاطيف من النحاس ، وقد عثر كذلك على فأس ذات وجهين يرجع عهدها إلى الرقم ٨٠ من تأريخ التتابع مما يثبت استعمال المعادن بدرجة عظيمة فى هذا الحين .

سبب تحسن آلات الظران

شيوع استعمال النحاس فى صنع الآلات

أما صناعة النسيج التى ظهرت بوادرها فى العصر النيوليتى ، فأنها أخذت تنمو وتتقدم منذ بداية عصر استعمال المعادن ، وبقايا الأقمشة التى عثر عليها فى مقابر البدارى لا تزال خشنة الصنع ساذجة ، ولكنها فى الوقت نفسه كانت صلبة منظمة النسج . وهذه الأقمشة كانت تصنع ملابس ، هذا إلى أن صناعة الجلود أخذت فى التقدم . أما صناعة النجارة الدقيقة فى هذا

صناعة النسيج

العصر، فلم يبق منها إلا بقايا لا تكاد تذكر ، ولكن رغم ذلك فأن آثار أخشاب الأسرّة التى عثر عليها فى البدارى ، وبقايا توابيت عصر ما قبل الأسرات المتوسط والآلات النحاسية التى ظهرت خلال رقم ٥٥ من التأريخ التتابعى ، كل هذه الأشياء تدل على انتشار هذه الصناعة لتزيين مساكن عصر بداية المعادن .

صناعة الفخار

ومن أهم مميزات عصر بداية المعادن صناعة الفخار، إذ بلغت قمتها فى مصر . ولم يكن هناك منافس للفخار فى هذا العهد إلا الأوانى التى كانت تصنع من الأحجار الصلبة، غير أنها لم تكن منتشرة بل فى الواقع كانت نادرة وذلك لأنها ثمينة . وفى الحق كان أنسان هذا العصر يصنع أوانى من الفخار غاية فى الدقة تدل على سلامة الذوق والمهارة الفائقة . وقد كان نمو أشكال هذا الفخار وتعدد زخرفته المتنوعة الأساس دعامة بنى عليها « فلندرز بترى » نظريته التى أطلق عليها التتابع التأريخى كما أسلفنا. وقد جاء اكتشاف جبانة البدارى منذ عهد قريب مكملا للحلقة الناقصة فى هذا التتابع .

كيفية صناعة الفخار ذى الحافة السوداء

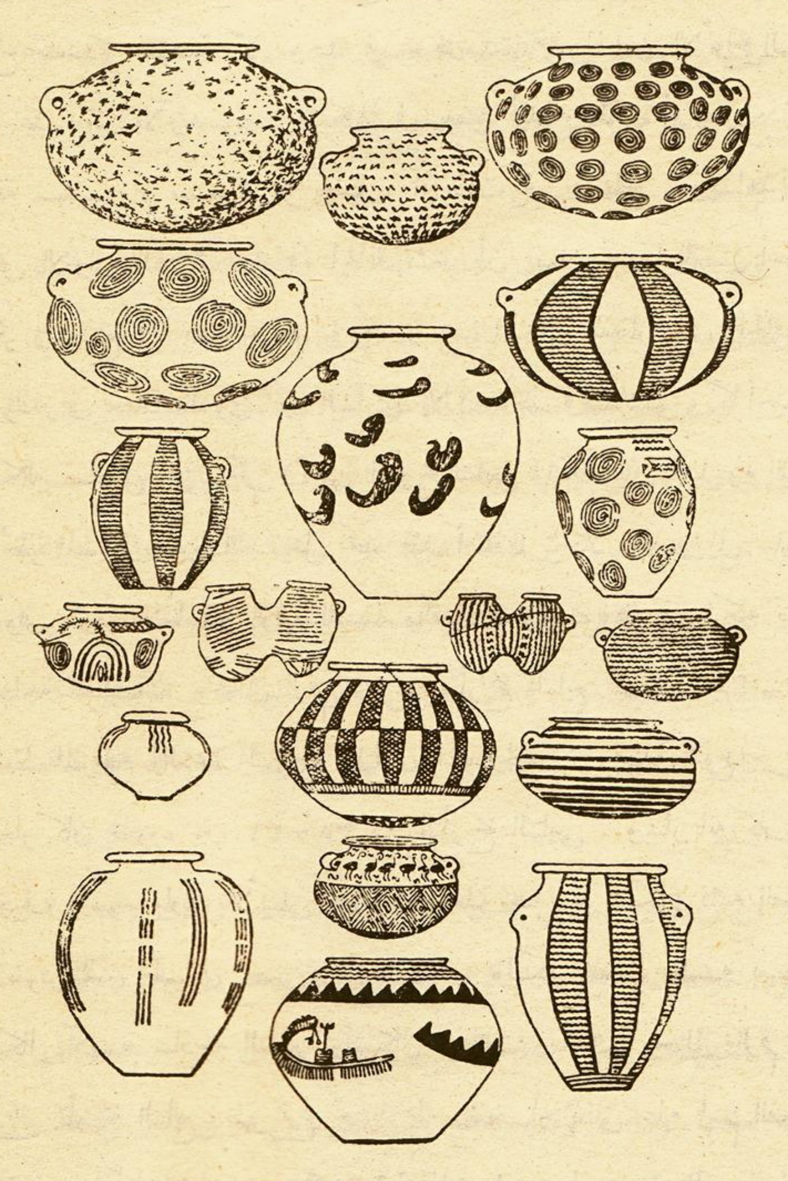
ويمتاز فخار البداري الذى حدد « فلندرز بترى رقم ٢٠ – ٢٩ بوجود خطيطات متوازية تكون أحيانًا دقيقة الصنع وأحيانًا تكون خشنة وهذه الخطيطات تغطى سطح الأناء . ومعظم الأوانى التى وجدت فى هذه الجهة حافتها سوداء . وكان يصنع الأناء باليد من غرين النيل المخلوط بالرمل ثم يوضع منكفئًا على موقد فحم متأجج ، فكان الجزء الخارجى من الغطاء

المدفون فى الفحم المتقد ، وكذلك الجزء الداخلى من الأناء يتغير لونهما من فعل غاز الأكسيد إلى أسود لامع جميل ، ولم يوجد من فخار البدارى أنواع متعددة متنوعة كما وجد فى « مرمدة » ، إذ أن الأنواع التى عثر عليها إلى الآن تنحصر أشكالها فى بعض أقداح طويلة أو قصيرة ذات حافة مستقيمة أو مستديرة أو بيضية ، أو ذات قعر مسطح . ويشاهد فى بعض الأوانى النادرة حز فى الحافة يشعر بأن إنسان هذا العصر أخذ يفكر فى صنع أناء ذى عروة . وقد استمر استعمال الفخار ذى الحافة السوداء فى جهات أخرى غير البدارى إلا أنه أخذ فى التلاشى ، كما أخذت أشكاله تستطيل حتى رقم ٤٠ من التأريخ التتابعى . أما الفخار الجميل ذو اللون الأحمر المصقول الذى أخذ يحل محله ، فقد أضاف شكلاً جديداً إلى سلسلة الأوانى ، وهو الأناء ذو الرقبة الضيقة والقعر المستوى وهو فى شكله يشبه الزجاجة الحالية . وحوالى الرقم ٣٥ من تأريخ التتابع ظهرت الجرة ذات الوسط المفرطح والعروة المتموجة والرقبة ذات الحافة . وهذا النوع من الفخار كان ظهوره بين ٣١ – ٣٥ من التأريخ التتابعى . ويمتاز بأنه كان يزخرف برسوم ملونة بالأبيض تدل على حلية هندسية الشكل تشبه الفخار الأسود الذى ظهر فى عصر « ديرطاسا » ، ولكن ظهرت عليه بعض أشكال آدمية ساذجة الصنع ، وأشكال حيوانات ونباتات . وحوالى الرقم ٤٠ من تأريخ التتابع ، ظهر نوع جديد من الفخار يطلق عليه اسم الفخار المزخرف . وكان يصنع من عجينة نقية ذات لون صاف . ويمتاز بفرطحة

أشكال أوانى الفخار فى عصر البدارى

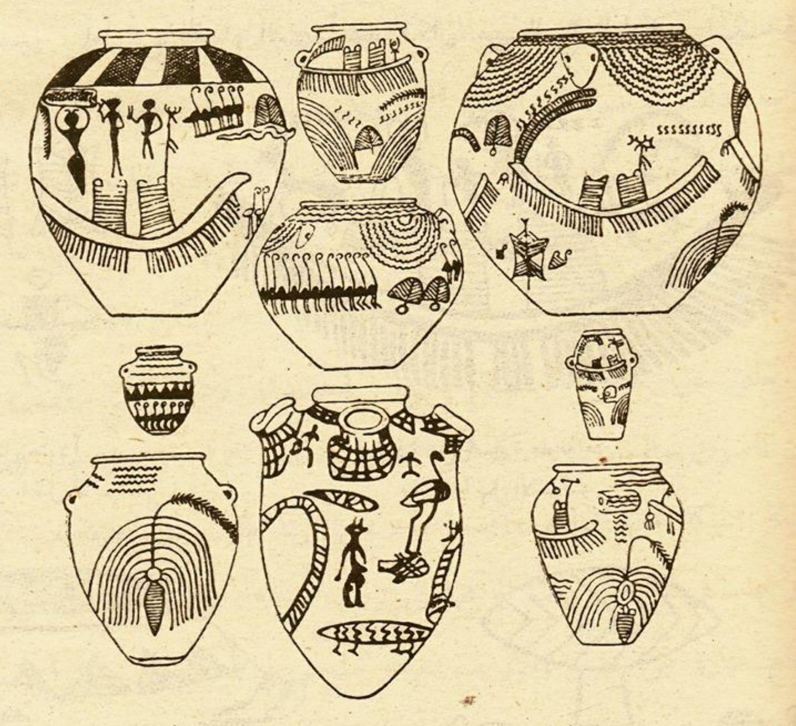
رسم الانسان والحيوان على الفخار

وسطه وقصر رقبته ، وفى معظم الأحيان تكون له حافة . أما قعره فستو.
وكانت رقبته مزخرفة بخطوط بنفسجية شديدة السمرة . وكذلك كانت

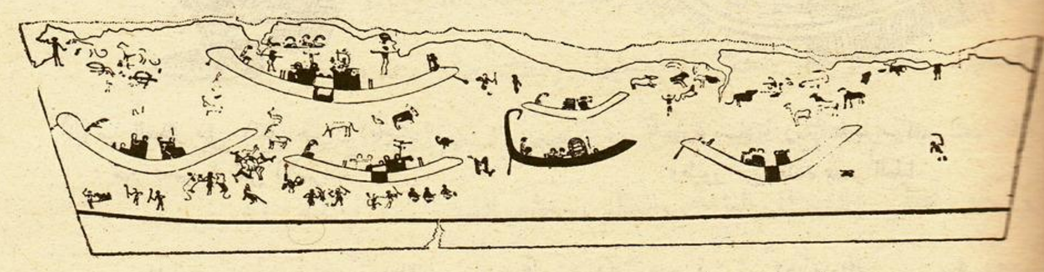


فخار ملون من طوخ (الوجه القبلى)

ترسم عليه أشكال حلزونية . ربما كانت تقليداً للأشكال الطبيعية التى تشاهد على الأوانى الحجرية الصلبة . وكان يرسم عليها كذلك أشكال شجر ، وجماعات من الناس . وحيوانات من ذوات الأربع . وطيور طويلة السيقان ،



فخار ملون من عصر ما قبل الاسرات



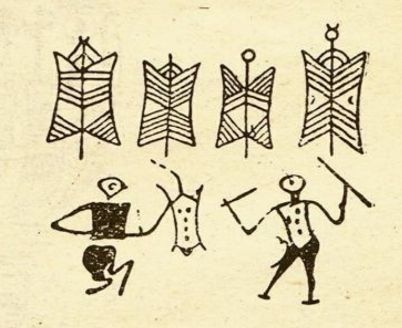
منظر ملون عثر عليه فى الكاب بالوجه القبلى يرجع إلى ما قبل الاسرات

رسم السفن على الفخار

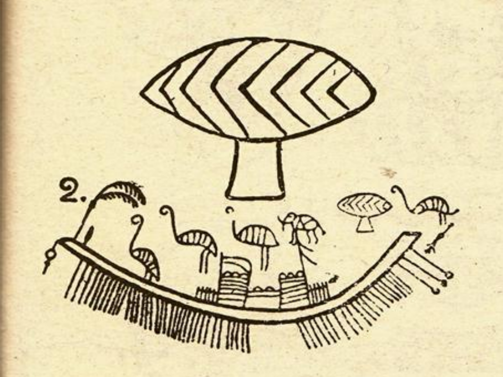
وخطوط متموجة تمثل المياه . وقوارب مجهزة بمجاديف ، فى وسطها حجرتان عليهما شارة ؛ وهـذا النوع من الفخار استمر حـتى الرقم ٦٥ من تـأريخ التتابع . .وباختفائه انتهى عصر الفخار الذى كان يتخذ للزينة وكماليات الحياة فى مصر أما نوع الفخار الذى أعقبه فكان من النوع العادى ، ولـكنه فى



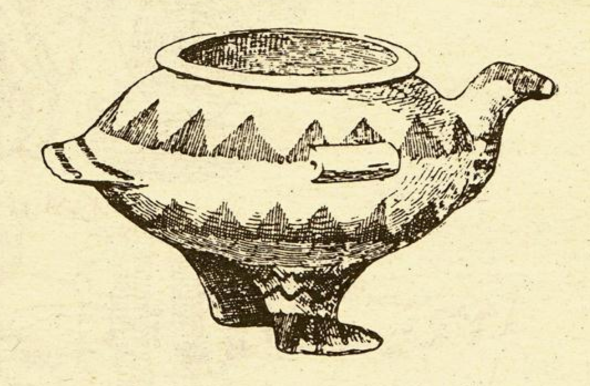
صورة على فخـارة ملونة من مقابر ما قبل الاسرات



رسم على فخار ملون يمثل جنوداً بسلاحهم وزردهم من عصر ما قبل الاسرات



فخـارة مـلونة رسم عليها مركب وطيور من نقادة بمصر العليا



أناء من الفخار على شكل حيوان (طير) من عصر ما قبل الاسرات

الوقت نفسه أخذ فى التدهور شيئاً فشيئاً حتى أصبح لا يختلف عن فخار

العصر التاريخي العادى الصنع .

أما صناعة المينا الزرقاء والخضراء فترجع إلى أول عصر بداية المعادن وكانت تصنع بخليط من البلور الصخرى المطحون والجير والبوتاس ، وكربونات النحاس . وكانت كل هذه المواد تخلط ببعضها حامية ثم تسحق فى الماء وبعد ذلك تصب على القطعة التى يراد طلاؤها ؛ ثم توضع فى الفرن . وهذه الطريقة لم تكن مستعملة فى عهد البدارى إلا لطلاء قطع صغيرة من الخرز المصنوع من البللور الطبعى . أو من حجر ستايتيت . وفى عهد ما قبل الأسرات القديم اخترع للمينا مسند خاص ؛ به يمكن الحصول على ما ما يطلق عليه خطأ القيشانى المصرى (فيانس) . وذلك بأن يؤتى بكمية من الصوان والرمل أو الكورتس المطحون طحناً ناعماً . ثم تغطى هذه العجينة بطبقة سميكة من المينا . وأقدم قطعة من المينا طليت على طبقة من الرمل عثر عليها فى نقادة . ويرجع تاريخها إلى الرقم ٣١ — ٣٩ من تأريخ التتابع . وهذه القطع عبارة عن خرز وتعاويذ صغيرة الحجم على هيئة طيور . وقد استعملت الطريقتان جنباً إلى جنب . غير أنهما لم تستعملا فى أخراج قطع هامة إلا فى العهد الطينى ، ولم تستعمل فى عصر بداية المعادن إلا فى صناعة القطع الصغيرة ، أو تزيينها بلصق المينا عليها . وذلك منذ عهد ما قبل الأسرات المتوسط ، ولم يكن ذلك قاصراً على حجر الكورتس ، وحجر ستايتيت ، ولكن تخطى ذلك إلى العاج ، والعظم ، وحجر الشيست ، والحجر الجيرى ، وعلى العموم كان يستعمل مع كل المواد التى كانت تستخدم فى

ظهور المينا وكيفية صناعتها

كيفية صناعة القيشانى واستعماله

فن النحت .

استعمال المينا فى الفخار فى العهد الرومانى فقط

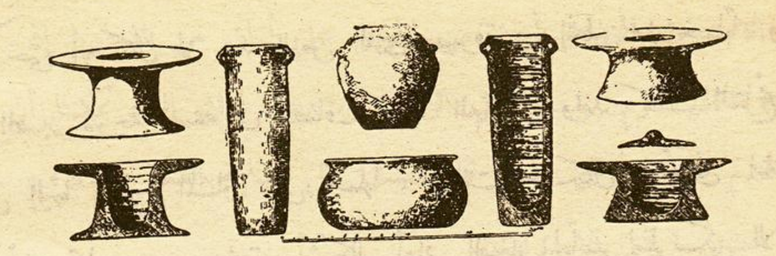
ولما كانت المينا من الأشياء الكمالية . لم يستعملها المصرى قط فى الفخار الذى كان يعد فى نظره مادة حقيرة . وقد بقى الحال كذلك حتى عهد الرومان ، إذ ظهر وقتئذ استعمال المينا مع الفخار .

معرفة الزجاج

وكان كشف صناعة المينا الزجاجية أول خطوة نحو صنع الزجاج الذى لم تختلف صناعته عن صناعة المينا إلا بعدم استعمال مسند تصب عليه المينا . والواقع أن المصريين عرفوا الزجاج فى العهد الفرعونى . ولكنهم لم يعرفوا قط صناعته إلا فى حالة عجينة مطحونة . ولم يعثر على قطع من الزجاج إلا بعض خرزات ، وقطعة واحدة مطحونة يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات . وهذه القطعة عبارة عن دلاّية « بندنتيف » زرقاء اللون تشبه اللازورد . ويرجع عهدها إلى الرقم ٤١ من تأريخ التتابع .

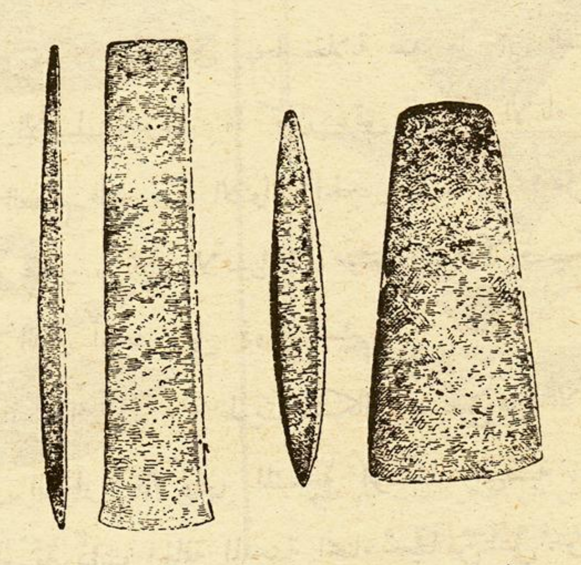
استعمال الاوانى الحجرية وأشكالها

وفى هذا العصر أخذت صناعة الأوانى الحجرية تتقدم تقدماً محسوساً . وقد عثر فى الوجه البحرى على أوان من الحجر يرجع عهدها إلى عصر مرمدة بنى سلامة بعضها مصنوع من حجر البازلت على هيئة هاون ، ولم يعثر على مثلها قط فى عصر البدارى ، ولكنها ظهرت فى عهد ما قبل الأسرات القديم . فكشف عن أوان أسطوانية الشكل ذات قعر مستدير ، وأوان أنبوبية ذات قعر مستو ، وعلى أقداح عظيمة ذات جدران منخفضة مصنوعة من الحجر الجيرى اللين ، ومن المرمر والبازلت والجرانيت الوردى . وهذه الأوانى كانت نادرة فى عهد ما قبل الأسرات القديم ، ولكنها



أوان من الحجر عثر عليها فى العمرة (الوجه القبلى)

أخذت تزداد فى العدد على مر الأيام ، وربما كان السبب فى ذلك كشف النحاس الذى كانت تعمل منه الآلات اللازمة لتفريغ هذه الأوانى .



بلط نحاس من عصر ما قبل الاسرات عثر عليها فى مصر

ولقد كان الصانع المصرى يصنع أوانيه من حجر الديوريت وحجر البرفير، وحجر البريشية التى تعد من أصلب الأحجار وأعصاها . بقلب فرح متذوقا

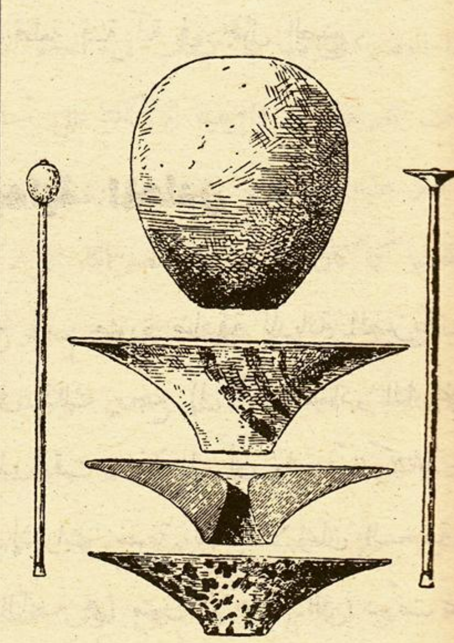
عمله حتى أنه كان لا يعد للزمن الذى يصرفه فى إنجاز عمله حساباً . ويظهر من الصبر درجة تضعه فى مصاف مهرة العمال . ولقد كانت النتائج التى وصل إليها تضارع المشاق التى تحملها ، وكانت أشكال الأوانى الحجرية التى أخرجتها يده مقلدة أشكال أوانى الفخار المعاصر ولم تكن الأخيرة بلغت من حسن الشكل والذوق أكثر مما كانت عليه فى هذه الفترة . ولم تكن عجلة صانع الفخار معروفة بعد . ولكن مع ذلك كانت الأوانى التى تعمل باليد على درجة عظيمة من حسن الشكل والدقة ، ولذلك كانت الأوانى الحجرية التى نحتت عل هيئتها آية فى الجمال . هذا إلى أن جمال الحجر الطبعى ولونه كان يظهر فى بهجة خلابة عند ما كان الفنان ينجح فى صقل سطح الأناء ، وعند ما كان يرقق جدران الأناء حتى يصبح شفافاً . وعلى العموم فأن هذه الأوانى الحجرية ربما تعد أجمل الأشياء التى بقيت لنا من عصر ما قبل الأسرات ، وتعد شاهداً فصيحاً على المهارة الفنية للجنس الذى أنتجه وعلى ذوقه السليم .

تقليد أوانى الفخار فى الاوانى الحجرية

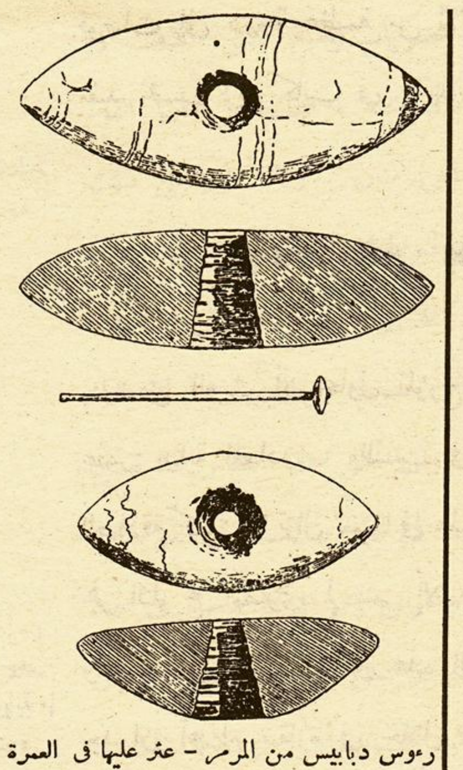
وفى التأريخ التتابعى ٤٠ ظهرت أشكال جديدة من الأوانى الحجرية تقابل أشكال الفخار كالأوانى المنبعجة الوسط . والبيضية ، والمستديرة ، والأقداح العميقة ذات الحافة المنحنية انحناء خفيفاً من أعلى . وهذه الأشكال الجديدة ليس لها حوامل (أرجل) . بل قعرها إما مستدير أو مستو . وقد أخذت صناعة الأوانى من الحجر الصلب تزدهر وتتقدم كما سبق ذكره حتى وصلت القمة فى عهد الأسرة الأولى . ولم نعثر فى القبور التى من

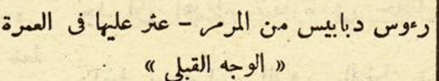
صناعة أوانى الحجر قضت على صناعة الفخار

قبل الأسرات المزودة بأوان من الحجر على أوان من الفخار . إذ كانت تعد فى نظر القوم من الأثاث الرخيص . ومنذ ذلك العهد يمكننا أن نفهم أن تقدم صناعة أوانى الحجر قد قضت على صناعة الفخار المزخرف حوالى نهاية عصر ما قبل الأسرات .



رءوس دبابيس من الحجر الصلب عثر عليها فى العمرة « الوجه القبلى »





رءوس دبابيس من المرمر — عثر عليها فى العمرة « الوجه القبلى »

ويتبع صناعة أوانى الحجر الصلب صناعة رءوس الدبابيس التى كانت تستعمل فى الحرب ، وكانت كذلك من الحجر الصلب . وهذه الرءوس كانت تثبت فى مقابض مصنوعة من قرون الحيوان أو من العاج . وأقدم

صناعة رءوس الدبابيس

نوع من هذه الرءوس عثر عليه فى الوجه القبلى ، وكانت على شكل أقراص ، واختفت فى عهد الرقم ٤٠ من تاريخ التتابع ليحل مكانها النوع الجديد الذى جاء على هيئة كمثرى ، ولا شك أنه جلب من الوجه البحرى إذ كان معروفاً فى عصر مرمدة ، وبعض هذه الرءوس قد أحكم صنعها فوصلت إلى درجة عظيمة من الأتقان الفنى ، حتى أنها لم تقم مقام سلاح مفيد فحسب ؛ بل كانت فى ذاتها قطعة فنية آية فى جمال الصنع .

ديانة عصر بداية المعادن

من العبث أن يحاول المؤرخ رسم صورة صادقة للديانة المصرية فى عصر بداية المعادن ، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن المصادر التاريخية الصادقة كانت لا تزال تعوزنا فى هذا الوقت ، هذا إلى أن ما دوّن كتابة فى فجر التاريخ المصرى لم يشر إلا إشارات خفيفة لتلك الأزمان السحيقة .

الاشارة فى متون الاهرام إلى ديانة ما قبل الاسرات فى الوجه البحرى فقط

وأهم مصدر وصل إلينا فى هذه الناحية هى متون الأهرام التى دوّنت على جدران أهرام سقارة فى خلال الأسرتين الخامسة والسادسة ، وذلك فى داخل حجرات الدفن للملوك فحسب . ورغم أن هذه المتون تشير إلى ديانة ما قبل الأسرات ، غير أنها تنحصر فى ديانة الوجه البحرى التى ألفت فيه المتون المذكورة هذا إلى أنها كانت خاصة بالملوك لا بعامة الشعب وسنتكلم عن ذلك بأسهاب فى حينه .

أما المصدر الثانى الهام الذى نرتكز عليه فى استنباط ديانة هذا العصر، فهو الكشف الأثرى فى الوجه القبلى وفى الدلتا .

وما كشف من الآثار إلى الآن يدل على أن مدنية الوجه البحرى أعرق فى القدم من مدنية الوجه القبلى .

وإذا كانت الأمور تقاس بأشباهها فأن محتويات المقابر التى كشفت فى هذا العصر بمقارنتها بما كشف فى العصور التاريخية ، يدل على أن القوم كانت لهم معتقدات دينية ترتكز على أساس متين . ولا أدلّ على ذلك مما عثر عليه فى جبانة عصر البدارى من الحيوانات التى عنى بدفنها بعد تكفينها كما كان يحدث فى العصر التاريخى . فمثلا وجدت أولاد آوى ، وثيران، وكباش ، وغزلان ، ملفوفة فى حصير أو فى نسيج من التيل ، مما لا يترك مجالا للشك فى أنها كانت تقدس ، وتعبد ، وأن أهل هذا العصر قد نقلوا عبادتها إلى العهد التاريخى . وكذلك وجدت فى مقابر البدارى تعويذات مصنوعة من العظم تمثل رءوس غزلان ؛ وجاموس بحر ؛ كما وجد فى عهد عادة بعض أعلام مرسومة على أوانى فخار ويحمل كل منها صورة حيوان أو شعاراً ؛ كان لا بد يستعمل بمثابة صورة أو رمز لأله خاص . ومن المحتمل جداً أن هذه الرموز الدينية تدل على أقسام سياسية للبلاد فى هذا العصر .

عبادة الحيوان فى عصر البدارى

وجود تعاويذ فى مقابر هذا العصر وكذلك رموز ربما كانت لآلهة

ومن أهم الأدلة على اعتقاد القوم فى هذه الأزمان السحيقة بأن الأنسان سيعيش كرة أخرى فى قبره ما يلاحظ فى ترتيب الأدوات التى

الاثاث المأتمى يدل على البعث ثانية

كانت توضع معه ، ويمكننا أن نستنتج أن المواد الغذائية التى كانت توضع بالقرب من الجثة ، وكذلك بعض أدوات الزينـة وبعض الآلات ، كان لا بد للمتوفى أن يستعملها فى حياته الثانية فى القبر كما كان يستعملهـا فى حياته الدنيا بكل مظاهرها ولوازمها .

كيفية وضع المتوفى فى القبر

وقد ذكرنا فيما سلف أن جثة المتوفى كانت توضع فى لحدها ورأسها متجهة نحو كوخ أسرته التى غادرها ، وربما كان الباعث على ذلك رغبته حسب اعتقادهم فى أن يرى باستمرار أملاكه الدنيوية وأخلافه من بعده ، ويعزز هـذا الرأى ما نشاهده فى قبور العصر التاريخى ، إذ نجد أن المتوفى فى خلال الأسرة السادسة كان يرسم خارج تابوته الخشبى عينين تدلان على مكان وجود رأسه ، وكان فى مقدوره أن يرى كل ما يحيط به فى العالم الدنيوى بهما .

استعمال السحر فى هذا العصر

فى خلال هذا العصر عثر كذلك على بعض دمى لنساء وخدم ، وحراس نصبت خلف جدار القبر ، هذا إلى مراكب صغيرة معها شبكها ، ومعداتها ، وحيوانات متوحشة وأليفة . كل هذه الأشياء قد أهديت للمتوفى ووضعت معه فى القبر ليستعملهـا فى حياته الآخرة بوساطة رقى سحرية ، ولا نزاع فى أن إنسان هذا العصر كان يستعين بالسحر لاستخدام هـذه التماثيل الصغيرة فيقلبها إلى حقيقتها ، وهذا بالضبط ما وجد فى العصر التاريخى فى معتقدات القوم الجنازية :

على أن هناك عادات فى الدفن عثر عليها فى عصر ما قبل الأسرات ،

ولكننا لم نعثر عليها فى عادات العصر التاريخى إلى الآن ، ولذلك ستظل سراً غامضاً إلى أن نعثر على نظائرها ، فمنها أنه عثر على هياكل عظمية فى مقابر لم تمس بعد ، لم تكن مدفونة بحالتها الطبيعية ، وقد ظن بعض العلماء أن الأجسام التى وجدت بهذا الشكل ، قد فصل عظام كل منها عن بعضها بعد الموت أو قبل الدفن ، حتى أن بعضهم ظن أن لحمها كان يؤكل ، ولكن ذلك الرأى لا يخرج عن مرتبة الخرافة المحضة .

عادة فصل لحم المتوفى عن عظامه قبل الدفن

وقد عثر فى دشاشة فى مقابر لم تمس بعد من الأسرات الأولى على بعض أجسام مفصولة عظامها عن بعضها ثم لفت فيما بعد فى نسيج من الكتان ، ومن المحتمل جداً أن هذه العادة قد ورثها أهل الأسرات من قوم ما قبل الأسرات ، ولم يعرف تفسيرها حتى الآن .

على أن أغرب عادة وصلت إلينا من عصر ما قبل الأسرات هى كسر ساعد المتوفى ، وقد وجدت هذه الظاهرة فى النساء والرجال على السواء ، ولا شك أن ذلك يرجع إلى اعتقاد دينى لا نعرفه ، ولا ندرى ماذا تخبىء لنا أرض مصر فى جوفها من مثل هذه العادات والمعتقدات التى لا يمكن أن نصل إلى حلها إلا بنظائرها فى العصر التاريخى .

عادة كسر ساعد المتوفى

الفن

من الأمور البديهية فى حياة الأمم ، أن الفرد يهتم أولا بالحصول على

حاجياته الضرورية ، ثم بعد ذلك يتطلع للكماليات واقتنائها ، فلا غرابة إذن :
إذا كنا نجد أنسان العصر الحجرى الحديث منصرفاً بكل قواه لأنشاء
الصناعات اللازمة لحياته المنزلية ، ولم يفكر فى التفنن فى صنعها ، لذلك نجد
أن حلى أهل هذا العصر الساذج كانت خالية من كل ذوق فنى . ولما
دخل فى عصر بداية استعمال المعادن وارتقى فى معيشته بعض الشىء ، بدأ
يتفنن فى صنع متاعه وحليه . ولا غرابة فى ذلك ما دامت قراه ومدنه التى كانت
تزخر بالمعدات ، قد أخذت الكماليات تجد محلا بين سكانها ، ومن هنا نشأ الفن .

كيف نشأ الفن

ومن المحتمل جداً أن تكون أول فكرة فنية قد نبتت فى الوجه البحرى ،
وظواهر الأمور تشجع على احتمال هذه النظرية ، ولكن للأسف تعوزنا هنا
المستندات كلية حتى الآن . أما فى الوجه القبلى فالأمر على عكس ذلك ،
إذ أظهرت لنا حفائر البدارى جليًا تدل على بداية ذوق فنى أخذ يتحقق
على مر الأيام تدريجًا ، إذ عثر هناك على قلائد منظومة فى خيوطها حبات
من الفيروز يتخللها على مسافات متساوية قطع كبيرة من العقيق ، وحجر
اليشب وحجر الحية وعثر كذلك على أحزمة مؤلفة من عدة خيوط
منظومة فيها حبات زرقاء وأخرى خضراء ، ووجدت أسورة ذات حجم
عظيم من العاج ، وأمشاط للشعر محفورة فى رقعة كل منها رءوس طيور .

القطع الفنية التى وجدت فى مقابر هذا العصر

أما أدوات الزينة التى وجدت بجوار جثث سراة القوم فى مقابرهم فأنها
محفورة فى العاج ومعظمها نماذج آوان للعطور وملاعق مستديرة أو مستطيلة
الشكل ذات أيد أسطوانية ، وتنتهى كل يد برأس حيوان أو ما يشبهه ،

ورغم سذاجة هذه الأدوات وبساطتها فأنها تدل على ذوق حقيقى .

ولم يفكر المصرى فى عمل التماثيل إلا لضرورة ملحة ، وذلك أنه كان يعتقد فى حياة ثانية بعد الموت. فكان يحتاج إلى وضع دمى سحرية معه فى القبر ، وأولى ما عثرنا عليه منها كان فى مقابر البدارى ، وكانت على شكل تماثيل صغيرة لنساء عاريات . فوجد هناك تمثال صغير من العاج ودميتان من الطين فى قبور فقراء القوم . وهذه الدمى بلا شك خشنة الصنع ، وبخاصة أنا وجدنا تمثيل الوجه فيها مختصراً فالعين ممثلة مستديرة . أما اليدان والرجلان فأنها صورت ممسوخة مشوهة ليس فيها من الفن شىء . ولكن لوحظ رغم ذلك أن جسم دميتين تدلان على صدق التعبير الفنى وعلى المرونة فى التصوير ، مما لم يفقه أى جسم آخر فى خلال عصر بداية استعمال المعادن .

سبب عمل الدمى

وإذا قارنا الدمى المصنوعة من العاج بالدمى المصنوعة من الطين الصلصال ، فانا نجد أن الثانية تقليد للأولى ، وكان يستعملها عامة الشعب . ولا نزاع فى أن أول من فكر فى صنع هذه الأشياء فى ذلك العصر هم سراة القوم وعظماؤهم ، ومن ذلك نعلم أن الفن بدأ فى الطبقة الراقية ، ثم قلدهم عامة الشعب . والواقع أن هذا كان طابع الفن المصرى فى كل عهوده ، حتى اندثر ، ولذلك نشاهد أن منتجات الفن لم تكن على وتيرة واحدة متساوية فى الصنع والقيمة . على أن ذلك لا يعنى أن الدمى التى انتجها الفن المصرى فى هذا العهد لم تكن فى أصلها مشبعة بالروح الشعبية ، بل الأمر

الفن يبتدىء فى الطبقة الراقية أولا

على عكس ذلك فى بعض الدمى المصنوعة من الطين التى يرجع عهدها إلى زمن سحيق . وقد وجدت أمثلة من هذا النوع فى العصر التاريخى . ومع ذلك فان هذه الدمى التى لا تشف عن روح فنية معينة لا تشغل حيزاً فى مضمار الفن المصرى اللهم إلا مجرد فكرة ، ومن أجل ذلك لا يمكننا أن نعدها من القطع الفنية التى يجدر بنا أن نعيرها اهتماماً .

(وفى الحق يجب على الذى يريد أن يتناول البحث فى الفن المصرى، أن يبدأ أولاً بفحص الأدوات الكمالية والتحف التى عثر عليها فى هذا الوقت، إذ هى المظهر الحقيقى الأول للفن المصرى، وفى خلال عصر بداية استعمال المعادن كانت المواد التى تصنع منها الأدوات الكمالية وأدوات الزينة، منحصرة فى العاج والأحجار الصلبة ؛ على أن صناعة الأحجار لم تكن بعد منتشرة ؛ لصعوبة نحتها، ولذلك كان يقتصر صنعها على الأوانى الثمينة جداً ، ومنذ ظهرت أخذت تؤثر فى صناعة الأوانى الفخارية التى كانت شائعة الاستعمال فى ذلك العهد ، وهذا ينطبق كذلك على الأوانى المعدنية فأنها أثرت على صناعة الأوانى الحجرية، بل وعلى الفخار أيضاً .

الفن يظهر فى الادوات الكمالية

(ومما لا شك فيه أن العاج كان فى هذا العصر المادة التى تصنع منها القطع الفنية، ثم تدرج بعد ذلك إلى استعمال العظم فى صنع الدمى. وقد عثر على دمى نساء عاريات وأذرعتهن ملصوقات على طول الجسم أو موضوعة على الصدر تحت الثديين المتدليين . وقد وجدت دمى للرجال عارية إلا من الكيس الذى كان يستر عضو التذكير ، وكذلك عثر على أقزام ممسوخة

الدمى العارية تصنع من العاج وغيره

الشكل وعلى ذكور ملفوفين فى عباءاتهم ولهم لحى، ومن المحتمل أن الدمى الأخيرة كانت تمثل آلهة أو ملائكة. والظاهر أنها كانت تستعمل غالبًا لزخرفة التعاويذ الكبيرة الحجم التى كانت على شكل قرن.

وقد كشف عن دمى تدل على تقدم فنى محسوس وبخاصة فى صنع العين إذ نجد فى النزر اليسير الذى أخطأه التدمير والتلف أن العين بدأت تمثل على شكل اللوزة مما يقرب من الحقيقة، غير أن الجسم الذى كانت توضع فيه كان لا يزال ينقصه مظاهر الذوق الفنى، إذ كان يصنع على طريقة ثابتة معينة متفق عليها من قبل، لكل الأجسام تقريبًا، وذلك مما يظهر لنا الفارق العظيم بينها وبين دمى العاج التى عثر عليها فى البدارى، وهى التى يلاحظ فيها الأنسان الروح الفنية. وفى هذا العصر أخرجت صناعة العاج أمشاطًا عظيمة الحجم للزينة لها أسنان طويلة ومحلاة برسوم بارزة تدل على أشباح غزلان وطيور، أو رأس آدمى له لحية، هذا إلى مشابك الشعر رءوسها مزخرفة بصور كالتى سبق ذكرها. وهذه الأمشاط كانت تستعمل خاصة فى عهد ما قبل الأسرات القديم. والظاهر أن صنعها انقطع حوالى تاريخ التتابع ٤٤.

تقدم صناعة الدمى

صناعة أمشاط مختلفة الاشكال من العاج

وفى هذا العصر كثرت صور الحيوانات فكانت تمثل بقطيعها فى الألواح الأردوازية الخضراء، وقد ذكرنا أن هذه الألواح كانت تستعمل لطحن الكحل (التوتية) لتجميل العين، وقد حلت مكان الألواح المستطيلة الشكل التى كانت مستعملة فى عهد البدارى بدون أية زينة.

المناظر التى تمثل على الواح الاردواز

أما الحيوانات التى كانت تمثل بارزة على هذه الألواح فكانت عديدة مختلفة الأنواع، أهمها الأيل، وجاموس البحر(١)، والطيور والسلحفاة والسمك. وكانت الألواح فى الغالب يخرم فيها ثقب ليمكن أن تعلق منه. وتدل البحوث الأثرية على أن استعمالها قد بطل فى نهاية عصر ما قبل الأسرات القديم. ومن ثم أخذت أشكالها تتغير تدريجًا حتى أصبحت ولا يمكن تعرفها.

ظهور الأشكال الحيوانية على الفخار

ولقد بلغ من غرام فنانى هذا العصر بالأشكال الحيوانية أنهم أدخلوها فى زخرفة الفخار، وبوساطتها أمكن تحديد عمر سلسلة من الأوانى التى على أشكال حيوانات مثل جاموس البحر، والطيور والأسماك. وقد كان تصوير كل نوع من هذه الحيوانات يمثله وهو فى حالته الطبيعية مما أعطى لها رونقًا خاصًا، غير أنه لا يمكن مقارنتها بالدمى المصنوعة من غرين النيل، التى عثر عليها فى المقابر التى كان الغرض منها أن تقوم مقام حظية المتوفى أو خادمته، وهذه كانت توجد بكثرة فى هذا العصر غير أنها كانت خشنة

تماثيل الدمى المختصرة الصنع هى طلائع التماثيل الجنازية فى العهد التاريخى

الصنع فى أحوال كثيرة، إذ نجد فى معظم الأحيان رأس الدمى تمثل بكتلة من الطين لا شكل لها. على حين أن الأعضاء الأخرى كانت لا تخرج عن كونها إشارات بسيطة تدل على مكانها فى الجسم. ولم نجد الفخذين متصلين ببعضهما. ودمى النساء ذات الأوراك الغليظة والثدى الضخمة كانت تمثل على وتيرة واحدة بطابع واحد فى كل الأجسام. ويجب ألا ننظر هنا إلى هذه التماثيل نظرة فنية إذ هى

---

(١) أو فرس البحر، ويسمى كذلك العسنت

فى الواقع تماثيل مأتمية عملت لتسد فراغاً خاصاً ، ولكنها فى الوقت نفسه مقدمة لطلائع التماثيل الجنازية التى ستوضع فى العصر التاريخى مع المتوفى . وقد وجد من بينها قطع من آيات الفن تزين الآن متاحف العالم ، مثل حاملات القرابين ، والراقصات وصانعات الجعة فى الأوانى : وبحارة السفن ، وحيوانات القرابين وأنواع الطيور ، الخ .

وقد عثر فى نفس مجموعات هذه القبور على تماثيل حيوانات أرجلها ليست منفصلة عن بعضها ، أما جسمها فيرتكز على عمودين من الطين .

ظهور أمشاط الزينة

وحوالى تأريخ التتابع ٤٠ نلاحظ أن التغير الذى ظهر أثره فى كل مرافق الحياة قد أثر على فن النحت فى العاج ؛ فنجد مثلا أن الأمشاط المزخرفة ذات الأسنان الطويلة أخذت تختفى حتى انعدمت جملة وحل محلها أمشاط للزينة ذات أسنان قصيرة كان بعضها يثبت فى مشبك طويل أسطوانى الشكل ليمسك به الشعر ، وما ذلك إلا محافظة على التقاليد القديمة فى استعمال المشط .

اختفاء زى الزخرفة فى هذا العصر

وظهر كذلك نوع جديد من الملاعق تتكون الواحدة منها من جسم الملعقة نفسها ، وكان إما بيضى الشكل أو مستديره وينتهى بيد بسيطة على شكل عصا وقصارى القول أن الزخرفة الفنية التى كانت شائعة فى العصر السابق ، أخذت تختفى . ومن الغريب أن هذا العصر الذى قضى فيه على زى الزخرفة ، قد اتفق مع الاختفاء الذى يكاد يكون كلياً لصناعة دمى العاج ودمى الطين . فلم

يبق لنا من مخلفات هذا العصر الآدمى إلا الرجل الملتحى أو الملفوف فى عباءته . ومع ذلك فأنه كان مصنوعاً صنعاً هندسياً مختصراً ليس فيـه ما يشعر بالذوق الفنى . وتدل ظواهر الأمور على أن ما كان شائعاً من المظاهر الأولى فى فن عمل التماثيل أصبح لا فائدة منه ، وأن تلوين الأوانى المزخرفة التى كانت توضع بجوار جثة المتوفى قد ضمن لأصحاب القبـور بوساطة السحر ، الخدم والنساء وحيـوان الصيـد والقوارب التى كان يصنعها الأنسان إلى هذا العهد على شكل تماثيل بأثمان غالية .

وقد ظهر كذلك إهمال فن الزخرفة بالنحت فى ألواح الأردواز التى من عصر ما قبـل الأسرات المتـوسط ، لذلك نجد أن أشـكال الحيوانات المرسومة عليها ، أخذت فى التدهور حتى لم يبق منها إلا ظـل لا يكاد يميز الأنسان منه حيواناً معيناً . غـير أن نوع الألواح الـتى كانت على شـكل طـائر قـد أخـذت شـكلا جديـداً ؛ فاللوح البيضى الشـكل أو الذى يمثـل جسم الفـأس أصبـح يزخـرف فى الجزء العلوى منه برأس طائرين بشكل جانبى مقطوع فى الأردواز ، وفى هذا

ظهور الرقى فى هذا العصر

العصر أخذت الرقى التى كادت تكون معدومة فى العصر السابق ، تظهر وتنتشر . وكانت تصنع من الأردواز أو العاج أو العظم ، غير أنه كان يظهر فى شكلها الطابع المختصر الخاص بكل نحت هذا العصر ، أما الأوانى التى على شكل حيوانى فأنها استمرت فى هذا العصر أيضاً ولـكنها كانت خالية من الذوق الفنى ويصعب تمييز بعضها عن بعض .

ظهور نهضة فنية فى عصر ما قبل الاسرات الحديث

وبحلول عصر ما قبل الأسرات الحديث قامت نهضة فنية حوالى تاريخ التتابع ٦٠ . فنلاحظ تجديداً فى التقاليد الفنية التى كانت مزدهرة فى عصر ما قبل الأسرات القديم ، وذلك بطرق فنية تتدرج نحو الكمال ، حتى أنها أصبحت فيما بعد المنبع الذى نشأ منه الفن الفرعونى . من ذلك أن فن نحت العاج نحتاً بارزاً بقى صاحب المكانة الأولى فى التقدم ، ففى مصانع العاج ظهرت أشكال الحفر البارز بطريقة متقنة وعنه أخذت النماذج التى استعملت فى مواد أخرى . وفى هذا العصر نجد استعمال نوع دمى لمرأة واقفة عارية الجسم ذراعاها ملصوقان بجسمها ، ولكن بجانب هذا النوع الذى كان شائع الاستعمال ، ظهر نوع آخر من الدمى للمرأة رشيق ذو ثديين ناهدين . وكذلك ظهر نوع الدمى الذى كان يمثل أمًا تحمل ولدها على ذراعيها أو فى حجرها ، وظهرت دمى شخصيات كانت تمثل متشحة بعباءة ، ولكنها كانت تستعمل فى تمثيل المرأة .

النحت فى العاج

وفى هذا العصر ظهر كذلك تمثيل الحيوانات فى العاج وغيره ، وبخاصة الأسود التى كانت تستعمل أحجارا للعب ، وتزخرف بها مقابض ملاعق الزينة . وقد ظهر من بين هذه القطع ما يدل فى صناعته على مرونة فنية ، ومع أنها ليست عنوانًا للفن المصرى الناضج إلا أنها كانت بعيدة عن الخشونة والسذاجة .

ولم يقتصر نحت الأجسام فى هذا العصر على العاج كما كان المتبع ، بل تعداه إلى مواد أخرى ، ولكن لم تظهر فيها المهارة التى كانت تظهر فى العاج ؛

ظهور النحت فى الاحجار وغيرها من المواد الصلبة

وذلك لأن الفنان لم يكن قد تعود استعمالها بعد ؛ أو لصلابة مادتها ؛ فكان يستعمل الأحجار الجيرية أو قطع المينا ذات اللون الأخضر أو الأزرق ، وحجر الأردواز والبازلت ، وحتى الجرانيت الأسود والأحمر؛ وقد توغل الفنان فى هذا الطريق إلى أن أخذ يجرب عمل التماثيل الكبيرة الحجم ، ولكن يظهر أنه لم ينتج إلا قطعاً قليلة العدد حسبما كشف عنه حتى الآن ، ومع ذلك فان الأنتاج فى هذه الناحية يدل على الجهل الفنى والخشونة فى الذوق . ولا أدل على ذلك من تمثال الرجل ذى اللحية الموجود الآن بمتحف أكسفورد ، فقد نحت فى حجر الأردواز ومثل عارياً، إلا من الكيس الذى يستر عضو التذكير. وظاهر فى شكله الجمود ، فلحيته مفرطحة ، وذراعاه ملصوقان فى جسمه ، وكان طوله نحو نصف متر قبل كسر ساقيه .

ظهور نحت التماثيل الساذجة

وفى متحف برلين كذلك يوجد السبع الرابض المصنوع من الجرانيت الأسود . وهو ساذج الصنع جامد الملامح ويزيد طوله على أكثر من ٣٠ سنتيمتراً ، وهذه أول محاولات حقيقية عرفها الفن فى إبراز التماثيل الكبيرة .

ومن أهم مجددات الفن فى هذا العصر النحت الغائر على العاج ثم الأحجار فيما بعد ، وقد كان لهذا النوع من الحفر شأن عظيم فى تاريخ الفن فى مصر القديمة . والظاهر أن فكرة نقش الأشكال غائرة فى العاج قد أخذت من رسوم الأشكال التى كانت على الفخار المزخرف الشائع الاستعمال فى هذه الفترة ، أى فى عهد ما قبل الأسرات المتوسط ، وأكبر

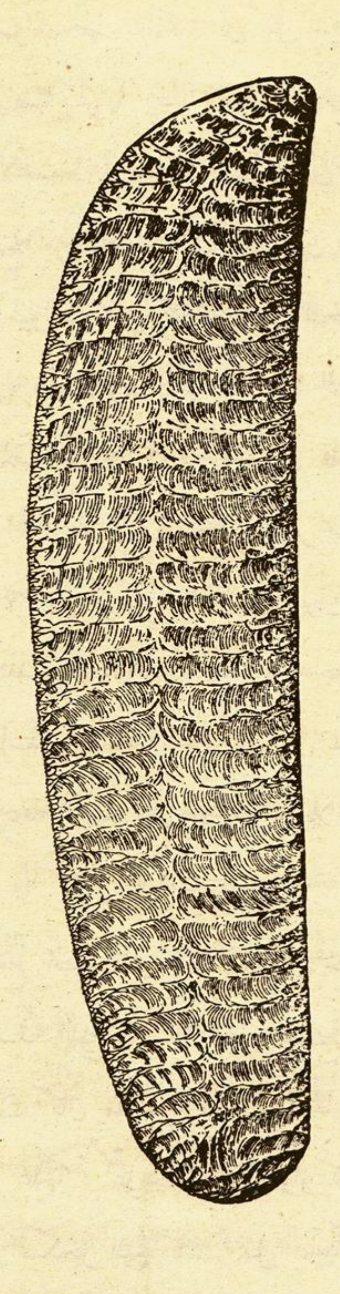
النحت الغائر

دليل على صواب هذه الفكرة أن كل الرسوم التى كانت على الفخار قد نقلت بفصها ونصها ، ثمينها وغثها ، صوابها وخطئها . وهذه الرسوم قد استعملت فى زخرفة الأمشاط أو مقابض السكاكين الفاخرة ، وهى التى كان سلاحها لا يزال يصنع من الظران الأشقر اللون ، وقد جرب الفنان أولا حفر صنف من الحيوانات التى تشاهد على الفخار الملون . والواقع أن أقدم قطعة عثر عليها من هذا النوع زخرفت بهذه الطريقة ، أما المثل الأعلى لهذا النوع من الحفر فجاء فى الواقع بعد أن قام الفنان بعدة تجارب ، هى سكينة جبل العرق المحفوظة الآن بمتحف اللوفر ويرجع عهدها فى التأريخ التتابعى إلى الرقم ٦٠ على أن نبوغ الفنان فى إبراز صور هذه السكينة لا يمكن تقديره إلا عند مقارنته بما أخرجه على حجر الأردواز فى نفس العصر . إذ نرى فرقاً شاسعاً فى الحفر الغائر فى كل منهما ففى مقبض السكينة نرى روح الفن ودقة الصنع وفى الأردواز يلاحظ لأول وهلة السذاجة وعدم المقدرة الفنية .

سكينة جبل العرق قطعة فنية

وربما يرجع السبب فى اختيار الفنان حجر الأردواز الأخضر مادة للحفر الغائر ، أن هذا النوع من الأحجار يجمع بين الليونة وبين تماسك حباته الدقيقة ، لذلك كان يعد من بين الأحجار التى تقارب العاج فى سهولة النقش الغائر عليها . على أن الأردواز كان منذ زمن بعيد يستعمل فى إخراج ألواح الكحل التى كانت تمثل عليها أشكال حيوانات بالتفريغ ، وقد عثر على بعض ألواح من هذا النوع عليها بعض حفر غائر ، مما

سبب استعمال الاردواز للنحت عليه




سلاح من الظران على شكل قرن عثر عليه فى جبل طريف



سكينة جبل العرق

يدل على أن الفنان بدأ فى هذه النهضة الجديدة يفكر فى اتخاذ هذه المادة أداته فى إبراز صناعته الحديثة ، ولا يبعد أن يكون هذا هو السر الذى دعا الفنان إلى إخراج نوع جديد من هذه الألواح خاص بالزينة ، ولكن بحجم عظيم ، ولأجل ألا ينسى استعمالها الأصلى حفر فى وسط اللوح حفرة صغيرة تشعر بأصل استعمالها وهو المكان المخصص لوضع الكحل .

ألواح الاردواز تستعمل لحفر مناظر جنازية وغيرها

وهذا النوع الجديد من الألواح كان فى الواقع يستعمل لحفر مناظر جنازية على سطحها لحفظ ذكرى الصيد والحروب . وكانت تودع المعابد العتيقة لهذا الغرض ، وقد عثر على معظم ما كشف فى خرائب هذه المعابد من أول عصر ما قبل الأسرات الحديث حتى فجر التاريخ الفرعونى . ويرجع الفضل إلى هذه الألواح فى إمكان تتبع تاريخ النقش الغائر من بدايته حتى الوقت الذى أخذ فيه فن المعمار يرتقى وأصبح يستعمل هذا النقش على جدران المعابد .

تلوين المقابر وزخرفتها حل محل الاوانى التى كانت توضع مع المتوفى

وقد اختفت الرسوم التى كانت تزين الفخار حوالى الرقم ٦٠ من التاريخ التتابعى ، وأصبحت الأوانى خالية من أية زخرفة . ومن المحتمل جداً أن تلوين المقابر وزخرفتها فى هذا العصر يدل على أن المتوفى أخذ يحل هذه الزخارف والرسوم محل رسوم الفخار الذى كان يوضع معه فى قبره . ومما هو جدير بالملاحظة أنه لم يوجد أى تحسين فى زخرفة القبر أكثر مما كان على الفخار . على أن القبر الوحيد الذى عثر عليه من هذا النوع فى هذا العصر هو قبر هيرا كنبوليس « الكاب »

ويرجع تاريخه إلى الرقم التتابعى ٦٣ تقريبا . وتبلغ مساحته ٥ر٤ فى ٢ فى ٥ر١ متراً . وقد صنع من اللبن ثم كسيت جدرانه بطبقة من غرين النيل ثم غطيت هذه بطبقة ثانية من الطفل الأصفر القاتم يرسم عليها المناظر المراد تمثيلها . ويلاحظ أنه قد حدث بعض تقدم فى استعمال الألوان فى رسم الأشكال ؛ فبدلاً من لون واحد استعملت ثلاثة وهى الأحمر القاتم ؛ والأسود ثم الأبيض ، يضاف إلى ذلك أن عدد الأشكال ازداد وتنوعت موضوعاتها ؛ فمثلا نجد حول القوارب التى نصبت عليها أعلام مناظر صيد ، أو حرب بين البحارة ، وبعض راقصات ، ولكن رغم ذلك نجد عدم الانسجام وقلة الوحدة فى تأليف الرسوم لا يزال كما كان على أوانى الفخار فى عصر ما قبل الأسرات المتوسط . ومع ذلك كله فأن هذا الرسم له أهمية عظيمة فى تاريخ فن النفش إذ هو فى الواقع المنبع الذى استقى منه فن الفرسكو فى العصر التاريخى والحلقة الموصلة بينه وبين الأوانى الفخارية التى أسلفنا الكلام عنها .

أهمية مقبرة هيراكنبوليس « السكاب »

وقد ظهرت ثانية فى هذا العصر كذلك الأوانى التى على شكل حيوانات ، ولكن فى ثوب جديد ويمكن تمييزها تماماً . وهذه الأوانى فى الواقع كانت بمثابة قطع للزينة نحتت فى الحجر الجيرى ، والأردواز ، وحجر البرشيه المختلف الألوان . وكذلك أعيد استعمال الدمى من الطين بشكل جديد . ومع أنها كانت نادرة الوجود بالنسبة لما كانت عليه فى عهد ما قبل الأسرات القديم ، إلا أنها من ناحية أخرى كانت متقنة الصنع ،

ظهور الاوانى التى على شكل الحيوانات

هذا إلى أنها كانت تصنع من مواد أخرى ثمينة غير الطين . وأهم الأشكال التى كانت تصنع هى القردة ، والضفادع مع صغارها .

أما صناعة الظران التى كانت آخذة فى الاختفاء تدريجًا ، فقد كان لها رغم ذلك نصيب من هذا التجديد الذى قام فى هذا العصر ؛ فقد صنعت منه أشكال حيوانية وفاقًا للزى الشائع . ونخص بالذكر منها : الغزلان والطيور والتماسيح ، وكانت تمثل على شكل دمى مستوية الجسم ، ولا يعلم كنه استعمالها إلى الآن ؛ ولكن يدل صنعها على عناية فائقة .

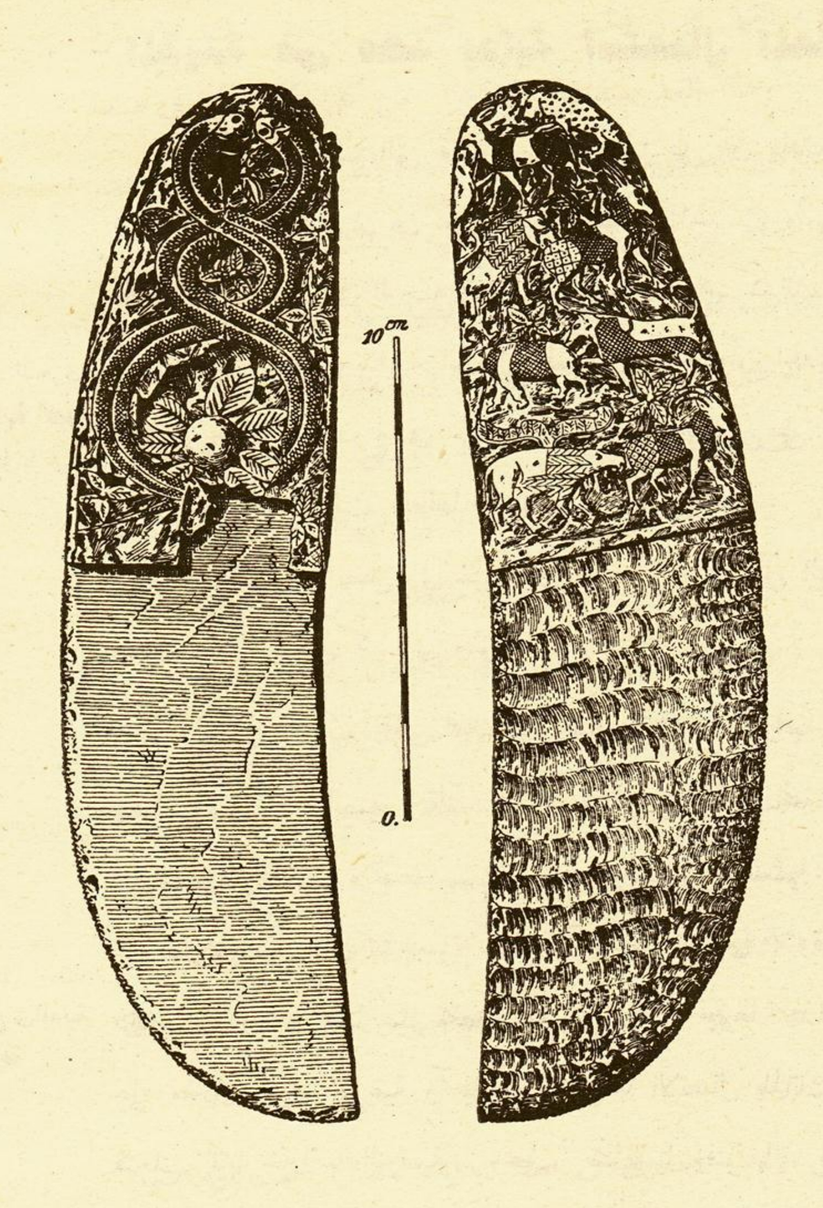
صنع أشكال حيوانية من الظران

ولا بد من أن نشير هنا إلى ازدهار صناعة الصباغة وتقدمها كما يدل على ذلك العدد القليل من القطع التى أخطأها النهب والسلب مما أودى بكل الكنوز التى كانت مودعة مقابر هذا العصر .

الصباغة

ومن أهم القطع التى بقيت لنا دالة على فن هذه الفترة مقبضان لسكينتين من الظران : واحدة منهما فى متحف القاهرة وهى ورقة رقيقة من الذهب منقوش عليها منظر صيد يذكرنا بالمنظر الذى على سكينة جبل العرق ، أما الثانية فقد نقش عليها سفينة ومجموعة شخصيات على نمط ما كان يرسم على أوانى الفخار من عصر ما قبل الأسرات المتوسط وهاتان السكينتان يرجع عهدهما إلى العهد الطينى الفرعونى أى عصر التاريخ الحقيقى .

سكين متحف القاهرة



سكينة من الظران الفاتح اللون مزينة يدها بورقة من الذهب مطروقة
عثر عليها فى جبانة ساحل البقلية

المدينة فى عهد بداية استعمال المعادن

تدل الكشوف التى تمت إلى يومنا هذا على أن المدنية فى مصر قد بدأت فى الوجه البحرى فى خلال العهد الحجرى الحديث وأنها كانت تفوق المدنية التى ظهرت فى الوجه القبلى ثم استمر الحال كذلك بشكل جلى واضح فى عصر بداية استعمال المعادن ، وأن الحضارة فى الوجه البحرى كانت تدرج فى مراقى التقدم بخطى واسعة ، على حين أن المدنية فى الوجه القبلى كانت خطاها وئيدة وفى حالة متأخرة .

مدنية الوجه البحرى أقدم من مدنية الوجه القبلى

ولاجل أن نصل إلى سر تفوق الوجه البحرى على الصعيد يجب أن نبحث طبيعة أرض كل منهما وموقعه الجغرافى .

الدلتا : تتألف أرض الدلتا من سهل مترامى الأطراف لايتخلله جبال وهو منفصل عن الصحراء تماماً ، ولذلك كانت الفرصة سانحة لسكانه الأول ليكونوا أهل حضر ، ويمكنهم أن ينموا ويتقدموا وينعموا بحياة العمل فى عقر دارهم ، دون أن ينتجعوا مكاناً وآخر طلباً للرزق ؛ وقد ساعدهم على ذلك أن أرض الدلتا تمتاز بخصب تربتها وطيب جوها ؛ هذا إلى أنها تقع على مفترق طرق أفريقية وآسيا ؛ مما سهل لها الاتصال بالممالك القريبة منها ، فتجلب إليها خيراتها الزراعية ، وتحف صناعاتها وفنونها . وبذلك تضيف إلى مدنيتها الأصلية مدنية جديدة . ولا غرابة إذن فى أن نرى أرض الوجه البحرى فى كل عصور التاريخ أعرق مدنية من الوجه القبلى وأكثر تقدماً .

الاسباب التى جعلت الدلتا تدرج فى المدنية بسرعة

أما الوجه القبلى فهو قطر طويل محصور بين سلسلتين من الجبال القاحلة . وهذا القطر متصل بالصحراء من كل مكان . وفى هذا العهد لم تكن أرض الصحراء غنية بالزراعة ، إذا قرناها بأرض الوادى الضيق نفسه . وكل ما نعلمه أن أرض الصحراء الحالية كانت شبه مجدبة ، فكانت تعيش فيها الحيوانات الوحشية ، وحيوانات الصيد مما جعلها ميدان صيد وقنص لأهل الوادى الذين كانوا يعيشون فى مدن وقرى ؛ ولما كان سكان هذه المدن قبل تكوين هذا الوادى يعيشون على الصيد فحسب ؛ فقد بقوا يحترفون الصيد لأن ذلك فى طبيعتهم منذ نشأتهم . والواقع أن أهل الصعيد كانوا منفصلين عن باقى العالم بهذه الصحارى المترامية الأطراف ؛ فلم يكن أهله يختلطون إلا بالبقية الباقية من بدو الصحراء الجوالين ، وهم قوم لا ثقافة ولا مدنية لهم ، يضاف إلى ذلك أن المسافة بينهم وبين أهل الدلتا كانت بعيدة ، فلم يكن فى مقدورهم الاختلاط التام بهم ، حتى يستفيدوا من مدنيتهم . وكذلك كانت الأراضى الزراعية التى فى متناولهم قليلة المساحة بالنسبة إلى الدلتا ؛ فلم يكونوا زراعاً بالمعنى الحقيقى . ولا غرابة إذن ، إذا عددناهم جبليين بالنسبة لأهل الدلتا المتحضرين .

بيئة الوجه القبلى لم تمهد له المدنية بسرعة

وأعظم عمل قام به المصرى فى عصر بداية استعمال المعادن ، سواء أكان فى الوجه البحرى أم فى الوجه القبلى ، ينحصر فى إعداد أرض وادى النيل الخصبة للزراعة . وقد حدث ذلك فى الوقت الذى أخذت فيه

أحوال البلاد تتغير من جهة الجو تدريجاً ، وقد حدث هذا عندما أخذت القبائل الجوالة التى كانت ترتكن فى معظم معيشتها على الصيد والقنص وتربية المواشى تحط رحالها وتسكن القرى والمدن . وإذا كانت الأراضى الخصبة المجاورة للصحراء بما فيها من مراع طبيعية ضئيلة قد كفت لمدة ما فى عصر بداية المعادن حاجة الرعاة الذين كانوا يعيشون بجوار مياه الوادى ، فأنها بعد فترة أصبحت غير كافية لسد حاجات سيل السكان الذين كانوا يتدفقون من الصحراء القاحلة إلى شواطئ النيل ، وقد كان ذلك سبباً فى أن حتم على هؤلاء النازحين أن يستغلوا أرض وادى النيل الخصبة الدسمة . ولكن العوائق الطبيعية قامت فى وجههم وجعلتهم يفكرون فى التغلب عليها لحاجتهم الملحة إلى طلب العيش . وتفسير ذلك أن النيل كان يغمر أرض الوادى الخصبة كل عام بفيضانه المنتظم ، ويترك مياهاً راكدة فى الأراضى المنخفضة تتألف منها برك ومستنقعات ، على حين أن الأراضى المرتفعة كانت تجف مياهها بعد انقضاء بضعة أسابيع من اختفاء الفيضان . فحتمت الحاجة الملحة على إنسان هذا العصر أن يسوى بين عالى هذه الأراضى وسافلها ، حتى تصبح فى مستوى واحد صالح للزراعة ، ثم رأى أنه كان لزاماً عليه بعد ذلك أن ينظم ماء الفيضان نفسه ، حتى يمكنه أن ينتفع به وقت التحاريق . فقام بانشاء الترع والسدود التى كانت بمثابة الخزانات الآن ليصرف منها الماء عند الحاجة حتى لا يحدث قحط . وهذا العمل العظيم يعد أكبر فتح قام به الأنسان الأنيوليتى فى وادى النيل أمام الطبيعة

بداية زراعة وادى النيل

تمهيد أرض وادى النيل للزراعة وانشاء الترع والسدود

العاتية ، والواقع أنه ما كاد ينبثق فجر التاريخ حتى كان الأنسان الذى سبق هذا العصر قد تغلب على كل الصعاب التى مهدت السبيل لنمو المدنية المصرية . ولا شك فى أن هذا العمل العظيم يعد من أكبر مفاخر الأنسان الأنيوليتى ، وستبقى أسماء هؤلاء الذين نفذوا هذه الأعمال العظيمة سراً غامضاً أبد الآبدين ،. والواقع أن مثلهم فى هذا الميدان مثل الجندى المجهول فى ساحة الوغى ، ومن المرجح جداً أن أول من فكر فى تنظيم مياه النيل وتوزيعها هم أهل الدلتا لأنهم كانوا بطبيعتهم أهل حضر وزراعة . أما أهل الصعيد فأنهم كانوا أقرب إلى البداوة . ولا يبعد أن تكشف لنا مدنيات جديدة فى أرض الدلتا – كما حدث منذ زمن قريب – تثبت هذه الفكرة ، هذا رغم أن معظم مدنيات الوجه البحرى قد طغى عليها الماء بارتفاع منسوباته فى كل بقاعها ، اللهم إلا أجزاء بسيطة لا تكاد تذكر بالنسبة إلى أرض الصعيد التى لم يمسها فى أماكن كثيرة ماء الفيضان وبخاصة على حافة الصحراء التى كانت تتخذ مدافن فى كل عصور التاريخ المصرى ومنها نستقى معظم ما نعرفه عن المدنية المصرية

يحتمل أن أول من فكر فى توزيع مياه النيل هم أهل الدلتا

مراجع فصل ما قبل التاريخ

تنقسم المصادر التى اعتمدنا عليها فى تأليف فصل ماقبل التاريخ المصرى وما قبل الأسرات ، إلى مصادر عامة ومصادر خاصة ؛ أما المصادر العامة فتشمل الكتب التى تبحث عن تاريخ هذا العصر بوجه عام فى مصر وغيرها ؛ وهذه الكتب قد تتناول أقسام كل عصر ما قبل التاريخ ، أو تتناول فترة طويلة منه ، وتبحثها بحثا مستفيضاً سواء أكان فى مصر أم فى العالم أجمع . أما المصادر الخاصة فهى التى تبحث فى مصر قبل التاريخ فقط أو فى عصر معين من تاريخها فى هذا الوقت ، وبخاصة فى عهد ما قبل الأسرات .

وسنذكر هنا أولا المؤلفات العامة التى تبحث عما قبل التاريخ فى كل العالم أو فى جزء منه حتى يتسنى للقارىء أو الباحث أن يرجع إليها عند ما يريد المزيد فى أى موضوع خاص من المواضيع المغلقة الفهم أو عند ما يرغب فى دراستها وبحثها لغرض معين ، وبعد ذلك نذكر المصادر الخاصة بمصر مع شرح بسيط لتعريف كل مصدر . وقد فضلت ذلك عن ذكر كل مصدر فى أسفل الصحيفة .

المصادر العامة

(1) J. De Morgan. Prehistoric Man. London. 1925

(١) هذا المؤلف هو مختصر عصور ما قبل التاريخ الثلاثة فى العالم وقد أشار إلى مصر فى نقط عدة . وقد وضع باللغة الأنجليزية رغم أن مؤلفه فرنسى وكتب كل مؤلفاته الأخرى بلغته الأصلية .

(2) La Préhistoire Orientale, 3 vol, Paris.1925 - 1927.

هذا المؤلف كتبه العالم « دى مرجان » كذلك، وقد بحث فيه بحثاً مستفيضاً عن عصر ما قبل التاريخ فى إفريقية الشمالية ومصر وآسيا . وذلك نتيجة أبحاثه وحفائره الخاصة . وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه .

(3) Burkett., The Stone Age. London 1933.

وقد بحث فيه مؤلفه تاريخ العصور الحجرية المختلفة بحثاً مختصراً سهل التناول ، ويعتبر من الكتب المدرسية السهلة .

(4) Minghin. Welt Geschechte Der Steinzeit. Wien. 1931.

هذا الكتاب يعد العمدة فى بحث عصور ما قبل التاريخ الثلاثة وقد حلاه بالرسوم والصور المتقنة .

(ب) نذكر بعد ذلك الكتب العامة التى بحثت فيما قبل التاريخ المصرى خاصة . وأهمها ما يأتى :

(1) J. De Morgan. Recherches sur les Origines de l'Egypte,2 vol. Paris 1896 - 7.

وضع العالم « دى مرجان » فى هذا الكتاب كل نتائج بحوثه وبحوث من سبقه فى دراسة ما قبل التاريخ فى مصر . ولكنه غير كثيراً من آرائه فى كتبه التى ظهرت فيما بعد .

(2) A. Scharff Grundzuge des Agyptischen. Vorgeschichte Leipzig 1926.

هذا المؤلف يعد من أمتن الكتب وأعمقها بحثا فى عصور ما قبل التاريخ وبخاصة عصر ما قبل الأسرات فى مصر . وقد شرح الموضوع بطريقة سهلة ظاهرة .

(3) Bovier Lapierre. L'Egypte Préhistorique dans (Precis de l'histoire d'Egypte) Page 1 — 56.

يعد هذا العالم « بوفيه لابيير » من أكبر علماء ماقبل التاريخ فى مصر ، وقد كتب هذا الفصل الممتع وبحث بحثا فياضا كل مسائل ماقبل التاريخ فى مصر وبخاصة فى العهدين الحجريين القديم والحديث .

(4) Hermann Junker. Vorlaufigen Bericht Uber die Grabung des Akademie der Wisserschaften in Wien, auf der Neoletiechen Siedlung Von Merimde Benisalama. Anzeigen der Akademie der Wissenschaften in Wien. Hist. Klasse, 1929, 1930, 1932, 1933, 1934.

قام الأستاذ « ينكر » العالم الألمانى لأول مرة بحفائر منظمة فى الوجه البحرى فى منطقة مر مدة بنى سلامة القريبة من وردان للبحث عن عصر ما قبل التاريخ فعثر على مدنية العصر الحجرى الحديث فى هذه الجهة

وليس لدينا مصادر أخرى فى الدلتا من هذا العصر . وقد كتب عدة تقارير هامة عن نتائج الحفر فى أعوام متتابعة .

(5) Flinders Petrie, Prehistoric Egypt, London 1920.

بحث الأستاذ فلندرز بترى عن مدنية ما قبل الأسرات فى مصر ، وقد جمع فيه كل آرائه وبحوثه المبعثرة فى تآليفه الأخرى .

(6) Jequier, Histoire de la Civilisation Egyptienne.

كتب المؤلف فى كتابه هذا فصلا عن مصر فى عهد العصرين الحجرى القديم والحديث وعصر ما قبل الأسرات باختصار (من صفحه ٥٣ — ٩٤)

(7) Capart. Les débuts de l'Art en Egypte, Buxelles 1904.

وقد بحث المؤلف فى كتابه كل الفنون والصناعات التى كانت متداولة فى مصر فى عصور ما قبل الأسرات وزينه بالرسوم الجميلة والصور الواضحة .

(ج) كتب بعض علماء ما قبل التاريخ المصرى بعض مقالات هامة لبحث نقط غامضة فى بعض المجلات نذكر هنا أهمها فيما يأتى ! :

(1) Stations Humaines. Bovier Lapierre, Les Paléolithique Stratific des environs du Caire. L'Anthropologie. Vol. XXXV 1925.

فى هذا المقال بحث هذا العالم عن بقايا الحيوان والصناعة فى ضواحى القاهرة فى العباسية وحدد عصور العهد الحجرى القديم بوساطة بقايا وجدت فى طبقات بعضها فوق بعض تحدد عمر كل أثر وجد تحديداً تاريخياً

(2) M. Edmond Vignard. Une Nouvelle Industrie Lithique le Sebilien Bultin I. F. A. O. Vol. XXII. 1923. (P. 1 — 76)

بحث هذا العالم فى مقاله الحضارة التى أطلق عليها السبيلية نسبة الى بلدة السبيل القريبة من نجع حمادى وقد درس كل الآلات وبقايا الحيوان التى ظهرت فى المنطقة وقارنها بمثيلاتها فى أوربا وإفريقية الشمالية . وترجع إلى العصر الحجرى .

(3) Revue Scientifique 1928. Les Gravures rupestres du Djebel Ouenat. Prince Kamal-el-Din.

وهذا المقال ملخص رحلة قام بها الأمير كمال الدين فى الصحراء وقد أحضر معه بعض رسوم من التى على الصخور فى وادى عوينات وكذلك جمع بعض آلات من العصر الحجرى القديم .

(4) Bovier Lapierre. Une Nouvelle Station Neolithique (El Omari au Nord de Helouan) Congrès Inter. de Geographie. Le Caire 1925 Tom. IV.

يبحث هذا المقال فى الظران الذى عثر عليه المرحوم الأستاذ العمرى فى محطة من العصر الحجرى الحديث . وقد سماها العلماء باسمه بعد أن مات قبل أن ينشر أبحاثه .

(د) منذ حل رموز اللغة المصرية قام علماء الآثار بحفائر هامة فى مختلف عصور التاريخ المصرى . وقد قامت حفائر عن عصر ما قبل الأسرات فى جهات مختلفة من القطر . ووضعت المؤلفات الخاصة بها . وسنذكر هنا أهم

هذه المؤلفات

(1) Brunton and Caton Thompson. The Badarian Civilisation and Predynastic remains near Badari. London 1928.

وقد شرح المؤلفان فى هذا الكتاب نتيجة البحث والحفر فى منطقة البدارى . وتعتبر أقدم مدنية مصرية عثر عليها للآن فى الوجه القبلى بعد المدنية الطاسية التى عثر عليها فى دير طاسة القريبة من البدارى .

(2) Chronologie. Petrie Diospolis Parva, The Cemetries of Abadiyah and Hu 1898 - 1899. London.

بحث « فلندرز بترى » فى هذا الكتاب نظريته عن تاريخ التتابع مستندا على محتويات المقابر التى وجدها من عصر ما قبل الأسرات وبخاصة الفخار

(3) Petrie & Quibell. Nagada and Ballas. 1895 London 1896.

وفى هذا الكتاب بحث نتائج الحفائر التى قام بها فى هاتين الجهتين من عصر ماقبل التاريخ ، وقد ظن أنه عثر على جنس جديد من الناس فيها . والمدنية التى وجدت فى هذه الجهة تأتى بعد مدنية البدارى فى القدم .

(4) Quibell Hierakonpolis Part I and II London 1900.

وقد ناقش « كويبل » فى مؤلفه هذا كل الآثار التى عثر عليها فى هذه المنطقة (الكاب الحديثة والكوم الأحمر) ومعظمها يرجع إلى عصر ماقبل الأسرات الحديث .

(5) Minghin and Mustapha Bey Amer The Excavations of the Egyptian. University in the neolethic Site at Maadi vol. I.

(6) Mostapha Bey Amer vol II

وقد بحث فى هذين المؤلفين مدنية هذا الموقع التى يرجع عهدها من العصر الحجرى الحديث إلى عصر ماقبل الأسرات الحديث . وقد عثر فى هذا الموقع القريب من المعادى على بعض آلات وأدوات من الفخار والظران غريبة فى بابها . وهنا عثر على أول مبانى باللبن كما شرحنا ذلك فى مكانه .

(6) Randal - Macliver and Mace El Amrah and Abydos 1899 - 1901, London 1902.

وقد بحث فى هذا المؤلف النتائج التى وصل إليها هؤلاء الأثريون فى هذه المنطقة التى يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات كما أشرنا إلى ذلك فى حينه .

(7) Hermann Junker Bericht Uber die Grabungen der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften in Wien Auf Dem Friedhof in Turah (1913)

بحث الأستاذ « ينكر » فى هذا التقرير نتائج حفائره التى عملها فى الموقع الذى حفر فيه بالقرب من طره ويرجع إلى عصر ما قبل الأسرات وغيره .

(8) Scharff. Die Archeologischen Ergebinesse des Vorgeschichtlichen Graberfelds Von Abusir-el-Meleq Leipzig 1929.

نتائج أعمال الحفر فى منطقة أبو صير الملق ويرجع عهدها إلى عصر

ما قبل الأسرات وقد عثر فيها على بعض أدوات وأشكال حيوانات غريبة منها تمثال للجمل (؟)

(9) Caton Thompson & Miss Gardner The Desert Fayum 2 Vol. 1926

وقد بحث فى هذا المؤلف مدنية الفيوم من أقدم عصورها التى ترجع إلى العصر الحجرى القديم وعلاقتها بالمدنيات الأخرى التى ظهرت فى مصر. وكذلك بحث فى هذا الكتاب مسألة بحيرة موريس وأصلها.

(هـ) ويوجد نوع آخر من المصادر اعتمدنا عليه فى بعض النقط نخص بالذكر منه مايأتى:

(1) A Study of the Badarian Crania recently excavated by the British School of Archeology in Egypt, Biometrika Vol XIX (1927 P. 110 — 150)

بحث فى هذا المقال الجماجم التى عثر عليها فى حفائر البدارى وقد عزا أصل القوم الذين كانوا فى مصر فى هذا الوقت إلى الجنس الحامى.

(2) Morant. A Study of the Egyptian craniology from prehistoric to Roman times, Biometrika Vol XVII (1925 P. 1 - 52)

وقد تكلم المؤلف فى هذا المقال عن الجماجم التى عثر عليها فى الحفائر المختلفة من أول ما قبل التاريخ إلى العصر الرومانى.

(3) Geology of Egypt. Hume, Cairo, Vol I 1925 Vol II 1934 Vol III 1937.

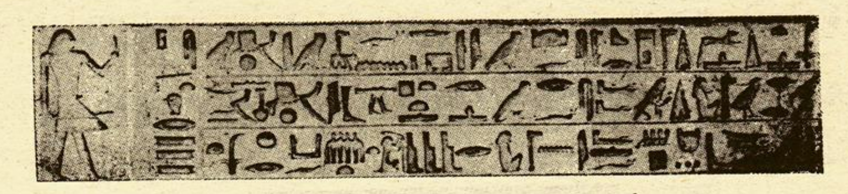
تبحث هـذه الـكتب فى جولوجية مصر وتركيب قشرتها الأرضيـة وتكوين نهر النيل ، ثم صخورها ومعادنها وأحجارها شبه الـكريمـة ، وغيرها من أنواع أحجار مصر الـكثيرة العدد والمختلفـة الأنواع . وهذا الـكتاب يعد أكبر المصادر التى يعتمد عليها الأثرى فى بحث تركيب البلاد الطبيعى وصخورها ومعادنها .

وقد اقتصرنا هنا على أهم المصادر الأصلية التى اعتمدنا عليها فى تأليف هذا الفصل ، تاركين المصادر الثانوية التى أخـذت عن المصادر الأصلية التى ذكرناها.

حل رموز اللغة المصرية القديمة

الهيروغليفية

بقيت اللغة المصرية القديمة سرا من الأسرار نحو ١٤٠٠ عامًا إلى أن جاء « شمبليون » سنة ١٨٢٢ وكشف عن أسرارها بحل رموز الهيروغليفية ؛



نص هيروغليفي ويقرأ من اليمين إلى اليسار

على أن لغة القوم نفسها لم تمح من البلاد خلال تلك المدة ، بل بقيت فى شكل آخر هو اللغة القبطية ، وذلك أن الهيروغليفية منذ فتح الاسكندر الأكبر لمصر أخذت تكتب علاوة على كتابتها بالاشارات المصرية ، بحروف إغريقية بعد إضافة سبعة حروف ديموطيقية لم يكن لها مثيل فى اللغة اليونانية . ومنذ ذلك العهد صار يطلق على اللغة المصرية القديمة اللغة القبطية أى المصرية .

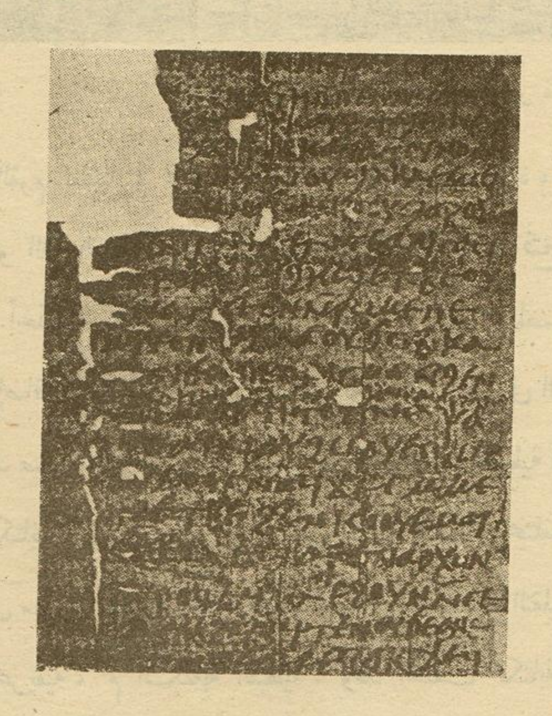
الاغريقية

وقد كانت الكتابات المتداولة فى البلاد على ثلاثة أشكال مختلفة إلى أواخر عهد الرومان فى مصر ؛ وهى الكتابة الهيروغليفية أى الكتابة التقليدية للبلاد ، ثم الكتابة الاغريقية ، ثم الكتابة القبطية . وقد اختفت الكتابة الهيروغليفية فى أواخر القرن الرابع الميلادى باختفاء الوثنية من البلاد ، ولم تعد كتابة القوم أما اللغة الاغريقية فقضى على تداولها بعد الفتح العربى مباشرة ، بينما بقيت الكتابة القبطية لغة القوم فى بعض أماكن فى الوجه القبلى فى الصلوات

القبطية

والعبادات والمدارس إلى أواخر القرن السابع عشر، ثم انحصرت بعد ذلك فى الصلوات الدينية المحضة إلى يومنا هذا ولا يجيد معرفتها إلا نفر قليل .

ومن ذلك نرى أن اللـغة القبطيـة وهى لهجة من اللغة المصرية قد حفظت لنا مكتوبة بحروف يونانية و توجد لها أجرومية وقاموس باللغة العربية و باللغة اليونانية . وفى أواسط القرن السابع عشر فهم الأب اليسوعى « كرشر » أن اللغة القبطية تحفظ فى ثناياها اللغة المصرية القديمة مكتوبة بحروف يونانية ،



نص مكتوب بالقبطية

وقد أخذ يقوم ببحوث علمية فى هذه اللغة ، غير أنه لما أراد أن يرجع باللغة القبطية إلى اللغة المصرية لم يفلح قط . وقد تساءل عن اللغة المصرية هل هى حروف ،

أو أصوات ، أو معان ؟ وكيف يمكن قراءتها ؟

على أنه لم يصلنا من الأقدمين عن اللغة المصرية إلا تعاريف نادرة غامضة . والاسم نفسه (الهيروغليفية) ينبئ عن الغموض إذ معناه (الكتابة المقدسة) كما قال « هيرودوت » و « ديودور » .

الديموطيقية

وقد ذكر « كليمنت » الاسكندرى الذى عاش فى أواخر القرن الثانى الميلادى أنه رأى بعض القوم يتكلمون اللغة المصرية ويكتبونها بالهيروغليفية ، وقد أخبرنا « هيرودوت » ومن بعده « ديودور » أنه يوجد فى مصر نوعان من الكتابة : أحدهما الكتابة المقدسة ولا يعرفها إلا الكهنة ، والثانى الديموطيقية أى لغة عامة الناس . ولكن تفسير هذه الكتابات بقى سرا

حجر رشيد

غامضاً إلى أن كشف صدفة أحد جنود « نابليون » حجر رشيد عام ١٧٩٩ ، وذلك أن الحملة الفرنسية التى قادها « نابليون » إلى وادى النيل لم يكن غرضها الوحيد الاحتلال العسكرى ، بل كان كذلك لبحوث علمية عن

نص الكتابة الديموطيقية

المدنية المصرية ، ولذلك جاءت معه طائفة من أهل العلم . وقد ساعدهم الحظ بأن كشف صدفة أحد ضباط المدفعية المسمى « بوشار » فى أغسطس ١٧٩٩ أثناء الحفر فى قاعة رشيد ، قطعة من حجر البازات منقوشة بثلاث كتابات مختلفة ، كانت ثالثتها وهى السفلية بالنسبة للحجر مكتوبة باللغة الاغريقية . وعبارة الكتابة مرسوم ملكى أصدره بطليموس الخامس عام ١٩٦ ق . م وقد ذكر فى النص الاغريقى أنه نفس المتن المكتوب بالكتابتين الأخريين وهما الهيروغليفية (الكتابة المقدسة) والديموطيقية (كتابة الشعب) .

نص حجر رشيد

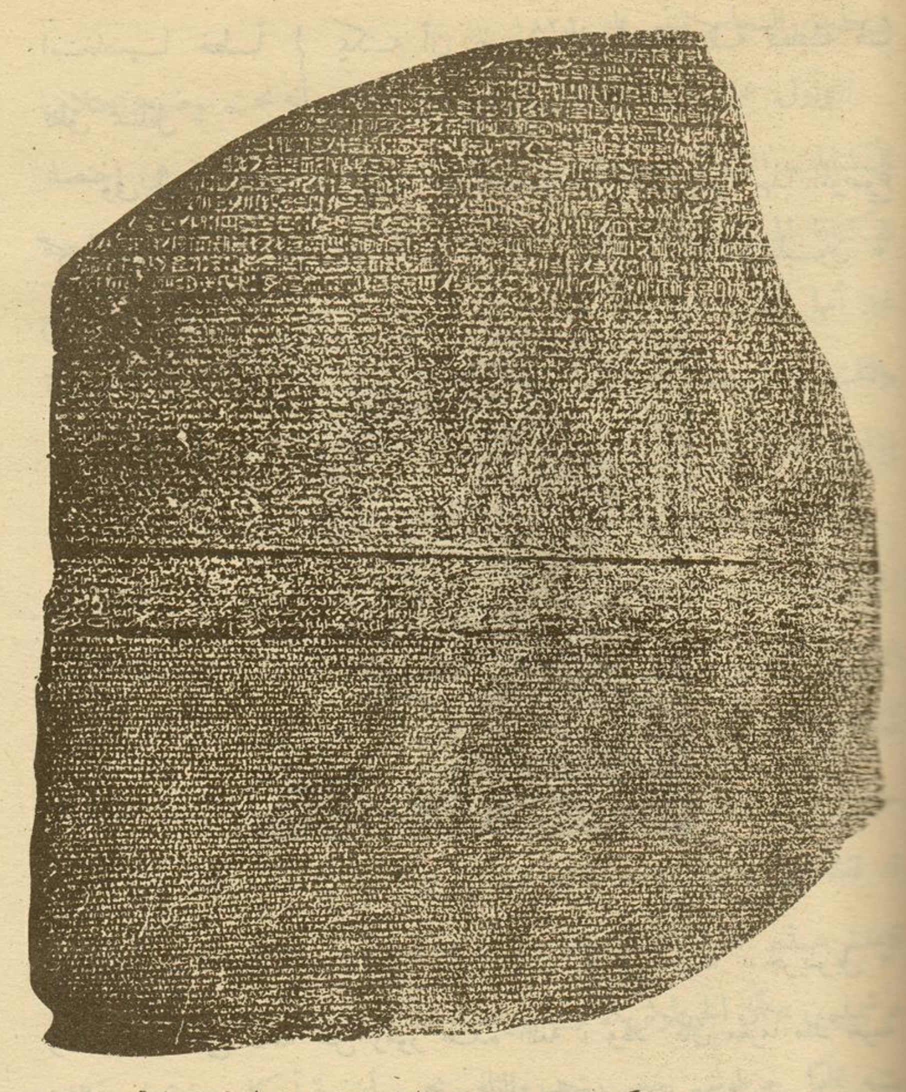
ومن ذلك نرى أن حجر رشيد كان مكتوبا بكتابتين مصريتين وبذا يحتوى على مفتاح السر للكتابة الهيروغليفية ؛ إذ أن معانى كل الكلمات المنقوشة على هذا الحجر موجودة فى النص الاغريقى . وأول من حاول فك رموز هذا الحجر هو « سلفستر دى ساسى » عام ١٨٠٢ وكان عالماً باللغة العربية ، وقد كانت محاولته منصبة على القسم الديموطيقى ، ظنا منه لتشابه هذا الخط بالكتابة العربية الرقعة وجود علاقة بينهما . غير أن جهوده هو و « اكربلاد » لم تفلح إلا فى معرفة خرطوش « بطليموس »

« سلفستر دى ساسى »

« اكربلاد »

ومنذ عام ١٨١٤ حاول الدكتور « توماس ينج » الانجليزى أن يحل رموز هذه اللغة من النص الهيروغليفى ، وقد كان يعلم من جهود من سبقه أن الأسماء الملكية مثل بطليموس لا بد أن تكون موضوعة داخل خراطيش ، وعلى ذلك رتب العلامات التى وجدت فى الخرطوش كحروف

« توماس ينج » ١٨١٤



حجر رشيد المكتوب بثلاثة نصوص الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية

تمثل لفظة بطليموس ، وقد توصل فعلا لمعرفة مجموعة الحروف التى تكوّن
اسم بطليموس ، غير أنه لم يتمكن من معرفة الحروف الصوتية بالضبط التى
تكوّن هذا الاسم ، ولذلك فانه لما أراد أن يطبق الحروف الأبجدية التى

استخلصها خطأ لم يمكنه أن يصل إلى أية كلمة قبطية لها نطق مماثل .

وفى الوقت الذى كان يشتغل فيه الدكتور « توماس ينج » بهذا الموضوع كان هناك شاب فى مقتبل العمر اسمه « جان فرنسوا شمبليون »



جان فرنسوا شمبليون

« شمبليون »

(١٧٩٠ — ١٨٣٢) يدرس علم التاريخ فى جامعة « جرينوبل » وقد أخذ على عاتقه حل رموز هذه اللغة ، وقد كان مغرماً منذ نعومة أظفاره بالتاريخ المصرى ، وقد تعلم كل ما تركه لنا السلف من العصور القديمة عن هذه اللغة واللغة القبطية أيضاً . وقد عرف من أعمال « دى ساسى » والدكتور « ينج » أن أسماء الأعلام الاغريقية يجب أن تكتب بحروف أبجدية مصرية ، وعلى هذه القاعدة بنى أساس أبحاثه التى أخذت تسير

فى طريق النجاح منذ عام ١٨٢١ .

وأول عمل قام به « شمبليون » فى هذا الصدد أنه بحث موضوع اختلاف الكتابات المصرية القديمة وبرهن أن الكتابة الهيراطيقية هى اختصار للكتابة الهيروغليفية ، وعلى ذلك تكون الكتابة المصرية القديمة واحدة غير أنها تكتب بثلاثة أشكال كاللغة العربية مثلا فهى تكتب بالرقعة والنسخ والثلث . وعلى ذلك لابد أن يوجد فى الكتابة الهيروغليفية كما فى الديموطيقية إشارات لها قيمة صوتية وأبجدية .

الابجدية الهيروغليفية

وقد لاحظ « شمبليون » من جهة أخرى عندما كان يحسب الاشارات الهيروغليفية التى على حجر رشيد أنها أكثر فى عددها من كلمات المتن الاغريقى المقابل ، وعلى ذلك استخلص أن كل إشارة هيروغليفية لاتمثل فكرة ولا تمثل كلمة . وعلى هذا الأساس ابتدأ « شمبليون » فى بحث خراطيش حجر رشيد ثانية ، وفى عام ١٨٢٢ وصلت إليه نسخة لخرطوشين جديدين قد نقشا على مسلة صغيرة وجدت فى « الفيلة » وقد كان مكتوبا على قاعدة هذه المسلة تقدمة باللغة الأغريقية لبطليموس وكليوبترة ، وقد برهن « شمبليون » أن الخرطوش الأول من هذين الخرطوشين هو لبطليموس إذ يشبه تماما خرطوش حجر رشيد والثانى يجب أن يقرأ كليوبترة ؛ وذلك أن هناك خمسة حروف مشتركة فى كلا الاسمين : ب ، ت ، ل ، و ، ى .

خرطوش بطليموس

خرطوش كليو بترة



اسم كليوبترة بالهيروغليفية

والواقع أن هناك خمس إشارات متشابهة كل فى موضعها المنطق فى كلا الاسمين الهيروغليفيين ، ومن جهة أخرى فاننا لا نجد حرف « س » فى اسم الملكة على حين أنه يوجد فيه إشارات جديدة هى ق ، أ ، ر ، ولا توجد فى الملك بطليموس .

اسم بطليموس بالهيروغليفية

والخلاصة : حيث أن هناك إشارات متشابهة فى هذين الاسمين وتعبر فى كل منهما عن نفس الصوت ، فلا بد أن تكون حروفاً صوتية محضة ؛ وقد مكث « شمبليون » بضعة أسابيع يطبق الحروف الأبجدية التى وجدها على كل أسماء البطالسة والقياصرة التى كانت موجودة فى كتاب (وصف مصر) الذى وضعته الحملة الفرنسية ، فتوصل إلى قراءة ٧٩ خرطوشا أخرى جديدة وصل فى خلال قراءتها إلى معرفة حروف أبجدية جديدة . وبذلك أمكنه أن يعمل جدولا بالحروف الأبجدية الصوتية .

وقد أثبت هذه النتيجة الباهرة فى خطاب أرسله إلى « داسييه » أمين السر الدائم للمجمع العلمى الفرنسى فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ ، وفيه أعلن أنه يمكن قراءة الخراطيش الهيروغليفية .

على أنه إلى هذه اللحظة لم يكن قد تمكن إلا من قراءة أسماء الملوك الاغريق وقياصرة الرومان . والآن كيف يمكنه أن يحل رموز الكتابة فى العصر الفرعونى وهى التى تحتوى على نفس العناصر الصوتية ؟ على أنه قد أعلن فى خطابه بأنه واثق من نجاحه قريبا فى قراءة خراطيش الفراعنة كما قرأ خراطيش البطالسة والقياصرة .

والواقع أن « شمبليون » قد وصلته نسخة من خراطيش مصدرها معبد أقدم من المعابد الاغريقية . وقد تعرف فى أحد الخراطيش فى نهاية الاسم على الاشارتين المقوستين وكل منهما يمثل الحرف الأخير من اسم بطليموس

خرطوش رعمسيس

خرطوش رعمسيس

الموجود على حجر رشيد فقرأهما س « س » ، وفى أول الخرطوش نشاهد القرص المستدير وهو الذى كان يرمز به للشمس ويقرأ فى المتون الاغريقية والقبطية بلفظة « رع » ، أما الاشارة المتوسطة فقد رآها « شمبليون» على حجر رشيد كما هى مكتوبة هنا ومتبوعة بحرف س ، وتقابل فى الاغريقية « يوم الولادة » ، للملك ، فاستنتج أن هذه الكلمة التى ليست بحرف أبجدى تقابل الكلمة القبطية « مس » أى يلد أو « مس » أى طفل ، فرتب « شمبليون » هذه العناصر مع بعضها فأصبحت « رع — مس — سس » أى رعمسيس ، وقد ذكر هذا الاسم . « مانيتون » و « تاسيت » ؛ على أنه لم يتمكن من قراءة الاسم فحسب ؛ بل فهم معناه وترجمه ، فعلى حسب القبطية معناه : « رع » يلده أى ابن « رع ».

وقد تثبت من طريقته فى الحال بقراءة الخرطوش الثانى إذ وجد فيه أن الطائر أبيس قد حل محل رع . ☉ فى بداية الخرطوش السابق ، وفيه الاشارتان التاليتان متفقتان فى كلا الخرطوشين ، ونحن نعلم فى الاغريقية أن الطائر « أبيس » كان يرمز به للاله (تحوت) وعلى ذلك يجب أن يقرأ الخرطوش الثانى

« تحوت ـ مس ـ س » والواقع أن « مانيتون »
قد ذكرلنا اسم الفرعون تحوتمس وعلى حسب
القبطية يفسر تحوت يلده أى : « ابن تحوت » .

تحوتمس

ومن ذلك الوقت فطنت عبقرية « شمبليون » إلى أن الكتابة التى على الآثار الفرعونية قبل العصر الاغريقى الرومانى لم تكن حروفاً أبجدية محضة كما فى خراطيش بطليموس وكليوبترة ، ثم إنها لم تكن إشارات رمزية فحسب كما كان يعتقد الناس من قبل ، بل إنها فى الواقع كانت تحتوى على :

عناصر الهيروغليفية

(١) إشارات رمزية أو تصويرية مثل « رع » و « تحوت » .

(٢) وإشارات صوتية قد تكون أحيانا مركبة من مقطع مثل « مس » ، وأحيانا من حروف أبجدية مثل حرف « س » .

والحقيقة أن الخطأ الذى وقع فيه أسلاف « شمبليون » والذى كان هو نفسه يشاركهم فيه إلى يوم وصوله إلى هذه الحقيقة هو الاعتقاد بأن الكتابة الهيروغليفية أحيانا تصويرية بأجمعها أو صوتية بأجمعها ، ولكن الواقع أن نظام هذه الكتابة هو كما شاهدنا نظام مركب إذ أنها كتابة تصويرية ورمزية وصوتية ، ونشاهد ذلك فى جملة واحدة بل فى كلمة واحدة كما سبق شرحه .

مجهود « شمبليون »

وبعد ذلك تقدم شمبليون فى حل الرموز ، فضرب فيها بسهم صائب ووضع لها قاموسا وأجرومية ، ثم جاء إلى مصر وقام فيها بسياحة علمية ووضع مؤلفا جمع فيه كثيراً من النقوش المصرية سماه « آثار مصر وبلاد

النوبة » ولما عاد إلى بلاده عين أستاذا لكرسى الآثار المصرية ، وقد أنشىء له خصيصاً فى كلية فرنسا ، ولكنه كان قد أنهكه النصب فى عشرة الأعوام التى قضاها فى البحث المضنى مما قضى على صحته ، فمات فى ٤ مارس سنة ١٨٣٢ تاركا وراءه للخلف من الباحثين أجروميته وقاموسه فى اللغة المصرية القديمة .

وبعد أن وضع «شمبليون» النواة الأساسية لحل رموز اللغة جاء بعده علماء من مختلف الجنسيات تقدموا كثيرا فى دراسة اللغة وعلم الآثار ، ولم يقفوا عند حد دراسة الظاهر منها بل قاموا بحفائر كشفت عن كثير من النقوش والآثار الجنازية مما ساعد على فهم عصور التاريخ وحضارة المصريين، ولا تزال هذه الجهود رغم مضى أكثر من قرن عليها تتقدم من يوم إلى آخر ، وما زالت هذه الحفائر والأبحاث تطالعنا كل يوم بمعلومات جديدة تزيد فى معرفتنا عن تاريخ مصر ، وتنير الكثير من عصورها الغامضة ؛ كما أنه من شأنها أن تصحح الكثير من الأخطاء والنظريات التى أتى بها العلماء السابقون .

والآن نلقى نظرة سريعة على جهود العلماء من مختلف الجنسيات الذين كان لأبحاثهم وأعمالهم أثر ممتاز فى تقدم علم الآثار المصرية :

« دى روجيه »

(أولا) الفرنسيون . ظهر بعد « شمبليون » العالم « أمانويل دى روجيه » وقد قام بنقل الكثير من النقوش ، وبدأ فى وضع بحث منظم عن تاريخ مصر أساسه نقوش آثارها ؛ كما وضع مؤلفا قيما عن

جغرافية الوجه البحرى . وفى أيامه ظهر العالم العظيم « ماريت » الذى يرجع إليه الفضل فى تأسيس المتحف المصرى ومصلحة الآثار المصرية سنة ١٨٥٧ ، وقد كان أول من قام بحفائر على نمط كبير ، وكشف عن المعابد والجبانات ، وكان من أهم مراكز أبحاثه منطقة شقارة حيث كان أول مكتشف لمقابر العجل « أبيس » المعروفة « بالسرابيوم » ولكثير من مقابر الدولة القديمة هناك . وقد كان للعلماء الفرنسيين فى هذا الوقت نشاط كبير فظهر منهم الكثيرون ، وأسس إلى جانب مصلحة الآثار المصرية المعهد الفرنسى للعاديات الشرقية ومقره القاهرة ، وقد قام المعهد منذ إنشائه بطبع الكثير من الأبحاث الثمينة ، ونتائج حفائره المستمرة فى كثير من جهات القطر . ولعل أبرز هؤلاء العلماء هو المرحوم « جان ماسبرو » الذى تولى إدارة مصلحة الآثار المصرية مرتين ، وقد خلف لنا المئات من أبحاثه فى اللغة والآثار وبخاصة فى منطقة سقارة حيث فتح بعض أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة ووجد جدران حجرات الدفن فيها مغطاة بنصوص ونقوش دينية وهى المعروفة لنا تحت اسم (متون الأهرام) ، وسيأتى ذكرها فى موضع آخر من هذا الكتاب . وجاء بعده الكثير من العلماء الفرنسيين أمثال « لوريه » و « دى مرجان » و « لاكو » و « موريه » و « شاسينا » .

« ماريت »

(ثانيًا) الألمان . أول من ظهر من علماء الألمان وقام بعمل عظيم هو « ريتشارد لبسيوس » الذى جاء إلى القطر على رأس بعثة (من عام ١٨٤٢ – ١٨٤٥) لدراسة آثارها على نفقه ملك بروسيا فى ذلك الوقت ،

« لبسيوس »

وقد قامت هذه البعثة بدراسة آثار مصر والنوبة دراسة علمية منظمة ، ولم تكتف بنقل النقوش فقط ؛ بل استلزمت أبحاثها عمل الكثير من الحفائر فى مصر والنوبة ، وقد ظهرت نتيجة أبحاثها فى المؤلف الخالد المعروف باسم « لبسيوس دنكميلر » وقد طبع عام ١٨٤٩ فى اثنى عشر جزءا ، وما زال إلى الآن مرجع كل مشتغل بالآثار . بعد لبسيوس تألق نجم عالم آخر هو « هنري بروكش » الذى نجح عام ١٨٤٩ فى قراءة الكتابة الديموطيقية ، وقد فاق معظم العلماء فى ذكائه ونشاطه ويستحق أن يوضع فى صف « شمبليون » فى مقدار إنتاجه ، وقد وضع قاموسا فى اللغة المصرية القديمة ، وقاموساً آخر لجغرافية مصر وأجرومية للديموطيقية . ثم جاء بعده سنة ١٨٧٨ العالم « أدولف أرمن » وكان أكبر عمل له أن وضع أجرومية للغة المصرية القديمة ، وكذلك لكل ما أمكن من المتون المصرية القديمة ، واستعان ببعض تلاميذه فى ترجمتها ، واستخلص منها قاموساً للغة المصرية . وكذلك كتب مؤلفا قيماً عن الحياة المصرية يعد من أحسن ما أخرج للناس فى هذا الموضوع .

« بروكش »

« أرمن »

وقد تخرج على يده عدد من العلماء لهم شهرة عالمية نخص بالذكر منهم الأستاذ « شتيندورف » الذى وضع أجرومية اللغة القبطية ، والأستاذ « زيته » الذى جمع متون الأهرام وترجمها ، وأصبح بذلك العمدة الوحيد فى كل العالم فى تفسيرها ، والأستاذ « ينكر » الذى يمتاز بمعرفة المتون المصرية فى كل عصورها معرفة لايضارعه فيها أحد ، واختص فى عصر

« شتيندورف »

« زيته »

« ينكر »

« شبيجلبرج » البطالسة حتى أصبح المرجع الوحيد فيه ، والأستاذ « شبيجلبرج » الذى
« شيفر » اختص بالديموطيقية والأستاذ « شيفر » وهو من أحسن العلماء فى علم الآثار
والفن المصرى .

(ثالثًا) الأنجليز . وقد قام علماء الانجليز بقسط وافر فى النهوض باللغة
« برش » « ولكنسون » المصرية القديمة وآثارها ونخص بالذكر منهم العالم « برش » و « ولكنسون »
« جرفث » صاحب كتاب العادات والأخلاق فى مصر القديمة ، ثم الأستاذ « جرفث »
صاحب التآليف العدة فى الديموطيقية وتراجم المتون المصرية القديمة ، والأستاذ
« جردنر » « جردنر » الذى وضع كتابا فى أجرومية اللغة المصرية ، ويعد أكبر عمدة
الآن فى هذا الباب ، وكذلك ساعد بأبحاثه العدة على تقدم قراءة الخط
« جن » الهيراطيقى ، والأستاذ « جن » الذى وضع كتابا قيمًا فى إعراب اللغة المصرية،
« نيوبرى » وأخيرا الأستاذ « نيوبرى » وله أبحاث دقيقة فى علم الآثار .

وبجانب هؤلاء العلماء ظهر علماء آخرون من جنسيات أخرى ساعدوا
« جولنشيف » على النهوض بهذه اللغة ، ونخص بالذكر منهم الأستاذ « جولنشيف » الروسى
صاحب الأبحاث العدة فى اللغة ، وقد ترجم كثيرا من المتون المصرية .
« ريزنر » والأستاذ « ريزنر » الأمريكى الذى قام بحفائر منظمة في مصر وبلاد
النوبة منذ ١٩٠٣ ، ولا يزال إلى الآن ينقب فى منطقة الجيزة غربى الهرم
الأكبر ، ومن أهم مؤلفاته كتابه عن « منكاورع » بانى الهرم الثالث .

« برستد » أما أكبر عالم خدم التاريخ المصرى القديم فهو الأستاذ « برستد »
الذى جمع كل المتون التاريخية واستخلص منها تاريخًا لمصر يعتبر رغم قدمه

من أكبر المراجع فى التاريخ المصرى القديم إلى الفتح الفارسى .

المصريون
« أحمد كمال باشا »

أما المصريون فلم يقوموا بدراسة لغة بلادهم وآثارها إلا منذ عهد قريب وعلى رأسهم المرحوم أحمد كمال باشا الذى ألف عدة كتب بالفرنسية والعربية ، ثم جاءت النهضة المصرية الحديثة وقام بعض أبنائها بالحفر والتنقيب ووضع بعض الكتب ، وقد أسس فى مصر معهداً لدراسة الآثار المصرية بالجامعة منذ عدة سنوات وينتظر منه خير كثير ، وكذلك أرسلت البعثات لدراسة اللغة المصرية ، والأمل كله معقود على هؤلاء الشبان المصريين فى النهوض بآثار بلادهم وإخراج المؤلفات عنها وإظهار عظمة مصر ومجدها القديم ، وهم أولى الناس بهذا الشرف العظيم .

مصر وأصل المصريين

أصل الاسم

مصر ، وطننا العزيز ، تعد بلا نزاع أقدم أمم العالم ، وهى تكون الجزء السفلى لوادى النيل ؛ وتحد بالشلال الأول جنوبا ، والبحر الأبيض المتوسط شمالا ، والصحراء العربية شرقا ، وصحراء لوبيا غربا ؛ وقد كان يطلق عليها قديمًا اسم « كمى » وقد بقى محفوظًا إلى أن جاء الاغريق فأسموها « أجبتيوس » ولم يفسر أصل اشتقاق هذا الاسم تفسيراً شافيًا إلى الآن ، وأفضل هذه التفاسير « حا ـ كا ـ بتاح » أى مكان نفس الأله بتاح . الذى كان يعبد فى بلدة منف عاصمة الديار المصرية فى عهد الدولة القديمة ، ولفظة « كمى » معناها الأرض السوداء ، وكانت تطلق على الوادى الخصب المنزرع ، أما الأرض التى كانت تحيط به من الشرق والغرب فكانت تسمى « تا ـ دشر » وتعنى بالمصرية البلاد الحمراء أى الصحراء . ولا شك أن مصر مدينة بحياتها لنهر النيل ، وقد أصاب المؤرخ « هردوت » عند ما قال ـ نقلا عن المؤرخ « هيكاته » الذى عاش فى عهد بطليموس الأول ـ « إن مصر [١] منحة النيل » ، والواقع أن هذا النهر العظيم يفيض على البلاد بخيره العميم طول العام ، إذ أن الرشح الذى يتسبب من مائه يمد الطبقة المائية التى تحت الأرض وهى التى لا مندوحة عنها لنمو النبات وتغذيته أثناء التحاريق . أما فيضان النيل السنوى فانه يكسب الأرض خصباً ونماء بالغرين الذى

النيل

(١) في النص الاغريقى أريد بمصر « الدلتا » فقط

... عه كل عام ، ويتركه على سطح الأراضى المنزرعة لنمو الأشجار والنباتات والحيوان . ومن ذلك نرى أن البلاد المصرية بدون نهر النيل تصبح صحراء قاحلة ، والحياة فيها مستحيلة ، وبخاصة عند ما نعلم أن الطبيعة قد حرمتها ماء الأمطار تقريباً ، وجعلتها ترزح تحت عبء شمس محرقة مدة طويلة من السنة .

سكان الصحراء

ولذلك فان القوم البائسين الذين يسكنون الجهات القاحلة « أى الأرض الحمراء » كانوا يعيشون فى شظف من العيش فيتصيدون حياتهم مما تنتجه الأمطار الضئيلة التى كانت تجود بها السماء من وقت لآخر ، ومن بعض الآبار القليلة المبعثرة فى أنحاء تلك الصحارى المجدبة . وعلى ذلك كان المصريون الذين يعيشون فى رغد من العيش فى وادى النيل اليانع ينظرون إلى هؤلاء القوم نظرة ازدراء ، ويعدونهم همجاً .

البلاد الاجنبية

ولما كان المصريون القدماء يعتقدون أن النيل يستمد ماءه من صخور الشلال الأول عند أسوان والفنتين ، فانهم كانوا يعدون كل البلاد الواقعة جنوبي هذه الصخور بلاداً أجنبية عن مصر تماما ، وقد كانت مصر مسكونة منذ عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنس الحامي يقال إنه نشأ من البلاد نفسها أى إفريقى الأصل ،وينسب إلى لوبيى إفريقية الشمالية المسمين الآن بالبربر ، وإلى السكان الحاميين من إفريقية الشمالية الشرقية « الصوماليين »

الجنس المصرى

ولا مراء فى أن الحاميين المصريين يمثلون أقدم مدنية معروفة فى وادى النيل ، وعلى ذلك تكون مصر جزءاً من مجموعة المدنيات الحامية الافريقية

الأخرى ، غير أنه عند نهاية عصر ما قبل الأسرات نجد بعض التغير أخذ يدخل على هذا الشعب الحامى الجنس الناشىء من طبيعة البلاد نفسها . والظاهر أن هذا التغير جاء عن طريق الهجرة . وأهم العناصر الجديدة التى دخلت البلاد يظهر أنها من أصل أسيوى ، وكانت لها مميزات خاصة تختلف اختلافا بينا عن الشعب الأصلى ؛ وهؤلاء الأسيويون قد اختلطوا شيئًا فشيئا بالسكان الأصليين واندمجوا فيهم .

الاجناس المهاجرة

أما موضوع دخول هذه القبائل الأسيوية إلى مصر والجهة التى دخلوا منها البلاد واستولوا عليها والعصر الذى دخلوا فيه بالتحديد ، فإنها أشياء لم يجمع فيها العلماء على رأى قاطع ؛ فمن قائل إن المهاجرين أو الفاتحين جاءوا إلى مصر من شبه جزيرة بلاد العرب ودخلوها عن طريق البحر الأحمر من جهة « قفط » ، أو عن طريق أعالى وادى النيل . ومن قائل إن الغزاة أتوا من سوريا ، ودخلوا مصر عن طريق فلسطين فسينا فشرقي الدلتا ، ومن ثم انتشروا فى الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى . ومن هنا تظهر أمامنا مشكلة عويصة لم يمكن حلها إلى الآن ، وهى : هل المدنية المصرية الفرعونية نبتت فى الشمال أم فى الجنوب ؟ أى هل الحضارة المصرية بدأت فى الدلتا أم فى الصعيد ؟

والواقع أن هناك حججا تعزز كلا من النظريتين ، فإن الذين يميلون إلى الرأى القائل بأن القوم النازحين أتوا من الجنوب ، فذلك لأن كل معلوماتنا عن هذا العصر السحيق مستمدة فقط من بعض حفائر عملت فى

الوجه القبلى ، مع أن هناك مناطق أثرية أقدم من تلك واقعة فى الدلتا ، ولم يكشف علميا إلا عن بعضها منذ زمن قريب جداً كمنطقة المرمدة ، ولم تعطنا كل المعلومات التى يجب أن نستند عليها فى تكوين رأى قاطع .

عبادة «حور»

وكذلك نجد أن عبادة الإله « حور » ، الذى كان يعد من أقدم العبودات المصرية ، قد دخلت مصر من الجنوب عن طريق بلاد النوبة ، أو أعالى وادى النيل أو بطريق وادى حمامات عقب غزو القوم المسمين على الآثار « أتباع حور » كما يزعم بعض المؤرخين ، على أننا من جهة أخرى نجد أن بعض المميزات البارزة فى تكوين الديانة المصرية ونموها قد ظهرت فى الوجه البحرى، فمثلا نرى أن أشهر العبادات التى انتشرت فى طول البلاد - وعرضها تدريجا هى عبادة الإله « أوزير » ، ويرجع أصلها إلى بلدة « أبوصير » القريبة من سمنود وعبادة إله الشمس « رع » ويرجع أصلها إلى بلدة عين شمس القريبة من القاهرة .

عبادة « أوزير »

يضاف إلى ذلك أن كثيرا من بلاد الوجه القبلى كانت تسمى بأسماء مدن مأخوذة من الدلتا أقدم منها ، وعلى ذلك يكون من المحتمل جدا أن الجنس الجديد قد زحف على البلاد من شمالى سوريا عن طريق فلسطين وسينا ، وأحضر معه مدنيـة أرقى من مدنية الجنس الأصلى الحامى الذى لم يعرف إلا الآلات والأوانى الحجرية . أما الغزاة أو النازحون ، فيقال إنهم أدخلوا فى البـلاد معرفة المعادن وبخاصة النحاس ، وأدخلوا كذلك عبادتهم للأموات ودياناتهم وكتابتهم وفنونهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية ، ولا شك فى أن دخول هذا الجنس إلى البلاد قد أتى تدريجاً من غير عنف . ومهما تكن الحقيقة

فى أمر هـذا الجنس الجديد فإن هناك أمرا ثابتا ؛ ذلك أن النزلاء قد توصلوا إلى الاستيلاء بنجاح على البلاد شيئا فشيئا . وأهم الوثائق التاريخية التى وصلت إلينا من هذا العهد هى الألواح الإردوازية المنقوشة ، وقد وصلت إلينا هذه النقوش على أشكال مختلفة ، ومن الصعب الاهتداء إلى حلها ، على أنها هى الذكرى الوحيـدة لدينا لهذا الفتح الطويل ، الذى كانت نهايته على مايظهر اتحاد كل البـلاد من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط تحت صولجان ملك واحد . وقد اتفقت كل المصادر التاريخية على أنه هو الملك مينا .

اللوحات الاردوازية

أول حكم موحد

ومما لا جدال فيه أن العلاقة بين مصر فى أقدم عهودها وبين آسيا كانت موجودة ، غير أنه لا يلزمنا أن نبالغ فى أهميـة انتشار الجنسية الأسيوية فى مصر ؛ إذ الواقع أن حضارة البـلاد من أساسها إفريقيـة ، ولذلك نرى أن الجنس المهاجر اندمج على مضى الزمن فى أهالى البـلاد ، وبذلك نجـد اللغـة والزراعة والديانة التى نمت وترعرت فى البلاد مصبوغة بصبغة أهلها الأصليين منذ أقدم عهودهم ، ولم يؤثر النازحون فى تغيير شىء كبير منها ، بل كان كل تأثيرهم سطحيا ، ومع ذلك فإن مالدينا من المعلومات عن هذا العصر لا يسمح لنا بأن نجزم بشىء ؛ هذا ويجب أن نتخيل أن النازحين لم يكونوا إلا عدداً ضئيلا بالنسبة إلى السكان الأصليين . إذ الواقع أن الفئات النازحة المسيطرة كانت تلبس المدنية التى وجدتها زاهرة فى البلاد مع إدخال بعض إصلاحات وتحسينات عليها بقدر الإمكان .

قوة الطابع المصرى

هجرة الاسيويين

على أنه ليس لدينا من المعلومات ما يثبت لنا إذا كانت المدنية المصرية

مدينة للأسيويين الفاتحين بإحضار الحيوانات المنزلية كالثور والخنزير والحمار والماعز ؛ وكذلك باستحضار أقدم الحبوب مثل الشعير والقمح ، أو أنه بالعكس كانت هذه الحيوانات والحبوب قد وجدت فى وادى النيل منذ وجد الجنس الإفريقى الأصلى . وكذلك لا نعرف إذا كانت لغة القبائل النازحة قد أثرت فى اللغة المصرية القديمة ومسحتها بمسحة أسيوية وهى التى نجد ظواهرها فى عدة ألفاظ فى لغة القوم . ومنذ بداية العصر التاريخى نجد الاندماج بين الجنسين المكون منهما السكان عظيما جداً حتى أنه أصبح من الصعوبة بمكان أن نعرف بشىء من الدقة الفوارق بينهما .

نحو توحيد البلاد

اندماج الجنسين

لا ريب فى أن الشكل الذى وجدنا عليه اندماج الجنسين بعضهما ببعض كما نشاهده فى عصر « مينا » وهو العصر الذى ظهرت فيه الكتابة المصرية يحتم علينا بأن نحكم بأن الجنسين قد عاشا معًا زمنًا طويلا قبل أن يحدث هذا الاندماج الكلى . هذا على أننا نجهل تقريبا كل الأمور التى تمر ببطء فى النمو الاجتماعى والتى تبتدىء بالمعيشة الطبيعية ، ثم تكوين الجماعات إلى قبائل تحت حماية معبود فى شكل وثن ويحكمها مجلس مكون من شيوخها ، ثم الملكية المحلية ، ثم اتحاد المقاطعات معًا ، وفى النهاية الملكية الفرعونية المطلقة .

باكورة الاتحاد

والواقع أننا فى هذه الحالة ليس أمامنا إلا الفروض المحضة ، وسنستعرض ببعض الإيضاح التقلبات التى مرت على العصر الذى يسميه المؤرخون عصر ما قبل الأسرات أى قبل ظهور الكتابة إلى أن اتحدت البلاد تحت حكم « مينا » ، وسنتبع فى ذلك أحدث النظريات .

نشأة القبيلة

كانت الجماعات فى البداية فى وادى النيل مثلها فى البلاد الأخرى على حالتها الفطرية ؛ إذ كانت الجماعة أو القبيلة فى حالتها الساذجة تلتف حول

المعبودات

صورة حيوان أو نبات سواء أكان حقيقيا أم رمزيا ، وكانت تتخذ ذلك لها بمثابة إله أو وثن تعبده ، وبعد ذلك أخذت القبائل تتجمع وكونت

قيام المدن

تكوين المديريات

مدنا لكل منها حكومتها ، أما شارات هذه المدن الأولى سواء أكانت

وثنا أم حيوانًا فأصبحت كآلهة تحمى هذه المدن ، وبعد ذلك تكونت مديريات من هذه المدن مع القبائل التى تعترف بسلطان إله المدينة ومما يجاورها من الأقاليم ، وكانت تعرف كل من هذه المديريات باسم المقاطعة . وهذه المقاطعات كانت فى بادىء الأمر مستقلة وإن كان حكامها لم يطلق عليهم الملوك . والظاهر أن عدد هذه المقاطعات كاد يكون متساويا فى الوجهين القبلى والبحرى ، وبعد مضى زمن قامت حركة اتحاد فى البلاد وذلك حينما تجمعت مقاطعات الوجه البحرى إلى مملكتين الأولى فى الغرب وعاصمتها « بحدت » ، وربما كانت دمنهور الحالية ، والثانية فى الشرق وعاصمتها « بوصير » بالقرب من سمنود الحالية . وكان إله المملكة الأولى « حور » وإله الثانية « عنزتى » وقد صار « أوزير » فيما بعد .

اتحاد الوجه البحرى

وبعد فترة من الزمن اندمجت هاتان المملكتان فى مملكة واحدة أطلق عليها : الوجه البحرى ، وكانت العاصمة لتلك المملكة الجديدة فى بادىء الأمر « سايس » صا الحجر الحالية فى الغربية مركز كفر الزيات ، وكانت الإلهة الرسمية « نيت » ثم أصبحت العاصمة فيما بعد « بحدت » دمنهور ، وكان الإله الرسمى فيها « حور » . وفى الوقت الذى اتحدت فيه الدلتا إلى مملكة واحدة تكونت مملكة أخرى فى الوجه القبلى مؤلفة من

اتحاد الوجه القبلى

اتحاد عدة مقاطعات عاصمتها بلدة « نقادة » على مسافة قريبة من شمالى الأقصر ، وكان الإله المعترف به هو « ست » مناهض الإله « حور » .

اتحاد الوجهين

والظاهر أن الدلتا كانت أقوى من الصعيد ، ولذلك كان ملوك الدلتا أول من فكر فى اتحاد كل مصر تحت سيطرة حاكم واحد ، على أن حاضرة المملكة المتحدة الجديدة لم تكن بلدة « حور » « دمنهور » ، ولكن بلدة (بوصير) ، وهى بلدة إله شرقى الدلتا المسمى « أوزير عنزتى » ؛ وتدل شواهد الأحوال على أن الثورات المتوالية قد قامت فى الوجه القبلى فى نقادة وامبوس (البلاص الحالية) احتجاجا على تسلط الدلتا ، وكانت النتيجة أن تفرق شمل البلاد وانفصم عرى اتحادها ، وانفصل شطراها عن بعضهما ، فأصبح الوجه البحرى للإله « حور » ، والوجه القبلى للإله « ست » وبذلك هدمت مملكة «أوزير» ، ولم تعد « بوصير» عاصمة للوجه البحرى بل انتقلت العاصمة إلى دمنهور التى كانت حاضرة البلاد القديمة ، وبعد ذلك أصبحت مملكة «حور» أكثر بطشا من مملكة « أوزير » حتى أنها توصلت إلى إخضاع مملكة « ست » فى الوجه القبلى ، وقامت بتنظيم وحدة البلاد متخذة عين شمس عاصمة للملك ؛ ولا شك فى أن مركز العاصمة الجديدة كان اختياره موفقا إذ كانت واقعة على حدود القطرين حتى يمكنها الاشراف على كل منهما ؛

أول ثورة مصرية

«أوزير» و«حور»



قرص الشمس ذو الجناحين

ومن المحتمل أن حدود هذه المملكة المتحدة الجديدة كان جبل السلسلة أى بين أدفو وكوم أمبو ، وكانت شارتها الجديدة قرص الشمس ناشرا جناحيه اللذين يمثلان نصفى مصر — الوجه البحرى والوجه القبلى — وهو

رمز إله الشمس الذى كان مركز عبادته عين شمس . وهـذا الرمز يشاهد كذلك كثيرا على الآثار المصرية ، ولا بد أن فى وقت هـذا التغيير كان بعض الآلهة فى الوجه البحرى مثل « أوزير » و« حور » قد انتقلوا حاملين معهم اسم محل عبادتهم إلى الوجه القبلى ، ولذلك نجد اسم المدينة مكرراً فى القطرين ، فنجد مثلا بلدة عين شمس فى الوجه البحرى (هليو بوليس) وبلدة عين شمس أخرى فى الوجه القبلى (أرمنت) وهـكذا .

السنة المصرية

ويظهر أن فى هذا الوقت قد ظهر حساب السنة المصرية أيضاً .

ثم قامت عين شمس بدورها لتطفىء نار ثورة دينية قامت فى الأشمونين فى مصر الوسطى ، وقد كان الغرض من هذه الثورة أن تحل عبادة إلٰهها محل عبادة الشمس . ثم ظهرت مملكتان مستقلتان من جديد فى البلاد ؛ الأولى فى الوجه البحرى وعاصمتها « بوتو » المعروفة الآن بتل الفراعـين فى شمـال دسوق ، والثانية فى الوجه القبلى وعاصمتها (قفط) ثم « نخن » ، وهى المعروفة الآن بالكوم الأحمر تجاه الكاب (المحاميد) ، غير أن «حور» بن «أوزير» وهو الذى أخضع نهائيا الوجه القبلى متغلبا على « ست » أصبح الإلٰه الرسمى لكل من هاتين المملكتين .

الملك مينا

وقد وحدت البلاد من جديد للمرة الثالثة والأخيرة تحت سلطان عظيم من عظماء أهالى طينة بالقرب من العرابة المدفونة مركز البلينا ، وقد جاء ذكر هذا العظيم فى جدول الملوك الذى كتب فى عهد الدولة الحديثة باسم « مينا » ، وقد أطلق عليـه اليونان لفظة « مينيس » ، والأرجح أنه إما

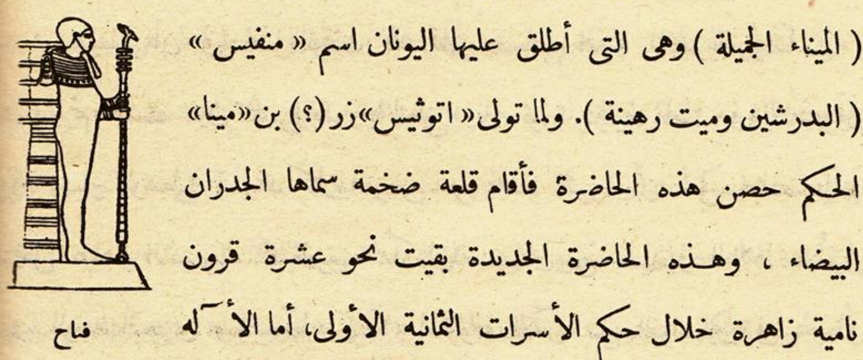
الملك « عحا » (المحارب) أو أنه الملك « نعرمر » ، وقد وجد كل منهما منقوشاً على الآثار . ولكننا لا نعلم إذا كان توحيد القطرين قد حدث بطريق السلم ،(إذ المحتمل أن «مينا» ملك الجنوب قد ورث عرش الشمال عن أمه) أم بطريق الحرب .

العاصمة الجديدة

وعلى أية حال فإن التقاليد تنسب إلى موحد القطرين بناء عاصمة جديدة على مقربة من عين شمس العاصمة القديمة ، وقد سماها « من - نفر » (الميناء الجميلة) وهى التى أطلق عليها اليونان اسم « منفيس »

« منف »

(البدرشين وميت رهينة). ولما تولى « اتوثيس »زر (؟) بن «مينا» الحكم حصن هذه الحاضرة فأقام قلعة ضخمة سماها الجدران البيضاء ، وهذه الحاضرة الجديدة بقيت نحو عشرة قرون نامية زاهرة خلال حكم الأسرات الثمانية الأولى، أما الأله الرسمى الجديد فلم يكن أحد آلهة الدولة السابقين مثل « أوزير » و«حور » و«رع» ولكنه كان الأله المحلى للعاصمة الجديدة واسمه الأله « بتاح » .

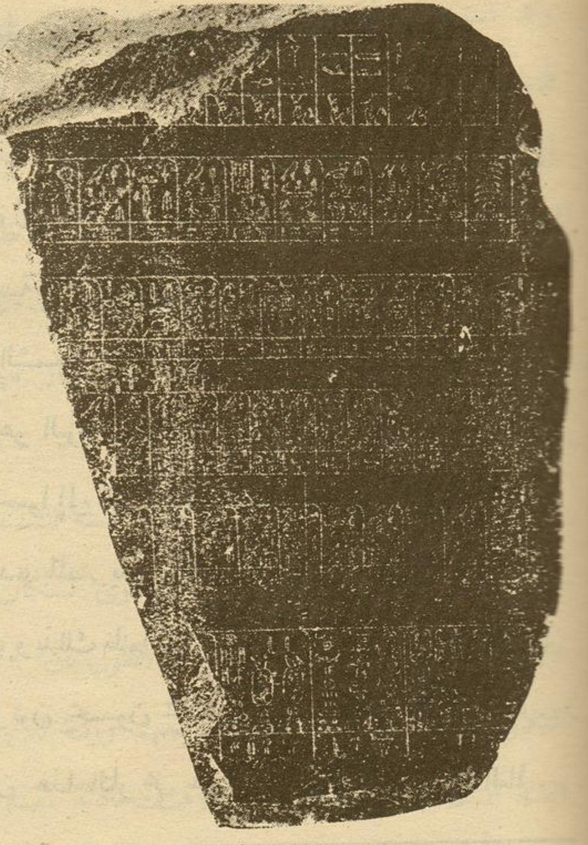


فتاح

أما الملوك الذين سبقوا « مينا » وحكموا البلاد فإن المصريين يعدونهم أشباه الآلهة الذين أتوا بعد أسرات آلهة لم نعرف عنهم شيئاً . ولم يذكر المصريون إلا أن ملوك الوجه القبلى كانت عاصمتهم فى « نخن » (الكوم الأحمر) ، وعاصمة ملوك الوجه البحرى كانت « بوتو » ، ويعرفون كذلك أن ملك الوجه القبلى كان يلبس التاج الأبيض وكانت تحميه الإلهة « النسر »

تاجا الملك

«نخبت» وملك الوجه البحرى كان يلبس التاج الأحمر وتحميه الإلهة « الصل»



جزء من حجر «بلرم»

𓆓 «وزيت» أى الثعبان وقد حفظت لنا الآثار أسماء تسعة الملوك الذين سبقوا «مينا» فى الدلتا. وقد وجدت أسماؤهم محفورة على قطعة من حجر يرجع تاريخه إلى الأسرة الخامسة ويحتمل فى عهد الملك «نوسر رع» وهذا الحجر يعرف بحجر «بلرم» وذلك لأنه محفوظ فى بلرمو عاصمة صقليـة.

حجر «بلرم»

وقد عثر على أربع قطع أخرى منه موجودة الآن بالمتحف المصرى.

وعلى هذا الحجر دونت أسماء الملوك منذ عصر ما قبل الأسرة الأولى، وذكر ملخص أهم الحوادث فى عهد كل ملك، وأحياناً الأعمال العظيمة التى قام بها. ولو أن هـذا الحجر وصل إلينا كاملا لعرفنا ملخص تاريخ مصر من أقدم العهود إلى الأسرة الخامسة، كما رواه المصريون أنفسهم.

تنظيم نتيجة السنة الشمسية

تسجيل الفيضان

عمد علماء الآثار المصرية والمؤرخون المختصون فى علم الفلك والتاريخ إلى إيجاد طرق حسابية غاية فى الحذق للوصول إلى تحديد العصر الذى ابتدأ فيه التاريخ بالسنة الشمسية (١)، فابتدءوا بسنة ١٣٩ م، ونحن نعرف بالضبط أول يوم فى السنة الشمسية اتفق تماماً مع اليوم الذى ظهر فيه نجم الشعرى اليمانية « سوتيس » وهو اليوم الذى بدأ فيه فيضان النيل، وقد اتخذوا هذا التاريخ نقطة ثابتة، ورجعوا إلى الوراء به مدة ثلاث مرات يتفق فيها ظهور الشمس والشعرى اليمانية «سبد» بالمصرية فى ساعة واحدة، ويحدث هذا مرة كل ١٤٦٠ سنة بحساب فلكى ثابت، وبذلك ظنوا أنه يمكنهم أن يحددوا سنة ٤٢٤١ق.م بالسنة التى ابتدأ فيها المصريون يحسبون بحساب السنة المصرية الشمسية. وقد قال بعض المؤرخين إن هذا التاريخ هو أقدم عهد فى تاريخ العالم.

أول فيضان

---

(١) وقد كتب الاستاذ « Neugebauer نوى جبور » مقالا ممتعاً فى مجلة :

Acta Crientalia Vol XVII Paris III 1938 P.P. 169 - 195

تحت عنوان :

Die Bedeutungslosigkeit ber Sotisperiode. Fur die alteste ægyptische Chronologie

وقد دحض فيه نظرية الاستاذ « ادورد مير » فى استنتاج تواريخ محددة لمعرفة بداية التاريخ المصرى قائلا أن كل نظريته لا ترتكز على أساس علمى وأن نظرية الحساب بواسطة ظهور النجم « سبد » عند الصباح فهذا لا علاقة له بالحساب المصرى بل خاص بالفلك الاغريقى ولذلك يحتاج الموضوع إلى بحث جديد.

وقد استنتج هؤلاء المؤرخون من هذا التاريخ السحيق فى القدم نتائج هامة فمنه عرفوا مقدار تقدم المصريين فى الحضارة فى هذا العصر العتيق إذ كان فى مقدور المصرى أن يلاحظ ظهور النجوم ، ويتمكن من تحديد مدة السنة الشمسية . ومن جهة أخرى استنتجوا الأنظمة التى كانت عليها البلاد فى ذلك العصر ، غير أن هذه الاستنتاجات لا ترتكز على حقائق ثابتة فى التاريخ ، وإن كان ما يكشف من الآثار ينبىء بتأصل المصريين فى المدنية المتوغلة فى القدم .

ومهما يكن من الأمر فإن إنشاء السنة الشمسية قد ظهر فى عصر قديم ، وأنه كان من الأشياء الضرورية القصوى لسكان وادى النيل ؛ وذلك لأن السنة القمرية بشهورها المختلفة فى الطول بين ٢٩ و ٣٠ يوما لم تكن بالشىء الدقيق للمصريين الذين خلقوا بطبيعتهم زراعا للأرض ، هذا على خلاف السنة الشمسية التى تبتدىء فى وقت حادثة معينة للفلاح المصرى ، وهو فيضان النيل المنظم العظيم لحياة الفلاح المصرى . ولما كان المصرى لا يلتجىء قط لإضافة ربع يوم « السنة الشمسية بالضبط ١/٤ ٣٦٥ يوم » أى بإضافة يوم واحد كل أربعة أعوام ليجعل عامه يتفق مع العام الشمسى ، فانه استعمل فى الواقع طوال مدة تاريخه سنتين مختلفتين : الأولى السنة المدنية ، والثانية السنة الثابتة أى الشعرى اليمانية ، وهاتان السنتان لا تبدءان معاً فى يوم واحد إلا كل ١٤٦٠ (٣٦٥ فى ٤) سنة شمسية أو كل ١٤٦١ (١/٤ ٣٦٥ فى ٤) سنة مدنية .

السنة القمرية

اختلاف السنتين

مينا وتوحيد البلاد

أول تاريخ الاسرات

اختلف المؤرخون فى تحديد السنة التى بدأ فيها « مينا » حكم مصر المتحدة فمنهم من يرجع بنا إلى سنة ٤٣٢٦ ق . م ، ومنهم من يذهب إلى أبعد من ذلك ، ويضع تاريخ هذا الحادث فى نحو سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد . ، وهناك مؤرخون من جهة أخرى يميلون إلى التاريخ القصير ويؤرخون هذا الحادث بعام ٢٩٠٠ ق . م ، أو عام ٢٧٠٤ ق . م . غير أن الآراء أصبحت الآن متفقة على اتخاذ طريق وسط بين هذين الحدين فجعل ٣٢٠٠ ق . م ، وهذا التاريخ الذى بدأ فيه ملوك مصر المتحدة يحكمون البلاد يعرف ببداية التاريخ المصرى عند « مانيتون » .

أهمية « منف »

والظاهر أن ملوك الأسرتين الأولى والثانية لم يتخذوا « منف » عاصمة لملكهم ، ولم يفكروا قط فى نقل مقر ملكهم إليها ، وإذن يحتمل أن منف لم تكن يوما من الأيام عاصمة المملكة المتحدة ، والظاهر أن الدور الذى لعبته فى تاريخ البلاد كان أقل من ذلك أهمية ، فلم تتعد كونها معقلا للبلاد فى الجهه الشمالية أى أنها كانت قلعة حصينة ، أما الملوك فإنهم استمروا فى إقامتهم فى الجنوب الأقصى متخذين بلدة « نخن » مقرا لهم ولذلك كانت أهمية منف الأشراف على بلاد الدلتا التى فتحت حديثا وضمت إلى ملك الصعيد . وقد كان لقرب منف من هذه البلاد التى ضمت حديثا أهمية أخرى ، إذ جعلتها مركزا سهلا لإدارتها ، ولا شك فى أن منف كانت

« لمينا » وأخلافه مركزاً حربيا هاما لصد غارات اللوبيين الزاحفين من الجهة الغربية من الدلتا ، وهؤلاء اللوبيون قد خضعوا بعد أن هزموا هزيمة منكرة ؛ غير أن توحيد البلاد لم يكن قد تم ، إلا بعد أن توصل أحد أخلاف مينا إلى التغلب على الجزء الجنوبى الأقصى من بلاد النوبة ، وهو الواقع بين السلسلة والشلال الأول ، ويطلق عليه « تاستى » ، وقد كان هذا الإقليم خارجا عن حدود المملكة المصرية « الوجه القبلى » طوال مدة عصر ما قبل الأسرات ، ولم يكن مسكونًا بالجنس الأسود كما هو الآن ؛ بل كان يقطنه فرع من الجنس الحامى سكان البلاد الأصليين . والظاهر أن السود الذين يسكنون نوبيا العليا والسودان لم يظهروا فى مصر إلا بعد عدة قرون ، أى فى عهد الأسرة الثالثة وبخاصة فى نهاية الدولة القديمة ، وذلك بعد التدهور الذى لحق البلاد بعد الأسرة السادسة .

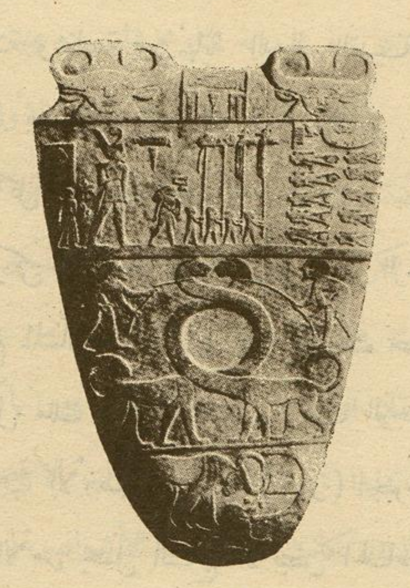
سكان النوبة

ولقد حافظت مصر المتحدة فى كل عهودها منذ حكم « مينا » على ذكرى انقسامها إلى مملكتين ، ولم يكن فى وسع إحداهما على مر الزمن أن تهضم الأخرى ، بل بقيتا على قدم المساواة ، ولذلك نجد أن ملك مصر المتحدة لا يحمل لقب ملك مصر بل ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى ، وكذلك كان يحمل لقب « رب الأرضين » وسيد (نسر) الجنوب وسيد (صل) الشمال ، وكان فى أول الأمر يحمل التاج الأبيض الخاص بالجنوب ، والتاج الأحمر الخاص بالشمال ، ولم يحمل التاج المزدوج إلا فى أواسط حكم الأسرة الأولى ، وكذا نشاهد هذا التميز فى المصالح الحكومية ؛

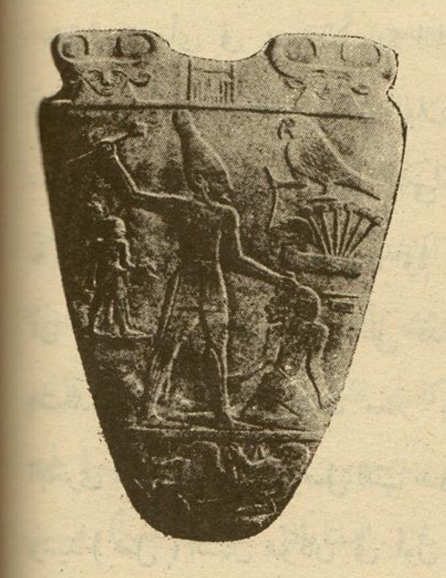
فمثلا نجد أن الخزينة مزدوجة ، أى خزينة الوجه القبلى وخزينة الوجه البحرى وهكذا .

لوحة « نعرمر »

ومما يؤيد ما ذكره « مانيتون » من أن « مينا » هو أول ملك وحد الأرضين ما جاء على الآثار المعاصرة لهذا الملك وبخاصة لوحته التذكارية الإردوازية التى وجدت فى « هيرا كنبوليس » بالقرب من العرابة وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى . (هذا إذا سلمنا بأن « نعرمر » هو مينا) ولهذه اللوحة وجهان محفوران حفراً بارزاً يشهد لصانعها بالدقة والمقدرة ، والجزء الأعلى من كلا الوجهين يحمل اسم « نعرمر » (مينا) مكتوباً بالهيروغليفية بين رأسى بقرتين تمثلان الإلهة حاتحور ، وأحد الوجهين يشمل منظرين



ظهر لوحة « نعرمر »



وجه لوحة « نعرمر »

أما الوجه الآخر فيحوى ثلاثة مناظر ؛ فالمنظر العلوى على الوجه الأول

يمثل الملك لابساً التاج الأبيض (تاج الوجه القبلى) متبوعا بحامل نعليه وقابضا بيده اليمنى على دبوس له رأس على شكل كمثرى يضرب به عدوه الراكع أمامه ، بينما أمسكت يده اليسرى شعر هذا العدو المسمى « واش » ، وقد ذكر فوقه ما يعنى أن « حور » قد أحضر للملك أسرى من الدلتا (أرض نبات البردى) ، والمنظر السفلى يمثل عدوين عاريين فارين . أما الوجه الثانى فالمنظر العلوى منه يمثل الملك لابساً التاج الأحمر (تاج الوجه البحرى) متبوعا بحامل نعليه ومسبوقا بأربعة من حملة الأعلام ثم بوزيره أيضاً ، وأمام هؤلاء عشرة أسرى قطعت رؤوسهم ووضعت بين أقدامهم ، وقد كتب فوقهم أسماء البلدان التى فتحها « مينا » ، أما المنظر الثانى فيمثل حيوانين عجيبين بينما يمثل المنظر السفلى ثوراً ينطح قلعة وهذا كناية عن انتصار الملك على أعدائه .

مصادر التاريخ المصرى القديم

المصادر الاصلية

الواقع أنه لم يصلنا أى كتاب خاص كتبه المصريون أنفسهم عن تاريخ بلادهم ، فكل ما نعتمد عليه فى تأليف تاريخ مصر هى النقوش التى وجدت على الآثار ، وهذه تنحصر فيما يلى :

(أولا) أخبار الحروب التى قام بها الملوك ، ثم النقوش الدالة على تاريخ أفراد عظماء القوم وترجمة حياتهم ، ثم المراسيم الملكية التى كانت تنتشر فى طول البلاد وعرضها من عدة نسخ ، وكانت تكتب على الحجر فى

معظم الأحيان وتوضع فى المعابد والمدن .

(ثانيا) الأوراق البردية التى كانت تحتوى على موضوعات إدارية أو قضائية أو أدبية . وخلافا لهذه المصادر فإن كل ما عثرنا عليه متشابه وعلى وتيرة واحدة وأعنى بذلك النقوش التى عثرنا عليها فى المقابر والمعابد، وكانت ترمى إلى غرض شخصى ؛ فمثلا لم يكتب الملك على جدران معابده انتصاراته على أعدائه فى حروبه إلا ليظهر قوته وسلطانه ، ولم ينقش معاهدة صلح إلا ليظهر ما كسبه من أعدائه ونفوذه عليهم ، وكذلك لم يسرد فرد من عظماء القوم تاريخ حياته إلا ليظهر ما ناله من الحظوة عند مليكه لما قام به من الأعمال الجليلة له . أما باقى النقوش التى عثرنا عليها وهى الجزء الأكبر فكلها دينية محضة ، وذلك لأنه لم يصلنا شىء من الكتابات الدنيوية إلا النزر اليسير ، وسبب ذلك أن المصريين قد أقاموا فى (الوجه القبلى) مقابرهم ومعابدهم فى الجبال وعلى حافة الصحراء ، وشيدوها من الحجر الصلد أو نحتوها فى الصخر فبقيت لنا إلى الآن بما فيها من نقوش ، أما مدنهم التى كانت تقام فى الوادى المنزرع ، والتى كانت تبنى باللبن فانها قد محيت آثارها إلا بقايا قليلة جدا ، وانمحى معها كل ما خلفوه من الكتابات التى كانت تدون على البردى إلا بعض أوراق نعثر عليها من وقت لآخر .

قائمة الكرنك

ومن بين الوثائق الهامة فى التاريخ المصرى التى عثرنا عليها قوائم أسماء الملوك ويرجع معظمها إلى عهد الدولة الحديثة . وأقدم هذه القوائم يرجع عهدها إلى حكم الملك « تحتمس الثالث » ، وقد عثر عليها فى المبنى العظيم

الذى أقامه بالكرنك فى مدينة الأقصر ويطلق عليه اسم « قاعة الأعياد » ، وهذه القائمة مكتوبة على جدران حجرة يطلق عليها الآن حجرة الأجداد ، وأحجار هذه القاعة محفوظة الآن فى متحف اللوفر، وقد وجدت فيها أسماء ملوك لم تظهر على القوائم التى عثرنا عليها فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، على أن قائمة « تحتمس الثالث » لم تكن أقدم وثيقة ، بل نعلم أن هنالك قوائم أخرى مشابهة لها . وهناك تواريخ أخرى أقدم ، وهذه التواريخ قد كتبت على لوحات من الحجر ونصبت فى أماكن عامة وبخاصة فى المعابد ، وقد حفظ لنا جزء من لوحة من هذه الآثار وهى تعرف بحجر بلرم . ويرجع تاريخها إلى الأسرة الخامسة كما أسلفنا .

حجر «بلرم»

وأهم من قائمة تحتمس الثالث قائمتا العرابة المدفونة « أبيدوس » وسقارة ، ويرجع تاريخ الأولى إلى عهد « سيتى الأول » أى فى أوائل الأسرة التاسعة عشرة ، والثانية من عهد « رعمسيس الثانى » .

قائمة العرابة المدفونة

وقد أراد سيتى الأول أن يخلد ذكرى أجداده فى إحدى قاعات معبده الذى شيده فى العرابة المدفونة ـ وهو لا يزال حافظا لجزء عظيم من رونقه القديم ـ فبنى حجرة خاصة كتب على جدرانها قائمة بأسماء الملوك ، وفى هذه القائمة تنتظم أهم ملوك مصر مبتدئة بالفرعون « مينا » ، ويلاحظ فى هذه القائمة أن فى أسماء الملوك الذين ذكروا فيها قبل الأسرة الرابعة بعض الأخطاء ، ولكن من بداية الأسرة الرابعة نجد الأسماء المذكورة على القائمة متفقة تمام الاتفاق مع الأسماء التى ذكرت فى القوائم الاخرى . أما قائمة سقارة الملكية المحفوظة الآن بمتحف القاهرة ، فإنها أقيمت فى قبر الكاتب الملكى « تونورى » ، وهذه القائمة لا تبتدىء باسم

قائمة سقارة

« مينا » بل باسم خامس أخلافه « مربابا » أو« مربابن » وهو الذى يطلق عليه اليونان اسم « ميبيس » فى كتاب «مانيتون» ، وهذه القائمة قد نقلت عن ورقة بردية ، غير أنه لم يراع فيها الترتيب التاريخى لكثير من الأسر المالكة .

ورقة «تورين»

وبجانب هذه القوائم المكتوبة على الأحجار ، قد وصلت إلينا وثيقة أخرى يطلق عليهااسم ورقة « تورين » ، وهى من عهد الأسرة التاسعة عشرة ؛ ولم يكتف فيها كاتبها بذكر أسماء الملوك ، بل ذكر السنين والشهور والأيام التى حكمها كل ملك ، على أنه مما يؤسف له أن هذه الوثيقة لم تصل إلينا سالمة، ولو أنها وصلت كذلك لكانت تعد أهم وثيقة وصلت إلينا فى هذه الناحية ، بل حدث أنها مزقت إلى قطع عدة ، ولم يتمكن العلماء إلى الآن من وضع كثير من قطعها فى مكانها الأصلى من الورقة ، وبرغم الفجوات التى نجدها فى ورقة « تورين » ، فإنه قد ذكر فيها عدد عظيم من الملوك النكرات ، لم يهتد العلماء إلى وضعهم فى مكانهم التاريخى ، وبخاصة الملوك الذين جاء ذكرهم فى هذه الورقة بين الأسرة الثانية عشرة والأسرة الثامنة عشرة . ومن الأسف أن القوائم الأخرى قد ذكرتهم بطريقة مختصرة . ومهما يكن من شىء فإن أمثال هذه الورقة وغيرها من القوائم هى التى استعملها « مانيتون » السمنودى فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وكذلك « أرستوستين » .

المصادر الخارجية

وهنالك مصدر آخر وهو ما عثر عليه من آثار فى الممالك المجاورة لمصر سواء أكانت هذه الآثار مصرية الأصل نقلت إلى هذه البلدان ، أم كانت آثارا خاصة بالبلاد التى وجدت فيها ، وذكر فيها شىء عن مصر والمصريين .

مثال ذلك : الآثار التى وجدت فى جزيرة كريت من الأسرة الثانية عشرة ، وكذلك الآثار التى عثر عليها فى فلسطين ، وسوريا من أوائل الدولة القديمة أو فى بلاد ما بين النهرين وما وراءها من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وسنشير إلى ذلك فى موضعه .

مصادر المؤرخين القدماء

بقيت المصادر التى يعتمد عليها فى تدوين تاريخ مصر منحصرة فيما نقله لنا الكتاب الإغريق والرومان وغيرهم ، إلى أن كشف « شمبليون » عن أسرار اللغة المصرية القديمة من النقوش التى على حجر رشيد عام ١٨٢٢ ، ومن ثم أخذ العلماء يستقون مصادرهم عن تاريخ مصر من النقوش مباشرة . وقد تكلمنا عنها سالفا . والآن نتناول باختصار أهم هؤلاء الكتاب الذين زاروا مصر وكتبوا عنها . فأول مؤرخ إغريقى كتب عن مصر هو « هيكاته الملاطى »

« هيكاته الملاطى »

الذى عاش حوالى عام ٥٥٠ ق . م وقد زار وادى النيل وتباحث مع الكهنة المصريين فى « طيبة » عند ما كان يضع شجرة الأنساب وتاريخه للوبيا .

« هردوت »

وجاء من بعده « هردوت » حوالى عام : ٤٥ ق . م وقد خصص الجزء الثانى من تاريخه العام لوصف مصر وتاريخها ، وقد بدأ بزيارة الدلتا ومكث فى منف وعين شمس مدة ، ثم صعد فى النيل إلى أن وصل إلى أسوان « الفنتين » وفى عودته عرج على الفيوم ، وزار الدلتا ثانية ثم غادر البلاد من القلزم . وأهم الأسئلة التى وضعها للكهنة كانت منصبة على أصل خرافة الآلهة وعلى التاريخ . وقد أخبره الكهنة أن « مينا » هو أول ملوك مصر ، ثم عددوا له نقلا عن كتاب لديهم أسماء ٣٤٠ ملكا وقالوا له إن ما بين . أول ملك

وآخر ملك ٣٤١ جيلا من الناس ، وإن كل ثلاثة أجيال تعادل مائة عام ، أى أن تاريخ البشر عندهم يبلغ نحو ١١٣٤٠ عاما . وقبل هؤلاء الملوك كان يحكم الآلهة مصر . وقد أضاف « هردوت » إلى ماسمعه ما شاهده بنفسه . والواقع أن وصفه جاء صورة حية للحياة الاجتماعية والآثار التى شاهدها . ويمكن الاعتماد عليها فى معظم الأحيان . وفى أوائل عهد البطالسة ظهر المؤرخ « هيكاتة الأبدرى » فى بلاط بطليموس الأول ووضع كتابا غير أنه لم يصلنا منه غير مقتطفات قصيرة أشار إليها « ديدور » فى كتاباته .

« هيكاته الابدرى »

«مانيتون السمنودى»

وفى هذا العصر كان يعيش كذلك « مانيتون » السمنودى وهو أهم المؤرخين الذين كتبوا عن مصر . وقد أخبرنا المؤرخ اليهودى يوسف « جوزيف » أن مانيتون كان مصرى الجنس وكان كاهنًا عظيما وكاتبًا فى المعابد وماهراً فى لغة بلاده ، وفى اللغة الإغريقية أيضًا . وقد أمره بطليموس فيلادولف (الثانى) أن يضع مؤلفًا عن مصر ، فقام مانيتون بذلك وحاول أن يضع أمام الإغريق صورة حقيقية عن تاريخ مصر منقولة عن النقوش المصرية ، ويرجع عهد كتابة هذا التاريخ إلى ما قبل عام ٢٧٠ ق م . ومما يؤسف له أن هذا التاريخ قد وصلت لنا منه أجزاء مختصرة عن طريق المؤلف يوسف اليهودى « جوزيف » الذى ولد عام ٣٧ م ، فقد ألف مقالا للرد على « أبيون » النحوى الاسكندرى الذى كان يبغض اليهود من أعماق قلبه ، وهو الذى ينسبهم إلى أنهم من أصل أبرص ومن منشأ دنس نجس وقد طردهم المصريون من بلادهم مع موسى عليه

السلام ؛ فرد عليه يوسف بأن هؤلاء الدنسين هم الهكسوس الذين هم من نسل يعقوب ويوسف . وقد دخلوا مصر فاتحين وليسوا عبيدا ، ولكى يؤيد رأيه نقل حرفيًا بعض المقتطفات عن « مانيتون » فى الفصل الخاص بالهكسوس وطردهم من مصر على يد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وشفع ذلك بجدول يحوى أسماء الملوك من عهد تحتمس الأول إلى عهد رعمسيس الرابع وعددهم ٢١ اسما مع ذكر سنى حكمهم والشهر الذى حكم كل منهم فيه ، ومن المحتمل جداً أن يوسف لم ينقل ذلك مباشرة عن « مانيتون» نفسه ، بل يحتمل أنه نقله عن المختصر الذى وضعه المؤرخون نقلا عن مانيتون . على أن هذا المختصر أخبرنا على الأقل أن مانيتون قد وضع جدولا تاماً لأسماء ملوك مصر من أول « مينـا » إلى عهد البطالسة ؛ مع ذكر تواريخ مضبوطة لحكم كل منهم ، ولذلك بقى مختصر مانيتون – وهو لا يزيد عن جدول بأسماء الملوك والأسرات مع ذكر بعض حقائق مختصرة – المصدر الأصلى لكتّاب العصر المسيحى عن تاريخ مصر إلى أن كشف عن أسرار اللغة المصرية ، وأهم هؤلاء الكتّاب ، «سكستس جوليوس أفريكانوس». Sextus Julius Africanus وقد نقل المختصر فى كتابه التاريخى الذى وضعه حوالى عام ٢٢٠ م ، ويأتى بعده « يوزيب » Eusebe « ٢٧٠ – ٣٤٠ » وله كتاب تاريخ محفوظ باللغة الإغريقية والأرمنية ، وقد نقل عن المختصر من بداية الأسرة السابعة عشرة ، ولكن من نسخة أخرى تختلف عن تلك التى نقل عنها سكستس الإفريقى .

« يوزيب »

وحوالى أوائل القرن التاسع الميلادى ألف « جورج » المسمى « سينسل » كاتم أسرار بطريق الاسكندرية تاريخا نقله عن مختصر « يوزيب » ، و« سكستس » الافريقى . وقد رأى هذا المؤلف أن كتاب « مانيتون » ينقسم ثلاثة أقسام وأن الملوك كانوا مقسمين إلى ٣١ أسرة كل منها تنسب إلى جهة معينة فى البلاد حسب أصل كل منها : الأسر الطينية والمنفية والالفنتية والاهناسية والطيبية الخ . والمتن الأصلى يعطينا السنين والأشهر والأيام التى حكمها كل ملك ولا يذكر المختصر إلا الملوك المشهورين ، وقد بقى ترتيب الأسرات الذى وضعه « مانيتون » الأساس الذى يعتمد عليه كل مؤرخ حديث فى الكتابة عن مصر رغم الكشوف الحديثة .

« ديودور الصقلى »

ويأتى بعد « مانيتون » مؤرخ عظيم اسمه « ديدور الصقلى » الذى ألف كتابا عن مصر لم تمتد إليه يد الضياع ، وقد وضع تاريخا عاما . وعند كتابته عن أصل العالم قاده البحث إلى مصر التى تعد مهداً للآلهة ، لأن المصريين يقولون إن بلادهم هى مهد بنى الإنسان . على أننا نجد فى كتاباته روح «هيكاته الأبدرى » و«هردوت » يضاف إلى ذلك أنه زار وادى النيل حوالى عام ٦٠ ق . م مما جعل مؤلفه ذا قيمة ؛ ويلاحظ فى كتاباته ميله إلى الأفكار الفلسفية والدينية . وقد جاء إلى مصر كثير من الجغرافيين الاغريق وبحثوا فى بلاد النيل فى عهد البطالسة ، ومن أهم هؤلاء « أرستوستين السيرينى» الذى كان يعيش فى الاسكندرية « ٢٧٥ — ١٩٤ ق . م » .

والظاهر أنه وصل إليه من محفوظات كهنة طيبة قائمة بأسماء ٣٨ ملكا

من ملوكهم ترجمها من المصرية القديمة إلى الإغريقيــة ، وحفظها لنا جورج سنسل ، وهذه القائمة تشتمل عل أسماء ملوك من الأسرة الأولى إلى الأسرة العشرين ، غير أن هذه القائمة لها ميزة خاصة ، إذ أنها تضيف إلى كل اسم علم جملة تدل على معناه .

« استرابون »

وفى عام ٢٧ م زار « استرابون » مصر ووصل إلى الشلال الأول ، وقد وصف فى الفصل السابع عشر من جغرافيته هذه الزيارة وصفاً ممتعاً ؛ غير أن ما كتبه عن التاريخ لا يتخطى عصر البطالسة إلا نادراً ، وكثيرا ما كان ينقل عمن سبقه من المؤرخين وينسب لنفسه مشاهدة ذلك .

« بلوتارخ »

أما المؤرخ «بلوتارخ» (١٢٠م)فإنه كتب عن مصر كتاب «إزيس وأوزير» وهو الكتاب الوحيد الذى وضع أمامنا بحثاً منظما عن الديانة المصرية ، وبخاصة عن إزيس وأوزير ومعناهما الحقيقى . والواقع أن معلوماته كانت مستقاة من مصادر جديرة بالاحترام ؛ إذ أنها تطابق فى معظم الأحوال ما دون على النقوش المصرية القديمة .

الألقاب الرسمية للفرعون

منشأ الالقاب

كان من نتائج توحيد البلاد وجمع السلطان فى يد حاكم واحد أن صار للملك مجموعة ألقاب وأسماء رسمية تطلق عليه بمجرد اعتلائه عرش الملك وقد اكتمل تكوين هذه الأسماء والألقاب فى أواخر عهد الأسرة الرابعة وقد حفظتها التقاليد إلى عصر البطالسة والقياصرة الرومان ، وكانت هذه الألقاب لا تتجاوز الثلاثة فى العهد الطينى ، أى فى الأسرتين الأوليين وهذه هى الألقاب :

لقب حور

١ ـ لقب « حور » : ومعناه أن الملك بمجرد اعتلائه عرش الملك كان يلقب باسم « حور » أى أنه صورة حية من هذا الإله تعيش على الأرض ، وهذا اللقب كان ينقش داخل مستطيل يمثل واجهة القصر الملكى ، وعلى قمته صورة صقر وهو الطائر الذى يرمز به للإله « حور » . وفى خلال حكم الأسرتين الأوليين كنا نجد أحيانا الإله « ست » ، وهو الملك القديم للوجه القبلى يذكر بجانب « حور » . على أننا نجد بعض الملوك مثل (مربابن) (ميبيس) أحد ملوك الأسرة الأولى ، وكذلك « خعسخموى » آخر ملوك الأسرة الثانية قد مثل كل منهما بصقرين أى أن أحدهما يمثل « حور » والثانى « ست ».

اللقب الحورى

لقب العقال والصل

٢ ـ وهناك لقب آخر يمثل (نسرا) و(صلا) كل منهما يرتكز على

سلة رمزاً للملكية . وهذان الحيوانان هما رمزان لمعبودى مدينة « نخب » فى الوجه القبلى و « بوتو » فى الوجه البحرى وقد أصبحا فيما بعد الإلهتين اللتين تعبدان فى عاصمتى الوجه القبلى والبحرى « نخبت ووازيت » ؛ فنسر الجنوب وصل الشمال هما السيدتان « نبتى » أى التاجان الأبيض والأحمر .

لقب الصل والعقاب

لقب النبات والنحلة

٣ – ويأتى بعد ذلك لقب للملك يمثل بنبات ونحلة ويسميان «نيسوت– بيتى» أى صاحب النبات «سوت» (نوع من السقى ربما كان البوص) وصاحب النحلة ، ويدل ذلك على ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى . وهذا اللقب كان يطلق فيما بعد على الملك فى اليوم الذى يتوج فيه على مصر بصفته الاسم الرسمى . ونشاهد أن ملوك طينة كانوا ينعتون باسم حور فقط وفى أحوال نادرة باسم (بيتى) أو باسم « نيسوت – بيتى » ، ويلاحظ أن الخرطوش الذى كان يكتب فى داخله اسم نيسوت بيتى كان فى بادىء الأمر مستديراً ؛ غير أن هذه الدائرة التى ظهرت منذ الأسرة الأولى ، كان لا بد من تغييرها إلى شكل أسطوانى يكبر طوله كلما كثر عدد الإشارات التى يتكون منها اسم الملك فى داخلها .

لقب النحلة والنبات

وقد أخذ هذا الخرطوش شكله الذى نراه عليه فى عهد الملك « سنفرو » هكذا .

خرطوش فارغ

لقب «حور القاهر»

٤ – وكذلك فى عهد الملك « سنفرو » ظهر لقب جديد للملك ، وهو لقب (حور القاهر) « حور – نب » . وذلك إشارة إلى أن حور تغلب فى

شجاره المعروف على عدوه « ست » الذى كان يقطن بلدة امبوس وهى بلدة البلاص الحالية . وقد وضع هذا اللقب بين الأسماء الرسمية الملكية فى المنزلة الثالثة ، وبذلك جعل لقب « نيسوت بيتى » فى المنزلة الرابعة .

اللقب «حور- نب»

القب ابن الشمس

٥ ـ وأخيراً فى عهد حكم الملك « منكاورع » ، أى فى أواخر الأسرة الرابعة . قد تمت الألقاب الملكية الرسمية ، وبقيت كذلك إلى أواخر عهد الحكم الرومانى ، وذلك بعد أن أضيف لقب خامس « ابن الشمس » وكان يوضع فى خرطوش مثل لقب « نيسوت بيتى » وهذا اللقب كان يحمله الملك منذ ولادته ، وكان يلقب به وهو أمير كما كان يلقب به وهو ملك .

لقب ابن الشمس

اسم الملك «منتو حتب» مكتوباً بجميع ألقابه الخمسة

مقاطعات القطر المصرى

منذ أقدم العهود

فى عصور ما قبل التاريخ لم تدلنا الآثار دلالة واضحة على أن القطر المصرى كان مقسما إلى قبائل متميز بعضها عن بعض ، ولكنا نشاهد من ناحية أخرى عند انبثاق فجر التاريخ وظهور الكتابة ما يدل على أن القطر المصرى كان مقسماً إلى مقاطعات معلمة ، وبقيت على حالتها الأولى لم يدخل عليها تغيير جوهرى منذ بدء نشأتها . اللهم إلا من العصور المتأخرة والعهد الاغريقى الرومانى فقد حدثت تغييرات محسوسة .

معنى كلمة (مقاطعة) فى الهيروغليفية

وكان المصريون يسمون المقاطعة فى لغتهم « سبات » وهذه اللفظة مشتقة من فعل « سب » أى يقسم . وهذا الاسم المصرى يقابله لفظة « نوم » التى أطلقها اليونان على المقاطعة . ومن ذلك يتضح أن كلمة مقاطعة معناها فى الأصل « قسم » وهو فى الواقع إقليم من الأرض مستطيل الشكل ، ويعبر عنه فى اللغة المصرية بشكل مستطيل مقسم بخطوط متقاطعة تكون زوايا مستقيمة هكذا ▦ .

ومما يدهش فى التاريخ المصرى أننا نرى نظام القبائل غير موجود عند انبثاق فجر التاريخ فى الوقت الذى يسود فيه نظام المقاطعات فى البلاد .

الفرق بين القبيلة والمقاطعة

وهنا يجب أن نميز بين القبيلة والمقاطعة ، فالقبيلة مجموعة من الناس تربطهم صلة القرابة وتمجيد الجد الأصلى ، ثم السيد ، والرمز الدينى . وأفراد القبيلة قد يكونون من البدو الرحل أو من أهل الحضر وليس من الضرورى أن يكون

ساكن الإقليم منتسباً إلى قبيلة ما فى نفس هذا الإقليم . أما المقاطعة فعلى العكس من ذلك مساحة معينة محدودة من الأرض ، وليست مجموعة من السكان ، وكثيرا ما يكون سكانها خليطا من الناس . ومنذ ظهر تقسيم البلاد المصرية إلى مقاطعات لم نجد فيها أثراً ظاهراً لنظام القبائل الذى كان بطبيعة الحال سائداً أنحاء القطر . ومنذ بداية التاريخ نجد أن كل طائفة من السكان كانت تجتمع على رقعة من البلاد لتستثمرها ؛ فكان لزاما أن يقسم الوادى إلى مناطق استغلال آلت فيما بعد إلى نظام المقاطعات . وقد أصبحت المقاطعة ـ أو بعبارة أخرى المكان المعين الذى يستغل ـ مقدمة عند السكان على أى اعتبار آخر من عصبية أونسب أو غير ذلك ، ولا شك أن السبب فى تلاشى نظام القبائل فى البلاد يرجع إلى النزاع الذى كان قائما بين الوجهين القبلى والبحرى ؛ وهو الذى نشأت من أجله حروب طاحنة اشتعلت نارها مئات السنين وانتهت أخيرا بتوحيد القطرين تحت سلطان ملك واحد ، وكان فى ذلك القضاء المبرم على نظام القبائل وتلاشيها ، وإن كان بعض آثارها الطفيفة لا يزال باقيا على نحو ما فى المقاطعات كما سنفسر ذلك فى حينه .

تقسيم مصر إلى مقاطعات

وتحتوى كل مقاطعة على إقليم من الأرض له حاضرته ، ولم تكن الحواضر وقتئذ تمتاز عن البوادى ، فلا تخرج عن كونها مكانا مخصبا يسكنه الفلاحون والرعاة والصيادون الذين يعيشون على ما تخرجه الأرض ، ويقضون سحابة يومهم فى الحقول ثم يعودون كل مساء إلى منازلهم ، كما يسكنها الصناع والتجار وأصحاب الحرف ، ورجال الإدارة والموظفون

والحكام على اختلاف أنواعهم .

المدينة « نوت »

وكانت المدينة « نوت » فى عرفهم فى ذلك الوقت تتألف من مبان تقام عند ملتقى الطرق ، كما تشير إلى ذلك العلامة التى يرمز بها للمدينة فى لغة القوم ، وتحوّط بسياج مستدير وتتألف من عدة أكواخ من الطين واللبن ، يأوى إليها الحراثون والرعاة والمسافرون فى المساء خوفا من مباغتات أهل البادية الرحل الذين احترفوا هذا العمل واتخذوه مهنتهم طول حياتهم. وكانت تقام فى المدينة مخازن عظيمة الحجم للغلال ، وأخرى تحفظ فيها الآلات الزراعية ،وحظائر للماشية ، ومصانع لأصحاب الحرف والصناعات وكذلك كانت تبنى فيها حوانيت للتجارة حول ميدان عام لتكون بمثابة سوق يعرض فيه التجار مالديهم من السلع والمحاصيل والمأكولات التى تنتجها الأرض .

قصر الآله «حت نتر»

وفى المدينة يشيد مبنى عظيم شامخ الجدران يشرف على ما حوله ، ذلك هو قصر الآله « حت نتر » وهو ما يسمى بالمعبد . وكان يقام خاصة لآله المقاطعة ، ويشمل داخله الرحب المخازن المقدسة ومساكن رجال الدين . وهناك قصر آخر فسيح الأرجاء شامخ البناء بالنسبة لما حوله من بيوت عامة الشعب ، أقيم خاصة للفرعون أو لحاكم المقاطعة وذلك حسب العصور التاريخية . يضاف إلى هذا دور حكومة الفرعون ، أو حاكم المقاطعة الذى نصب للفصل فى أمور الناس ولمراقبة الضرائب وشئون الزراعة ، ومخازن الحكومة وخزانتها ، والسجون وغير ذلك ؛ فكانت تقام فى جهات

مختلفة فى المدينة حسبما تقضى به الحال.

كيف توضع حدود المدينة

وكان الفرعون أو الحاكم عند ما يريد تأسيس مدينة جديدة يفصلها عن جارتها ويضع لكلّ حدودها بإقامة لوحة ثابتة كالسماء ، كما يعبر عن ذلك المصرى نفسه ، وكذلك يحدد مياه كلّ حسبما جاء فى كلامهم ، ويقسم المياه والحقول والغابات والرمال حتى حدود الصحراء وكلما ازداد عدد السكان فى هذا الأقليم وامتدت فيه الأراضى الزراعية كلما فكر العمال فى إقامة مدن صغيرة ثانوية أو قرى تقام فيها قصور وتنصب عليها حكام يدينون بالطاعة لحاكم المقاطعة. ومن مجموع هذه الأراضى والقرى والبلدان والعاصمة كانت تتألف المقاطعة

مساحة المقاطعة

ولم تكن مساحة المقاطعة فى الواقع كبيرة إذ كانت تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ ميلا فى الطول أما عرضها ، فكان يتوقف على البقعة التى تقع فيها بالنسبة للوادى وخصبه ؛ فإذا كان ضيقاً فأن المقاطعة تمتد على كل شاطىء النيل من صحراء العرب إلى صحراء لوبيا ، أما إذا كان الوادى متسعا فإن المقاطعة تنحصر فى شاطىء واحد ويكون آخر حدودها مجرى النهر نفسه. وكانت لذلك تحد بخط وهمى يمر وسط مجرى النيل.

قوائم أسماء المقاطعات

أما معلوماتنا عن أسماء المقاطعات فمستقاة من قوائم أسماء المقاطعات التى عثرنا عليها فى معابد البطالسة والرومان فى مصر ، وهذه بلا شك قد نقلت عن أصول قديمة. ومنها نعلم أن البلاد كانت مقسمة إلى مقاطعات محدودة لا تختلف كثيراً عن القوائم التى عثرنا عليها . ومن هذه القوائم والتفسيرات الملحقة بها يمكننا أن نستخلص معلومات طريفة فى بابها عن النظم الإدارية

المقاطعة من الوجهة الادارية

فى المقاطعة ، وعن الإقليم نفسه . فمن الوجهة الإدارية نعرف (أولا) الاسم الرسمى للمقاطعة (ثانيا) اسم العاصمة (ثالثا) اسم الإله الذى يسكن معبد المقاطعة . ثم تقف بعد ذلك على معلومات عن معبدها الرئيسى ولقب الكاهن الأعظم ، والكهنة الآخرين ، واسم سفينة الإله ، واسم الشجرة المقدسة التى كانت تقدس فى المدينة ، وقائمة بأسماء الأعياد المحلية ، واسم كل ما حرم عمله ، ثم اسم الثعبان المقدس الخاص بكل مقاطعة .

أما عن طبيعة المقاطعة نفسها فتذكر لنا القوائم (أولا) اسم القناة أو الترعة التى تروى المقاطعة (ثانيا) الأقليم الذى يشتمل على (ا) المنطقة الزراعية « وو » وتتألف من حقول وكروم تزرع ، وهى أراض تروى ، بعضها مرتفع وبعضها منخفض ، حسب موقعها من النيل (ب) الأراضى الواقعة على حدود المقاطعة عند حافة الصحراء ، وتشتمل على مناطق للرعى ولصيد البر ولصيد الأسماك ، لأنها غالبا تكون مستنقعات . وهذه التقاسيم الرسمية تمكننا من فهم ما يعنى به المصرى من لفظة مقاطعة ؛ إذ هى فى الواقع منطقة تستغل زراعيا من جهة ، ومن جهة أخرى تصرف منها الأمور الإدارية حيث كانت السلطة التقليدية فى يد إله العاصمة ويحمل لقب (رب) « نب » المدينة ، ويدير شئون حكومة هذا الإله الفرعون أو حاكم المقاطعة حسب الأحوال السياسية فى البلاد . والواقع أن السلطة كانت فى جوهرها دينية . وكان الإنسان فى هذه الحالة يمثل سلطة الإله . وقد يخيل للأنسان أن هذه الفكرة الخاصة بالأدارة كانت وقفا على العصر المتأخر . ولكن الحقيقة أنها

لقب « نب »

ترجع إلى عهد الفراعنة الأقدمين ؛ إذ دلتنا النقوش منذ عهد الأسر المنفية على أن استثمار الأراضى الزراعية كان بنفس الطريقة التى وجدناها فى العصور المتأخرة . وكذلك الآلهة كان يطلق عليها (أرباب) المدن فى النقوش العريقة فى القدم . وعلى هذا يمكننا أن نقرر أن النظام الزراعى والدينى فى المقاطعات يرجع عهده إلى الأزمان المتوغلة فى القدم ، وظل ثابتاً فى مصر إلى نهاية العصر الرومانى .

الآلهة تسمى (أرباب) المدن

تقسيم البلاد إلى أربعة أقاليم

والآن بعد أن استعرضنا هذه التعاريف يمكننا الحكم بأن البلاد كانت فى بادىء الأمر مؤلفة من قبائل ثم مقاطعات ، وانمحت الأولى وبقيت الثانية ، فى العصور التاريخية ؛ وقبل أن نتكلم عن رموز المقاطعات وآلهتها رأينا أن نستعرض رأى الأستاذ « لوريه » فى أصل تقسيم البلاد المصرية إلى أربعة أقاليم معينة ، يعتقد أنها هى الاساس ، الذى تألفت منه البلاد منذ أقدم العهود . والواقع أن نظريته فى ظاهرها خلابة ويظهر فى عرضه أنها قد تكون صحيحة فى جملتها إذ يرى أنه أتت قبائل وشعوب من بلاد لوبيا ، ومن آسيا الصغرى ، ومن جنوب مصر ، واختلط بعضهم ببعض وتحاربوا وأخذت الواحدة منهم تحل مكان الأخرى ثم تحالفوا فيما بينهم ، وانتهى الأمر بأن تألفت منهم أربع طوائف عظيمة — (النحلة) ، و (البوصة

رأى الاستاذ « لوريه »

النحلة والبوصة

الثعبان والنسر

و(الثعبان) ، و(النسر) ، ثم تألفت من النحلة والبوصة مملكة ،، ومن الثعبان والنسر مملكة أخرى . وفيما بعد وفد على البلاد قوم من آسيا من طريق بلاد العرب والصومال ، ونزلوا نحو الشمال وتوغلوا فى البلاد حتى الوجه القبلى ، وهذا الجنس الجديد ذو المواهب العظيمة ؛ تأصل فى البلاد ، وكوّن مملكة ثالثة ، مملكة (الصقر) ؛ وبعد قرون عدة انقضت فى حروب ومحالفات متتالية ، بين تلك الممالك الثلاثة ؛ تغلبت فى النهاية مملكة (الصقر) . ومن ذلك العهد أصبحت تلك الممالك الثلاثة ، موحدة تحت سلطان صولجان واحد . وقد أصبحت المملكة الفرعونية ، منظمة تحت سلطان ملك واحد وهو « بر إبسن » آخر ملوك الأسرة الثانية .

نزوح قوم آسيا

الملك « بر إبسن »

وهذه الحقائق مستقاة ، من دراسات دقيقة للآثار العتيقة ، ومن العناصر المختلفة التى تتألف منها ألقاب الفراعنة ، التى منها لقب « حور» ، « ونبتى » « ونسوت بيتى » ، ويعتقد الأستاذ « لوريه » أنها شارات رمزية يقصد منها أولا طوائف القبائل الأولية ؛ وفيما بعد رؤساء هذه الطوائف .

ألقاب « حور » « نبتى »

النحلة ، وهى حسب رأى لوريه رمز النسب للوجه البحرى ، وهى الرمز الهام للقبائل الذين يسكنون الدلتا ، وهذا هو السبب الذى من أجله قد انتخبت هذه الحشرة لتدل على كل إقليم الوجه البحرى .

وبيت النحلة هو المعبد الرئيسى لمدينة « سايس » ، ويذكرنا اسمه بالدور الذى لعبته شارة النحلة فى عاصمة مملكة الدلتا .

مدينة « سايس »

البوصة وهى حسب رأى « لوريه » ، الشارة التى تدل على طائفة

من القبائل تسكن مصر الوسطى ؛ ويقصد بذلك الوادى من بداية بحر يوسف إلى بداية فرعى الدلتا ، وعاصمة هذا الأقليم «هرا كليو بوليس» (إهناس المدينة) ويكتب اسمها على حجر (بلرم)، ومعناه أطفال البوصة ؛ يضاف إلى ذلك أن الإله المحلى « حرشف » لقبه الرئيسى ومعناه بوصة الأرضين ، وكاهنه الأكبر يسمى البوصة أما الثعبان الرمزى فهو ليس «وزيت» بلدة « بوتو » ولا يدل كما هو المشاع على الوجه البحرى ؛ بل هو « وزيت » ثعبان المقاطعة العاشرة من الوجه القبلى وعاصمتها « افروديتو بوليس » ، وهى اليوم (كوم أشقاو) . وأخيرا النسر «نخبيت» ، ويدل على الرمز أولا ؛ ثم على الإلهة لبلدة (الكاب) الحالية . وعلى ذلك يظهر حسب رأى « لوريه » ، أن النسر والثعبان لعبا دورا بالنسبة لملوك (الكاب) و « افروديتو بوليس » ، كما لعب الصقر « حور » بالنسبة للملوك الحوريين ؛ أو بعبارة أخرى ، أن شكل رمز القبيلة ، قد استعمل فى الحالات الثلاث ليدل على رئيس القبيلة نفسها ؛ فكما يقرن لقب « نسوت بيتى » (ملك الوجه القبلى والبحرى) بلقب « نوبتى » فإنه يستعمل ، كما يدل الأخير للدلالة على السيطرة على طائفتين ، وهما فى الواقع « هبتا نوميا » أى (مصر الوسطى) والدلتا . ويجب أن نلاحظ هنا كذلك فى ترتيب الألقاب الملكية . أن الممالك القديمة ، كانت مؤلفة من مجموعتين ؛ النسر والثعبان من جهة ، والبوصة والنحلة من جهة أخرى . أى أنها كانت مرتبة ترتيبا جغرافيا ، مبتدئة من الجنوب إلى

« هراكليوبوليس »

الإله «حرشف»

« وزيت » وبلدة « بوتو »

« افروديتوبوليس »

« نخبيت »

« هبتا نوميا» (مصر الوسطى و الدلتا)

الألقاب الملكية مرتبة ترتيباً جغرافياً

الشمال ؛ ومن المحتمل جدا أن فتح البلاد قد تم على هذا الترتيب . أى أن النسر انتصر على الثعبان ، والبوصة انتصرت على النحلة . أما اللقب « حور » الذى يأتى على رأس كل هذه الألقاب ؛ فيدل على أن حور ، أو بعبارة أدق القبيلة الحورية ؛ قد انتصرت على أعدائها ؛ بأن بدأت من الجنوب حتى الشمال . وهذه هى النظرية التى اتبعت فى العهد المتأخر فى أسطورة « حور » ؛ على معبد أدفو . على أننا نجد آثار تقسيم البلاد إلى ثلاثة أقسام . النسر ، والثعبان ، والبوصة ، فى تقسيم الوجه القبلى إلى ثلاثة أقاليم وهى الأقليم الطيبى الأعلى ، والأقليم الطيبى الأسفل . ثم إقليم « هبتا نوميا » . وفى الواقع نرى أن الوزير « رخمارع » فى عهد « تحتمس الثالث » كان يمتد نفوذه على الوجه القبلى الأعلى . مبتدئًا من الشلال إلى نهاية أسيوط . ولكن ذلك كان مقسما إلى قسمين . واحد منها جنوبى قفط ، والثانى شمالها .

أسطورة « خور »

وفى العهد العربى كانت مصر العليا مقسمة إلى ثلاثة أقاليم ؛ كان الجنوبى منها يمتد من أسوان إلى قفط . وبالاختصار كانت مصر العليا منذ الأسر الأولى ؛ تنقسم إلى ثلاثة أقاليم طبيعية .

إقليم النسر وعاصمته « أليتيا »

(١) إقليم النسر : ويبتدى من الحدود إلى قفط ؛ وعاصمته «أليتيا» (الكاب الحالية)

إقليم الثعبان وعاصمته « افروديتو بوليس »

(٢) إقليم الثعبان : من قفط إلى أسيوط ؛ وعاصمته « أفروديتو بوليس » (كوم إشقاو).

قليم البوصة وعاصمته « هراكليوبوليس»

(٣) إقليم البوصة : من أسيوط إلى بداية تفرع الدلتا ، وعاصمته « هراكليو بوليس ».

« نى عنخ بيبى »

ومن ذلك يتضح أن تسع المقاطعات التى ذكرت فى نقوش « نى عنخ بيبى » مدير الرسائل فى عهد أحد ملوك الأسرة السادسة ، تنطبق تمام الانطباق على قسم البوصة (مصر الوسطى) . وإنه لمن المدهش أن نجد مذكورا فى الأسرة السادسة [١] أحد الأقسام الأربعة ، التى كانت تنقسم إليها البلاد منذ القدم ؛ والظاهر أن هذا التقسيم لم ينسه المصريون طوال تاريخهم حتى فى عصرنا هذا .

رموز المقاطعات وآلهتها

وأول قائمة وصلت إلينا بأسماء مقاطعات من العصور القديمة يرجع عهدها إلى الأسرة الثامنة حوالى ٢٤٠٠ ق . م . وذلك نقلا عن مرسوم ملكى أصدره أحد فراعنة الأسرة الثامنة إلى وزيره ؛ وقد قرر فيه أن يتولى إدارة الاثنين والعشرين مقاطعة التى كان يتألف منها الوجه القبلى وقد ذكر أسماء هذه المقاطعات حسب ترتيبها الجغرافى الذى نعرفه فيما بعد . يضاف إلى ذلك أننا وجدنا على جدران أهرام الأسرة السادسة ، وعلى جدران بعض مقابر العهد المنفى أسماء بعض مقاطعات متفرقة . أما مقاطعات الوجه البحرى فليست لدينا قوائم رسمية بأسمائها ولكننا نجد بعض الأسماء مذكورة

(1) Alexandre Varille, memoire De L'instit. Français Tome LXX (La Tombe De «Ni - Ankh - Pepi» à zaouyet El Mayetin P 35 - 38)

على الجدران الداخلية لأهرام سقارة أو على جدران مقابر العصر نفسه .

أقدم المصادر لاسماء المقاطعات

وأقدم المصادر التى استقينا منها أسماء مقاطعات ينسب إلى العهد الطينى . ومن المحتمل أن الوجه القبلى والوجه البحرى كانا قد قسما إلى مقاطعات منذ أكثر من ٣٢٠٠ ق . م . وكان عدد المقاطعات فى كل منهما متقاربا ، فكان الوجه القبلى يتألف من اثنين وعشرين مقاطعة والوجه البحرى من عشرين مقاطعة . وفى كل هذه المتون كانت تعرف المقاطعة وتكتب بإشارتها أو رمزها الخاص . وكان هذا الرمز حيوانا أو شجرة أو شيئا موضوعا على حامل مثبت على الأشارة التى تدل على معنى كلمة مقاطعة .

الاشكال الرمزية تدل على آلهة المقاطعات

وكان كل من هذه الأشكال الرمزية يطلق اسمه على المقاطعة التى يسيطر عليها . وهذه الرموز كانت فى الواقع تدل على آلهة المقاطعات ، وقد استمرت حتى انقراض المدنية الفرعونية . وبعض هذه الأشكال استعملت رموزا مرفوعة فوق القبائل التى كانت قبل التاريخ كأنها أعلام خفاقة . على أن كل هذه الرموز لم تبق بعد فى أماكنها الأصلية ، فمثلا نجد أن قرص الشمس ، والوجه الأنسانى ، والعقرب والفيل وبعض نباتات قد اختفت من المقاطعات التى كانت رمزا لها . ونجد من جهة أخرى ، فى الوجه القبلى صقرا يظهر رمزا لمقاطعة غير مقاطعته ورأس الثور وهى أصل الصاجات المصنوعة على شكل رأس بقرة موجودة فى المقاطعة السابعة ، والصاعقة ترمز للمقاطعة التاسعة ، والصقر المحلق يرمز للمقاطعة الثامنة عشرة . وقد عثر على بعض فخار العصر « النيوليتى » قد رسم عليه بعض أشجار ترمز لبعض

القبائل فيحتمل مثلا أن شجرة (البطم) التى على هذا الفخار ترمز للمقاطعة الثالثة عشرة وشجرة النخيل قد تكون رمزاً للمقاطعة العشرين .

أما فى الوجه البحرى فنجد الصقر يظهر كشارة للمقاطعة الثالثة . والسهمين المثبتين على جلد حيوان فى هيئة صليب يرمزان للمقاطعة الرابعة . وقد حفظ الخطاف فى المقاطعة السابعة رمزا لها . والجبل ذات القمم الثلاثة رمزاً للمقاطعة السادسة . ولا يمكننا تفسير هــذه الرموز إلا بأنها شــارات ترمز لقبائل جائلة ثم أصبحت فيما بعد رموز المقاطعات عندما استقربها المقام .

بقاء الرموز إلى العهد التاريخى

ولا يبعد أن يكون مـلوك الأسرة الأولى الطينية قد أحضروا معهم عند غزوهم للقطر بعض قبائل جديدة كل منها تحمـل رمزها الخاص بها ، فمثلا الحيوان الدال على الآله « ست » والذئب ، والطائر « إيبس » ، صقر الشرق ، وسبيكة ، وهى رمز الشرق ، وقطعة لحم ، كل هــذه قد أصبحت رموزا أو آلهة لمقاطعات ، ومن ذلك نعلم أن عددا محددا من هذه الرموز التى يرجع عهدها إلى ما قبــل التاريخ ، أو إلى عصر المملكة الطينية قد بقى إلى ما بعد هذه العهود ، حينما استقر المقام بالقبائل وأصبحت متوطنة فى الحدود الأقليمية والأدارية . ورغم أن الوثائق التاريخية لا تزال تعوزنا من هــذه الناحيــة ، فإنه فى استطاعتنا أن نصرح بأن نصف مجموع مقاطعات القطر عامة قد اشتقت أشكال رموزها وآلهتها من القبائل القديمة التى كانت تسكن وادى النيــل الخصيب . ومن المحتمل أن رموزا أخرى يرجع أصلها إلى قبائل عاشت فى عصر ما قبــل التاريخ ، وبخاصــة فى

الأحوال التى لا يمكن إرجاعها إلى اشتقاق تاريخى .

آلهة من العصر التاريخى

ومن جهة أخرى توجد آلهة فى كل عاصمة من المقاطعات ، يرجع عهدها إلى العصور التاريخية ، ولكن بعضها لا يظهر إلا فى عاصمة مقاطعة واحدة ، وبعضها مثل الإله « حور » والإلهة « حتحور » ، والإله « خنوم » ، والأله « أوزير » والأله « تحوت » يظهر فى عدة عواصم يعبد فيها . والآن نتساءل ما العلاقة التى تربط آلهة العواصم برموز المقاطعات ؟ والأجابة على ذلك تنحصر فى أمرين .

الأمر الأول : أننا نجد إله العاصمة يمتزج برمز المقاطعة ، أو تكون له علاقة ما به لا تقبل الجدل ؛ فمثلا فى المقاطعة الثانية من الوجه القبلى نلاحظ أن الصقر يحكم الأقليم بصفته الإله « حور » ، وفى الوقت نفسه نجد معنى رمز المقاطعة (عرش حور) والالهة « حتحور » تسيطر على المقاطعة السابعة ورمزها رأس البقرة . والإله « مين » يقطن المقاطعة التاسعة ، وبينما تدل الصاعقة على هذا الإله فإنه يرمز بها فى نفس الوقت للمقاطعة .

العلاقة بين آلهة العواصم ورموز المقاطعات

وفى المقاطعة السابعة عشرة نجد (ابن آوى) يرمز به فى آن واحد للإله « أنوب » وللعاصمة أيضا . وفى الوجه البحرى نشاهد أن السهمين المتقاطعين يرمزان للألهة « نيت » فى (سايس) بلدتها ويستعملان كذلك رمزا للمقاطعتين الرابعة والخامسة . والطائر « إبيس » الأله « تحوت » إله المقاطعة الخامسة عشرة ورمزها فى نفس الوقت . ففى كل هذه الأحوال نشاهد أن رمز المقاطعة قد بقى لنا منذ الأزمان التى قبل التاريخ أو العصر الطينى .

رمز القبيلة صار إ آله المدينة

وقد حفظ لنا نظام مدن المقاطعات فى الأماكن التى سردناها الإله الذى انتخبته الجماعة الأكثر قدما ؛ أما رمز القبيلة فبقى رمز إله المدينة ، وقد أخذ الرمز فى وظيفته الجديدة يظهر فى هيئة آدمية ، فكان المعبود فى العادة يأخذ شكلا آدميا ، وهذا المظهر الجديد يمكن رؤيته بشكل مادى على بعض الآثار الطينية فنشاهد الحيوان الذى يمثل الإله « ست » والذى منح اسم « عش » وقدتحول إلى رجل برأس حيوان يشبه الكلب السلوقى(؟)، ونرى الحية « وزيت » قد صارت صلا برأس إنسان ، وفى ذلك ما يشير إلى أصل هذه الأشكال غير الطبيعية التى تمثل لنا الإله فى شكل إنسانى مستخلص من الحيوان القديم الذى كان يعد رمزا للمقاطعة . ولكن هذا الحيوان يكوّن جزءا من الإله ، أى أن هذا الإله يمثل : إما بجسم إنسان ورأس حيوان أو بالعكس ، وقد بقيت أشكال هذه الآلهة تمثل بهذا الوضع حتى انقرضت الديانة المصرية القديمة من البلاد جملة [1] . فمثلا نجد (الصقر) مع أنه يمثل وحده الإله « حور » للمقاطعة الثانية ، فإنه غالبا يمثل على شكل إنسان برأس صقر . ولكنه فى رمز المقاطعة بقى صقرا فحسب . وكذلك الطائر « إبيس » تحوت إله المقاطعة الخامسة عشرة فأنه يرسم على شكل إنسان برأس الطائر إبيس ، وعندما يراد به رمز المقاطعة لا يرسم إلا « إبيس » فقط . ونجد فى المقاطعة الخامسة الإلهة « نيت » وترسم على شكل امرأة إلآهية قابضة فى يدها على سهمين فى هيئة الصليب وهما الرمز القديم للمقاطعة . والأولى أن نفرض أن هذه الحيوانات وهذه الأشياء قد فقدت مدلولاتها الأصلية

تصوير الآله

(١) لا نزاع فى أن تمثيل الآله بهذا الشكل من اختراع الكهنة حتى يسهل على الآله أن يتسلم من الملك القرابين أو يسلم عليه. أى أن هذا الشكل للآله قد اخترع للتقريب بين الانسان ومعبوده بطريقة عملية

فى أعين عامة الشعب ولذلك نرى من الصعب جدا أن يتصور دهماء الناس أن الصقر أو الطائر « إبيس » الذى يرمز به لهذه المقاطعة أو تلك هو جد القبيلة أو سيدها ، أو رمزها ، ولـكنهم فى الوقت عينه لا يمكنهم أن يعتـبروه رمزا معنويا ، بل يعدونه الصورة الحيـة على الأرض للإله أى الحيوان الذى تقمص فيه الإله كذا . وكذلك السهمان المتقاطعان فإنهما يمثلان معبودا ، أو صورة ظاهرة تتقمص فيها الإلهة أو شـكل آخـر مادى .

الحيوان هو الصورة الحية للإله على الارض.

ومنـذ عهـد الأسرة الثانية الطينية حوالى (٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق م) نرى الأشكال الإلهية المركبة (رأس حيوان وجسم إنسان أو بالعكس) تفسر لنا بجلاء ووضوح انتقال الرمز إلى إله يعبد . ولا يبعـد أن يكون هذا التحول نتيجة تغير القبيلة إلى مقاطعة . وكذلك للسبب الذى ذكرناه آنفا.

كيفية انتقال الرمز الى إله

الأمر الثانى : نشاهد إله العاصمة متميزا عن رمز المقاطعة .

وقد ذكرنا فيما سلف أن بعض الرموز سواء أكانت من عصر ما قبل التاريخ أم من العهـد الطينى ، لا توجد فى المقاطعات ، ومن جهة أخرى نرى هنا متناقضـات صارخة ، فمثـلا فى الوجه القبلى نشاهـد أن الصـقرين (رمز المقاطعة الخامسة) هما للإله « مين » الذى لا يمثل بطائر بل يمثل بإنسان ويرمز له برسم صاعقة ، وكذلك المقاطعة السادسة ويرمز لها بالتمساح فإنها مقاطعة الإلهة « حتحور » (البقرة) ثم المقاطعة الخامسة عشرة ويرمز لها بالأرنب البرى مع أنها مقاطعة « إبيس » الإله « تحوت » ، وكذلك نلاحظ أن المقاطعتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة يرمز لهما بشجرة « البطم »

على أن إله أولاهما هو الذئب « وبوات » وإلهة الثانية البقرة « حتحور» أما المقاطعتان العشرون والحادية والعشرون فيرمز لكل منهما بالنخلة مع أن إله الأولى الكبش «حرشف » وإله الثانية الإله« حور » والكبش «خنوم» وظاهر جدا من كل هذه الأمثلة أنه ليس هناك ارتباط بين رمز المقاطعة وإلهها وبمعنى أوضح « الرمز لا يدل على الشكل الظاهر للمعبود » ، يضاف إلى ذلك أن كلا من الرمز والإله يكتب بشكل مخالف للآخر . وهذا التضارب الصارخ نجده بين رموز المقاطعات وبين الإلهة فى الوجه البحرى أيضا ، وعلى هذه الحال نشاهد فيما يقرب من نصف مقاطعات القطر ، إلهين فى مقاطعة واحدة أقدمهما يحتمل أن يكون الرمز القديم المحلى وقد فقد مكانته ، ولكنه رغم ذلك بقى رمزا للمقاطعة تقديرا له واحتراما لمكانته وأصبح يقدس كأنه حيوان إلهى أو صنم وقد استمر تقديسه من قبيل التقليد والتمسك بأهداب القديم . أما الإله الجديد الذى كان رب العاصمة وسيدها فإنه يظهر على شكل حيوان أو صنم على شكله البشرى . وهذان الصنفان من الآلهة يعيشان على وئام جنبا لجنب رغم أن كل منهما بقى منعزلا عن صاحبه ومميزاً عنه تمام التمييز . ومتون الاهرام تفصل بجلاء بين كل آلهة المقاطعات وكل آلهة المدن .

الرمز لا يدل على الشكل الظاهر للمعبود

والواقع أنه عند ما يختلف إله المقاطعة عن إله العاصمة فإن ذلك فى غالب الأحيان يكون نتيجة تخلى جد أو إله مهزوم عن سيادة الأقليم الفعلية لخلف له ، أو أن الإله الجديد جاء إثر حدوث انقلاب اجتماعى أو

سياسى ، فحل محل إله العاصمة ، ولكن ذلك فى الوقت نفسه لم يقض على عبادة الأخير جملة .

وهذه السيادة التى يتمتع بها إله العاصمة على المقاطعة قد توطدت باسم العاصمة . وتفسير ذلك أن كل مدينة عظيمة كان لها اسم متداول لم يكن مدلوله محدوداً بشكل قاطع ، على الأقل لنا ، والأمثلة على ذلك لا تعوزنا مثال ذلك: طينة ؛ و«زبتى» ؛ وساشحتب (شطب الحالية) واسيوط الخ . وإن كان بعض العلماء قد وضع لها تفسيراً على وجه التقريب ؛ وهذه الأسماء قد حلت محلها سلسلة أسماء مقدسة وذلك بعد أن استقر فى كل مدينة آلهة تاريخية . فكانت العاصمة تسمى (البيت) « بر » أو القصر « حت » أو المدينة « نوت » أو الهيكل « زبات » أو المحراب « سخم » أو العمود « إيون » أو الصولجان « واست » للإله كذا . وبحاصة نجد أن اسم المعبد الكبير للمدينة يتغلب ويطلق على المدينة كلها فيصبح علماً عليها . على أن العواصم فى القطر تنعت (ببيت) الإله كذا ؛ مثال ذلك : « بوزريس » معناها « بيت أوزير » (أبوصير الحالية) وبوباسطه (تل بسطه الحالى) معناها بيت الإلهة « باست » القطة الخ . وهذه الأسماء المقدسة أخذت تطغى شيئاً فشيئاً على الأسماء الأخرى ، وكذلك أسماء المقاطعات ولذلك نرى فى عصور مختلفة أن القوم يسمون المقاطعة كلها باسم عاصمتها أى باسم المعبد ، وهذه الطريقة أصبحت شائعة الاستعمال بعد احتلال الإغريق لمصر ، ولا يبعد أن يكون القوم الفاتحون من الإغريق قد

عاصمة المقاطعة تسمى (بيت الآله)

المقاطعة كانت تسمى باسم العاصمة أى باسم المعبد

اتخذوا هذه الطريقة نقلا عمن قبلهم من المصريين، أى أن هـذه الطريقة كانت قد أدخلت فى التقاليد الإدارية فتطلق على الأقاليم أسماء الحواضر بصفتها ممتلكات للآلهة المصرية، وقـد بحث الإغريق عما يقابل هـذه الأسماء فى علم الخرافات الإغريقيـة وأطلقوهـا على أسماء المقاطعـات : فمثلا المقاطعة الثانية للإله « حور » أطلق عليها : صاحب مدينة « أبولون » (الأبولونيتى) . وكذلك سميت المقاطعـات « ديوسبوليت » ، و «أفرديتوبوليت » ، و « هرموبوليت » نسبة إلى مدينة الإله « زيوس » (آمون طيبة) والإلهة « أفرديتى » (حتحور دنـدره) و « هرمس » (تحوت فى الأشمونين) وهكذا كان آخر حد فى الطغيان الدنيوى لآلهة المدن على معبودات المقاطعات .

تغيير أسماء المقاطعات المصرية بأسماء يونانية

وتوجد مدن قد نشأت على أرض بكر، خلفها تقهقر النيل ولم تكن قد استعمرت بقبيلة قـديمة ، أو لم يقطنها (أتباع) الإله فمثلا نجد عند بداية الدلتا أرضا كانت مغمورة فى الأزمان السالفة بمياه النيل ولـكن استردت من النهر بإقامة سد ضخم ، فعلى هذه البقعة يقال إن « مينا » أسس المدينة المسماة (الجدار الأبيض) « انب ـ حز » وهى التى أصبحت فيما بعـد « منف » أو « من — نفر »، قد أطلق على الإقليم المجاور اسم المدينة ودوّن مثل (الجدار الأبيض) على رأس مقاطعات الوجه البحرى .

« مينا » أسس الجدار الابيض فيما بعد

على أن الإله « فتاح » الذى كان يسيطر على مقربة من هـذه المدينة لم يطلق اسمه لا على المدينة ولا على المقاطعة بل على العكس عندما

الإله « فتاح »

انضم هـذا الإله إلى منـف وصـار يعبـد فيها أصبح يوصف هكـذا « فتاح فى جنوب جداره » أى الإله « فتاح » الذى يوجـد معبـده خارج جدران المدينة « منف ».

« فتاح » فى معبده خارج مدينة «منف»

والظاهر أن الحال كانت كذلك بالنسبة للمقاطعة الرابعة فى الوجه القبلى. وذلك أن مدينة (الصولجان) ، « واست » (وهى طيبة فيما بعـد) قد أطلقت اسمها على مقاطعتها ثم إلهها « منتو » (إله الحرب) على مدينـة مجاورة وهى « هرمنتس » (بيت الإله منتو) أرمنت الحالية .

وفى أحوال أخـرى تكون المقاطعة قـد وجـدت لأسباب إدارية ، ولـكن كان من الواجب على الإنسان فى هـذه الحالة أن يحسب حساب التقاليد الدينية التى كانت مرعية فى البـلاد منذ الأجيال المتعاقبة : فمثلا تدل الظواهر على أن المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبـلى لم تـكن فى حيز الوجود قبـل الأسرات المنفية فلما أنشئت هـذه المقاطعة لأسباب إدارية محضة أطلق عليها اسم « تاستت » أى أرض الإلهة « ستت » وذلك على الرغم من أن مركز هذه الإلهة الأصلى كان فى جزيرة (سهيل) الواقعة فى جنوب المقاطعة . والخلاصة أنه كان لابد من نسبة المقاطعة الجديدة إلى معبود ما بأى شكل كان محافظة على التقاليد . أما عاصمة هذه المقاطعة فكانت فى « آبو » أى مدينة الفيـل (الفنتين الإغريق) وربما قد حفظ فى ثنايا هـذا الاسم ذكرى قبيـلة يرجع عهـدها إلى ما قبل التاريخ وهى التى نعرف رمزها الحيوانى (الفيـل) أما الإله الذى أدخل فى

إنشاء المقاطعة لاسباب ادارية

« آبو » فكان الـكبش « خنوم » الذى اتخذ « ساتيت » فى جزيرة سهيل إٓلهة خليلة . وهـذا الترتيب الذى نشاهده فى المقاطعة الأولى نفهم من تغييراته ثلاثة عناصر مميزة ويحتمل أن تكون ثلاث مراحل فى تكوين المقاطعة وتاريخها كما ذكرنا .

أطوار تكوين المقاطعة

آلهة المقاطعات

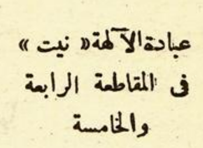
تكلمنا فى الفصل السابق عن أصل منشأ المقاطعات وكيفية تدرجها ورقيها من الوجهة الإدارية ، وكذلك تكلمنا عن أصل العبادات فيها وتقلباتها فى كل مقاطعة . والآن سنتحدث عن آلهة هذه المقاطعات وعن الأسباب التى أدت إلى تقديس هذه المعبودات على اختلاف أنواعها بقدر ما تسمح به الأحوال .

وسنبدأ بآلهة الوجه البحرى متتبعين مواقع نفوذ كل إله أو إلهة حسب طبيعة الإقليم الذى نشأت فيه تلك العبادات . والحقيقة التى لا مراء فيها أن الفكرة الدينية الأساسية كانت واحدة فى كل أنحاء القطر ، ولكن الخلاف فى كيفية عبادة كل إله فى كل مقاطعة ، ولذلك لا نكون مغالين إذا قلنا إنه يوجد فى مصر على وجه عام ديانات بقدر عدد المقاطعات .

الفكرة الدينية واحدة فى كل المقاطعات

ويجب أن نقرر هنا بادئ الأمر أنه يكاد يكون من ضروب المستحيل أن يكون اعترافنا بتقسيم الوجه القبلى إلى ٢٢ مقاطعة والوجه البحرى إلى ٢٠ مقاطعة ، كما وصل إلينا من القوائم القديمة المختلفة ، دالاً على أنه كان فى مصر فى تلك العصور ٤٢ حكومة مستقلة ؛ بل الواقع أن كثيراً من هذه المقاطعات قد نشأ لأسباب إدارية ، هذا إلى أن حدود هذه المقاطعات كانت تتغير حسب العصور ، ولا يمكننا الآن أن نبحث فى أصل كل مقاطعة وكيفية نشأتها ، والوثائق لا تعوزنا لهذه البحوث فى الوجه القبلى ، ولكنها قليلة هزيلة وغامضة أحياناً بالنسبة للوجه البحرى ، ولذلك سنقتصر فى بحثنا فى ديانة مقاطعات الوجه البحرى على ما تسمح به الوثائق التى بين أيدينا .

تقسيم مصر إلى مقاطعات


عبادة الآلهة « نيت » فى المقاطعة الرابعة والخامسة


الآلهة «نيت» سيدة (سايس)

وأهم المعبودات التى ذاعت عبادتها فى غربى الدلتا الإلٰهة « نيت » إذ كانت تقدس فى المقاطعتين الرابعة والخامسة وكان مقر عبادتها بلدة « سايس » صاالحجر الحالية وهى عاصمة المقاطعة الخامسة. وقد انتشرت عبادة « نيت » فى كل البلاد المصرية منذ بداية الأسرة الأولى. وكانت الإلهات فى ذلك الوقت لهن الحق فى وراثة الملك كما كان للمرأة فى الشرائع الدنيوية . وقد جاء فى النصوص القديمة عن هذه الإلٰهة ما يأتى :

(« نيت » الأم العظيمة للإلٰه « رع » وقد ولدت فى الأول . فى الوقت الذى لم يكن قد ولد فيه أحد) . وقد أصبحت فيما بعد على رأس الثالوث الذى كان يتألف من « أوزير » الزوج فى منديس (تل الربع) ، ومن ابنيهما « أرى ـ حس ـ نفر » الذى كان يمثل على شكل أسد وديع . وقد قامت بأدوار أخرى سنتكلم عنها فى حينها. وفى شمالى هاتين المقاطعتين توجد مقاطعة الخطاف(١)

(١) وهناك (بوتو) أخرى (فى الجهة الشرقية) من الدلتا موقعها الحالى (تل نبيشة) القرية من القنطرة وجنو بى تانيس (وهى عاصمة مقاطعة الخطاف الشرقية التاسعة عشرة) حسب رأى الأستاذ « زيته » على أن هناك بعض المؤرخين يجعل مقاطعة الخطاف الشرقية هى هرونبوليس وعاصمتها بتوم (تل المسخوطة الحالى) ومقاطعة الخطاف الغربية هى ميتليس. ولكن يرجح رأى الأستاذ « زيته » وقد دلت الكشوف الحديثة على أن مقاطعة هرونبوليس لا بد أن يكون موقعها بجوار منطقة أبو الهول الحالية إذ كان يعبد فيها الآله (حورون) الذى كان يمثل أبا الهول فى عهد الدولة الحديثة وهو إله فلسطينى على شكل صقر . وقد اختلط بأبى الهول لانه كان يمثل فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ومابعدها بالآله (حورأختى) أو (حرمخيس) وهو الاسم الذى عرف به أبو الهول وتوارثه القوم حتى العصر الاغريقى فى مصر . وقد عثر على اسم مدينة «حورن» فى منطقة أبى الهول

الغربية (المقاطعة السادسة [١]) وتشمل بحيرة البرلس، وسكانها يمتهنون صيد الأسماك وعاصمتها بوتو « بر ــ وزيت » (إبطو الحالية) . وموقعها الحالى تل الفراعين ، حيث كانت تعبد إلهة تتقمص ثعباناً ساماً يطلق عليه اسم «وزيت» . وفى الجهة الغربية نجد المقاطعة السادسة عشرة وعاصمتها بلدة «منديس» (تل الربع) وكانت تسمى بالمصرية « بر ــ با ــ نب ــ زد » . أى بيت روح سيد « زد » . وهى مقر عبادة إله على شكل تيس يعبد باسم « خنوم » (غنم) ثم جاء فى العصور المصرية فيما بعد أن الإله « أوزير » كان يتقمص هذا التيس ، ومن ثم أصبح يطلق عليه روح سيد «زد» ، وكذلك يقال إن مومياه كانت مدفونة فى هذه البلدة . ومما يلاحظ أن هذا الإله لم يصور قط على شكل آدمى بل بجسم بشرى ورأس تيس ، وربما كان ذلك دليلاً على أن عباده لم يمكنهم أن يتخلصوا من الفكرة الأولى التى عبدوا بمقتضاها هذا الإله .

عبادة « خنوم » (التيس) فى المقاطعة السادسة عشرة

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذه المقاطعة أنه كان يرمز لها باسم إلهة على شكل سمكة الدرفيل «حات ــ محيت» ، وتقديس هذه السمكة فى تلك الجهة دليل على أنها كانت تدرج فى النيل إلى هذه النقطة ، أى أن الماء الملح الذى تعيش فيه هذه السمكة كان يصل إلى هذه الجهة وتوجد فى دمياط إلى يومنا هذا ؛ وجنوب هذه المقاطعة نجد بلدة « زدو » (أبوصير) وهى عاصمة المقاطعة التاسعة وهى مسقط رأس إله النباتات العظيم « أوزير » الذى حل محل إله قديم يدعى «عنزتى» ، كما تنبئنا متون الاهرام . والإله « أوزير » هذا هو

سمكة الدرفيل كانت تأتى فى النيل حتى تل الربع

أبو صير موطن عبادة « أوزير » إله النبات

---

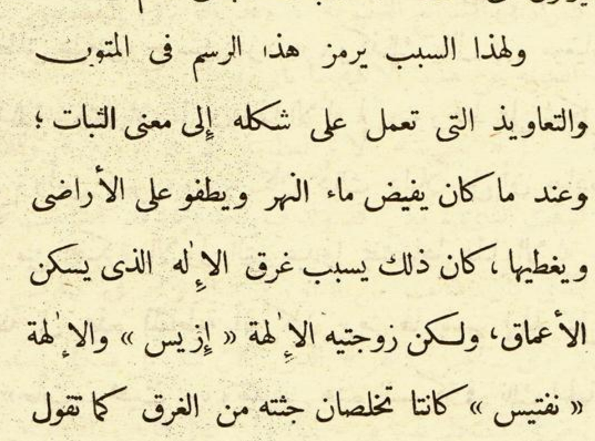
(١) ويغلب على الظن أن مقاطعتى الخطاف الشرقية والغربية قد سميتا بهذا الاسم لانهما فى مواقع يكثر فيها صيد الاسماك الاولى بجوار بحيرة المنزلة والثانية بجوار بحيرة البرلس .

بكر إله الأرض « جب » . ويسكن فى أعماق الخصب فيخرج الزرع والأشجار وكل الثمرات المختلفة الألوان . وهذا هو المظهر الذى تتمثل به روحه على سطح الأرض . أما الرمز الذى تتقمصه روحه فى هذه البلدة فهو جذع شجرة قد شذبت فروعه فأصبح على هيئة وتد (أنظر الشكل) . ويرى علماء اللاهوت فى هذا الرمز أنه يمثل العمود الفقرى لهذا الإله ومن أجل ذلك كان رجال الدين يحتفلون سنوياً بعيد عظيم لإقامة هذا الرمز وجعله منتصباً فى المعبد إذ يرون فى ذلك ضماناً للثبات الأبدى للعالم .

عيد إحياء « أوزير »



دد = رمز الثبات



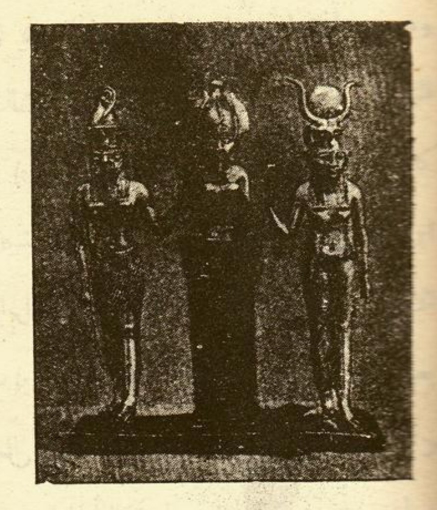
(ددو) رمز الإله « أوزير » بملابس الاحتفال الدينى

ولهذا السبب يرمز هذا الرسم فى المتون والتعاويذ التى تعمل على شكله إلى معنى الثبات ؛ وعند ما كان يفيض ماء النهر ويطفو على الأراضى ويغطيها ، كان ذلك يسبب غرق الإله الذى يسكن الأعماق ، ولكن زوجتيه الإلهة « إزيس » والإلهة « نفتيس » كانتا تخلصان جثته من الغرق كما تقول الأساطير . وبذلك ينتعش « أوزير » ويحيا حياة جديدة بمفعول السحر من جهة ، ولأن والده إله الأرض « جب » قد أمر بذلك من جهة أخرى ، ومنذ ذلك العهد كان « أوزير » عاملاً فعالاً فى نمو النباتات وجعلها مثمرة يانعة وهو مع ذلك فى أعماق قبره ، ولذلك يعتبر إله النيل كما جاء فى متون الأهرام . وهذه الأطوار فى حياة



الآلهة « نفتيس »

« أوزير » كانت تمثل فى احتفال دينى عظيم يفرد لهذا الغرض . فيحتفل فيه بذكرى وفاته وعودته للحياة ثانية . وكان يقام فى بلدة العرابة المدفونة حيث يقال إن رأسه كان مدفونًا هناك .



الثالوث حوريس و أوزير و إزيس

مؤامرة « ست » على قتل أخيه « أوزير »

وقد جاء فى الأساطير أن « أوزير » حكم فى سالف الزمان على الأرض ونشر فى أرجائها أعماله الطيبة ، ولكن أخاه «ست» الشرير اغتال حياته خلسة فى مؤامرة دبرها له هو وأتباعه . ومنذ ذلك العهد أصبح مقره الأبدى القبر ، بعد أن جمعت أختاه « إزيس » و « نفتيس » أشلاءه من الأمكنة التى وجدت فيها ، ورغم ذلك فإن هذا الآله الميت أو كما يعبر عن ذلك المصريون (الذى لا يدق قلبه) ، يمكن أن يعود إلى الحياة ثانية ويمنح قوة التناسل بمفعول السحر . وقد نتج عن عودته للحياة ثانية أن ولدت له إلهة السماء « إزيس » ابنه (حور) ولكن أمه قد هربت به خوفًا من اضطهاد عمه وشروره فذهبت إلى المناقع التى فى غرب الدلتا بالقرب من « بوتو » . ولما اكتملت رجولة « حور » انتقم لوالده وفتح ثانية مملكته .

« حور » يحكم بعد والده في جهات متعددة فى مصر

وذلك بفضل مساعدة جده « جب » إله الأرض الذى نصّبه وارثًا

على ملك والده ، ولقد كان من نتـائج هذا أن أصبح « حور » يعبد فى بلدة « بوتو » التى كانت تعـد مسقط رأسه وكذلك انتشرت عبادته فى مواطن أخرى كثيرة فى الدلتا فـكان يعبد فى « بوتو » بصـفته حور الطفل « حور بوخراد » ، وفى جنوبى تشعب النيل فى بلدة « ليتوبوليس » المقاطعة الثانية (أوسـيم) كان يعبد بصفته كهل « حور الـكبير » وكان يعد فى هذه الجهة كأنه أخ للاله « أوزير » وللإله « ست » . وفى المقـاطعة العشرين (الغرب) عند الحدود الشرقية فى منطقة فاقوس (صفت الحنا) امتزج الإله « حور » فى العصور المتأخرة بالاله المحلى « سبد » سيد الشعوب الأجنبية الشرقية

الاله «حور» بن «إزيس»

وحاميها ، وأصبح يعبد هناك على هيئة صقر جاثم على سرير . وهناك آلهة أخرى كثيرة غير من ذكرنا يرجع منشؤها إلى بلاد الدلتـا ، وقد لعبت دوراً هاماً فى تاريخ ديانة القوم فمنها الإله « تحوت » (هرمس) وكان مقر عبادته بلدة هرموبوليس « بحدت » عاصمة المقاطعة الثـالثة وهى (دمنهور الحالية) ويرى الأستاذ « إدورد مير » أن هناك مقاطعتين باسم هرموبوليس واحدة منها فى الشمال الغربى والثـانية فى الشمال الشرقي من الدلتا ويعتـبر الأستاذ « زيته » أن الأولى هى المقاطعـة الخامسة عشرة أما الثانية فهى المقاطعة الثالثة ومقرها « بحدت » (دمنهور الحالية) . على أن

الآله « تحوت » يعبد فى المقاطعتين الثالثة والخامسة عشر من الوجه البحرى

هناك بعض العلماء يظن أن مقاطعة العجل «أبيس» هى المقاطعة الثالثة ويجعل عاصمتها «أمو» أو «بر ـ نب ـ أمو» ـ (بيت سيد الأمو) وهذه المقاطعة على الحدود اللوبية (١) . وهى أقدم من هرمو بوليس التى فى الصعيد (الأشمونين) . وكذلك الإله «سبك» (التمساح) الذى كان يعبد فى مناقع غربى الدلتا فى بلدة «سايس» ، وكان يطلق عليه ابن الإلهة «نيت» كما ورد فى متون أهرام الملك «وناس» آخر ملوك الأسرة الخامسة . وقد بقى اسم هذا الإله محفوظاً إلى الآن فى أسماء بعض القرى المصرية فى الدلتا إلى يومنا هذا مثال ذلك (سبك الأحد) و (سبك الثلاث) . وكان الاعتقاد السائد فى هذه الجهات أن هذا الإله يساعد على نمو النبات على كلتا ضفتى النيل ؛ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن التمساح يرى ملقى على شاطئ النهر وينسب إليه خصب الشاطئين . يضاف إلى ذلك أنه باعتباره ابن الإلهة «نيت» التى كانت تعد إلهة مائية أيضاً ، كان يضحك عند ما يحل ماء الفيضان ، ومن أجل ذلك كان لا حرج فى أن تمثل هذه الإلهة وهى تعطى ثدييها إلى تمساحين دفعة واحدة .

عبادة التمساح «سبك»

ومن الحيوانات التى شاعت عبادتها فى الدلتا البقرات والثيران ، وهذا أمر طبيعى لأن طبيعة أرض هذا الأقليم وخصبه تستدعى وجود هذه الحيوانات لحاجة الفلاح لها ؛ فكان الثور يعبد فى المقاطعة الحادية عشرة وعاصمتها «شدنو» (هربيط الحالية) وكان يطلق عليه اسم (ثور شدنو العظيم)

سبب شيوع عبادة البقرات والثيران

(الثور العظيم) يعبد فى هربيط المقاطعة الحادية عشرة

(١) انظر Pirenne, p. 40

وقد كشف حديثا له عن مدافن فى جبانة عظيمة موقعها (تل أبو يسن الحالى) وتدل الآثار التى كشفت على أن هذا المكان كان مدفناً للعجول والطيور التى كانت تقدس فى هذه الجهة وبخاصة الصقر الذى وجد منه عدد عظيم محنط ومدفون فى مكان خاص بعناية زائدة وكثرة عظيمة وربما كان من آثار عبادة الصقر فى هذه الجهة بقاء ذكراه فى بلدة (كفر صقر) القريبة من قرية أبو يسن هذه . وتدل مدافن هذا النوع من العجول على أنه كان معتني به كثيراً فى العصور المتأخرة حوالى الأسرة الثلاثين ، والنقوش التى وجدت على توابيت هذه العجول ليس لها مثيل فى تاريخ الديانة المصرية وخاصة أنها تكشف لنا عن صفحة جديدة فى منازل القمر وأوجهه وعبادته فى هذا العصر ، أما فى المقاطعة العاشرة فكان الثور يعبد فيها قديما على ما يظهر باسم الثور الأسود . وقد بقى الثور رمزاً على اسم المقاطعة وعاصمتها « أتريب » (تل أتريب) وهو بنها الحاليـة (١) . أما فى منطقة منف فكان يعبد بصفته العجل « حابى » أى (أبيس) والظاهر أن تقديسه كان قديماً ولـكن عبادته لم تتم إلا فيما بعد .

أهمية النقوش التى كشفت حديثا فى أبي يس

الثور يعبد فى المقاطعة العاشرة (بنها قديماً) وفى منف (ميت رهينة)

أما البقرات فكانت تعبد فى منطقة « منف » (البدرشين) وتقمصت روحها شجرة الجميز .

البقرات تتقمص شجرة الجميز ولذلك أصبحت الجميزة مقدسة

وكانت الجميزة فى هذه الجهـة تسمى شـجرة جميزة الجنوب . وكان

---

(١) وكان يعبد فيها الآله «حور» وينعت « حور — خنتى — خت » أى حور الذى يشرق على الجسم (الآلهى) والظاهر أنه كان يعبد فى هـذه الجهة (ثالوث) يتكون من الثور الاسود بصفته الاب والبقرة السوداء الام والابن هو « حور خنتى خاتى »

يعتقد أنها جسم الإِلهة « حتحور » (البقرة) الحى على الأرض، وكانت الإِلهة
نفسها تسمى سيدة شجرة الجميز الجنوبية .

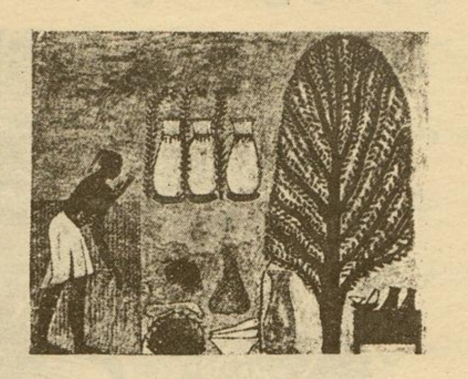


...نوف وزوجه أمام شجرة الجميز ووسطها الآلهة « نوت » يتقبلان الخبز والماء للحياة الاخرى .

وكثيراً ما يشاهد على الآثار المصرية رسم شجرة الجميز والإِلهة مطلة من
بين أغصانها على شكل امرأة وبيدها أبريق تصب منه الماء للسابلة والأموات
فى وسط الجبانة . وقد بقى احترام الجميزة باقياً للآن إذ تزرع بجوار المقابر
يستظل بفيئها وتروى ظمأ الأموات كما هو الاعتقاد السائد الآن بين عامة
الشعب ويعد قطعها من الأمور المحرمة ، أما فى المقاطعة الثانية عشرة وعاصمتها
« ...زبات ـ نثر » (سمنود الحالية) ومعناها معبد الإِله فكان يعبد فيها
الإِله « أونوريس » (انحور) فكان يمثل إله الشمس فى شكل إنسانى

عبادة الآله «أنحور» فى سمنود

« أوزير » محنطاً ويقال فى الأساطير أنه هو الذى أحضر عين الشمس من بلاد النوبة ، وقد حل محل الإله « شو » إله الهواء فى أماكن مختلفة ، والظاهر أن عبادته كانت حديثة فى هذه الجهة .



مزارع يقدم القربان إلى شجرة الجميز

أما أعظم الآلهة المحلية التى كانت تعبد فى الدلتا فهو الإله « آتوم » الاله المحلى للمقاطعة الثالثة عشرة ومقرها عين شمس والواقع أننا لا نعرف شيئاً عن أصل نشأة هذا الإله لأن الكتبة وحدوه مع الإله « رع » ملك الكون . وكان يمثل « آتوم » أو « تم » فى شكل حيوان يشبه (فار فرعون) الحالى لأنه كما جاء فى الأساطير كان يبتلع الثعبان الذى يريد أن ينقض على « آتوم » (الشمس عند الغروب) ويبتلعه عند غروب الشمس . والحقيقة أن هذا

عبادة الاله (آتوم)

الحيوان لا يظهر إلا عند الغروب ويسطو على الثعابين . وكذلك كان يمثل على شكل رجل متوج يحمل شارات الملك ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنه ملك الآلهة ـ أما عندما كانوا يمثلون « رع » إله الشمس



مركب الشمس فى طريقها الى الغرب

فكانوا يرون فيه قرص الشمس الأحمر الذى يسبح فى السماء فى سفينته . وقد كان الخيال المصري أحيانا يصوره فى صورة غريبة فكان فى إحدى الجهات يمثل إله الشمس على هيئة « جعل » تلك الحشرة التى تدحرج أمامها قرص الشمس فى أنحاء السماء كما يدحرج الجعل الأرضى « كور الروث » التى تشتمل على بويضاته وتلد نفسها بنفسها دون أن تحتاج إلى أنثى . وفى جهة أخرى تمثل الشمس على هيئة عجل من الذهب ولدته إلهة السماء . وفى خلال النهار يكبر ويصبح ثورا ويسمى « كاموتف » أى ثور أمه لأنه يلقح البقرة لأجل أن تضع شمسا جديدة لليوم التالى .

الآله « رع » إله الشمس ومظاهره المختلفة

أما إذا مثل الإنسان السماء على هيئة امرأة فإنها تلد الشمس على هيئة طفل يكبر كذلك خلال النهار ليغيب فى السماء كرجل مسن فى عالم الآخرة ، وتمثيل الشمس على هيئة رجل مسن كان يعبد بصفته (آتوم) فى عين شمس . أما الجعل « خبرى » فكان يعتبر شمس الضحى . وهكذا كان يفرق القوم بين مظاهر الشمس الثلاثة : « خبرى » فى الصباح و « رع » وقت الظهيرة و « آتوم » عند الغروب على أن هذا الترتيب لم يكن متبعاً بصفة قاطعة فى كل الجهات .

وعندما نترك الدلتا صاعدين فى النيل فأول ما يواجهنا منطقة « منف » أى فى المقاطعة الأولى للوجه البحرى ونجد فيها عدة آلهة تعبد جنباً لجنب ونخص بالذكر منها : أولا الإله « سقر » ومنه اشتق اسم بلدة (سقارة)، وهو إله كان يمثل على شكل إنسان يحمل رأس صقر، ويعد إلها للموتى

الاله « سقر» اله الجبانة فى « منف ومنه اسم (سقارة

وذلك لأن اسم المنطقة أو الجبانة التى كان يسيطر عليها، كانت تعتبر فى نظر المصريين الباب الذى يؤدى إلى الآخرة « روستاو » . ، ثانياً الإله « تاتنتت » ومعناه الأرض التى ترفع ويعد مظهراً من صور الإله « فتاح » الذى كان يعتبر من أهم معبودات هذه الجهة أيضاً وكان يمثل على هيئة رجل مزمل فى اللفائف كأنه مومياء برأس صلعاء عارية عن كل لباس، وليس فى حالته وشكله ما يشير إلى وظيفته أو هو فى الحقيقة يمثل إله الفن والنحت ، واليه ينسب خلق العالم . وكان ينعت « فتاح » بصاحب الوجه الجميل . ثالثاً : العجل « أبيس » كما ذكرنا كان يعبد فى هذه الجهة ولكن أهميته لم تصبح ذات شأن إلا عندما صارت « منف » عاصمة الدولة ومن المدهش أن هذا العجل كان يحفظ فى معبد الإله فتاح مع أنه ليس هناك أية علاقة تربطهما اللهم إلا فى عهد الدولة الحديثة إذ كان القوم وقتئذ يعتقدون أن روح الإله فتاح قد تقمصته .

الآله« تاتنتت» مظهر من مظاهر الآله« فتاح » آله الفن والجمال

العجل « أبيس » تتقمصه روح الآله « فتاح » فى الدولة الحديثة

وأول ما يواجهنا فى طريقنا من مقاطعات الوجه القبلى المقاطعة الثانية والعشرون وعاصمتها « بر ـ حمت » (بيت البقرة) وموقعها إطفيح الحالية ، وقد أطلق عليها اليونان « أفروديتو بوليس » الشمال . وكانت البقرة تعبد فى هذه الجهة بصفتها إلهة السماء وعلى الضفة اليسرى توجد مقاطعة النخيل العليا وهى المقاطعة العشرون وعاصمتها « هراكليو بوليس » (إهناس المدينة الحالية) وفيها معبد للآله « حرشف » (الذى على بحيرته) وتتقمص روحه كبشا . وكان عباده يعتقدون فيه أنه إله عالمى وأن عينيه هما الشمس والقمر ، ومن أنفه

عبادة البقرة فى (اطفيح)

عبادةالآله«حرشف» فى (اهناس)



الآلهة « نوت » تمثل السماء يرفعها الآله « شو »

يخرج الهواء ؛ أما اسمه الذى على بحيرته فتفسيره أن معبده يوجد عند مدخل الفيوم حيث توجد بحيرة . أما المقاطعة الحادية والعشرون وتسمى مقاطعة (النخيل السفلى) فهى واحة الفيوم نفسها التى سكنها المصريون منذ فجر التاريخ وعاصمتها « شدت » (الفيوم الحالية) وكان يعبد فيها الإله « سبك » الذى يمثل على شكل تمساح وقد أقيم له معبد آخر عظيم فى بلدة « أمبوس » (كوم امبو الحالية) . وفى هذه الجهة كان يحتفل كل عام بفيضان النيل وهو فى الواقع إله الماء . وهذا هو السبب الذى من أجله قد مثل فى لوحة نائماً على قضيب من الرمل فى مقصورة صغيرة شأن كل الآلهة المقدسة التى يجب أن تحترم فى كل مكان على النيل . ولقد بلغ من احترام هذا الإله عند اتباعه أن وصفوه « بجميل الوجه » ، على

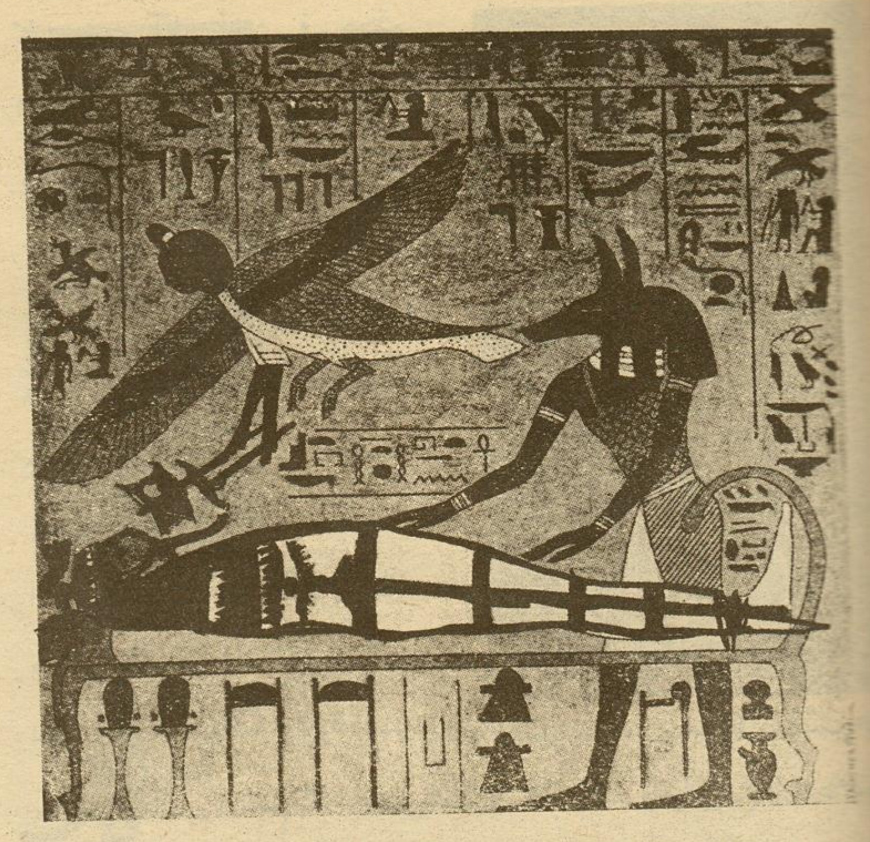
عبادة التمساح فى الفيوم

أن الدافع الحقيقى لعبادة هذا الإِله فى الأصل هو الخوف أو الفزع مما عساه أن يحدثه هذا الحيوان الجبار من الضرر بالإِنسان . وبعد إقليم الفيوم جنوبًا يواجه الإِنسان إقليما عظيما يمتد من الوادى إلى سفح الجبل الشرقى المتاخم للنهر ويشمل ثلاث مقاطعات ، الأولى مقاطعة « سبا » وهى الثامنة عشرة والثانية مقاطعة « كينوبوليس » وهى المقاطعة السابعة عشرة . أما المقاطعة الثالثة فيطلق عليها جبل الثعبان وهى المقاطعة الثانية عشرة وعاصمتها (هيرا كنبوليس) (بلدة الإِله حور) ثم « انتيوبوليس » وموقعها «قاو الكبيرة» الحالية . وفى هذه المنطقة تسود عبادة الإله « أنوبيس » وبخاصة فى المقاطعة السابعة عشرة ، وفى مقاطعة جبل الثعبان (١٢) كان يعبد الإِله «حور» وإلهة على هيئة لبؤة تسمى « ميتيت » وهى أم الإِله « حور » أى أنها هنا تمثل الإِلهة « إزيس» .

عبادة « أنوبيس » فى المقاطعة الثانية عشرة

وكانت عبادة الإِله « أنوبيس » الذى يمثل على شكل ابن آوى عظيمة فى هذه المنطقة ، وذلك لأنه فى بادىء الأمر كان يعبد رهبة وخوفًا منه ؛ إذ أن هذا الحيوان كان بطبعه يحوم ليلا على حافة الصحراء بالقرب من الجبانات فكان القوم يخافون منه على أجسام موتاهم ، ولكن الكهنة فيما بعد ألبسوا عبادته ثوبًا آخر وأصبح يعبد بصفته حامى الموتى والمشرف على تحنيطهم وإعداد جنازهم ، ومن المحتمل أنه أخذ هذا المركز فى العبادة بسبب الدور الذى لعبه فى أسطورة الإِله «أوزير» إذ هو الذى قام بتحنيطه وإقامة شعائره الدينية وبخاصة عند تمثيل عيد إحيائه .

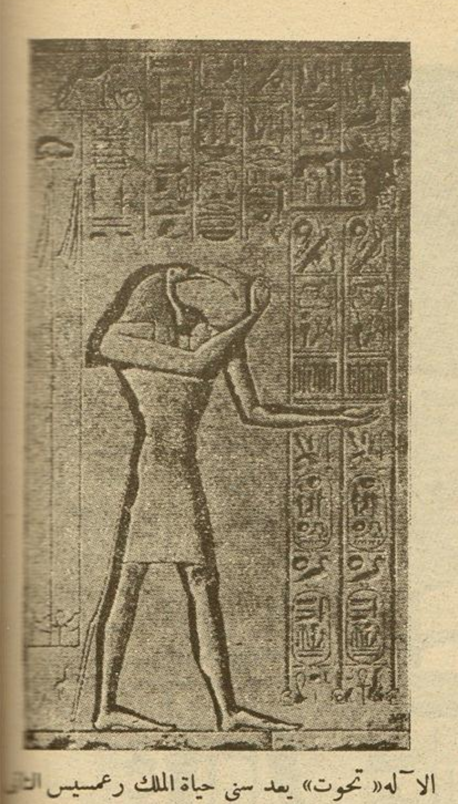
سبب عبادة « أنوبيس »



الآله « أنوبيس » يشرف على تحنيط جثة « أوزير »

وبين المقاطعتين السابعة عشرة والثانية عشرة على الضفة اليسرى للنيل المقاطعة السادسة عشرة (مقاطعة المهى) وعاصمتها « حبنو » (زاوية الميتين الحالية) ، والمقاطعة الخامسة عشرة ويطلق عليها اسم «هرمو بوليس» وعاصمتها (الأشمونين الحالية) . وكان يعبد فى المقاطعة الأولى الإله « حور » قاهر « ست » ولذلك كان يمثل « حور » ممتطيًا ظهر غزال وهو الحيوان الذى كان يتقمصه الإله « ست » وكذلك

الآله « حور » يعبد فى المقاطعة السادسة عشرة



الإ ٓله « تحوت » يعد سنى حياة الملك رعمسيس الثا

كانت تعبد آلهة أخرى فى هـذه المقاطعة منها الإ ٰله « خنوم » وكان يمثل على هيئة كبش ، والإ ٰلهة « حكت » (الضفدعة) والإ ٰلهة « حتحور » والإ ٰلهة « باخت » ، وكانت تمثل على شكل لبؤة مفترسة . أما فى المقاطعة الخامسة عشرة فكان يعبد الإ ٰله « تحوت » الذى كان يمثل على شكل الطائر « إبيس ». وهو إ ٰله العلم والمواقيت الخ . وقبالة المقاطعة الثانية عشرة مقاطعتا (شجرة البطم [١]) وهما الثالثة عشرة « ليكوبوليس » وعاصمتها (أسيوط الحالية) ، والرابعة عشرة وعاصمتها « جسا » وهى (قوص الحالية) وكانت عاصمة المقاطعة الثالثة عشرة موطن عبادة الإ ٰله المحارب « وبوات » ويتقمص حيوانًا أصبح من المحقق أنه الذئب . ومعنى « وبوات » فاتح الطريق . وهـذا الإ ٰله يعبد كذلك فى العرابة المدفونة فى مقاطعة طينة (الثامنة) وقد لعب هذا الإ ٰله دوراً فى أسطورة « أوزير » فى الحرب التى شنها على خصمه « ست » . ويلاحظ عند تصوير هذا الإ ٰله على

الآ لهة « خنوم » و « حكت » و « حتحور »

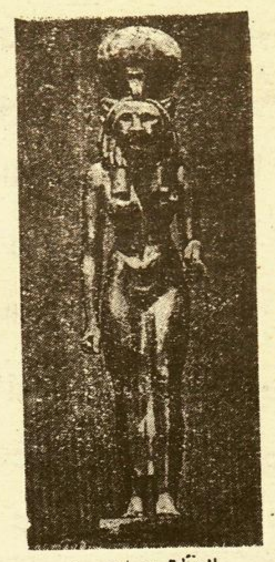
الإ ٓله « تحوت » يعبد فى المقاطعة الخامسة عشرة

الإ ٓله « وبوات » يعبد فى أسيوط عاصمة المقاطعة الثالثة عشرة

---

(١) الشجر الذى يستخرج منه زيت النفض.

الآثار أنه يرسم مزدوجاً أى أن صورته كانت ترسم مرتين كل منهما مواجهة للأخرى ، وكان يمثل كل منهما ومعه دبوس حرب وقوس ، وكانا ينعتان بأنهما مسلحان بسهام ... وأعظم انتصاراً وأشد قوة من الآلهة وقد أطلق على هذا الإله فاتح مصر المنتصر ، ولهذا السبب كان يحمل أمام الملك علم عليه صورة الإله « وبوات » ليفتح له الطريق فى وسط الأعداء ، ولا نزاع فى أن قرب الإله « أنوبيس » والإله « وبوات » من بعضهما فى المكان والعصبية لدليل ظاهر على وحدة هذه المقاطعات فى الأزمان السالفة ، ولا غرابة فى ذلك فإن كلا منهما كان لا يحمى فى الحقيقة الأحياء من أهل المقاطعة التى يعيش فيها معهم فحسب ، بل كان يحمى الأموات أيضاً ؛ فنجد أن « وبوات » يفتح الطريق فى دنيا الأرواح كما أن « أنوبيس » يمنحهم جنازاً فخماً وحياة سعيدة فى عالم الغرب (الأموات) . ومما سبق يمكننا أن نلاحظ بكل وضوح الفكرة الأولى عن عالم الآخرة عند المصريين ، وهى أنه بعد أن يموت الإنسان تذهب روحه لتنضم إلى الآلهة الذين كانوا حماته على الأرض ، وأن هذه الأرواح



الآلهة « باخت »

القرابة وأوجه الشبه التى بين الآله « وبوات » والآله «أنوبيس»



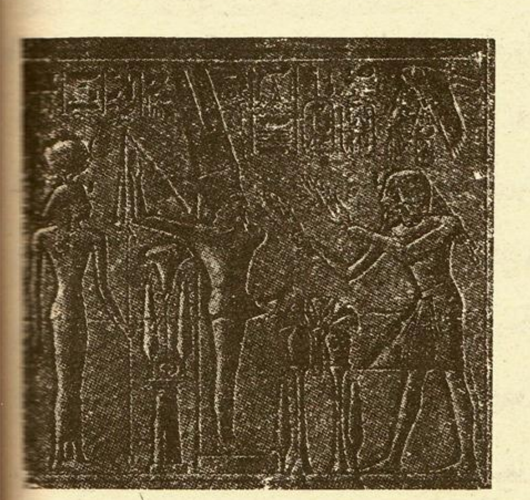
الآله « ست »

كانت متقمصة شكلا حيوانياً يظهر الآلهة فى هيئته للناس ويعيشون متقمصيه فى وسطهم . على أننا نجد مثالا مشلبهاً لما ذكرنا فى الإقليم الذى يضم المقاطعة التاسعة وعاصمتها « أبو » (إخميم الحالية) والمقاطعة الخامسة الملاصقة لها وعاصمتها (قفط) . ففى هاتين المقاطعتين كان يعبد الإله « مين » رب القوة التناسلية والخصب فى مصر ويرمز له برسم الصاعقة . وقد عثر منذ أزمان سحيقة على صور لهذا الإله من الحجر فى (قفط) وهو ممثل على شكل صنم ضخم له رأس ملتحية وقناة تناسلية قد استقامت كأنها تلقح . ثم مثل فيما بعد على شكل إنسان يلوح فى يده اليمنى زخمة ويلبس على رأسه ريشتين عظيمتين . وبجوار هذا الإله كان يعبد الإله « آمون » فى بلدة طيبة فى المقاطعة الرابعة ؛ وقد عثر له على أشكال عدة ممثلا بعضو

الاآله « مين » يعبد فى المقاطعتين التاسعة والخامسة

الاآله « آمون » يعبد فى طيبة

التذكير المستقيم وكان كذلك يعبد على شكل كبش فى كثير من معابد القطر ، كما كان يمثل على شكل إنسان يحمل ريشتين عظيمتين . ولا شك فى أنه كانت توجد عصبية بين هذين الآلهين لما بينهما من أوجه الشبه العدة.

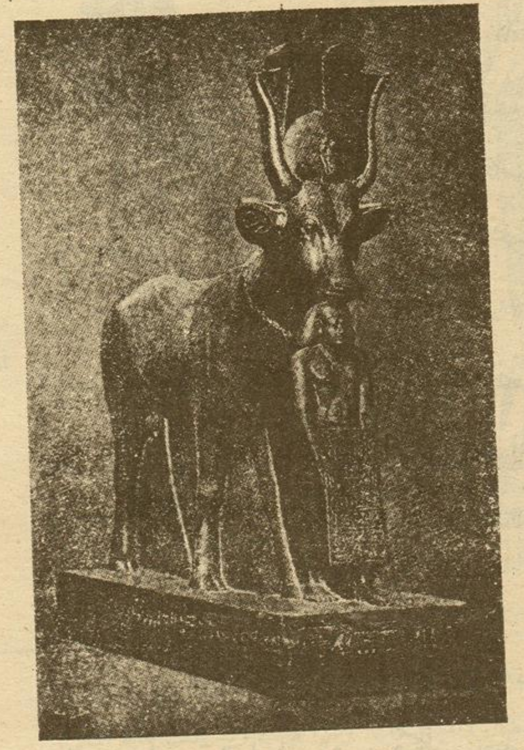


الاآله «آمون رع» ممثل على شكل الاآله «مين» معبود (قفط)

أما على الشاطىء الأيسر للنيل فى المنطقة الواقعة بين قفط والعرابة

فكانت تقع المقاطعتان السادسة والسابعة . وكانت العبادة السائدة فيهما لإلٰهة عظيمة تتقمص بقرة يطلق عليها اسم « حتحور » (دندرة) وتعتبر إلٰهة السماء . والواقع أن إلٰهة السماء كانت « نوت » ولم تكن عبادتها منتشرة تماما . أما عبادة « حتحور » (بيت حور) فكانت على العكس ذات أهمية عظمى . ولا نزاع فى أن اسمها يشير إلى الفكرة القديمة وهى أنها مسكن « حور » صقر السماء ؛ على حين أن صورتها تحمل من البقرة قرنيها وأذنيها . وأحيانا ترسم رأسها على هيئة رأس بقرة حقيقية ، وتنتسب للبقرة السماوية . والواقع أن « حتحور » قد فقدت صفتها الأصلية تدريجا . إذ لم تهم على وجه التحقيق الشىء الذى تحمله البقرة بين قرنيها . هل هو الشمس أو كما يعبر عنه المصريون أنفسهم عين الشمس ؟ على أن المصريين كانوا يسمونها عين الشمس ، وهو الوصف المعتاد الذى كانت توصف به . وكذلك نجد أنها قد تخلت دائما عن مرتبتها الأولى بين الإلٰهات ، وقد أصبحت فيما

« حتحور » إلٰهة السماء



البقرة « حتحور » سيدة السماء

« حتحور » إلٰهة الغرب

بعد تسمى إلٰهة الغرب ، وذلك لأنه كان يعتقد أنها تقف بجانب الجبل الغربى وتسمح للشمس وللأموات عند الغروب بأن يدخلوا فى الأقاليم السفلية (عالم الأموات) ؛ وكذلك أصبحت تدعى إلٰهة الحب والآلهة المرحة الطروب بين النساء ، ومن أجل ذلك كن يسمينها « الذهبية » ، ولم يخطىء اليونان عند ما سموها باسم إلٰهتهم « افروديت » ومن أجل ذلك نجد أن النسوة كن يخدمنها ويحتفلن بها بإقامة حفلات الرقص والغناء واللعب على الصاجات والشخشخة بقلائدهن ، وبالعزف على الدفوف . ولها أدوار أخرى سيأتى ذكرها عند المناسبات . وفى المقاطعة الثالثة « هيرا كنبوليس » وعاصمتها » نخب » (الكاب) الحالية ، ثم إسنا فيما بعد ، كانت تعبد إلٰهة على هيئة أنثى نسر ضخم تسمى « نخبت » والحقيقة أن اسم هذه الإلٰهة ليس « نخبت » بل اسمها نسبة من البلد الذى عبدت فيه « نخب » وهى العاصمة القديمة للوجه القبلى . وكانت الحامية لرب هذه الجهة وتحلق فوق رأسه ولذلك كان يوضع رسمها على تاج الملوك والملكات .

« حتحور » إلٰهة الحب والطرب والجمال



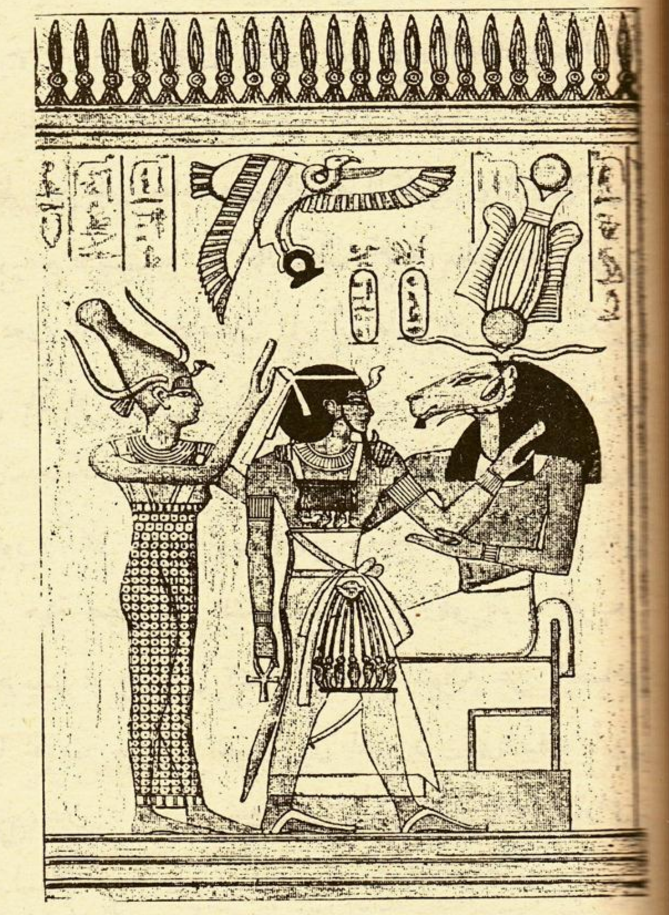
الآلهة « عنقت »

أما فى المقاطعة الأولى « الفنتين » (أسوان الحالية) الواقعة عند الحدود الجنوبية للقطر المصرى ، فكان يعبد فيها غير الإله « سبك » سيد

« أمبوس » إله آخر يدعى « خنوم » كان يتقمص كبشا فى معابد الفنتين وكان يعبد بجانبه كذلك الإلهتان «ساتيت»[1] و « عنقت »(ص. ٢٠٨) فى جزر الشلال .

ثالوث أسوان

وكان يتكون من الثلاثة ثالوث هذه الجهة غير أنه فى هذه الحالة كان الإله خنوم متزوجا من اثنتين بدلا من الأب والأم والابن .



الآلهة «ساتت» تقدم الفرعون امينوفيس الثالث الى الآله « خنوم »

« خنوم » الآله المصور للانسان

وكان الإله « خنوم » يعد أنه الإله الذى يخلق الإنسان ويصوره كالإله فتاح فى منف ، وكان

(١) وهذه الآلهة « ساتيت » كانت تعرف باسم « حكات » وهى الضفدعة التى يعتقد المصريون [أنها] تخلق من طين النيل الذى تركه الفيضان ولذلك كانت رمزا للبعث وقد نقلت هذه الفكرة [إلى] معتقدات مسيحى مصر ، ولهذا السبب نجدها كثيرا ممثلة على مصابيحهم .

يسـوى المخلوقات على عجلة كصانع الفخار فـيكان كل طفـل يولد من صـنع يده وإليه ينسب حسن تركيب أجسـام المواليد ، وكان يعرف كذلك بأنه رب الماء العذب [١] الذى ينبع من هذه البقعة وكان يعتقد المصريون أن حدود بلادهم جنوباً تنتهى عند هذه النقطة بل والعالم كله كذلك ، ولذلك ظنوا أن النيل ينبع من هذه البقعة .

الخصام بين « حور » و « ست »

ومما يسترعى النظر من بين معابد هذه الآلهة المنتشرة فى الوجه القبلى معابد الإلهين « حور » و « ست » ، إذ كانت لهـا أهمية عظيمة فى طول البلاد وعرضها . وهنا يجب أن ننبه الاذهان إلى أن هذين الإلهين لم تكن لهما علاقة فى الأصل بالأله أوزير أو الأله « ست » بل فى الحقيقـة كانا أخوين متخاصمين . فـكان « ست » يمثل الظلمة الدامسة والهلاك ، على حين أن الأله « حور » كان يمثل النور الذى يسطع بين نجوم السماء ويحلق فى الفضاء على هيئة صقر عيناه الشمس والقمر . وهو يقوم بحرب أبدية ، على الأله « ست » دون أن تسفر انتصاراته المتوالية عن القضاء على خصمه . وعندما يحدث خسوف القمر يرى المصريون فى ذلك أن الأله « ست » قد اقتلع عين « حور » غير أن الأخير ينتقم لنفسه بانتزاع خصيتى عدوه ، ثم ينزل الأله « حور » بعدوه « ست » هزائم دموية ، ثم نطالعنا الأساطير بعد ذلك بأن الأله « تحوت » إله الأشمونين (هرمس)

---

(١) والعلاقة بين جهتى « خنوم » التى تمثله احداهما صانعا الخلق من طين مثل صانع الفخار ، وتمثله الاخرى ربا للماء ، أن صانع الفخار لا يستطيع أن يقوم بمهمته الا فى الاماكن التى يفيض فيها الماء على الارض ويترك الطينـة لينة قابلة للتشكل والتصوير وبذلك يمكن أن تثمر صناعته وتكثر وبخاصة فى إقليم فيه طين النيل والطفل كثير لصنع كل أنواع الفخار الجميل .

يظهر فى هذه الآونة على المسرح ممثلا إله القمر ويشفى جروح المتخاصمين ؛ ومن ثم يذهب كل منهما ليحكم فى ملكه فيقسم وادى النيل بينهما فيكون الوادى الخصيب من نصيب الأله « حور » ، أما الصحراء القاحلة (الأرض الحمراء) فتقع من نصيب الأله « ست ». ويتصل بهذه الأساطير التى نجدها مذكورة بصور مختلفة فى تاريخ الديانة حسب المذاهب ؛ بعض فقط ترجع بها إلى العبادات المحلية كما سبق وأشرنا إليه فى أساطير الدلتا وبخاصة ما يشير منها إلى الأله « حور » الذى نشأ فى مناقع الوجه البحرى وتدل الأحوال على أنه كان فى الأصل صقراً . ولا نزاع فى أن مثل هذه الأمور العرضية التى تظهر فى ديانة المقاطعات ، نلاحظ أن صبغة الأسطورة العالمية تنمحى تماماً أمام ما ينسب إلى الآلهة المحلية فى هذه المقاطعة أو تلك ، لأن القوم كانوا فيها يعتبرون إلههم المحلى أعظم الآلهة.

الاله « ست » من الآلهة الرئيسية التى تعبد فى الصعيد

على أن هناك حقيقة يمكن استخلاصها بكل جلاء ووضوح ، وهى أن الأله « ست » منذ فجر التاريخ كان يعد بين الآلهة الرئيسية التى كانت تقدس فى الصعيد . وكانت عاصمته بوجه خاص هى بلدة « امبوس » الواقعة قبالة قفط ، بين جبانة نقادة القديمة وقرية البلاص الحالية أى أنها كانت واقعة فى قلب أقدم مدنية مصرية . وكان يلقب فى هذه الجهة رب البلاد الجنوبية ويعبد على هيئة حيوان خرافى لا وجود له فى مصر، ويحتمل أنه هو العقاب الذى عثر عليه فى أعالى نهر الكنغو، ولا يبعد أنه كان من حيوانات مصر فى ذلك العهد ثم تقهقر. وكذلك كانت عبادته منتشرة.

فى المقاطعتين الحادية عشرة والتاسعة عشرة . وعاصمة الأولى « سشحتب » (شطب الحالية) والثانيـة مقاطعة « آكمرنكس » (البهنسة) جنوبى مقاطعـة «إهناس» • وكان الحيوان المقدس فى هذه الجهة سمكة ذات فم مدبب (القنومة) .

الاَله « حور » يعبد فى المقاطعة الثانية ويرمز له بقرص الشمس المجنح

أما الإله « حور » فكان مقره أدفو عاصمة المقاطعة الثـانية . وكان الصقر يمثل إله الشمس وصار يرمز له بقرص الشمس ذات الجناحين القويين ، ويتدلى من كلا جانبية « صل » (ثعبان) وكان القوم يعتقدون أنه يولد كل يوم فى الأفق ثم يتوالد بنفسه من جديد فى رحم أخته وزوجته « بقرة دندرة » التى تحولت إلى إلهة السماء ومن أجل ذلك أطلق عليها اسم « حتحور » ومعناه بيت الإله « حور » أى الشمس ، ولذلك كان يرسم قرص الشمس ناشرا جناحين عظيمين تذكرة لأصل الفكرة . على أن انتشار عبادة « حور » لم تقف عند هذا الحد بل كانت أعظم شأنا من ذلك . إذ نجدها سائدة فى المدينة التى ستصير فيما بعد العاصمة الملكية « نخن » (الكوم الأحمر) ، وتقع على الضفة الغربية من النيل قبالة مدينة الكاب « نخب » ، بل وفى المقاطعة الخامسة التى عاصمتها « قفط » وقد رمز لها بصقرين . وكذلك فى مقاطعة المهى « السادسة عشرة » وفى مقاطعة جبل « الثعبان » (١٢) . ولا جدال في أن نفوذ هـذا الإله قد امتد إلى هـذه الدرجة لأسباب سياسية ، إذ الحقيقة أن الإله « حور » مدين بإنتشار عبادته فى الوجه القبلى لغزو هذه البلاد وفتحها على يد أتباع « حور » . وتدل الأحوال على أن مقر هذا الإله الأصلى بلدة « بوتو » ابطو (تل الفراعين الحالية)

الآله «حور» يعبد فى المقاطعات ٣ و ٥ و١٢ و١٦

بلدة « بوتو » مقر الآله « حور »

انتشار عبادة «حور» فى الوجهين القبلى والبحرى

وأطلالها بالوجه البحرى ، بالقرب من دسوق ومن المحتمل أن عبادته قد نقلت فى هذه الفترة إلى الوجه القبلى ، وذلك لأن « حور » كان إله الدولة ، ثم توحد فيما بعد مع الإله المحلى لأدفو واسمه « حور » أيضا ، وقد تكلمنا عنه من قبل . وقد حدثت تغيرات وحوادث مثل هذه فى أمر انتشار عبادة الإله « ست » فى الوجه القبلى غير أن المصادر تعوزنا للوقوف على حقيقتها . ولا شك فى أن كيفية عبادة هذين الإلهين قد حدث فيها تغيير وتحوير وذلك يرجع إلى أن عباد « حور » قد انقسموا فى الوجهين القبلى والبحرى ، ومنذ ذلك العهد أخذت الأساطير الشكل الذى عرفناه فيما بعد . ومن المحتمل كذلك أن يكون قد حدث مثل هذه الحال فى أمر الإله « ست » ، فتكون عبادته قد نقلت إلى الدلتا ، ولم يكن معروفا من قبل فيها إلا بالدور الذى لعبه فى قصة « أوزير » ؛ ولم تكن له فى الدلتا أية عبادة خاصة قائمة بذاتها . وقد دلت الأبحاث الحديثة على ان الإله « ست » كان يعبد فى الدلتا منذ الأسرة الرابعة ، ولا يبعد أنه كان يعبد فيها من قبل فى نفس الأقليم الذى يحمل فى ثناياه اسمه « سوتريت » وموقعه الآن بالقرب من بلدة « تانيس » (صان الحالية)

عبادة الاله « ست » فى الدلتا

نظرة إجمالية فى أصول الديانة المصرية

تكلمنا فيما سبق عن أصل المقاطعات وكذلك بحثنا فى موضوع بعض الآلهة التى كانت تعبد فيها ببعض الاختصار . والآن نعود فنتكلم عن الديانة المصرية عامة وعلاقتها بعبادة آلهة المقاطعات ؛ إذ فى الواقع نجد أن ديانة القوم أساسها ديانات المقاطعات المختلفة ، وذلك أمر بديهى لأن القطر كان يتألف من وحداتها . ولا جدال فى أن كل إله كانت له منطقة نفوذ ثابتة محدودة فى بادىء الأمر ، وكان سلطانه فيها هو السائد . وكان كل إله مقاطعة يطلق عليه فى معبده أو مدينته اسم رب المعبد أو رب المدينة حسب الأحوال . ومن ذلك يتضح لنا أنه لم تكن المنطقة التى يسيطر عليها الإله تتألف من قبيلة ذات عصبية واحدة بل من أهل المنطقة التى كان يوجد فيها هذا الإله وممن يحتمون فى سلطانه . وبجانب هذه الآلهة الرئيسية عدد عظيم فى كل مكان من الآلهة الأخرى ذات الأهمية النسبية غير أنها كانت تشاطر الإله الأعظم العبادة بصفتها إما زوجة له أو ابنا ؛ وأحيانا كان لها عبادة مستقلة وسلطان ، وسنذكر هنا بعض الأمثلة مؤثرين أكثرها أهمية وأرفعها مقاما ففى منطقة العرابة مثلا نجد الإلهة « حكت » التى كانت تتقمص ضفدعة لها أهمية عظيمة بصفتها إلهة السحر وإلهة الولادة والبعث . إذ كان يعتقد أنها تحضر ولادة الشمس كل يوم على رأى أحد المذاهب الدينية . وفى المقاطعة الثانية عشرة كان

ديانات المقاطعات أساس الديانة المصرية

إله المقاطعة يسمى رب « نب »

الآلهة الثانوية فى المقاطعات ووظائفها

الضفدعة تمثل الآلهة « حكت » إلهة الولادة والبعث

يعبد الطائر مالك الحزين الذى سماه اليونان « الفنكس » واسمه بالمصرية « بنو » . وكان مقر عبادته وتقديسه « عين شمس » وكهنة هذه الجهة كانوا يرون فيه إما الإله « أوزير » أو روح الإله « رع » . والفكرة الأخيرة كانت السائدة فى عين شمس ، وما نعلمه عن هذا الإله على وجه التحقيق أنه يلد على شجرة فى معبد عين شمس ، ومن المحتمل أنها الشجرة القديمة المقدسة التى كان الآلهة يكتبون على أوراقها أسماء الملوك تخليداً لذكراهم ويقال إن الشجرة التى تزار الآن بجهة « عين شمس » هى من نسل هذه الشجرة المقدسة . وكذلك نجد فى طيبة الإلهة العظيمة « موت ورت » أى الأم العظيمة وتقدس بصفتها زوجة للإله أمون وكذلك نجد « خنسو » (القمر وهو ابن موت وآمون) . ومنهم جميعاً تألف ثالوث طيبة يضاف إلى هذا إله الحرب « منتو » وكان يعبد فى هذه الجهة وأصبح له شأن عظيم فى التاريخ المصرى . وكان فى هذه الجهة كذلك إلهة على هيئة جاموس البحر (توريس) . ويعتقد أنها الإلهة التى تساعد الحامل على الوضع وربما كان هذا هو السبب فى تصويرها بهيئة تشعر بذلك . وفى أماكن أخرى نجد الإلهة « سلكت » التى كان من وظائفها المحافظة على أحشاء المتوفى وترسم على شكل امرأة برأس عقرب . وقد جاء ذكرها على مقابر أشراف الأسرة الرابعة فى منطقة الأهرام .

عبادة « الفنكس » (مالك الحزين) فى عين شمس

عبادة الآلهة « موت » والآله « خنسو » فى طيبة

« منتو » اله الحرب

الآلهة « تواريت » (جاموس البحر) تساعد الحامل على الوضع

الآلهة « سلكت » (على شكل عقرب) تحافظ على احشاء المتوفى

على أن وجود هذه الإلهة وتأثيرها فى الديانة كان ينحصر فى

معابدها وفى شكل عبادتها ، ومن ذلك يمكننا أن نحـدد ماهية كل إله

وظيفة الآله

ولا نزاع فى أن أهم عمل كان يقوم به الإله نحو أتباعه هو أن يمنحهم أو يحرمهم الأشياء الضرورية للحياة العامة ؛ أما الملوك فكانوا يتطلبون منه الحياة والصحة والثبات والنصر والسعادة . والواقع أن كل الآلهة نشأت

الآلهة كلها من أصل واحد

من طينة واحدة ولا يختلف بعضها عن بعض إلا بمعابدها وبالرمز الذى كان يخصص لكل وبالرسميات التى كانت تعمل لكل عند إقامة الشعائر الدينية ، وبالأعياد التى كان يحتفل بها ؛ وفى النهاية بالأسماء والألقاب التى تميز كل إله عن غيره ؛ على أنه يلاحظ أن أسماء الآلهة كانت فى الواقع تعد شيئا ثانويا ؛ إذ كثيرا ما يكون اسم الإله مشتقا من صفات الإله أو

أسماء بعض الآلهة مشتق من المدن التى تعبد فيها

منسوبا للمدينة التى يعبد فيها . وقد وجدنا من بين آلهة المصريين آلهة لم يصل المصرى إلى وضع أعلام لها ، قائمة بذاتها ، ولذلك كان ينسبها كما ذكرنا إلى المكان الذى كانت تعبد فيه ، فيقال مثلا « التابع لتاتنت » وهذا اسم إله بالقرب من منف ويعد مظهرا من مظاهر الإله « فتاح » ويقال تيس « زدد » وهو إله يعبد فى بلدة منديس (تل الربع الحالية) ويرسم على شكل تيس كما ذكرنا آنفا . وكذلك يقال « التابعة لنخب » « نخبت » وهى إلهة على هيئة مؤنث النسر ويقال للإله « حرشف » (الذى على بحيرته) وللإله « أوزير » الذى فى (زيتونته) . كما يقال لإله الموتى « خنتى امنتى » أى الأول بين الذين فى الغرب (وهو إله من فصيلة الكلب بينه وبين الإله أنوبيس قرابة عظيمة) . وأخيرا

الإله العظيم (فى الغرب). وهذان الآلهان الأخيران قد وحّدا فيما بعد مع الإله « أوزير ».

وكذلك الإله « وبوات » (فاتح الطرق) فإن اسمه ليس باسم علم حقيق لأن واحدا من هذه الآلهة التى على شكل الذئب كان يطلق عليه اسم « ست » ولكنه اختفى منذ الأزمان الأولى من بين حيوانات القطر.

الفرق بين الا آله والاشباح والارواح المقدسة

والآلهة عند قدماء المصريين كائنات معينة معروفة اتخذ كل منها شكلا ثابتا باقيا لا يتغير وقد انفصلت هذه الآلهة عن عالم الأشباح أو الأرواح التى يخطئها العد. وهذه الأرواح أو الأشباح (الجن) تلعب دورا هاما عظيما فى مظاهر الديانة المصرية، وتبرز بدورها الهام فى السحر الذى كان له تأثير خطير جداً فى العقائد الدينية فى كل عصور التاريخ فى البلاد. ومن بين المظاهر العدة المحسوسة التى تتجلى فيها هذه الأرواح أو الأشباح المقدسة الحيوانات، وهى إما منزلية أليفة تعيش مع الإنسان وتقوم له بخدمات عظيمة لا تنقطع، أو متوحشة ضارية تفتك به فيخاف شرها وبأسها؛ وأهم حيوانات النوع الأول وأجدرها بالذكر الثور والبقرة، والتيس، والكبش. والظاهر أن الإله كان فى العادة ينتخب ذكر هذه الحيوانات ليتقمصه. وأحياناً كان الإله يتقمص بعض الطيور كالأوزة كما نشاهد فى حالة « جب » إله الأرض فإن روحه تقمصت أوزة

روح الا آله تتقمص الحيوانات الاليفة والمتوحشة

سبب عبادة هذه الحيوانات

أما أهم حيوانات النوع الثانى فهو الأسد والتمساح وجاموس البحر، والثعبان السام، والأفعى، وكان الإنسان يسعى لاتقاء خطر هذه الحيوانات

والحشرات التى كان يقع بصره عليها فى البر والبحر . والظاهر أنه كان يرجع سبب قوتها وفتكها بجنسه إلى أن الإله قد حل فيها ، وأنه إذا استعطفها وقدم خضوعه وقرب إليها القربان نجا من مخالبها وشرورها .

فمثلا نرى الذئب يعبد لأنه كان يسكن البقاع الجبلية القريبة من الجبانة وكان يعيش على نبش القبور فإذا قرب له الإنسان القرابين عدل عن أكل موتاه ، وأكبر جبانة من هذا النوع جبانة أسيوط ، كما كان يعبد ويقرب له القربان لسبب آخر هو ألا يسطو على غنم القوم ، وهكذا كان الحال مع ابن آوى الذى كان يعبد باسم الإله « أنوبيس » ؛ على حين أن الكلب يعد حارساً للماشية ولذلك كان يقدس . وكان هناك صنف آخر من الحيوان مثل القطط وغيرها كان لا يضر ولكنه كان يعبد لأن فيه قوة سحرية خاصة وسرية . وأهم هذه الحيوانات القردة والأسماك والطيور ونخص بالذكر منها الطائر إيبس «أبو منجل»، ومالك الحزين «الفنكس» والصقر والنسر والضفدعة ، والجعل إلخ وسيأتى الكلام عن كل فى حينه .

سبب عبادة القطة

عبادة الاشجار

على أن عبادة الأشجار لم تكن نادرة فى مصر فمثلا نجد شجرة الجميز كانت مأوى للإلهتين « نوت » و « حتحور » وكذلك شجرة السرو كان يحل فيها روح الإله « مين » [1] وقد كان وجود أى شجرة من هذه الأشجار فى مكان ما يجعلها موضع تقديس لأن روح الإله الذى هى رمز له كانت تسكن فيها .

(١) الشجرة التى توجد مرسومة مع الإله مين هى الخس وتعتبر رمزا لنماء القوة الحيوية التناسلية عند هذا الإله

وهكذا كان الحال مع كل أنواع الحيوانات أو الحشرات التى كانت تملؤها الروح المقدسة ، وكان على الإنسان أن ينتخب واحدا من نوع خاص مميز ويضعه فى المعبد حيث يعنى به ويخدم بصفته الحيوان الحقيقى الذى تقمصه الإله . وهذا مانشاهده بين بنى الإنسان . إذ عندما يتوفى الملك كان القوم يقدسون إنسانا آخر معينا مكانه وبذلك يصبح مهبط تلك القوة المقدسة التى تعيش فى البلاد وتحكمها مهما كانت صفاته . ولا غرابة إذا كانت هذه الطريقة بعينها متبعة فى الحيوانات المقدسة فكان عندما يفنى واحد منها تنتقل الروح الإلهية إلى حيوان آخر يتعرفه الإنسان من بين حيوانات هذه الفصيلة بعلامات وإشارات خاصة ويقاد إلى المعبد ؛ أما موضوع تقديس فصيلة الحيوان الذى كان ينتخب منه الإله أو تقديس البعض منه فإن هذا يتوقف على أحوال الحياة وضروراتها التى كان لا مناص منها . غير أن علماء اللاهوت المصرى قد وصلوا إلى حل هذا المشكل بطرق مختلفة ففى كثير من الأحوال ، وبخاصة فى العصر المتأخر من التاريخ المصرى كان يعتبر مثلا قتل أى حيوان من النوع المقدس ضربا من الفسوق والعصيان والكفر بالإله . ويعاقب المجرم بالقتل وكذلك كان ينطبق هذا الحكم على آكلة لحوم هذه الحيوانات فمثلا كان محرما أكل لحم القطط أو الكلاب . ولكنا من جهة أخرى نجد أن القوم كانوا يذبحون الخراف والماعز والثيران . أما البقرة التى كانت تدر اللبن فكان محرما ذبحها ، وهذه الطريقة متبعة فى الهند . يضاف إلى ذلك أننا لم نسمع

كيف كان ينتخب الحيوان المقدس

معاملة فصيلة الحيوانات التى ينتخب منها الإله

عن تمساح قتل فى الأماكن التى كان يقدس فيها هذا الحيوان ، وبخاصة فى العصور المتأخرة . على حين أننا من جهة أخرى نعرف أن التمساح كان صيده محببا للأهلين فكانوا يطاردونه بكل شغف وحماس فى المقاطعات التى كان لا يقدس فيها . ومن المدهش أن الأسد رغم تقديسه فى بعض جهات القطر كان يصاد من غير تحرج فى طول البلاد وعرضها .

العناصر التى يتركب منها الآله والانسان

ولكن الآلهة كانت لا تتقيد قط بهيئة واحدة من أشكال الطبيعة بل كانت فى الحقيقة كالإنسان لكل منها روح مثله على هيئة طائر « با » وهو عنصر حى يسكن الجسم مدى الحياة ، وكذلك كان له قرين (كا) يمثله المصريون على هيئة ذراعين مرفوعين . وكانت وظيفة هذا « القرين » أن يمد الجسم المادى بالحياة والقوة ويقف خلفه ليحميه بعد الموت وكان من الضرورى وجوده مع الإنسان فى قبره وإلا مات أبديا ويمكننا هنا أن نميز بين القرين « كا » وبين الروح « با » فالأول يسكن مع الجسم فى القبر وتمنحه الحياة بالقرابين التى يقدمها أهل المتوفى له على مائدة قربانه بوساطة كهنة تسمى خدام القرين وقد كانت تحبس عليهم الأوقاف الشاسعة من أجل ذلك . أما « البا » فهو الروح الذى يصعد إلى السماء بعد وفاة الإنسان . ومن ذلك يمكننا

الروح ممثلة بطائر « با » تنزل الى غرفة دفن المتوفى لتزور جسمه ثم تصعد ثانية إلى السماء

الفرق بين الانسان والاٍ له

أن نستخلص أن الإنسان كان له روح مادية (كا) تسكن معه فى القبر وروح نورانية تصعد إلى السماء وهى « با » غير أن الآلهة كانت تختلف فى ذلك عن بنى الإنسان وذلك أن الإله يمكنه فى كل لحظة أن يترك الجسم الذى يسكن فيه وينتقل إلى جسم آخر كما يريد لأنه لم يكن عرضة للموت (يستثنى من ذلك الإله أوزير) وفى إمكان الإله أن يوجد فى كل مكان يريد أن يشعر فيه بقربه أو بقوته ، ولذلك يمكنه أن يتقمص أشياء مختلفة جدا فى وقت واحد ، فيسكن الحيوانات والأحجار والأوتاد من الخشب ؛ والأمثلة لدينا كثيرة ونكتفى منها بذكر الإله « مين » والإله « أوزير » . ويرجع السبب فى ذلك أن الإله حسب قول المصريين له عدد عظيم من القرائن « كاو » وعدد عظيم من الأرواح « باو » تروح وتغدو حرة طليقة حتى عند ما يكون الإله متقمصا صنمه أو تمثاله الأعظم . ورغم هذا كان من المستطاع أن يسحر الإله ويقتنص فى شىء محسوس بوساطة التعاويذ . و بذلك يصبح ولا قوة له ولا حول ، وذلك هو السر فى أننا نجد فى كل معبد مصرى غير الحيوانات المقدسة شيئا سريا يحفظ فى صندوق يكون فى معظم الأحيان تمثالا صغيرا من الحجر أو الفخار . و يعتبر هذا الصندوق المكان الحقيقى للإله و بعبارة أفصح المسكن الذى حبس فيه الإله بقوة السحر فى الزمن القديم أيام تكريس المعبد .

قوة السحر فى الآلهة

ومن جهة أخرى نجد صورا عدة لشكل الإله الذى يتقمص الحيوان وكذلك للشكل الذى تظهر به روحه . فكان يمثل أحيانا بجسم إنسان يعلوه

صور الآله التى يظهر بها

رأس حيوان وأحيانا بالعكس . وهذه الصور والتماثيل الإِلهية كانت تعتبر كأنها ملوك مرتدون ملابسهم ومعطرون ومحلون بعدد عظيم من التعاويذ ، وكانت تطلع فى الأعياد العظيمة على الشعب « وبخاصة صندوق الإِله السرى » وتوضع فى سفينة تبنى خصيصا لسياحتها ، ويحملها خدامها من طائفة الكهنة على أعناقهم . وكانت هذه الأعياد والاحتفالات تنمو وترتقى فى الطقوس والعدد ، كلما تقدمت المراسيم الدينية فى البلاد وتنوعت شعائرها ، وذلك حسب ثراء البلاد وعظم فتوحها فى عصور التاريخ المصرى .

أما الرموز الإِلهية المقدسة التى كنا نجدها بجانب رموز المقاطعات فلا يمكننا أن نعتبرها عريقة فى القدم ، وذلك لأنها تحمل صورة الحيوان المقدس أو إشارة مقدسة أخرى ، وتتقدم القوم فى المواكب فى ساحات القتال .

مظاهر قوة الآلهة

وكان الإِله يظهر عظمته وبطشه وجبروته فى كل أمور الحياة الظاهرة التى لم يكن فى مقدور الإِنسان أن يتغلب عليها ولذلك كانت الآلهة تعمل كأنها رؤساء أو ملوك فى آن واحد ، وذلك حسب أهوائهم ومزاجهم ولكن ذلك كان لا يمكنهم من الخروج عن اتباع قوانين الطبيعة وسننها ولذلك نجد أنه كان للآلهة المصريين طبيعتان . فكانوا من جهة يظهرون بأنهم إرادة حرة خالدة ومن جهة أخرى كانوا قوى طبيعية خاضعة لدورة الفلك وظواهره . وعلى ذلك كانوا فى الوقت عينه قوة إيجابية وسلبية .

الآلهة قوة سلبية وإيجابية فى آن واحد

فكانت الحياة تسير فى دائرتها حسب قوانينها الطبيعية مثال ذلك تلقيح الخصب بماء النهر وطلوع النباتات ونضوجها وموتها ثم البذر ، والحياة التناسلية ،

وتلقيح الحيوان والإنسان ؛ أو كما فى حالة الإلهين « حور » و « ست »
وهما اللذان يتعاقب منهما النور والظلام وكذلك تقلبات النجوم المنيرة ؛
وأخيرا بوجه خاص الحرب بين القوة المعمرة والقوى الشريرة المخربة . ومن
كل هذا نجد أن حياة الآلهة تمر فى سلسلة متصلة الحلقات من الصراع
والتغيرات التى تحدث بنظام عاما بعد عام . ومن أجل ذلك نشاهد أن
القوم كانوا يهتمون بحظ هؤلاء الآلهة المتقلب، إذ عليه مدار حياتهم وسعادتهم ،
فكانوا يسعون لمساعدتهم بقدر مافى وسعهم ، وذلك هو السر فى الاحتفال
بالأعياد التى كان يحتفل بها القوم فى كل مقاطعة فى مواقيت ثابتة بحكم
التقاليد الموروثة . فكان يعتقد أن هذا الإله أو تلك الآلهة قد ولدت
فى يوم خاص من السنة ولذلك كان يحتفل به . فمثلا نجد أن أعياد
الآلهة « أنوبيس » و « وبوات » و « تحوت » و « مين » وغيرهم
قد لعبت دورا هاما بإثباتها على آثار الأسرة الأولى . يضاف إلى ذلك
أنه كان هناك أعياد أخرى تقام احتفالا بانتصار الإله على أعدائه أو قهرهم ،
وأنه وصل بعد ذلك إلى الملك ليطلع مشعا بكل بهائه أمام الشعب
محمولا على أعناق الكهنة فى سفينته المقدسة ؛ وقد مثل الإله « سوكر »
فى عهد الأسر الأولى بهذه الكيفية ، وكذلك الآلهة الأخرى نجد
لها صورا تدل على نفس الفكرة .

مثال ذلك تعاقب النور والظلام

سبب الاحتفال بأعياد الآلهة

أما الإله « أوزير » الذى كان يسكن فى جوف الأرض منذ
وفاته ، والذى كان يعيش ويحيا هناك رغم موته بقوة سحر قرينته « كا »

التى تتقمص أجسام الموتى ، فإن حادث وفاته كان له أكبر أهمية لأنه منه نشأت قوته وسلطانه ، ولذلك كانت تقام له محافل عظيمة تمثل كل أطواره فى بلدة العرابة المدفونة .

تمثيل حياة « أوزير » وموته فى العرابة

وعند الاحتفال بأعياد الآلهة المحلية يسير سكان المقاطعة صفاً صفاً خشعاً فى موكب يرأسه حاكم المقاطعة أو الملك حسب الأحوال ، وبصحبته الذين يعرفون الطقوس ، وخدام الإله ، الذين يحيون طلعته ويقدمون له الخشوع والخضوع ؛ وعند نشوب صراع بين الآلهة كان أتباعه يحاربون من أجل إلههم بالأسلحة والعصى ويتنحبون عند هزيمته وموته ويملئون عين « حور » بالقرابين ويحيون ظهور الإله ثانية أو ميلاده ويجلسون تماثله على العرش أو ينصبون عمود « أوزير » ، أو يقودون الإله عند ما يتزوج بإلهة مجاورة أو يحضرون له امرأة إلى المعبد .

نظام عبادة الآلهة المحلية

ورغم هذه التغييرات الخطيرة والحوادث المتعاقبة بنظام فإن الآلهة مع ذلك كانت تمثل فى نظرهم قوى أبدية ، باقية دائماً وعاملة سواء أخضعت هذه القوى أو ماتت ، أو دبت فيها الحياة من جديد وولدت ثانية ؛ على أنه لا توجد لحظة يمكن الإنسان أن يستغنى فيها عن حماية الآلهة ؛ إذ أنهم كانوا يقفون على الدوام بالقرب من أتباعهم متمتعين بكل سلطانهم وقوتهم ولذلك كان فى مقدور الإنسان أن يدعوهم لمساعدته ويلتمس عطفهم ورضاهم . على أن الاعتقاد الدينى لم يؤثر على التناقض بين هاتين الفكرتين لأن العقيدة دائماً مرتبطة بوقت الحاجة الملحة التى تخلقها الظروف دون

المصرى يعتقد أن الآله قوة أبدية

الانسان دائما فى حاجة لمساعدة الآله

البحث فى أى تناقض أو تضارب ؛ على أن هـذا الاختلاف يؤدى رغم ذلك إلى النتيجة الآتية .

الحوادث التى لها ارتباط بالاعياد سببها ظواهر طبيعية

وهى أن الحوادث التى لها ارتباط بالأعياد سببها فى الواقـع الظواهر الطبيعية التى تضعها أمامنا الطبيعه ولـكن خيال المصرى كان يرجع بها إلى أزمان سحيقة ويعزوها إلى ظهور الإله لأول مرة وأخذه الشكل الذى ظل باقياً عليه فيما بعـد ؛ ومن ثم تحولت هـذه الحوادث التى وقعت فى أزمان معينة إلى أعياد تشيد بذكرى الأعمال العظيمة أو الآلام الشديدة التى تحملها الإله لصلاح المجتمع الإنسانى ورفاهيته ، والتى يتوقف عليهـا نظام الـكون. وشعائر هذه الأعياد التى يصحبها كثير من الآلات والطقوس المقدسة ، والرموز المختلفة تحتـاج كذلك إلى تفسير ؛ فهذه الحوادث التى تكون وليدة اللحظة التى وقعت فيها تحدث غالباً عند ظهور أمور خارقة للعادة فتبقى عليها الطقوس الدينية من غير ما تبصر ولاروية ، حتى بعد أن يتضح أنها غامضة لا تفهم ، ومن ثم تأخـذ صبغة سرية غامضة لهـا مفعول عظيم وتحـاط بشىء من الرهبة والتقديس . ومن مثل هذه الأمور جاءت الضرورة لخلق الأساطير الدينية التى يدعى رجال الدين أنها تفسر هذه الأشياء الخارقة للعادة ، وكذلك تفسر لنـا صور الآلهة وأخـلاقهم بحوادث وقعت فى الأزمان السحيقة فى القدم ، ثم تناقلها عباد الإله كأنها أسرار مقدسة ، ومن ثم أخذ الإنسان يشترك فيها بإقامة الشعـائر واتبـاع الطقوس الدينية اللازمة لذلك . وبخاصة مراعاة قواعد النظافة وطهور الجسم

سبب نشأة الاساطير

الشعائر الدينية التى يجب اتباعها

والأطعمة المنصوص عنها كما فرضتها الشريعة عندهم . وكذلك يراعى اجتناب كل رجس مثل النجاسة التى تحدث من اختلاط الجنسين ، وأن يكون الشخص مختونًا وذلك كله كان من أقدس شعائر الدين عند المصريين .

قوة السحر فى اخضاع الآلهة

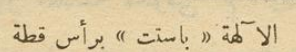
وكان من يعرف هذه الأساطير ، والمعلومات التى لها مساس بالآلهة وطبائعهم يصبح وفى يده قوة سحرية تمكنه من أن يجعل الآلهة تحت سلطانه ويجبرهم على خدمته لقضاء أغراضه السحرية . ولا شك أن الأساطير تمدنا بمعلومات أبعد عمقًا عن الآلهة أكثر مما نعلمه عن شكلها الظاهرى . وكذلك عن الحيوانات المقدسة التى تتقمصها وعن الأعياد الخاصة بها .

نفوذ الآله فى منطقته ووظيفة كل إله

وكان كل إله يتمتع بين طائفة عباده بنفوذ عام ، ولكنه مع ذلك كانت له مناطق نفوذ محدودة حيث كانت تظهر فيها آثار أعماله بكل قوة وسلطان وهذه المناطق كانت وقفًا عليه وحده ، وذلك هو السبب الذى من أجله نجد أن ديانة كل مقاطعة بقيت مختلفة عن ديانة المقاطعة المجاورة لها .

بعض الآلهة لها عمل خاص

فمثلا نجد الإله «مين» (أو آمون) هو الإله الخاص بالتناسل ، والخصب ، والإلهتان «حتحور» و « باستت » إلهتا حياة



الآلهة « باستت » برأس قطة

« الحب والغزل » والإلهان « وبوات » و « نيت » إلها الحرب والإله « أنوبيس » ، إله الجناز والتحنيط وحارس الجبانة والإله « تحوت » الذى يمثل القمر كان إله العلم والمواقيت (العلم نور) . والإله « حور » مظهر إله الشمس وهكذا . على أن هناك صنفا آخر من الآلهة له عمل محدود معين فى نطاق خاص مثال ذلك الإلهة « رننوت » وهى إلهة الحصاد خاصة والإله « خنتى امنتى » الذى يحكم فى عالم الأموات (صورة من الإله أوزير) .

ومن كل ما تقدم ترسم أمامنا صورة تخطيطية لعلم اللاهوت المصرى إذ نجد بجانب الآلهة المحلية أرباب المقاطعات آلهة أخرى يمكن أن تقوم بأعمال خاصة فى أزمان وأحوال معينة . وهذه الآلهة قد تكون أحيانا خاضعة للآلهة المحلية ومن هنا نشأ تأليف مجاميع كاملة من الآلهة تتكون فى أغلب الأحيان من تسعة آلهة (يستثنى من ذلك مجموعة آلهة الأشمونين التى تتألف من ثمانية) وعلى رأسهم إله المقاطعة الأعظم وفى بعض الأحيان نشاهد أن هذه الآلهة تعمل مستقلة عن آلهة المقاطعات وهذا هو السبب الذى جعل السبيل سهلا لآلهة المقاطعات لتمد سلطانها إلى جهات بعيدة جدا خارجة عن منطقة نفوذها الأصلى ، ويرجع الفضل فى ذلك أحيانا إلى حوادث سياسية أو إلى قيام فروع عبادة لهذه الآلهة فى مناطق غريبة عن دائرة نفوذها وهناك عامل قوى ساعد على نشاط هذا التقدم والرقى الدينى ، وهو أن المصريين قد اعترفوا إلى جانب آلهتهم المحلية بسلطان القوى

التاسوع الآلهى وتأليفه

سبب مد نفوذ إله المقاطعة الى غيرها من المقاطعات

الطبيعية العظيمة التى تعمل بطرق منظمة فى كل الكون وتشمل كل الكواكب وعلى رأسها إله الشمس « رع » ثم إله القمر « أعح » (ويعرف فى مدينة طيبة باسم « خنسو » (أى السائح) ثم النجوم ونخص بالذكر منها « نجم الأبرق » من مجموعة الشعرى اليمانية « سبد » ثم نجم الصبح « ساحو » . وعند ما كان يظهر نجم الأبرق فى الفجر فى نهاية شهر يوليه ، كان ذلك بشيرا بوصول ماء الفيضان ، وكذلك كان ظهور نفس النجم يعد بشيرا بالسنة الجديدة ، ويحمل معه النباتات الجديدة . أما مجموعة نجوم الجوزاء التى كان أظهر نجم فيها نجم الصباح « ساحو » فكان يلعب دورا مماثلا لسابقه إذ يبشر بفصل جمع الكروم الذى يحل فى شهر يوليه أيضا ، وبقدومه تحل السنة الجديدة . ولهذا السبب يعد كل منها كائنا مقدسا وقد أصبحا فيما بعد إلهين عظيمين وذلك عندما تخيل المصرى وجود مملكة للموتى فى السموات العلى فكان المتوفى ترتفع روحه إلى السماء وتعيش بين جيش النجوم وهم الأموات السعداء الذين يسهرون خلال الليل بالقرب من مصابيحهم ، على أن نجم « ساحو » الجوزاء قد أصبح إله الموتى « أوزير » . أما الشعرى اليمانية « سبد » التى كانت بجانب أوزير فقد أصبحت زوجه « إزيس » وابنها هو « حور » وقد اتخذا مكانا فى السماء بالقرب من الرب الأكبر . وتتألف مجموعة أخرى إلهية من الأجرام الكونية من السماء والأرض . فكان إله الأرض « جب » فى عرف المصريين يعد مذكرا أما إله السماء فيعتبر مؤنثا

القوى الطبيعية صارت آلهة مثل الشمس والقمر

الشعرى اليمانية « سبد »

نجم الصبح « ساحو » اصبح الإله « أوزير »

الشعرى اليمانية أصبحت « أوزير »



الآله «شو» يفصل بين إلهة السماء «نوت» وإله الارض «جب»

إله الارض «جب» وإلهة السماء «نوت»

وسمى الإلهة «نوت» وعلى العكس من ذلك نجد أن الماء الأزلى «نون» التى خرجت منه آلهة القبة الزرقاء، مذكرا. وقد وضع إله الأرض «جب» بذرته فى أخته «نوت» ويعد «جب» أمير الآلهة. ولكن منذ ذلك العهد اضطجع «جب» أى الأرض تحت قدمى «نوت» وذلك لأن الإله «شو» إله الهواء فتقهما عن بعضهما بعد أن كانا رتقا، ووضع نفسه بينهما ورفع السماء بلا عمد وصارت ترتكز على ذراعيه (كانتا رتقا ففتقناهما) وهذه الفكرة بعينها نجدها مفصلة فى أسطورة إله النبات «أوزير» وزوجته إلهة السماء «إزيس» وهما ابنا الإله «جب» والإلهة «نوت»؛ وقد أعقبا بدورهما الإله «حور» الذى يطلق عليه غالبا اسم «حور أختى» أى «حور» الأفق. وهناك أساطير تفسر

أسطورة اتحاد السماء مع الشمس «رع»

لنا كيف اتحدت السماء مع إله الشمس؛ فيقال أن السماء ولدت الشمس

من بطن « نوت » كما جاء ذكر ذلك فى متون الأهرام فيخرج « رع »
ماشيا ، ثم تلد « رع » كل يوم ، ولكن بعد ذلك يرتفع إلى الشمس
فى جلاله وعظمته ، ويلقح إلهة السماء فينتج نفسه فى فرج أمه . وكثيرا
ما تخيله المصرى كذلك على هيئة (جعل) « خبرر » ، وكانت هذه الحشرة

لماذا يقدس المصرى الجعل (الجعران)

كما يعتقد المصرى تفقس صغارها دون أن تحتاج إلى أنثى ، ويحدث هذا
بوساطة كرة الروث التى نشاهدها تدحرجها أمامها كما يدحرج الإله
بيضته أى الشمس أمامه فى السماء ، وقد ظهرت نفس الفكرة كذلك فى
الأسماء التى تعبر عن إلهات السماء « كحتحور » (بيت الإله حور) .
« وإزيس » ومعناها مقعد إله الشمس . وهاك ما يحكى عن الإله « رع » .
كان الإله « رع » بن « نون » المحيط السماوى . قد ظهر أولا فى
هراكليو بوليس (اهناس المدينة) وفى رواية أخرى فى « هرمو بوليس »
(الأشمونين) على ربوة من الغرين ارتفعت من الماء الأولى ، وقام بحرب

اسطورة الإله «رع» وكيف رفع إلى السماء

ضد أعدائه ، وبخاصة ضد ثعبان مارد يطلق عليه اسم « أبوبى » وأهلك فى
إهناس القوم العصاة بمساعدة الإلهة « سخمت » (على هيئة امرأة برأس
لبؤة) ، ثم أعاد الخلق من جديد ، وتقص الأسطورة علينا بعد ذلك أن
عينه أصبحت بعد ذلك الحادث إلهة مستقلة موهوبة بقوة سحرية . وقد
وحدها الكهنة فيما بعد بالإلهة « حتحور » والإلهة « تفنوت » الخ ، وقد
ذهبت إلى بلاد النوبة وتوجه الإله « رع » إلى هذه البلاد ليبحث عنها
ويحضرها . وأخيرا حكم « رع » الأرض سنين طويلة حتى أصبح طاعنا

فى السن وعندئذ طلب إلى ابنه « شو » أن يرفعه فى الهواء على ظهر البقرة
.. ية العظيمة ، وبذلك أصبح يسبح فى الفضاء كل يوم فى سفينته ، وسنعود
إلى هذه الأسطورة مرة ثانية فى مناسبتها . وقد ألف كهنة هرموبوليس خرافة
أخرى لم نفهم كنهها للآن وذلك أنهم تصوروا أن العالم قد خلقته ثمانى
قوى إلهية على شكل قردة ، وقد عدهم الكهنة زوجا زوجا وكل زوج
من أنثى وذكر ، واعتبروها كأنها قوى طبيعية معنوية لا تحس ، وهى الماء
الأولى ، والأبدية ، والظلام ، والقوى ، ومن مجموع هذه الأزواج الإلهية
الأربعة اشتق اسم مدينة « خنمو » (الأشمونين الحالية ومعناها مدينة الثمانية) .

الإله « تحوت » واسطورة كهنة الاشمونين

وعلى رأس هذه المجموعة الإلهية وضع إله المقاطعة « تحوت » وهو إله
القمر الذى أنشأ مقاييس الزمن وإليه ينسب كل المقاييس والأنظمة ،
وكذلك اخترع اللغة والكتابة والرسم ، والتلوين ووضع القوانين وطبقها ، وكذلك
كان يعرف بأنه وزير الإله « رع » وزوج الإلهة « معات » (العدل).

آله النيل « حعبى » وكيف نشأ

ومن آلهة الطبيعة كذلك « حعبى » أى إله النيل ويمثل على هيئة رجل
ممتلىء الجسم ذى لحية وثديين عظيمين ومتوج بالأزهار وحول وسطه
حزام يشبه ما كان يلبس فى عصور ما قبل التاريخ . وربما كان تمثيل النيل
برجل عامل دليلا على اعتقادهم فى أن النيل خطط طرقه وجسوره كأنه
مهندس ماهر رسم لنفسه ما يكفل لمصر وأهلها وأراضيها الخير الكثير فى العهد
الفرعونى فقط ، ولا يبعد أن يكون السبب فى عدم قيام عبادة منظمة له
وحبس الأوقاف عليها يرجع إلى أن القوم كانوا لا يعبدونه أولا إذ

كانوا لا يستفيدون منه ، ولكنه عندما نظمت مياهه أخذ القوم فى عبادته ، غير أن الآلهة الأخرى قد أخذت المحل الأولى فى المقاطعات ، ولذلك لم تؤسس له المعابد من أول الأمر ؛ ومع كل ذلك فإن المصريين فيما بعد قدسوه وتمدحوا بخيراته فى قصيدة عظيمة ربما يرجع تاريخ أنشائها إلى عهد الهكسوس .

وهناك عقيدة دينية نبتت من طائفة لاهوتية أخرى تقول بأن الآلهة وبخاصة « رع » و « إزيس » قد جعلوا ماء النيل ينبع من منبعه السرى عند دوامات الشلال الأول ويأتون بماء الفيضان فى ميقاته .

الآلهة هم الذين نظموا سير الفلك

وإذا كانت الآلهة فى اعتقاد المصريين لم يخلقوا العالم لأن المادة كانت دائما موجودة وليست من صنع قدرة إلهية فإنهم من جهة أخرى على الأقل هيئوا فصول السنة ونظموها ، وكذلك رتبوا سير الفلك وحياة النبات وبنى الإنسان . واتخذوا مصر مركزا عاما للعالم لأنها كانت المسرح الذى يمثلون عليه أدوارهم العظيمة الأثر ، وحوطوها بالصحراء التى يسكنها أقوام من الهمج ، وبالبحر الذى يحدق بكل العالم . وكان يرتبط بهؤلاء الآلهة القائمين على نظام الدنيا — وهم الآلهة العظام أجداد الأسرة الإلهية — الجم العفير من الآلهة الذين يعبدون فى طول البلاد وعرضها ، وكذلك الأساطير التى أوجدوها . ولما كان النور يأتى من الجهة الشرقية فقد اعتقد القوم أنها موطن الآلهة ومسكنهم ، على حين أنهم اعتبروا الغرب وهو مملكة الظلام موطن « أوزير » ومقر أرواح الموتى على أن هذه العقائد

الشرق موطن الآلهة والغرب مقر « أوزير »

تناقض دائما مع العقائد الأخرى القائلة بأن وادى النيل نفسه كان دائما المسرح الذى تمثل عليه حياة الآلهة وهو موطن نفوذهم .

آلهة الطبيعة موضع عبادة نامية فى كل العالم

على أن آلهة الطبيعة العظام مهما كان تأثيرهم على حياة الإنسان لم يكونوا فى يوم من الأيام موضع عبادة نامية لا فى مصر ولا فى غيرها ، ويرجع ذلك إلى أن أعمالهم لها صبغة عملية منظمة لا فردية محدودة ، ولا يستثنى من ذلك إلا الظواهر الطبيعية التى تعترض سير نظام الكون من وقت لآخر وتظهر بأنها تعرضه للخطر .

اعياد آلهة الطبيعة

ومن ذلك خسوف القمر ، أو تلك الظواهر التى تكون عودتها قياسية ولكن يحدث من جرائها تغير الإله أو تألمه ، ويكون من نتائج ذلك أن يحتاج الإله إلى أن يمد له الإنسان يد المساعدة بأقامة الأعياد وتقديم القربان وهذا ما يحدث بالضبط فى أعياد أوجه القمر إذ يقام عيد لأول الشهر وآخر فى ربع الشهر وثالث فى منتصف الشهر . ولهذا السبب يلتجىء القوم إلى الأعمال السحرية . على أنه لا يفوتنا ملاحظة أن هناك آلهة محلية منذ القدم ، قد صبغوا بصبغة القوى العالمية مثل الإله « أوزير » رب النبات والنيل وهو يسكن فى معبده المقدس فى بلدة أبو صير ، أو الإله « مين » فى الوجه القبلى وهو رب التناسل . وهذه الآلهة كان لا يمكن أن تقوم لها عبادة خاصة إلا إذا أصبحوا آلهة مقاطعات . ومثل هذه العبادة كانت ممكنة عند اليونان وغيرهم من الشعوب ، وبخاصة عبادة الشمس (إله السماء) وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن هذا الإله والد (قبائل) أو طوائف

يكون لآلهة الطبيعة عبادات اذا أصبحت آلهة مقاطعات

آلهة الطبيعة لها عبادات خاصة فى غير مصر

من دم واحد وقد بقى على صلة مباشرة مع نسلهم . وكانوا فى الوقت نفسه يعتقدون أن مقره بعض أماكن معينة وبخاصة قلل الجبال العالية . أما عند المصريين فكان الأمر على العكس من ذلك ، إذ كان الإله المحلى هو الذى يرفع إلى مرتبة القوى العالمية ويمتزج بها ويصير موحدا معها . ولقد لاحظنا منذ القدم أن الآلهة المحلية كانت فيها نزعة باطنية للتحول إلى قوى عالمية لأنها كانت ترى أن دائرة نفوذها فى نظر أتباعها غير محدودة ، وأن مواقيت أعيادها والأساطير التى تتصل بها مرتبطة بمواقيت الفصول الطبيعية ، ولذلك أصبح الإله « تحوت » رب هرمو بوليس المحلى منذ القدم ، إله القمر ؛ وبذلك يمثل بقوة عالمية ، وكذلك الحال مع الإلهة « نيت » ربة « سايس » والإلهة « حتحور » إلهة دندرة فهما إلهتان تتقمصان الأشجار (شجرة الجميز) ثم أصبحتا فيما بعد إلهتين للسماء .

سبب نزعة الالهة لتكون آلهة للطبيعة

أما فى حالة الآلهة الأخرى وبخاصة الإلهين « حور » و « ست » فإنه لا يمكن أن نحدد بالضبط مدى أصل مركزهما فى العبادات المختلفة سواء أكانوا آلهة تقمصوا حيوانات أو آلهة يمثلون قوى عالمية . ولا نعرف كذلك إذا كانت أسماؤهم المستعارة من علم الأساطير الدينية العالمية لم تكن منسوبة إلى آلهة محلية أولا قبل أن يسموا بها أو أنها أطلقت عليهم من بادىء الأمر .

لا يمكن تحديد أصل الآلهين «حور» و«ست» فى العبادات

وهناك مذهب حاسم اعتنقه كهنة عين شمس فيما بعد لترقية الفكرة الدينية فى مصر ، وذلك أنهم أعلنوا أن إلههم المحلى « آتوم » لم يكن إلا مظهرا من مظاهر إله الشمس « رع » ، ولذلك عبدوه باسم « آتوم ـ رع »

كهنة عين شمس والتجديد فى عبادة الشمس « رع »

ونسبوا إليه كل الأساطير التى تعزى إلى « رع » ، ولا غـرابة فى ذلك فإن الاعتقاد بأن « رع » هو المسيطر على العالم يرجع إلى أقدم عصور التاريخ ، والبراهين على ذلك توجـد فى متون الأهرام ، هذا إلى أن اسمه يوجد فى تركيب أسماء الفراعنة منـذ الأسرة الثانية ؛ مثال ذلك « نب رع » أحد ملوك الأسرة الثانيـة ، ولكن لم توجد « لرع » عبادة خاصة اللهم إلا عبادته المحلية باسم « آتوم ـ رع » قبل أن يصير إله الدولة فى الأسرة الخامسة كما سنفصله بعـد . وكذلك لم تـكن فى مصر عبادة خاصة للإله « نون » المحيط الأزلى أو للآلهة « نوت » أو لإله النيل « حعبى » أو لإله القمر اللهم إلا فى الأعياد التى كانت تنسب للأخير كعيد أول الشهر إلخ ، أو عند ما كان يعبد باسم « تحوت » أو « خنسو » . وهذه كانت عبادة محلية ؛ يضاف إلى ذلك إله الأرض « جب » إذ لا نعرف له عبادة خاصة ، وأغرب من كل هـذا الإلهة « إزيس » فإنها رغم مالها من القوة والبطش والأدوار العظيمة فى تاريخ الديانة المصرية وما ذكرعنها فى الأساطير ، لم تعبـد حتى جاء العصر المتـأخر وأخذت عبادتها تنتشر . أما أختها « نفتيس » فلا تعرف لها أية عبادة خاصة فى كل عصور الديانة المصرية مطلقا حتى الآن .

الآلهة التى ليس لها عبادات خاصة

الصلة بين الآله والانسان

وقد خلقت إقامة الشعائر والطقوس الدينية صلة لا يمـكن فصم عراها بين الإله المعبود ، والإنسان العابد ، وذلك بأن فرضت على كل منهما واجبات متساوية عليها يتوقف كيان كل منهما . فالإله يتطلب من أتباعه

المخلصين كل ما هو ضرورى له من خبز ولحم ولبن ونبيذ وملابس وأدوات زينة وحلى وأزهار وبخور أو كما يقال فى الصيغ الدينية للقربان كل الأشياء الطيبة الطاهرة التى توضع على مائدة القربان والتى يعيش منها الإله ؛ يضاف إلى ذلك الأعياد التى كانت تقام له والعناية بمعبده ، وكذلك تقديم شطر عظيم من الغنائم التى يغنمها أتباعه بمساعدة الإله ؛ كل هذا كان يعمل للإله فى مقابل ما يمنحه عباده من حمايتهم والمحافظة عليهم .

وكان من البديهى أن تراعى الدقة فى الاحتفالات والأعياد التى كانت تقام للآلهة كما كانت تراعى فى الاحتفالات الفرعونية ، إذ هناك أمور كثيرة تشمئز منها الآلهة وبخاصة أكل لحم بعض الحيوانات ؛ وكذلك كان لزاماً على المتعبد أن يكون طاهرا عند ما يقترب من الإله ، ولذلك كان من الواجب عليه أن يكون بعيدا عن كل ما هو نجس وبخاصة ملامسة النساء وغشيانهن قبل دخول بيت الإله وأن يكون قد ختن . على أن كل ما يتطلبه الإله يفهمه الرجل الذى يعرف إقامة الشعائر والطقوس بالإشارات التى يوحى بها إلهه . ومعرفة هذه الطقوس التى كانت تزداد كل يوم على مر الأزمان ، يحفظها خدام الإله « الكهنة » عن ظهر قلب . وقد نصبهم القوم لينهضوا بخدمات بيت الإله ، ولإطعام تمثاله وإلباسه وللعناية بالحيوانات المقدسة ، ولإقامة الأعياد والمواكب . هذا إلى أنهم كانوا يعرفون فن تخمين ما يريده الإله ، وينتزعون منه بوساطة الوحى نبوءات عن المستقبل ، وأحكاما فاصلة فى قضايا ، وحقائق تتعلق بالمخاصمات

ما يحرمه الدين

واجبات الكهنة

وبجانب هؤلاء الكهنة ومساعديهم كانت توجد طائفة أخرى عظيمة من «المطهرين» فى معزل عن عامة الشعب . وأفراد هذه الطائفة كانوا ينادون بهذا الاسم نسبة إلى التطهير بالماء الذى كان يصب عليهم كما يدل على ذلك تصوير اسمهم باللغة المصرية .

الكهنة المطهرون

وتنقسم هذه الطائفة أربع فرق ، كل فرقة تقوم بخدمة الإله بالتناوب طوال أشهر العام . فكانوا بذلك يشاركون الكهنة فى أعمالهم كما كانوا يشاطرونهم دخل المعبد وخيراته التى توقف عليه . وقد كان هذا النظام قائماً منذ الدولة القديمة ، ومن المحتمل بل من المرجح أنه يرجع إلى عصور أقدم من ذلك ؛ ولا يبعد أنه كان فى الأصل لكل فرد من سكان المقاطعة الحق فى التقرب من الإله ، وأن يكون له نصيب من القربان الذى يقرب له ، وكذلك من الممتلكات الأخرى الخاصة بالإله ، ولكن على كر الأيام أصبح هذا الحق وقفاً على سكان المكان الذى يقطن فيه الإله ، ثم تدرج الأمر بعد ذلك فأصبحت هذه الحقوق وقفاً على طائفة مميزة ، ومن ثم أصبح وراثياً فيها ؛ وبذلك أصبح من واجب عامة الشعب الذين يريدون أن يتقربوا من إلههم أن يلجئوا إلى طائفة الكهنة ليصلوا إلى ربهم فى بيته المقدس . ومن المحتمل كذلك أنه كان فى استطاعة الأفراد الذين ليسوا من طائفة الكهنة ويرغبون فى الانخراط فى سلك هذه الطائفة أن يصلوا إلى بغيتهم هذه ، إذا توفرت فيهم شرائط خاصة . وقد يجوز أن يصدر الملك مراسيم ملكية بذلك ؛ ولا شك أن

كيفية تأليف طبقات الكهنة فى البلاد

طبقة الكهنة ليست وراثية

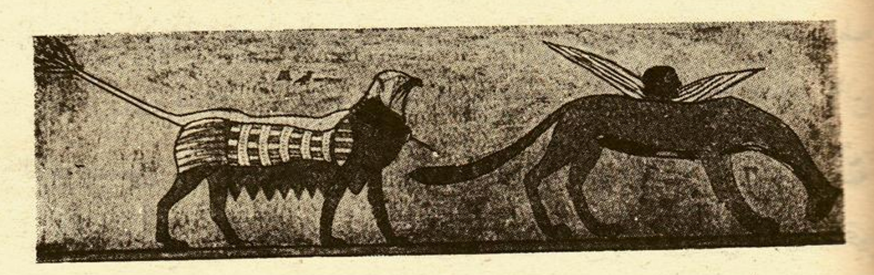
هـذا هو السبب الذى من أجله لم تصبح وظيفة الـكهنة طائفية أى أنها لم تصبح وقفا على أسرهم دون سواها كما كان الحال فى الهند وفى بلاد فارس وعند بنى اسرائيل.

الضحايا الانسانية للآله وأسبابها

وكان جل هم المصرى فى الحقيقة أن يعمل جهد الطاقة ليصل إلى السبيل التى تنتهى به إلى إرضاء الإله . وكسب عطفه مهما كلفه ذلك ولو ضحى بأخيه الإنسان وأعنى بذلك تقديم ضحايا بشرية . ولقد تضاربت الأقوال والآراء فى هذه المسألة ، ولكن يظهر أن التضحية البشرية كانت أمرا واقعا فى الأزمان السحيقة من عصور ما قبل التاريخ ؛ فيقال إن المصرى كان يقرب أخاه الإنسان قربانا لإلهه عند اشتداد حنقه أو عند ما كان القوم يبغون مساعدته فى مدلهم الأمور العويصة ؛ ولكن كل ذلك كان يحدث فى أزمان بعيدة جدا . وكانت هذه الضحايا تقدم عند قيام حروب بين الآلهة أو فى مواقيت الأعياد الجنازية ؛ وسنرى فيما بعد أن الذين كانوا يناصبون الآلهة العداء كانوا يقتلون بضربة عصا ؛ أما شركاؤهم فى ذلك سواء أكانوا رجالا أم نساءا فكانوا يضربون حتى تدمى أجسامهم ، وربما كان هذا يحدث فى الأصل للبشر فى العبادات المأتمية الخاصة ، ولا شك فى أن ختم حيوانات الضحية بختم مثّل عليه رجل موثوق فى وتد التعذيب ، وعلى رقبته سكين ، لذكرى تشعر بأن الإنسان كان يقدم يوما ما ضحية فى الأزمان الغابرة . يضاف إلى ذلك أننا نجد على جدران المعابد المصرية حتى نهاية العصور المتأخرة جدا صورا لم

ختم حيوان الضحية بختم مثل عليه رجل موثوق دليل على قدم الضحايا الانسانية

يتغير شكلها تمثل الملك وهو يقتل الأسرى الذين جيء بهم أمامه مكبلين في السلاسل والأغلال أمام إلهه ؛ هذا إلى أننا نشاهد صور أبي الهول



صور بعض الحيوانات الخرافية

التي تمثل الملوك ، وصور الحيوانات الخرافية ، تلقى بالأعداء على الأرض وتمزقهم كل ممزق ، ثم نشاهد كذلك صورا رمزية ممثلا فيها الفرعون قابضا على نواصي طائفة من الأعداء يضربهم برأس دبوسه أو بخنجره المعقوف .

الفرعون ممثل قابض على ناصية الاعداء

كل هذه المناظر والصور والذكريات تشعرنا بأن القوم كانو متعودين ذبح الأسرى من الأعداء تكريما لآلهتهم . والواقع أننا نجد على أقدم الآثار مناظر عدة ممثلة عليها هذه الذبائح ، ويشاهد عليها كذلك جثث الأسرى مكدسة ، وقد ذكرنا في الفصل السابق أن الدمى كانت توضع في المقابر مع الموتى لتحل محل زوجاتهم أو خدمهم الذين كان يظن أنهم يذبحون ويوضعون بجانب جثث سادتهم في الأزمان السحيقة . هذا وتدل الوثائق التي في متناولنا على أنه عند ما كان الإله يغض الطرف عن رهطه عند حلول أية كارثة أو نزول أي وباء ، فإن القوم كانوا يلتجئون خوفا من استمرار شرور هذه المصائب ، إلى الحيوان الذي تتقمصه روح هذا

عقاب الحيوان الذى تتقمصه روح الآله

الإله ويقودونه فى صمت إلى الظلام الدامس بطريقة سرية ، ويعملون على تخويفه وإرهابه بالتهديد أولا ، فإذا فشلوا فى قضاء بغيهم عمدوا إلى عقابه بالإنذار ثم بالذبح .

السحر وتأثيره فى الديانة

على أن السحر لم يعدم القيام بدور هام فى تاريخ الديانة ، إذ كان القوم يستعينون به على قضاء حاجاتهم ، سواء أكان ذلك تجيزه الشرائع أم تحرمه ، وكان السحر فى نظر عامة الشعب لا يتصل بالأشباح العدة التى تسكن فى دنيا الأرواح فحسب ، بل كان كذلك متصلا بالمعبودات المحلية وبخاصة الآلهة العظام لأن الفضل فى وصولهم إلى السلطان والنصر على الأعداء يرجع إلى فنونهم السحرية . وكان فى ركاب هؤلاء الآلهة عدد عظيم من الخدم لا يختلفون فى شيء عن الأشباح المخيفة لا فى طبيعتهم ولا فى أسمائهم ولا فى شكلهم الظاهرى ، إذ هم فى الواقع كانوا مجموعة من الحيوانات المختلفة الأنواع والأشكال إلى حد بعيد . وكانت معرفة صفاتها الخاصة وأسمائها وأساطيرها السلاح الرئيسى فى علم السحر ، إذ به يمكن الإنسان أن يجبرها ويقهرها على خدمته ، وتأتى بنتائج لحسابه الخاص لها نفس التأثير الذى كان يصل إليه الإله بنفس الطرق . وقد بقى تراث هذه الاعتقادات فى مصر إلى يومنا هذا فى استخدام الجن وخدامها

ويرى المطلع على تاريخ الديانة المصرية أنها كانت فى بدايتها مصطبغة بصبغة مظلمة قاتمة ، إذ نجد معظم الآلهة تتألف من كائنات خبيثة مؤذية تبعث دائما على الخوف والقلق ، فنشاهد بجانب الحيوانات الأليفة مثل الثور

والكبش حيوانات أخرى متوحشة مؤذية ، وهى التى كانت تعبد بكل إخلاص وتفان ، كالثعبان والذئب وغيره . ولا غرابة إذا كنا نجد فى صلوات الأموات ودعائهم ، وكذلك فى التعاويذ السحرية التى تستعمل فى الحياة العامة ، أن دنيا بنى الإنسان وكذلك عالم الأرواح كانت آهلة بالقوى الشريرة ، وهذا الاعتقاد نجده نافذا إلى كل أساطير الآلهة . إذ الحقيقة أن تلك القوى مشبعة بحب الدم وأعمال العنف والشدة ، وقد لعب الإله « رع » نفسه دورا عظيما فى أعمال القسوة ، إذ أهلك بنى الإنسان فى سالف الأزمان بوساطة الإلهة « سخمت » التى على شكل امرأة برأس لبؤة ؛ والأسطورة التى حفظت لنا يقال إنها تمثل عين « رع » وإنها نفس الإلهة « حتحور » وهذه الأسطورة هى أحدث الأساطير التى كتبت عن الإله « رع » ، وتظهر فيها الناحية الإنسانية بشكل جلى ، وقد نقشت على كثير من مقابر الملوك وتتلخص فيما يأتى :

عبادة الحيوانات المؤذية

الإله « رع » وفتكه ببنى الانسان

كان « رع » فى سالف الزمان يحكم الالهة والناس على السواء ، ولكن على مر الأيام طعن فى السن وكانت عظامه من فضة وأعضاؤه من ذهب وشعره من اللازورد الحقيقى ، ولكن الناس لاحظوا ذلك وتآمروا عليه ، غير أن الإله عرف نواياهم وقال لأحد أتباعه : ناد عينى وشو ، وتفنت ، وجب ، ونوت ، وكذلك الآباء والأمهات الذين كانوا معى وقت أن كنت فى ماء المحيط « نون » ، وكذلك ناد الإله « نون » . . . . واجعلهم يأتون خفية حتى لا يراهم الناس ، وحتى لا يستولى

على قلبهم الفزع . وعليك أن تحضر مع هؤلاء الآلهة إلى القصر ليعرضوا وجهة نظرهم . فحضر هؤلاء الآلهة وسجدوا على بطونهم أمام جلالته وقالوا تكلم إلينا حتى نسمع ما ستقوله لنا ، وعندئذ قال « رع » إلى « نون » أنت أيها الإله أقدم الكل والذى منه ولدت . وأنتم أيها الأجداد المقدسون انظروا إلى بنى البشر الذين خلقوا من عينى لقد تآمروا ضدى قولوا لى ما الذى تصنعونه ضد هذا العمل ولن أقتلهم قبل أن أسمع ما تريدون أن تقولوه ، فقال جلالة الإله « نون » : يا بنى « رع » أنت الإله الذى يفوق والده وكل مخلوقاته فى العظم ابق على عرشك فإن الخوف الذى تنشره عظيم إذا صوبت عينك ضد المتآمرين.

وعند ما صوب الإله « رع » عينه عليهم هربوا إلى الصحراء لأن قلوبهم استولى عليها الهلع مما قاله ، ومع ذلك فإن الآلهة نصحوا إليه أيضاً أن يرسل عينه لتقتفى أثر المتآمرين لتضربهم ، فأرسل « رع » عينه التى نزلت إلى الأرض بصفتها الإلهة « حتحور » ، ولكن هذه الإلهة عادت بعد أن قتلت الناس فى الصحراء ، وعند ئذ قال جلالة الإله :

أهلا بقدومك يا « حتحور » ... فأجابته هذه الإلهة بحياتك لقد كنت شديدة البأس بين الناس وقد سر ذلك قلبى .

ولكن « رع » خاف أن تهلك « حتحور » الناس عن بكرة أبيهم فى الغد ، وقال أيت إلىّ على وجه السرعه برسل سريعين يعدون مثل الظل . فأحضر إليه رسل من هذا النوع على وجه السرعة ، وقال لهم

جلالته : اعدوا إلى الفنتين وأحضروا إلىّ مقداراً عظيما من مادة « ديدى »
وأعطيت هذه المادة لحامل الخصلة ، فى عين شمس فطحنها هذا الملاك
فى حين كان الخدم يحضرون الجعة بالشعير وبعد ذلك صبت هذه المادة
« ديدى » فى الجعة فأصبح لونها كلون الدم ...... وشربت منها
« حتحور » حتى ثملت وبذلك كفت عن فناء العالم ، ولكن الإله «رع»
المسن بعد أن خلّص البشر من الفناء التام لم يعد يرغب فى الاستمرار
فى حكم هؤلاء المخلوقات الذين لا وفاء لهم ، وقال بحياتى أن قلبى قد
مل البقاء معهم ، وعندئذ يدخل الإله « نون » ونادى بقربه بنته «نوت»
التى على شكل بقرة ، فاعتلى ظهرها الإله « رع » ورفعته إلى السموات
العلى وصارت منذ ذلك الوقت هى السماء ؛ ولكن عند ما طلت « نوت »
من أعلى ارتجفت أعضاؤها بسبب ارتفاعها ولكن « رع » نادى الإله
« شو » وقال له يابنى « شو » ضع نفسك تحت بنتى نوت واحملها على
رأسك ففعل « شو » ما أمر به ؛ ومنذ ذلك العهد كان يحمل البقرة
السماوية التى على بطنها تسطع النجوم وتسبح الشمس فى سفينة. (أنظر صفحة ٢٠١).

«رع» ينجى بنى الانسان

ومنذ ذلك العهد كان يحمل « رع » على جبهته الثعبان السام وهو
الصل المخيف الذى ينفث النار فى وجه الأعداء . كل هذه المظاهر تشعرنا
بأن الديانة فى بدايتها كانت قاتمة مظلمة ، ولذلك يدهش الإنسان للخطوات
الواسعة التى خطتها المدنية المصرية نحو الرقى الفكرى عند ما نقرأ تاريخهم
فى عهد الدولة القديمة ؛ ولكن الواقع أن هذه الحقائق تحبذ الرأى القائل ،

أصل الصل (الثعبان) الفرعونى

سبب رقى البلاد

بأنه قد مر على مصر عصر طويل من الثقافة كان لا بد أن تمر به البلاد أولا لتصل إلى ما وصلت إليه ، فى نواحى الحياة الأخرى التى ضربت فيها بسهم صائب ، وكان لها أحسن تأثير فى رقيها الفكرى والأدبى والمادى ، فمن ذلك أن تربية الماشية وزراعة الحقول وتنمية التجارة التى نتجت عن هذا الرقى والتقدم ، أثر تأثيرا حسنًا فى أنظمة الحكومة وفى إقامة العدل وهذّب أخلاق القوم ، ومما جعلهم يتركون ظهريا كل الشعائر والطقوس الوحشية فى كل مكان ، حتى أنه لم يبق منها إلا رموزها ، ولا أدل على ذلك

اختفاء الضحايا البشرية

من أنه منذ عصر ما قبل التاريخ قد اختفت الضحايا البشرية التى كانت تقرب فى الطقوس الدينية ولم يبق دليل على وجودها فى سالف الأزمان إلا الدمى التى كانت توضع مع المتوفى فى قبره ، أو عادة دفن المقربين من الفرعون معه فى القبر ، أو ما نشاهد فى عهد الدولة المنفية من بناء العظماء مقابرهم حول هرم مليكهم .

ضحايا الحيوان ذكرى للضحايا البشرية

ويدل تقريب الضحايا فى مصر القديمة من بعيد على أن الآلهة كانوا فى الأزمان السحيقة يحبون دماء الضحايا وهذا يلاحظ من وضع طعام الضحية بعد ذبح الحيوان أمام المعبد على مائدة القربان أمام الإله ؛ وهذه الأطعمة كانت تشتمل على لحوم ومشروبات ، وفطائر وأزهار وغيرها . ولكن أهم شىء كان يقدم هو البخور . وكان يتمتع بكل هذه الأشياء الكهنة المطهرون والكهنة خدام القرين (الروح المادية) .

ورغم ما وصل إليه المصرى من المدنية والرقى فإنه استمر محافظا على

قص الأساطير العتيقة المهوشة ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن المصرى
بطبعه كان محافظا لا ينسى، فكان يحافظ على التقاليد القديمة مهما كانت
سخيفة غير معقولة ، وكان يستعملها فى أغلب الأحيان فى أمور السحر
التى كان من أهم ضروريات الحياة للمصرى ، ولا يهمه مادام يصل إلى
أغراضه أن يتبع كل الطرق السحرية سواء أكانت مشروعة أم غير مشروعة .
ولكن رغم هذه الأساطير كانت عند المصرى فكرة نقية صافية عن
الإله مما جعل العلاقة بين الناس يسودها وازع خلقى ، سداه العدل
ولحمته النظام المستتب ؛ وهذه كانت منحة من الآلهة أيضا ، لأنهم وإن
لم يكونوا أنفسهم مثلا عليا للأخلاق فإنهم رغم ذلك حماة النظام الخلقى ،
فيعاقبون من يهتك حرمة هذا النظام ، كما يعاقبون من يتعدى حدود تعاليم
الطهارة الجسمانية .

المصرى محافظ على القديم

الآلهة حماة النظام الخلقى

وقد مثل المصرى العدالة التى تقوم على مبادئها كل المدنية المصرية
وحسن سير الجماعة ، منذ فجر التاريخ فى هيئة إلٰهة (امرأة) حسناء تحمل فوق
رأسها ريشة أو فى صورة ريشة فحسب ؛ وأطلق عليها اسم « معات »
ونسبتها بنت الإله « رع » إله الكون وزوجها الإله « تحوت » المنشىء
لكل مدنية العالم .

آلهة العدل

والواقع أن نشأة المدنية المصرية التى قوامها العلم والعدل والإدارة
الحسنة فى نظام الحكم ، يرجع إلى أصل دينى ، أو اجتهد المصرى أن
يعزوه إلى أصل دينى ، وذلك لأن الدين كان متغلغلا فى كل مرافق حياته

المدنية المصرية منشأها الدين

ولذلك رمز لكل منها بصورة ملموسة أمام المجتمع يهتدى بهديها . فمثل إله العلم «تحوت» مثل بالطائر إبيس أو القمر وفى يده قلم وقرطاس[١] ، ومثل إلهة العدل بامرأة تحمل ريشة فوق رأسها رمز الدقة والعدالة ، أما الإدارة ونظام الحكم فكان ممثلا فى الإلهة « سشات » (ومعناها التى تكتب) وتمثل على شكل امرأة جالسة على كرسيها و بيدها قلم وقرطاس تكتب فيه ، وكانت تعد سيدة بيت الكتب ، وتعتبر أول إلهة نقشت (أى كتبت) . وكانت وظيفتها أن تدون كل الأعمال الجليلة التى يقوم بها الملوك . وكانت تنقش أسماءهم على شجرة فى معبد عين شمس وهى والالهة « معات » من رفاق الإله تحوت ؟

---

(١) شبه منقار الطائر إبيس (أبو منجل) بالقلم إذ ينقر به (أى يكتب) ولذلك سمى إله الكتابة والنقش .

مصادر المقاطعات فى العهد الفرعونى وما بعده

من المحتمل جدا أن يكون تقسيم البلاد إلى مقاطعات منذ أقدم عصور التاريخ المصرى هو النظام الإدارى السائد فى بلاد الوجه القبلى . ويظهر أن علماء الجغرافية الذين اهتموا بجغرافية مصر القديمة يعتقدون أن عدد المقاطعات فى البلاد قد بقى على ما هو عليه منذ الدولة القديمة وبخاصة فى الوجه القبلى ما بين «منف» إلى الألفنتين، وقد حدد هذا العدد باثنتين وعشرين مقاطعة كما ذكرنا آنفا (انظر ص١٦٩ ومابعدها) أما فى الدلتا فيعتقدون أن العدد كان يتغير حسب الأحوال، ولكنه كان على أية حال ٢٠ مقاطعة منذ أقدم العهود ، ولذلك يقول الأستاذ « إرمن » أن تأليف البلاد من اثنتين وأربعين مقاطعة يحتمل رجوعه إلى عهد توحيد الصعيد والدلتا ، وقد يجوز أنه تغير فيما بعد إلا أن التقسيم القديم بقى تقليدا متبعا حتى العهد الرومانى ، ويظهر ذلك جليا فى الاثنين والأربعين قاضيا الذين كان يتألف منهم قضاة محكمة « أوزير » لمحاكمة المتوفى أى أن كل قاض كان يمثل مقاطعة.

ولكن يظهر أن الأبحاث الحديثة بعضها يخالف هذا التقسيم وبخاصة فى الدلتا ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه رغم تحديد عدد مقاطعات الوجه القبلى باثنتين وعشرين مقاطعة منذ الدولة القديمة ، فإن المقاطعتين الحادية عشرة والتاسعة عشرة كانتا غالبا تحذفان من قوائم المقاطعات لأسباب دينية وذلك لأنهما يمثلان إله الشر « ست » .

أما نظام عدد مقاطعات الدلتا فإنه لم يتم إلا تدريجا ، إذا صدقنا ما وجد

على نقوش الدولة الوسطى . إذ لم نعثر فى معبد الملك « سنوسرت الأول » الذى كشف عن حجارته مستعملة ثانية فى معبد الكرنك ، إلا على ستة عشرة مقاطعة .

والواقع أن عدد المقاطعات لم يظهر أمامنا بصفة قاطعة مشتملا على الإثنتين والأربعين مقاطعة ، إلا على معابد الأسرة التاسعة عشرة ، وبقى هذا تقليدا حتى عهد البطالسة ومن ثم أخذ يحدث تغيير وتبديل فى أسماء المقاطعات وعددها كما سنشرح هنا .

وأهم المصادر التى استقينا منها معلوماتنا عن المقاطعات هى القوائم التى فى المعابد وما كتبه الكتّاب الإغريق واليونان .

وقد بدأ البحث فى جغرافية مصر منذ أواسط القرن الثامن عشر .

وسنذكر هنا أهم المؤلفات التى عنى فيها بالمقاطعات المصرية منذ القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا .

1. Bourguignon d'Anville. Mémoires sur l'Egypte Ancienne et Moderne et une carte intitulée Ægyptus Antiqua, 1765 Paris.

دوّن المؤلف فى خريطته قائمة بالمقاطعات القديمة وعددها ٥٣ ، منها تسع وعشرون مقاطعة فى الدلتا وعشرة فى مصر الوسطى (هبتو مانا) بما فيها واحات صحراء لوبيا ، و١٤ مقاطعة فى مصر العليا . وقد ذكر فى الفصل الخامس من هذا الكتاب الذى وضعه بعنوان وصف مصر مقسمة إلى مديريات ، المصادر التى استقى منها معلوماته وهى ما كتبه « ديدور الصقلى » ، و« استرابون » و« بلينى » ، و« بطليموس » ، ثم Deys le periegite, La notitia dignitatum, et synecdemos d'Hieroclés.

2. Description de l'Egypte.

وهو الكتاب الذى ألفته البعثة العلمية التى أتت مع نابليون إلى مصر . وقد جاء فيه فى الجزء الخامس (اللوحة الثامنة والخمسون) قائمة ناقصة بأسماء المقاطعات نقلا عن النقود الرومانية .

3. Quartremere, Mémcires géographiques et historiques sur l'Egypte 2 vol. Paris 1811.

وقد تكلم المؤلف فى كتابه هذا عن المدن والقرى المصرية ولكنه لم يتعرض للمقاطعات .

4. J. Fr. Champollion; l'Egypte sous les Pharaons, ou recherches sur la religion et l'histoire de l'Egypte avant l'invasion de Cambyse. 2 vol. Paris 1814.

وقد لاحظ شمبليون فى مؤلفه هذا تغيير المقاطعات فى العصور المختلفة حسب ازدياد عدد المقاطعات فى العهد الإغريقى الرومانى ، ولم يكن وقتئذ قد حل رموز اللغة المصرية . غير أنه قال إن البلاد كانت مقسمة إلى ٣٦ مقاطعة ، عشر منها خاص بقسم طيبة و ١٦ بمصر الوسطى وعشر بمصر السفلى . وهذا العدد قليل جدا بالنسبة للعدد الذى ذكره انفيل (Anville) ولكنه مساو للعدد الذى ذكره « ديدور » و« استرابون » .

5. Tochon; Recherches sur les Médailles des nomes ou préfectures de l'Egypte; Paris 1822. (P. 10 - 15).

وقد ساعد هذا المؤلف على تكملة المعلومات التى استقيناها من الكتّاب الإغريق والرومان عن المقاطعات . ويرجع الفضل له فى أنه أظهر لنا أن أسماء هذه المديريات قد نقلها الكتّاب القدماء مختلفة ، وأن المقاطعات التى ذكرها هردوت واسترابون لم تكن كلها هى نفس التى ذكرها بلينى و بطليموس . وأن النقود قد ظهر

عليها أسماء أربع مقاطعات لم تكن معروفة للكتّاب الأقدمين الذين ذكرناهم.

6 J. Franz . Corpus inscriptionum græcarum, 1853(P.282 - 284)

وقـد خصص المؤلف فى مقدمـة كتـابه فصـلا للمقاطعـات التى ذكرها «هردوت» ، و«استرابون» و« بطليموس» .

7 G. Parthy. Zur Erkunde des Alten Ægypten 1859. (P. 509-538).

قدم الأستاذ برتى مؤلفه هـذا إلى أكديميـة برلين وقد وضحه بست عشرة خريطة ، الخمس الأولى منها خصصها للمقاطعات التى ذكرهـا هردوت واسترابون و بلينى ، و بطليموس ، والنقود . أما الخرائط الباقيـة فمستقاة من الوثائق الحكومية للعهد الرومانى .

8.a. Dumichen, Geographie Inschriften 2 vol.

b. Dumichen, Geschicte des Alten Ægypten, Berlin, 1879.

ولم يذكـر لنا المؤلف تفصيلا فى كتبه عن المقاطعات وكل ما أشار إليـه أن المقاطعات كان عـددها فى مصر يتراوح بين ٣٥ و ٤٧ مقاطعة (انظر ص ٣٠ من تاريخ هذا المؤلف) وذلك حسب ما جاء فى النصوص المصرية .

9. Brugsch. ; Dictionnaire Géographique de l'ancienne Egypte 1879. Leipzig.

و يعتبر الأستاذ بركش المؤسس الأول فى وضع مؤلف شامل لجغرافية مصر القديمة . ولم يبحث فى كتابه موضوع المقاطعات إلا حسب ما جاء فى القوائم المصرية القديمة ويجد القارىء فى أول هذا المؤلف قوائم بأسماء مقاطعات الوجه القبلى ومقاطعات الوجه البحرى . وما يقابلها فى الأطلال الباقية الآن فى البلاد وكذلك أسماء الآلهة التى كانت تعبد فى كل مقاطعة.

10. Sayce. The Ancient Empires of the East. 1883. (Herodotus I- III).

ذكر لنا الأستاذ «سايس »أن المقاطعات كان يختلف عددها حسب العصور. وقد وضع قائمة بالاثنتين والأربعين مقاطعة التى ذكرت فى النقوش المصرية ٢٢ للوجه القبلى و ٢٠ للوجه البحرى ودوّن اسم كل مقاطعة بالمصرية واسم عاصمتها ، وكذلك بالإغريقية والعربية . هـذا إلى أنه ذكرلنا بعض معلومات عن كيفية الحكم فيها منذ أقدم العصور الفرعونية حتى عصر البطالسة.

11. J. De Rougé, Géographie de la Basse-Egypte et memoires des Nomes.

ويعد هذا المؤلف أحسن ما كتب عن جغرافية الوجه البحرى. وقد كشف عن كثير من الموضوعات الغامضة. ثم تلاه الأستاذ درسى Daressy وكتب عدة مقالات ممتعة عن جغرافية مصر السفلى فى عدة مجلات وبخاصة مجلة المتحف المصرى. وقد جمع أخيرا« ليبوفتش » فهرساً بكل كتاباته فى هذا الموضوع وغيره.

Annales du Service« t XXIX P. 18 - 41»

12. Wiedmann. Herodots zweites Buch p. 442 — 574 .

ولم يذكر لنا فى كتابه هذا إلا أن عدد المقاطعات كان يختلف. فيقول أن كل من ديدور واسترابون ذكر ٢٦ مقاطعة ، وذكر بلينى ٤٨ ، أما بطليموس فذكر ٤٧ ، وجاء على الآثار ٤٤ مقاطعة.

13. Muller, Geographie de Cl. Ptolomie Paris1883—1890. Und Atlas

وفى هذا المؤلف نجد قائمة جديدة عن مقاطعات الوجه البحرى.

14. A. Simaika. Essai sur la province romaine d'Egypte, Paris,1892.

وقد بين لنا الأستاذ سميكه المصرى الجنس لأول مرة الأسباب التى أدت

إلى الاختلافات فى قوائم المقاطعات إذ يقول (١) أن مدنا جديدة قد حلت محل مدن قديمة، ومن أجل ذلك كانت العاصمة تتغير أحيانا .(٢) كان يحدث أن تقسم مقاطعة عظيمة المساحة إلى مقاطعتين أو أكثر. (٣) كان العكس يحدث أن تضم مقاطعتان أو أكثر تحت سيطرة حاكم واحد وذلك أما لصغرهما أو لقلة عدد السكان فيهما . وقد دوّن المؤلف كذلك قائمة بأسماء المقاطعات .

15. Steindorff. Die Ægyptische gau und ihre politische entweck-lung, 1909 Leipzig.

فحص الأستاذ «شتيندورف» التغيرات التى طرأت على قوائم المقاطعات منذ العصر الصاوى حتى العصر الرومانى . و بين أن القوائم التقليدية المنقوشة على معابد البطالسة لا توافق التقسيم المصرى الحقيقى القائم فى البلاد فى عهد البطالسة فمثلا ، لم نجد بينها إحدى المقاطعات الهامة جدا وهى مقاطعة الفيوم الحالية إذ بقيت على قوائم المعابد تكون جزءا من المقاطعة الواحدة والعشرين فى الوجه القبلى .

16. Maspero, The Dawn of Civilization, London 1910.

كتب العالم العظيم مسبرو فى كتابه هـذا بعض معلومات قيمة عن المقاطعات من (٧٠ – ٧٨) ورسم خريطة للوجه القبلى وأخرى للوجه البحرى و بين عليهما كل المواقع القديمة وأسماء المقاطعات وما يقابلها فى الأسماء العربية الآن .

17. Ed. Meyer ; Histoire de L'antiquite T. II. L'Egypte jusqu'à L'Epo-que des Hyksos. Trad. Monet. 1914 Paris

وقد أفرد هـذا المؤلف العظيم فصلا فى كتابه هـذا عن المقاطعات و آلهتها وقسم القطر إلى ٤٢ مقاطعة (ص ٧٤ – ٨٦) .

18. a. Petrie Historical studies vol II p.22-29. The nomes of Egypt London 1911.
    b. Petrie, Social Life in Ancient Egypt (46—47) London 1923.

درس الأستاذ بترى فى كتابة المطالعات التاريخية نشأة المدن المصرية والمقاطعات ، ثم وضع نتائج فحصة فى قوائم منقولة عن قائمة من القوائم المدونة فى معبد «سيتى الأول» بالعرابة وكذلك عن القائمتين الموجودتين فى البردية المالية التى من عهد البطالسة ، وعن قوائم استرابون و بلينى و بطليموس والنقود الرومانية ولم ينقل شيئا قط عن قائمة هردوت .

أما فى مقاله فى كتاب (الحياة الاجتماعية عند المصريين) فقد ذكر لنا أن سبب ازدياد عدد المقاطعات يعزى إلى ازدياد عدد السكان و بذلك ـ حسب رأيه ـ أصبحت الست عشرة عاصمة التى كانت فى القطر منذ أقدم عصور ما قبل الأسرات ، ١٧ ثم ازدادت إلى ٢٥ فى عهد الدولة القديمة ثم إلى ٤١ فى عهد الدولة الوسطى ، ثم ٦٧ فى عهد الدولة الحديثة . أما عدد المقاطعات فإنه نزل من ٦٧ إلى ٥٧ فى العهد الرومانى أى أصبح ٢٢ فى الوجه القبلى و ٣٥ فى الدلتا . غير أن معظم هذه الأرقام لا ترتكز على حقائق علمية ثابتة ولذلك لا تحتمل النقد .

19. Hohlwein, L'Egypte Romaine Bruxelles; 1912.

وقد جمع المؤلف فى كتابه هذا كل النتائج التى وصل إليها أسلافه عن المقاطعات ثم قال إن كتابات العصر الرومانى وجد فيها ٧٦ إسماً لمقاطعات ولم يذكر لنا المقاطعات التى حلت محل مقاطعات أخرى .

20. Budge. From Fetish to God in Ancient Egypt, London 1934.

وتكلم لنا الأستاذ بدج فى كتابه هذا عن الأوثان التى كانت تعبد فى المقاطعات .

21. H. Dessau ; Geschichte des Romischen Kaiserzeit II Band 2 Abteilung. Berlin 1930.

ويرى هذا المؤلف (ص ٦٨٨) أن عـدد مقاطعات القطر لا بد أنه كان في العهد الرومانى أقل مما كان عليه فى العهود التى قبله .

22. Gauthier; Dictionnaire des noms Géographiques contenus dans les Textes Hiéroglyphiques, 6 vol. Le Caire 1924.

وهـذا القاموس يشمل كل الأسماء التى ورد ذكرها فى النقوش المصرية سواء أكانت فى مصر أم فيما جاورها من البلاد وقد تكلم عن المقاطعات ، كل فى مكانها حسب الحروف الأبجدية كما جاءت فى النقوش المصرية .

23. A. Moret; Le Nil et la civilisation Egyptienne, Paris 1926(P.47-80).

كتب الأستاذ «موريه» فصلاهاماً عن المقاطعات وقسم القطر إلى ٤٢ مقاطعة حسبما جاء فى النقوش المصرية وتكلم عن نظام المقاطعة من الوجهة الإدارية والدينية وكذلك عن كيفيـة تكوينها بصورة واضحة جليـة ثم وضع قوائم بأسماء المقاطعات وعواصمها ورموزها وآلهتها . ورسم خريطة لـكل من الوجه القبلى والوجه البحرى .

24. Budge; Egyptian Hieroglyph Dictionnary. 2 vol. 1920.

وقد خصص الأستاذ بدج فصلا خاصا لـكل الأسماء المصرية الجغرافية والمقاطعات المصرية التي جاءت فى النصوص المصرية .

25. Sethe; Urgeschichte und Alteste Religion Der Agypter.1930.

أفرد الأستاذ « زيته » فى كتابه هذا فصـلا عن مقاطعات مصر وشرحها شرحا علميـا من الوجهة الدينية والاجتماعية ووضع فى نهاية كتابه خـريطة للوجه القبلى وأخرى للوجه البحرى و بين فيها المقاطعات.

26. Jacques Pirenne. Histoire des Institutions et du Droit Prive de l'ancienne Egypte. Bruxelles 1932.

وقد أفرد فى الجزء الأول من مؤلفه هذا فصلا عن المقاطعات حسب التقسيم التقليدى أى ٤٢ مقاطعة ووضع خريطة لكل من الدلتا والوجه القبلى .

27. Gauthier, Les Nomes d'Egypte depuis Hérodote jusqu'à la Conquête Arabe. Le Caire 1935.

وهذا المؤلف يعد أحسن ما كتب فى الموضوع لأنه جمع أراء كل من سبقه وناقشها وتكلم عن كل مقاطعة منذ نشأتها حتى النهاية وكذلك قد وضع الأستاذ جوتيه فهرسا ممتعا لكل ما كتب عن جغرافية مصر فى كتاب سماه :

28. Bibliographie des études de Géographie historique Egyptienne 1920, dans Bull. de la Soc. Sultanieh de Géographie d'Egypte t. IX.

مصادر فصل الديانة

إن كل ما وصل إلينا من النقوش والـكتابات المصرية القديمة يكاد يكون فى معظمه دينياً أو له علاقة بالشعائر الدينية ، ولا غرابة فى ذلك، إذ أن ما بقى لنا من تراث القوم قدعثر عليه فى المقابر أو المعابد لغرض دينى،ولذلك لا نكون مغالين إذا قررنا هنا أن كل نقش أو كتابة على البردى عثر عليه حتى الآن ، ولوكان فى ظاهره خاصاً بالتاريخ أو الطب أو الاجتماع، فإنه وضع فى الأصل لقصد دينى أو له مساس بالدين من أحل ذلك سنكتفى هنا بذكر أهم المصادر الأصلية التىلها علاقة مباشرة بالدين ثم نذكر الـكتب التى وضعها علماء الآثار عن الديانة المصرية منوهين بقدر ما تسمح به الأحوال عن مضمون كل مؤلف ونظريته فى الديانة المصرية، وكذلك سنذكر هنا بعض المؤلفات التى كتبها العلماء عن بعض الآلهة المصرية سواء أكانت فى كتب منفردة أو مقالات فى مجلات علمية .

أهم المصادر الأصلية

1. Le Livre des Pyramides, par Maspero. 1882 - 1892. Rec. Tr.4 - 14

متون الأهرام . وهى النقوش التى وجدها العالم مسبرو منقوشة على جدران أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة فى سقارة عام ١٨٨١ . وتعد أقدم مجموعة من التعاويذ الدينية التى وصلت إلينا من أقدم العصور . وقد ترجمها الأستاذ مسبرو بسرعة .

2. Die Altagyptischen Pyramiden texte. 4 vol. Leipzig. 1908-1922.

متـون الأهـرام. جاء بعد مسبرو العالم الألمانى «زيته» وطبع متون الأهرام كرة أخرى بعد أن راجعها ونقحها وكتب شروحا عليها ، ثم أخذ يعد فى ترجمة لها ولكن وافاه القدر قبل أن يتم عمله ، وبعد موته نشر الأستاذ « جربوف » العالم الألمانى ما تركه « زيته » مترجماً فى أجزاء ظهر منها أربعة باسم :

3. Sethe; Ubersetzung Und Kommentar zu den altagyptischen Pyramiden texte; Gluckstadt und Hamburg. 1939.

4. Speelers, Comment faut-il lire les textes des Pyramides Egyptiennes ? Bruxelles 1934.

هذا الكتاب محاولة من مؤلفه لترجمة متون الأهرام بالفرنسية ولكن الفرق عظيم بينه وبين ترجمة الأستاذ « زيته» الذى خصص حياته لدرس هذا الموضوع.

5. Textes Religieux par Pierre LACAU. (Rec. de Travaux) Vol. 26 - 31 et Tirage à part, Paris 1910.

هذه النقوش أكبر مصدر لنا عن الديانة فى عهد الدولة الوسطى وهى مكتوبة على جدران التوابيت الخشبية لهذا العصر.

والواقع أن توابيت الدولة الوسطى منبع فياض من المعلومات عن المتون الجنازية فالتوابيت التى تم نقشها من الداخل فى هذا العصر تحتوى على سلسلة فصول وضعت تحت تصرف المتوفى وقد كتبت بالخط الهيراطيقى وتشغل فى العادة النصف الأسفل من جهات التابوت الأربع ، وأحيانا تشغل كل قعر التابوت والغطاء . وهى تكون جزءا هاما أساسيا من تصميم التابوت ، وهذه المتون فى الواقع منقولة عن متون الأهرام التى كتبت على جدران حجرة الدفن فيها ؛ وبعد ذلك كتبت على جدران المقابر فى عهد الأسرة الحادية عشرة ، ثم بعد ذلك كتبت فى داخل التابوت

عند ما اعتقد المصرى أنه أصبح مختصرا لحجرة الدفن . وقد صارت القاعدة بعد ذلك فى الدولة الوسطى ولكن فيما بعد عندما أصبح التابوت يعمل على شكل آدمى ـ كتبت هذه النقوش على ورق البردى ووضعت بجوار المومياء. ومجموع هذه الفصول أطلق عليه علماء الآثار (كتاب الموتى) .

ومتون الأهرام وكتاب الموتى ليس فيهما إلا فصول قليلة مشتركة . والظاهر أن كلا منهما منفصل عن الآخر ، ولكن متون توابيت الدولة الوسطى تشتمل على عدد يكاد يكون متساويًا من فصول متون الأهرام ومن كتاب الموتى فهى فى الواقع همزة الوصل بين الاثنين وتبين بوضوح أن كلا من المتنين يشترك فى غرض واحد . وكل محتويات هذه المتون هى تعاويذ من نوع واحد تضمن لمن يعرفها من المتوفين الخلود فى الأحوال المختلفة فى الحياة الآخرة فى القبر .

يضاف إلى ذلك أن توابيت الدولة الوسطى تحتوى على عدد عظيم من الفصول لم نجدها لا فى متون الأهرام ولا فى كتاب الموتى ، وبذلك تزيد فى معلوماتنا عن الديانة المصرية . والحقيقة أن الإنسان ليدهش من تدرج المعتقدات الدينية . إذ نجد أن كتاب الموتى يضم احيانا نحو ١٨٠ فصلا التى لا يشك فى أنها مختصر لمجموعة عظيمة جداً من الفصول الدينية ، أما متون الأهرام فقد عثرنا دفعة واحدة على ٤٥٣ فصلا . ولا تزال الفصول الدينية التى من عهد الدولة المتوسطة تزداد بازدياد الكشوف ، وقد قام أخيراً المرحوم الأستاذ «برستد» بالإشراف على طبع كل هذه المتون بمقارنة بعضها ببعض ووكل أمر ذلك للعالم الهولندى « دى بك »

6. De Buck. The Egyptian Coffin Textes, Chicago, 1935.

وقد ظهر منه للآن جزءان .

أما كتاب الموتى الذى أشرنا إليه فقد طبعه أولا :

7. Naville, Das Ægyptische Todtenbuch der XVIII bis XX Dynastie Berlin 1886.

وهذا الكتاب يعرف عند الأثريين خطأ بكتاب الموتى ، والواقع أنه يحتوى على عدة فصول وتعاويذ تساعد المتوفى فى آخرته وتعاونه على الحساب أمام الإله الأكبر « أوزير » ؛ وكذلك لخروجه ودخوله فى القبر وسياحته إلى عالم الآخرة ، وهذه الفصول وجدت مكتوبة على بردى موضوعة مع المتوفى فى تابوته منذ الأسرة الثامنة عشرة ، وتعتبر هذه التعاويذ المرحلة الثالثة فى نمو الأدب الدينى عند المصريين ومعظمها يرتكن على السحر ؛ وقد ترجم كتاب الموتى هذا عدة علماء ولكن أحسن مرجع يمكن الاعتماد عليه مؤقتا هو :

8. Le Page Renouf. The Lifework of Sir Peter Le Page Renouf, IV Vol. Paris 1907.
9. Le livre des morts, dans la Revue de l'histoire des Religions XV
10. Grapow. Religiose Urkunden 3 Bande, Leipzig 1915 - 1917.

وقد ناقش المؤلف فى هذا الكتاب بعض فصول كتاب الموتى وترجمها .

11. Schott. Urkunden Mythologyschen Inhalts. Leipzig 1929.

ويمتاز هذا الكتاب بأنه يحتوى على متون دينية من العصر المتأخر ولكنها مترجمة.

ننتقل بعد ذلك إلى ما كتبه علماء الآثار من الكتب عن الديانة المصرية القديمة وأهمها ما يأتى :

1. ERMANN. Die Religion der Ægypter. Berlin 1934.

يعد الأستاذ إرمن من أكبر علماء الآثار واللغة المصرية وقد بحث فى

كتابه هذا الديانة المصرية واستعرض فيه الآلهة المصرية والمعتقدات المتضاربة التى وجدها فى ديانة القوم وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية .

2. Wild; La religion des Egyptiens, Paris 1937.

3. Breasted; Development of Religion and Thought in Ancient Egypt. New York. 1912.

يعد هذا الكتاب من أمتع الكتب التى كتبها الأستاذ برستد عن ديانة المصريين وقد بنى كل استنتاجاته على متون الأهرام . وشرح فيه بوجه خاص الفرق بين عبادة الشمس وعبادة « أوزير ».

4. Roeder. Urkunden zur Religion des Alten Aegypter, Iena 1915.

جمع الأستاذ ريدر فى هذا الكتاب عدة متون دينية من كل العصور وترجمها . وكتب لها مقدمة ممتعة لمن يريد البحث فى تاريخ الديانة المصرية وتطوراتها ويظن أنها ديانة وحدانية .

5. Maspero. Etudes de Mythologie et Archéologie Egyptienne 8 vol. Paris. 1893 - 1916.

ويجد القارىء فى هذه المجلدات أبحاثا عدة فى نقط عويصة فى الديانة المصرية القديمة تناولها بمهارته وإلهامه وعلمه المشهور . ويلاحظ فى كتابة الأستاذ مسبرو أنه يعتقد أن الديانة المصرية القديمة هى عبارة عن ديانة شرك فيها متناقضات كثيرة إذ نجد عند القوم فى عهد واحد الوثنية والشرك ، والتوحيد ، هذا هو رأى الأستاذ إرمن كما ذكرنا آنفا .

6. Sayce. Religion of Ancient Egypt, Edinburgh. 1913.

ويقول المؤلف إن الغرض من كتابه هذا عن الديانة المصرية أن يفسر

قدسية بين المصريين القـدماء وأن الديانة المصرية تفسر قول الأنجيل : إن نور
لله ينير لـكل من أتى على الأرض .

7. Steindorff. The Religion of the Ancient Egyptian.

هذا الـكتاب يحتوى على سلسلة محاضرات ألقاها الأستاذ ستينـدورف عن
الديانة المصرية وشرح نواحيها وأظهـر أنها بشـير تقـدم الديانة الموسوية والديانة
المسيحية . وقد ترجم إلى اللغة العربية وطبع بمطبعة المعارف.

8. Max Muller, Egyptian mythology, Boston 1923.

طبع هذا الـكتاب بعد وفاة صاحبه . ويحتوى على كل الأساطير التى جاءت
فى كتب الديانة والآلهة عند قدماء المصريين .

9. MORET. Le Rituel divin journalier en Egypte, Paris 1902.

وقد بحث فى هـذا الـكتاب الطقوس والشعائر الدينية التى تؤدى فى المعـابد
المصرية .

10. PETRIE; Religious life in Ancient Egypt 1924.

وقد تكلم الأستاذ بترى فى هذا الـكتاب عن الحياة الدينية فى مصر وشرح
ديانة الحـكومة وديانة الشعب حسبما يرى هو .

11. Reisner. The Egytian conception of Immortality, 1912.

بحث الأستاذ ريزنر فى هذا المؤلف عقيدة المصرى عن الحياة الآخـرة بعد
الموت وتكلم عن معنى « كا » ومعنى «با » وعن الاستعدادات التى كان يتخذها
المصرى ليحيا فى قبره .

13. Budge. From Fetish to God in Ancient Egypt. Oxford 1934.

ضمن الأستاذ « بدج » فى هـذا الـكتاب كل آرائه وانتهى إلى أن

المصرى يعتقد فى إله واحـد وأن الآلهة الأخرى ما هى إلا من خلق هذا الإله الأكبر .

14. Wiedemann, the religion of the ancient Egyptian, London1897.

بحث فى هذا المؤلف الأستاذ « فيدمان » موضوع ديانة المصريين القدماء بطريقة خاصة . ويرى فى كتبه أن المصرى كان لا يفهم الديانة بالمعنى الذى نحن نفهمه أى أنها مجموع عقائد بل يعتقـد أن المصرى كان عنده أفكار دينية فحسب، أما الديانة كما نفهمها فلم تخطر بباله ، وقد جاراه فى ذلك الأستاذ نافيل فى كتابه :

15 Naville, la religion des Egyptiens, Paris 1906.

16. Loret, L'Egypte au temps du totémisme. Paris 1906.

وفى هذا المؤلف يبدى رأيه الأستاذ « لوريه » بأن الديانة المصرية القـديمة يرجع أصلها إلى عبادة الرمز .

ويجب هنا أن نشرح فى كلمات مختصرة الفرق بين لفظة Totémisme ولفظة Fétichisme

فالرمز هو الجد المشترك للحيوانات الحية فعـلا من نفس جنس الحيوان المقدس وقد يكون إنسانا وفى هذه الحالة يكون رب القبيلة التى هو منها .

ويمتاز الرمز « التوتم » عن الوثن ، أن الأول ليس فيه أية قوة سحـرية وأنه إله عادى لا يمثل أية قوة طبيعية ولذلك أمكن اعتبار عبـادة بعض الحيوانات فى مصر أنها ترجع فى أصلها إلى رموز كالثور والثعبان والتمساح .

أما الوثن أو الوثنية فهى فى أصلها الاعتقاد بأن تملك شىء خاص يمكن أن يمنح مالكه المساعدة أو الحماية التى توجد فى الروح أو القوة الكائنة فى هذا الشىء .

وهناك طائفة من العلماء يعتقدون أن الوثنية هى الفترة الأصلية للفـكرة الدينية ؛ على

أن ما يميز الوثنية عن عبادة الأصنام ، أن الأصنام فى نظر المستنيرين من عبادها ،
تمثل الإله فحسب أى أنها رمز يرفرف فوقه الروح الإلهية .

17. A. Moret; Le Nil et la civilisation Egytienne Paris 1926.

وقد وضع فيه الاستاذ موريه كل نتائج أبحاثه فى التاريخ والديانة المصرية
وهو فى الواقع ملخص كل كتبه التى كتبها طوال حياته عن مصر . ويعتقد أن الديانة
المصرية مبنية على السحر وقوته فى كل كتبه .

18. Le Page Renouf; Lectures on the origin and growth of Religion London 1880.

يرى المؤلف فى كتابه هذا أن الدين المصرى القديم يكوّن وحدة .

19. Brugsch, Religion und mythologie der Alter Ægypten.

ويعتقد الأستاذ « بركش » أن الديانة المصرية مادية أكثر منها روحية .

كتب عدد عظيم من علماء الآثار كتبا خاصة ببعض الآلهة المصريين أو أفردوا
لها مقالات ممتعة فى بعض المجلات العالمية المشهورة وسنورد هنا أهمها .

1. Mallet; le culte de Neit à Saïs Paris, 1888.

بحث فيه المؤلف عبادة هذه الآلهة من البداية حتى آخر الكشوف التى
عملت فى عهده ولكن ظهرت آراء جديدة بعد ذلك .

2. Junker, Die onurislegende, Vienne 1917.

وقد كتب الأستاذ « ينكر » هذا المؤلف القيم ردا على مقال كتبه الأستاذ
« زيته » عن « عين الشمس » . ويعد هذا الكتاب من أمتع ما كتب فى الديانة
المصرية .

3. W. Budge. Osiris & the Egyptian Resurrection 2 vol. 1911.

وقد شرح فى مقدمته آراء العلماء فى الديانة المصرية ثم ختمها بقوله: أن المصريين يعتقدون فى إله واحد وأن الآلهة الأخرى من مخلوقاته ثم قال أن الإله « أوزير » تقمص إنسانا ليكون محسوسا عند المصريين ، وكذلك نسب الديانة المصرية إلى أصل إفريقى وأنها لا تختلف عن ديانة أهل السودان.

3. Boylan. Thot, the Hermes of Egypt. London 1922.

تكلم الأستاذ بيلان فى كتابه هذا عن علاقة هذا الإله بالإله « أوزير » والإله « رع » . وكذلك شرح وظيفته باعتباره إله القمر وبيّن مكانته فى تاسوع عين شمس ثم شرح مكانته بصفته المؤسس للنظام الاجتماعى والشعائر المقدسة. وموقعه من الآلهة الثمانية فى الأشمونين.

4. "SET". E. Meyer. "Set - Typhon" Leipzig 1875.

ورغم أن هذا المؤلف قديم فإنه لا يزال أهم مصدر لمعرفة عبادة الإله «ست »

5. Sethe; Amon und die acht Urgôtter von Herniopolis. Berlin1929.

بحث الأستاذ « زيته » فى كتابه هذا منشأ عبادة الإله «آمون» وعبادته المحلية ثم تدرجه إلهًا للدولة ثم علاقته بالآلهة الثمانية التى تعبد فى هرموبوليس (الأشمونين الحالية) ، وهذا الجزء الأخير من الكتاب غامض. وقد كتب الأستاذ «ينكر »مقالا انتقد فيه مؤلف الكتاب فى بعض النقط وبخاصة أنه أثبت أن زيته قد أخطأ فى قوله : إن الإله « آمون » هو إله الهواء .

6. "NUT". BUSCH, Die Entwicklung der Himmelgôtten, Nut zur einer Totengotheit. Leipzig 1922. A. Z. 67. 1931 P. 52.

شرح فى مقاله هذا موقف الإِلٰهة « نوت » إِلٰهة السماء وعلاقتها بالآلهة الأُخرى.

وقد كتب الأستاذ « جربوف » مقالا آخر عن هذه الإِلٰهة تحت عنوان:

7, Die Himmels gôtter Nut als Mutterschwein' in A. Z. 71 (1935 P. 45 - 47.)

8. Wiedemann. Maâ, déesse de la verite et son rôle dans le pantheon Egyptien, Paris 1887.

تكلم فى هذا الكتاب عن العدالة والصدق ومعنى كل منهما عند المصرى . وموقف الإِلٰهة معات من العدالة فى مصر .

9. Isis et Osiris par Plutarque.

ويعد هذا الكتاب المصدر الذى عرفت منه قصة «أوزير» قبل كشف اللغة المصرية ، ولا يزال من أحسن المصادر التي يعتمد عليها رغم الشذوذ أحيانًا فى بعض نواحيه .

10. Le febure; Le mythe Osirien, Paris 1874 - 1875.

11. Sethe, "ATUM" als Ichneumon in A. Z. 63. 1928 P. 50 - 53

12. Roeder, Das Ichneumon in der Aegyptische Religion und Kunst. In Egyptian Religion. IV, 1936. P. 1 - 48.

وقد عثر الأستاذ زيته على بعض نقوش ورسوم تثبت أن النمس أو فار فرعون كان يمثل الإِلٰه آتوم فى عين شمس و يسمى بالمصرية «عز»وأنه يبتلع الثعبان عدو الشمس عند الغروب .

13. Hopfner; Fontes Historae. Religionis aegyptiacae. Bonn. 1923-1925.

جمع الأستاذ هبفنر كل ما كتبه كتّاب اليونان الذين زاروا مصر عن الديانة وعمل له فهرسًا ممتعًا.

14. Wiedemann, Der Tierkult der alter Ægypter, Leipzig 1912.

15. Theodor Hopfner. Der Tierkult Der alten Ægypter Wien 1913.

أول من كتب عن الحيوانات التي تعبد فى مصر القديمة هو الأستاذ فيدمان ولكن أتى بعده الأستاذ تيودور هبفنر بعشرين عاما وتناول الموضوع من كل نواحيه فكتب عن كل إله منذ ظهوره حتى العصر الأغريقي الروماني . وتكلم بأسهاب عن الحيوان الذي يعبد فى كل مقاطعة .

16. Sethe, Dramatische Texte zur Alteægyptischen mysterien spielen Leipzig 1928.

وقد أظهر فى هذا المتن أن فكرة التوحيد كانت موجودة عند قدماء المصريين منذ الأسرة الأولى . وهذا المتن فى أصله يرجع إلى عبادة إله واحد فى منف وهو الإله فتاح ولكن الأستاذ برستد يقول أنه فى الأصل كان للإله رع إله الشمس ثم نسب للإله فتاح رب منف فيما بعد.

الدولة القديمة

الأسرتان الأوليان

يعد المؤرخون « مينا » أول ملك أسس الوحدة المصرية ، وقد كانت له مهابة فى قلوب الفراعنة الذين خلفوه حتى أنهم ألهوه بعد موته ، وبقيت عبادته زمنًا طويلا حتى أننا بعد مضى عشرين قرنًا على وفاته وجدنا تمثاله يحمل فى مقدمة كل تماثيل الملوك الآخرين فى احتفال دينى فى عهد رعمسيس الثالث فى معبده المعروف بمدينة هابو فى الجهة الغربية من طيبة .

والظاهر أن الملوك الذين حكموا فى خلال الأسرة الأولى يبلغ عددهم سبعة واستمروا نحو ٢٠٠ سنة « ٣٢٠٠ – ٣٠٠٠ ق . م » . وكذلك يمكننا أن نقول بأن الأسرة الثانية حكمت ما يقرب من ٢٠٠ سنة أيضًا « ٣٠٠٠ – ٢٧٨٠ ق . م » وسنرى منذ هذا العصر السحيق أن النظام الحكومى والإدارى الذى كانت تسير عليه البلاد كان على أسس متينة حتى أنه بقى نحو ٣٠٠٠ سنة لم يطرأ عليه تغيير هام إلا فى فترات قصيرة جاءت عرضًا . وسنتكلم على هذا النظام بشىء من الإيجاز الآن .

كانت كل القوة مجتمعة فى يد الملك ، وكان يعهد بتنفيذها إلى كبار رجال دولته ، الذين كانوا ينوبون عنه ، ومن المحتمل أن هؤلاء العظماء كانوا من الجنس المغير كالملك نفسه ، وقد كانت الملكية قبل توحيد البلاد وبعده وراثية ، وكان للمرأة حق وراثة العرش . وكانت حاشية الملك

تؤلف من العظماء فى عهده وأفراد أسرته ، ولم تكن منف مركزهم بل من المحتمل جدا أن يكون مركزهم « نخن » (الكوم الأحمر) ، وقد نعت « مانيتون » ملوك الأسرتين الأولين بالطينيين ، ولكن ذلك لا يعنى أن الملوك كانوا من بلدة « طينة » القريبة من جرجا ، ولا أن عاصمتهم كانت فى هذه البلدة ؛ بل جاء هذا النعت من أن ملوك هاتين الأسرتين قد شيدوا مقابرهم بالقرب من « طينة » المجاورة للعرابة المدفونة وهى التى شيد فيها قبر « أوزير » فى المرتفع المسمى « أم القعاب » . والواقع أن أول من اتخذ « منف » عاصمة للملك هم ملوك الأسرة الثالثة والأسر التى أتت بعدها ، وقد دفنوا فى جبانتها بسقارة والجيزة ، ولهذا السبب المزدوج قد سماهم « مانيتون » بالأسر المنفية .

بوادر المدنية المصرية

وقد شوهد منذ أول الأمر أن الحاشية الفرعونية قد خلقت حولها جوا صالحاً من المدنية لا بأس به شجع الفنون والصناعات المختلفة فلم يكتف الأهلون كما كان الحال فى عصر ما قبل الأسرات بصناعة الآلات والأوانى من الحجر والعظم والعاج والفخار والخشب بدقتهم المعروفة ؛ بل تخطوا ذلك إلى صناعة آلاتهم من المعادن والأحجار الكريمة وشبه الكريمة بمهارة فائقة ، وكذلك نجد أن أعمال النقش والنحت والتلوين والنسيج والنجارة الدقيقة وصناعة العاج والمجوهرات أخذت تتنوع وتكثر بدرجة عظيمة . ونشاهد منذ بداية هذا العصر التاريخى ظهور فن الطب وجمع المتون الدينية وتأليفها ، وكان أعظم من ضرب بسهم وافر فى

الفنون هم المهندسون المعماريون الذين أظهروا براعتهم فى تشييد المقابر الملكية ؛ فكانت مقابرهم فى بادىء الأمر حجرات بسيطة من اللبن كافية فقط لأن تضم جثة الملك وأثاثه المأتمى المتواضع ، ولكننا بعد ذلك نشاهد أنها أخذت تنمو وتتسع حتى أصبحت ضخمة متعددة الحجرات. ثم أخذت الأحجار الجيرية والجرانيتية تستعمل فى بنائها شيئاً فشيئاً إلى أن بلغت مكانة هامة فى تكوينها ، وقد كان يقام حول هذا القبر الضخم مقابر أصغر حجما للأمراء والعظماء من رجال الحاشية وأسرة الملك نفسه ، وكذلك نشاهد مقابر أصغر حجما من السابقة لعبيد الملك وخدمه الذين يعطف عليهم ويجعلهم يدفنون بجواره فى دار الآخرة ، ويجوز أنه كان يعتقد أنهم سيخدمونه فى آخرته وسنتكلم عن ذلك باسهاب فى حينه .

ملوك الأسرة الأولى

الاسرة الاولى

أهمهم الملك مينا ويسمى أيضاً « نعرمر » وكذلك « عجا » وقد تكلمنا عنه فيما سبق ثم الملك «زر» و«زت» فالملك «دن حسبتى» ، «ودمو» ثم «عزايب» و«سمرخت سمنبتاح» (سمبس) والملك «قع» . وسنذكر هنا ما نعرفه عن هؤلاء الملوك بقدر ما تسمح به معلوماتنا الضئيله عن هذا العصر .

وأول ملك له أهمية عثر عليه بعد الفرعون مينا هو «زر» ويقرأ اسمه «خنت» أيضاً . وقد عثر على قبره فى العرابة المدفونة بالقرب من باقى مقابر ملوك

الاسرة الأولى. وقد ظن الأثرى «املينو» فى بادىء الأمر أنه قبر الإله «أوزير»
ولكن هذا الخطأ قد استدرك عند ما وجدت آثار عدة باسم الفرعون «زر»، ونرى
منها أن الفن قد تقدم فى هذا العهد ، وقد وصل إلينا عن طريق الرواية أن هذا
الفرعون كتب سفراً فى علم التشريح وأنه هو المؤسس لمدينة «منف» ولكن هذا الزعم
الأخير مشكوك فيه إذ من المحتمل جدا أن « منف » لم تكن موجودة فى عهده.

أما الملك «زت» (الملك الثعبان) فيمتاز عصره بالتقدم الفنى الذى
نشاهده فى الأشياء التى عثر عليها فى حكمه وبخاصة اللوحة التى باسمه وهى
الآن فى متحف اللوفر وتدل على دقة الصنع بالنسبة لهذا العهد السحيق
فى القدم . ومن المدهش أنه عثر على اسم هذا الفرعون منقوشاً على
صخرة فى الصحراء الغربية بالقرب من مدينة ادفو ولا نزاع فى أن الذى
نقش اسم هذا الفرعون هو رئيس أحدى الكتائب التى كانت ترسل إلى
جهات البحر الأحمر ، وقد كان الطريق من وادى النيل إلى البحر الأحمر
يروده البدو الرحل منذ أقدم العهود . وقد كان يظن أنه وقف عليهم
ولكن هذا النقش قد برهن على أن المصريين كانوا منذ العهد الطينى يرسلون
البعوث إلى الصحراء الغربية لاستغلال المحاجر والمناجم التى فيها
ولا يبعد أنهم وصلوا فى سيرهم إلى شواطىء البحر الأحمر نفسه .

وقد كشفت حديثًا مقبرة فى نزلة البطران يظن أنها لهذا الفرعون
وذلك لوجود بعض آثار باسمه فيها ، غير أن ذلك لا يعد دليلا قاطعاً
على أنها مقبرته . وهذه الحالة تماثل القبر الضخم الذى عثر عليه حديثًا فى

سقاره ووجدت فيه بقايا أوان كثيرة باسم الملك « حور عحا » ، وليس هذا دليلا كافيا على أن هذا قبر «عحا» وبخاصة إذا علمنا أنه كشف له عن مقبرة أخرى بالقرب من العرابة المدفونة ووجد فيها آثار كثيرة باسمه .

الملك دن

وبعد هذا الفرعون يأتى الملك « ودمو » الذى كان يسمى أيضاً «دن» وهو الذى قام بحملة ضد القبائل الرحل فى شبه جزيرة سينا لمعاقبة قطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على سكان الدلتا الغربية ؛ والظاهر أنه أول ملك فكر فى تنظيم مياه النيل وفيضانه فى منطقة الفيوم ، وقد فتح أبواب حدود بلاده للتجارة الخارجية بشكل عظيم ، وحصن المدن ونمّى موارد البلاد. وكان أول من حبس الأوقاف على المعابد . وبعد أن حكم مدة ثلاثين سنة كلها جهاد فى خدمة البلاد دفن فى مقبرة عظيمة فى العرابة المدفونة ؛ وهذه المقبرة وجدت أرضيتها مكسوة بقطع من الجرانيت ؛ وهذه الظاهرة تعد فريدة فى بابها إذ أن استعمال الجرانيت لم ينتشر إلا بعد زمن من عهد هذا الملك . وقد بقيت ذكراه حية فى نفوس الأجيال التى تلت، مثل « مينا » نفسه . وقد عزى إليه بعد موته بأجيال أنه ألف فصلا من كتاب الموتى . ومما يجدر ذكره أنه أول ملك ذكر قبل اسمه لقب « نيسوت - بيتى » ويعنى بذلك ملك الوجه القبلى والبحرى .

وقد عثر لهذا الفرعون على لوحة من العاج مثل عليها احتفال تتويج الملك ، وقد جاء ذكر هذا الاحتفال مرات عدة فى حجر « بلرم » . وفى هذه اللوحة يشاهد الفرعون ممثلا وهو لابس التاج الأبيض

للوجه القبلى والتاج الأحمر للوجه البحرى ، وهذا رمز لتوحيد القطرين .
وقد مثل كذلك مرة وهو جالس على كرسى الملك فوق مقعد ، ومثل
مرة أخرى وهو يجرى بين ست علامات موزعة ثلاثة ثلاثة فى صفين
عموديين ؛ وذلك بلا شك إشارة إلى الطواف الذى كان يقوم به الفرعون
حول جدار رمزى (كما يفعل حول الكعبة الآن) ، وهذا الاحتفال كان
من الطقوس التى كان لزاما على الملك أن يقوم بها عند تتويجه .

وفى عهد « ودمو » يشاهد كذلك لأول مرة الاحتفال بعيد «سد»
الذى كان يحتفل به عادة بعد انقضاء ثلاثين عامًا على تولية الفرعون الحكم.
ولا نزاع فى أن هذا العيد يرجع تاريخه إلى عهد بعيد جدا قبل « ودمو » .

وقد عثر على مقبرة ضخمة لزوجته « مرت نيت » (محبوبة الإلهة نيت)
معبودة صا الحجر فى الوجه البحرى ؛ ووجدت أمامها لوحة مأتمية جميلة
الصنع ؛ ويعتقد بعض المؤرخين أن ملوك مصر فى هذا العهد كانوا يتخذون
زوجاتهم من الدلتا لتوطيد العلاقات بين القطرين .

الوزير « حما كا »

وقد كشف حديثًا فى منطقة سقارة عن مصطبة لأحد الأشراف
الذين عاشوا فى عهد هذا الملك ويسمى « حما كا » وهذه المصطبة كبيرة
الحجم إذ يبلغ طولها نحو ٥٧ متراً وعرضها ٢٦ متراً وارتفاعها الحالى نحو ثلاثة
أمتار ونصف متر ، وهى مقسمة إلى ٤٥ مخزنًا تحوى الكثير من المخلفات الرائعة
التى تدل على مبلغ ما وصل إليه الفن من الدقة والإتقان فى ذلك الوقت
إذ وجد فيها مجموعة كبيرة من الأسلحة الصوانية لعلها أكبر مجموعة

وجدت من عهد واحد ، كما وجد كذلك أقراص من الحجر و النحاس والخشب والعاج تختلف شكلا وحجما وسمكا ، وهى محلاة بمناظر بديعة وبعضها مطعم بقطع من المرمر ، ولم يعرف بالضبط إلى الآن الغرض منها ،ووجد غير ذلك عدد كبيرمن الأدوات الخشبية من فئوس ومناجل ، و بعض لوحات منقوشة من العاج والخشب ؛ منها لوحة من الأبنوس من عهد الملك « زر » من ملوك الأسرة الأولى ، وكذلك بعض صناديق خشبية وأكياس من الجلد داخلها أسلحة وألواح خشبية ، وقد وجد على سدادة كيس منها ختم الملك « دن » ، وفضلا عن كل هذا فقد عثر على قطع من النسيج وسهام من الأبنوس والعاج لها أسنة من العظم والعقيق كما وجدت أنواع مختلفة من الأوانى الفخارية مقفلة بسدادات من الطين ختمت بأختام الملك « دن » و« حماكا » معاً ، وكذلك وجدت مجموعة كبيرة من الأوانى الحجرية ذات أشكال مختلفة .

كما أنه قد عثر فى سقارة على جبانة لبعض العمال من طبقة الشعب من عصر هذا الملك ، وهى تبين بوضوح الاتصال الفنى بين ما وجد فى مقبرة هذا الملك ومقابر الأشراف فى عهده وبين مقابر هؤلاء العمال ، وقد يستدل على هذه النظرية من مجموعة الأوانى الحجرية التى وجدت فى مقابر العمال مماثلة لما وجد منها فى مقبرة الملك « دن » ومقبرة وزيره « حماكا » فى سقارة ، وكذلك الأسلحة المصنوعة من الحجر الصوان ورءوس السهام وأدوات الزينة الأخرى التى وجدت فى هذه المقابر . فنرى من ذلك

أن الديموقراطية فى ذلك العصر وصلت إلى الصناعة ؛ فسوت بين ما يصنع للملوك والوزراء وأفراد الشعب مع الفارق فى القلة والكثرة و بعض الفوارق فى الدقة.

وتولى عرش الملك بعد «ودمو» ابنه «عزايب» من زوجته «مرت نيت». ولسنا نعرف السبب الذى من أجله محا الفرعون « سمرخت » اسميهما حيث وجدا . وقد ظن البعض أنه كان مغتصباً للملك ، ولكننا من جهة أخرى وجدنا أن اسم « سمرخت » نفسه قد محاه خلفه الفرعون « قع » وفى الوقت نفسه احترم اسم « عزايب » ولم يمحه . ولذلك يرجح أن «سمرخت» كان هو المغتصب ،ولهذا السبب قد أغفل اسمه فى قائمة ملوك سقارة .

ولما كانت معظم آثار الفرعون « عزايب » قد محيت ، فإن معظم تاريخه بقى مجهولا لنا تقريبًا ، اللهم إلا بعض نتف حفظها لنا حجر بلرم ، أهمها انتصاراته على قوم يسمون « ايونتيو » ومن المحتمل أنهم كانوا السكان الأصليين الأقدمين لمصر .

ولما كان هؤلاء القوم قد هزموا منذ حكم أتباع « حور » وشتت شملهم ؛ وتفرقوا ثلاث فرق : واحدة منهم استوطنت شبه جزيرة سينا ، والثانية فى الواحات ، والثالثة فى بلاد النوبة ، فإنهم بقوا جيرانا معادين لمصر يغيرون عليها كلما سنحت الفرصة ؛ ولا شك فى أن الحملة التى قام بها « عزايب » كانت لصد غارات هؤلاء القوم وتأديبهم وذلك حسب رواية حجر بلرم . وفى حكم هذا الفرعون قد نفذت لأول مرة عملية الإحصاء فى التاريخ المصرى .

أما الملك « سمرخت » فأهم ما نعرفه عنه أنه احتفل بالعيد « سد » الثلاثيني وقام بحملة إلى وادى مغارة فى شبه جزيرة سينا ، وقد بقيت ذكرى هذه البعثة محفوظة إلى الآن فى النقوش التى تركها هذا الفرعون فى هذه الجهة وتعد أقدم نقش فى هذه المنطقة ، وفيها نرى الفرعون ممثلا فى ثلاثة مناظر : واحد منها وهو لابس التاج الأبيض ذابحًا الأعداء ، وفى منظر آخر نراه يمشى لابسًا التاج الأحمر والتاج الأبيض وأمامه قائده ، مما يدل على أن هذه البعثات كانت تأخذ صفة حربية فى هذا العصر .

وآخر ملوك هذه الأسرة الفرعون « قع » ولا نعرف عنه شيئًا سوى أنه احتفل بالعيد الثلاثينى لحكمه .

ملوك الأسرة الثانية

الاسرة الثانية

أول ملوك هذه الأسرة هو الملك « حتب سخموى » وقد عثر له على تمثال راكع من الجرانيت مكتوب على كتفه أسماء ثلاثة ملوك ، وفى عهده حدث انفجار أرضى فى جهة تل بسطة مات بسببه خلق كثير ؛ ومن المحتمل أنه زلزال وقع هناك لقرب المكان من منطقة أبى زعبل البركانية.

الملك « كاكاو »

وخلفه على العرش الملك « نب - رع - (كاكاو) » ، والظاهر أنه دفن فى سقارة إذ عثر على أختام له تشير إلى ذلك ، وقد ذكر المؤرخ المصرى مانيتون أن « كاكاو » هذا قد دعا إلى عبادة العجل

أبيس فى منف والعجل « منفيس » فى عين شمس ، وعبادة الـكبش فى منديس، وذلك مما يدل على أن هـذه الأسرة كانت متصـلة بالسكان الأصليين ويحتمل أنها أعادت عبادة الحيوان التى كانت فى البـلاد قديمًا . وقد عثر على إناء باسم هـذا الملك فى معبـد « منكاورع » من ملوك الأسرة الرابعة .

الملك «نتر– إن» ويقرأ كذلك « نتريمو »

وخلف هـذا الملك على عرش مصر الفرعون « نتر – إن » ، وقد عثر لهذا الفرعون على بعض آثار قليـلة منها إناء للملك « نب – رع » أخذه « نتر - إن » لنفسه لغسيله اليومى ، وقد عثر فى منطقة الجيزة على مقبرة كبيرة وجد فيها خمسة أنواع مختلفة من الأختـام لهـذا الملك . وفى عـام ١٩٣٨ عـثرت مصلحة الآثار على جبـانة تحت الأرض فى سقارة يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية ، وقد عثر فيها على بعض أوان عليها سـدادات مختومة باسم هـذا الملك . وقـد ذكـر اسمه كذلك على حجر بلرم . ونستخلص من النقوش أنه حكم أكثر من ٣٥ عاما من غير شك ، وقد ذكر أنه بنى قصرا وأحضر عجل أبيس فى العام السادس من حكمه ، وآخر فى العام الرابع عشر . وقد ذكر مانيتون أن هذا الفرعون أمر بأن الملك يمكن أن تتولاه أنثى ، وربما كان ذلك من العادات التى كانت مندثرة ثم أعيدت ثانية .

وكذلك نشاهد فى عهده انتظام الاحتفال بالأعياد وبخاصة عيد « حور » الذى كان يعد الإله الحامى للمملـكة وعيـد « سوكر » لأنه إله جبانة منف . هذا إلى أن عملية الإحصاء قد أخذت صبغة منظمة فكانت تعمل كل عامين .

وفى عهد خلفه « بر ـ إب ـ سن» حدث انقلاب عظيم وذلك أنه أعاد عاصمة الملك ثانية إلى العرابة وغير اسمه الحورى الذى كان يعد أقدم لقب للفرعون ، إلى اسم الإله «ست» . وهذا الحادث فريد فى التاريخ المصرى .

ولا بد أن الملك كان قصده فى ذلك كما ظهر على خاتم أحد موظفيه أن إله أمبوس قد أعطى حكم القطرين إلى ابنه « بر ـ إب ـ سن » . أى أن الإله « ست » الذى حكم الوجه القبلى قبل أتباع « حور » هو الذى ولاه على البلاد وليس الإله « حور » ، كما تؤكد ذلك التقاليد الفرعونية فى مصر . وقد دفن الفرعون « بر ـ إب ـ سن » فى العرابة . وقد بقيت عبادته محفوظة فى سقارة إلى الأسرة الرابعة بجانب الفرعون « سنزى » الذى لانعرف عنه شيئاً .

وقد ختمت هذه الأسرة بالملك « خع ـ سخموى » ولم يبق من آثاره إلا بعض أختام ، وهى التى بها أمكننا أن نعرف سياسته الدينية . ومعنى اسمه (الاثنان القويان) أى الإله « حور » والإله « ست » (رمز لتاج مصر المزدوج) ولكن الألقاب التى وجدت على هذه الأختام قد جاءت برهاناً ساطعاً على المقصود من انتخابه هذا الاسم . وتفسير ذلك أن الفرعون « بر ـ إب ـ سن » قد غير اسمه الحورى باسم « ست » ولكن الفرعون «خع ـ سخموى» ، رجع إلى السياسة الحورية دون أن يتخلى عن سياسة « ست» فجعل لقبه الحورى الذى كان يوضع على واجهة القصر يجمع بين «حور» و«ست» معاً . غير أننا لا نعرف نتيجة هذه السياسة لقلة المصادر لدينا .

الأسرة الثالثة

الملك « زوسر »

وقد مكث حكم « خع سخموى » ١٥ سنة على أقل تقدير ، ثم خلفه على العرش فى منف الملك « نترخت-زوسر » ومن المحتمل جدا أنه كان أخاه الا صغر





تمثال الملك « زوسر »

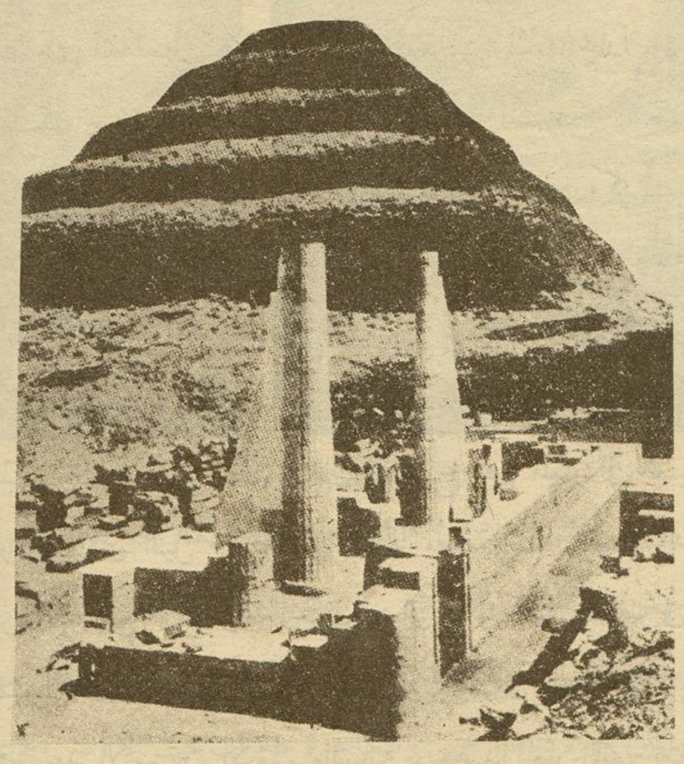
لا ابنه . ويعد المؤسس للأسرة الثالثة وقد دام حكمه نحو ٢٩ سنة ، وكان من أهم ملوك هذا العصر السحيق . ويعد إلى الآن أول ملك بنى لنفسه مقبرتين : واحدة منهما بصفته ملكا للوجه القبلى وكانت على شكل مصطبة ضخمة من اللبن مجهزة بمنحدر عميق وتتبعها عدة حجرات تحت الأرض وهى واقعة فى شمال العرابة المدفونة فى بيت خلاف ، والمقبرة الثانية قد شيدت له باعتباره ملكا للوجه البحرى وهى واقعة على الهضبة التى فيها جبانة «منف» وهى المعروفة

الآن بسقارة ، وهذه المقبرة تعد أقدم هرم عرف إلى الآن فى التاريخ ويقول بعض علماء الآثار إن هذا البناء هو الحلقة المتوسطة بين المصطبة والهرم الحقيقى ؛ ويعرف الآن بالهرم المدرج ، والمهندس الذى وضع تصميم هذا البناء الغريب الذى يعتبر أضخم بناء من الحجر فى عصره فى وادى النيل هو « امحوتب » الذى كان زيادة على نبوغه فى الهندسة ملما بعلم الطب وراسخ القدم فى الإدارة ، وقد كانت له شهرة عظيمة فى عصره وما بعده حتى أنه اعتبر كإله للطب ، وقد بقى اسمه مخلداً حتى عصر اليونان ولكنه حرف إلي « اموتس » ومثلوه بحكيمهم المشهور « اسكليبوس » وقد عثر أخيراً على تمثال جميل للملك زوسر فى سردابه ؛ وكذلك كشف عن عدة مبان له وبخاصة معبده الجنازى ومقبرتى ابنتيه . وهذه المبانى تضع المهندس الذى وضع تصميمها فى أعلى مرتبة من الشرف والعلم ، وكذلك تشهد للعمال الذين كانوا يقومون بتنفيذها بالمهارة . والواقع أننا أمام هذه المبانى نشاهد أول خطوة انتقال فى تاريخ فن المعمار فى تعميم البناء بالأحجار فى وادى النيل ؛ إذ نرى عمدها مضلعة تشبه العمد الدوريكية فى الفن الإغريقى ومزخرفة بزخرف نباتى ، ولكننا نشك فى أن روح تلك المبانى الحجرية منقولة بذاتها عن المبانى التى أقيمت بالخشب واللبن فى عهد الأسرتين الأولى والثانية ، وهذا المعمار الذى يعتبر كأنه نوع من النجارة الدقيقة هو الحد الفاصل بين البناء الأولى باللبن والبناء بالأحجار الضخمة التى ساد استعمالها وبلغت قمتها فى الأسرة الرابعة فى

الحكيم «اسكليبوس»

بناء الأهرام والمصاطب . وقد أرسل « زوسر » حملات الى المحاجر والمناجم فى شبه جزيرة سينا لإحضار النحاس والفيروز .

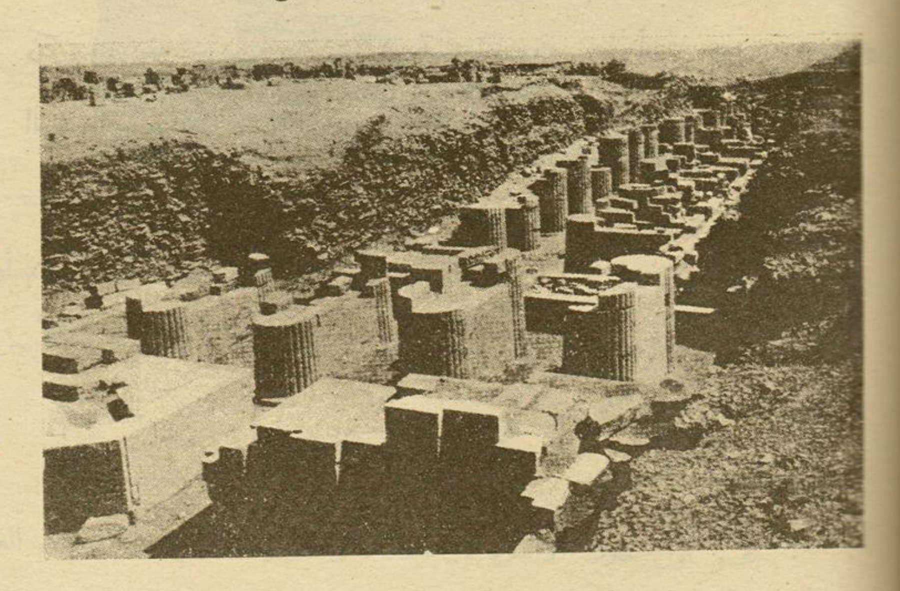
ويعد « زوسر » أول ملك توغل فى نوبيا السفلى فيما وراء الشلال إلى المحرقة فى منتصف الطريق إلى الشلال الثانى . وهو الذى ينسب إليه اليونان فتح الإقليم المعروف باسم « دوديكاشين » أى المنطقة التى يبلغ طولها نحو ١٤٣ كيلو متراً من الفنتين فصاعداً .



الهرم المدرج

وقد عثر أخيراً فى دهاليز هرمه المدرج على أوان من الأحجار الصلبة من المرمر والجرانيت والديوريت والإردواز وغيرها من أنواع الأحجار الصلبة

النادرة ويبلغ عددها أكثر من ثلاثين ألفا غير أن معظمها وجد مهشما وربما يرجع ذلك إلى زلزال أرضى أو إلى أنها قد كسرت عمداً لأسباب جنائزية . وقد وجد من بين هذه الأوانى أشكال تنم عن منتهى الرقى فى دقة الفن وحسن الذوق والأناقة والتنسيق إلى حد يعجز القلم عن وصفه، وقد وجد على بعضها أسماء الأشخاص الذين أهدوها إلى الملك مكتوبة بالمداد الأسود ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن قطع الحجر اللازم لصنع بعض الأوانى الكبيرة وتنسيقها ربما استغرق عاماً كاملا من مجهود صانع واحد . وقد كان لهذا الكشف أثر عظيم فى تحويل آراء علماء الآثار إلى الأهرام الكبيرة وعما عساه أن يوجد فيها من المخلفات .



معبد الهرم المدرج بسقارة

الملك « سانخت »

وقد خلف « زوسر » بعض ملوك لا يزال تاريخهم غامضاً أولهم «سانخت»،

وكل ما نعرفه عن « سانخت » هذا أنه بنى لنفسه مقبرة فى بيت خلاف بالقرب من مقبرة « زوسر » ولم يعثر له على مقبرة أخرى فى سقارة كما كان المنتظر . والظاهر أن هذا الفرعون حكم كل مصر إذ وجدنا اسمه منقوشاً على صخور وادى مغارة فى شبه جزيرة سينا.

الملكان « حابا » و « نفركا »

وتولى العرش بعده ملك يدعى «حابا » ثم الفرعون « نفركا ، » ولا نعرف عنهما شيئاً .

الملك « حو » أو « حونى »

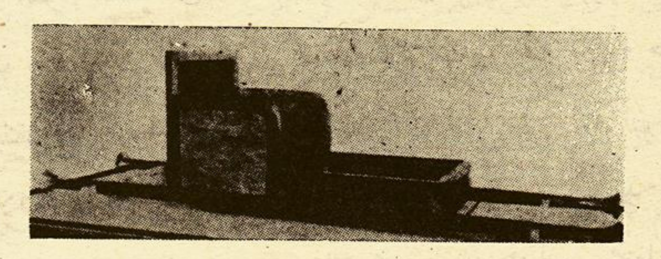
أما آخر ملوك هذه الأسرة فهو الفرعون « حو » ويدعى « حونى » أيضاً ومعناه (الضارب) . وقد أقام لنفسه هرماً فى دهشور فى جنوب سقارة وهو الحلقة الموصلة بين الهرم المدرج والهرم الكامل . وقد جاء ذكره فى ورقة عثر عليها من عهد الدولة الوسطى تنص على أن « حونى » هذا هو السلف المباشر للفرعون « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة .

الأسرة الرابعة

عصر بناة الأهرام

الملكة «حتب حرس»

لقد بقى تاريخ الأسرة الرابعة محاطا بشىء كبير من الغموض رغم ظهور آثار ملوكهم للعيان؛ وشهرتها فى كل العالم . وقد ظل الحال كذلك إلى أن قامت الحفائر العلمية فى منطقة أهرام الجيزة على الهضبة التى أقيمت عليها الأهرام المعروفة بأهرام الجيزة ؛ فكان من أهم الكشوف إماطة اللثام عن مقبرة الملكة « حتب ـ حرس الأولى » أم الملك خوفو ، وهى



كرسى من آثار الملكة « حتب حرس » موجود بالمتحف المصرى

بنت « حونى » وقد تزوجت « حتب ـ حرس » هذه من الملك « سنفرو » أول ملوك الأسرة الرابعة ، ورزق منها بالملك « خوفو » ثانى ملوك هذه الأسرة .

الملك سنفرو

الملك « سنفرو »

هو أول ملوك الأسرة الرابعة ، وقد أراد أن يقلد جده العظيم « زوسر » فبنى لنفسه مقبرتين متقاربتين ، وكلتاهما على شكل هرمى ، وهما لا تزالان باقيتين إلى الآن ؛ الأولى فى دهشور

جنوبي سقارة ، والثانية فى ميدوم في الشمال من مدخل الفيوم ، والهرم الأخير يطلق عليه الأهالى اسم الهرم الكاذب لعدم انتظام شكله . ونحن نجهل تماما فى أى هرم من الاثنين دفن الملك « سنفرو » ، وفى عهده قامت حملة بحرية عظيمة إلى الموانى السورية رجع منها المصريون بنحو أربعين سفينة محملة بالأخشاب للبناء قطعت من غابات لبنان ، وقد كان الخشب يجلب من جهات لبنان لمصر بكل الوسائل لخلو جهات القطر المصرى من الغابات . وكانت مصر فى عهد هذا الفرعون مملكة متحدة ثابتة الأركان ، وكانت كل القوة مجتمعة فى يد الملك الذى حل محل رؤساء القبائل ، ولما كان الملك هو الوارث لمعبود القبائل أصبح القوم يعتقدون فيه أنه إله حقيق ؛ فعند ما ينتقل فى أرجاء قصره أو خارجه كان لزاما على رعيته أن يركعوا أمام جلالته الإلهية ، ويقبلوا التراب الذى تحت قدميه ، وعند تتويجه كان يقام له احتفال عظيم ويعد يوم التتويج يوم عيد وأفراح ـ يحتفل به سنويا . ولما كان هو الواسطة بين الشعب وآلهته ، فكان حقا مكتسباً له أن يقوم مقام الكاهن الأكبر فى كل المعابد وفى كل الطقوس الدينية. وكذلك كان الملك يعتبر فى أعين عظماء بلاده وحاشيته أنه إله ، وبعد وفاته كان القبر الذى يضم رفاته موضع تقديس كما يقدس محراب أى إله ، وكانت حاشيته وعظماء البلاد تدفن حول قبره أو بالقرب منه حتى يقدموا له خدماتهم فى دار الآخرة بنفس الولاء والإخلاص الذى تعودوه أحياء .

أول حملة بحرية

الحكم فى عهد « سنفرو »

مقاطعات مصر

وكانت مصر تنقسم إلى مقاطعات ربما كانت هى التى سكنتها القبائل

منذ عهد ما قبل الأسرات ، وهى التى أطلق عليها اليونان كلمة « نوم » أى مقاطعة ، وقد كان الوجه القبلى يتكون من ٢٢ مقاطعة من الشلال الأول إلى منف وكان الوجه البحرى يشمل ٢٠ مقاطعة كما ذكرنا آنفاً ، وفى عهد « سنفرو » كان لكل مقاطعة حاكم يعينه الملك يلقب بلقب « الأول بعد الملك » ، وهذه التسمية تدل على أن حاكم المقاطعة كان تحت إدارة الملك مباشرة وكان المسئول الوحيد أمامه فى مقاطعته ، لذلك كانت السلطة كلها فى يد الملك ، وكان الموظفون يتسلمون الأوامر من الفرعون وحده الذى كان فى يده كل شىء ، ولما كان الملك يسكن فى الوجه القبلى فيظهر أنه لم يندب أحداً ليمثله فى تنفيذ أوامره فى هذا القسم من المملكة ؛ على خلاف الوجه البحرى فإنه كان ينيب عنه موظفاً كبيراً يلقب بحامل خاتم الملك فى الوجه البحرى ، أو حامل الختم كما يسمى فى عصرنا هذا ، وكان ينتخب من الأسرة المالكة .

أصل لقب « الاول بعد الملك »

وكان تحت إدارة حاكم المقاطعة أو المديرية عدد من الموظفين يساعدونه على تصريف أمور المقاطعة ، وأهمهم رجال القضاء والمالية ، والظاهر أن قانون الوراثة بين أفراد الشعب كان يجرى على نظام الأمومة ، وكان كذلك عند ما ينقطع نسل الذكور فى الأسرة المالكة ؛ فإن الملك الذى يتولى من غير الأسرة المالكة لا بد له من أن يتزوج بإحدى بنات البيت الملكى ، وكان ذلك من الضرورى حتى يأتى خلفه يجرى فى عروقه الدم الملكى.

وراثة العرش

وقد كان للآلهة فى هذا الزمن السحيق معابد من حجر على حين أن الملك كان يسكن فى مأوى بسيط من اللبن ، أو من طين النيل المجفف فى الشمس ،

ولم يكن لأحد الحق فى أن يسكن فى مساكن من الحجر إلا الموتى لأنهم كانوا يعدون كالآلهة .

نقوش المقابر

وقد كان يظن أن معبد الملك خال من النقوش ولكن الكشوف الحديثة دلت على أن معابد الملوك كانت منقوشة مثل الحجر التابعة لمقابر الأمراء وعلية القوم ، وقد بدأت تظهر فيها النقوش البارزة والغائرة وتلون بألوان زاهية منذ الأسرة الثالثة ، وهذه النقوش كانت تمثل مناظر من الحياة اليومية التى كان يشاهدها الميت فى حياته ، وكان الغرض منها أن تمثل للملك الحياة كما كان يتمتع بها وهو فى دنياه . وفضلا عن أن هذه الرسوم تعطينا فكرة تامة عن الحياة الاجتماعية فى هذا العصر عند علية القوم وعامة الشعب ، فإنها تعطينا فكرة عن الفن فى هذا العصر ومقدار ما وصلت إليه الحضارة المصرية من جميع وجوهها . وقد ظلت الفكرة القائلة بأن هذه المناظر الاجتماعية ظهرت أولا فى مقابر الأعيان والأمراء سائدة إلى أن كشف فى العام المنصرم عن الطريق الجنازى الممتد بين معبد الوادى والمعبد الجنازى لهرم الملك «اوناس» آخر ملوك الأسرة الخامسة ، وقد ظهرت على جانبيه نقوش ومناظر تدل دلالة واضحة على أن الملوك قد بدءوا فى استعمال هذه المناظر أولا ثم قلدهم الأمراء وعلية القوم ، وسنتكلم عن ذلك فى موضعه .

الملك خوفو

هو ثانى ملوك هذه الأسرة و بانى الهرم الأكبر الذى يعد مع الأهرام الأخرى فى منطقة الجيزة من عجائب الدنيا السبع .

أهرام الجيزة

وقبل أن نتناول الكلام على حكم خوفو وأخلافه سنتكلم بشىء من الإيجاز عن الأهرام عامة ، حتى يتسنى لكل زائر لمنطقة الأهرام أن يعرف شيئاً عنها .



الملك « خوفو »

كان أول من أقام هرماً من ملوك مصر هو الفرعون « زوسر » ، وهو المعروف بالهرم المدرج بمنطقة سقارة ، وقد أقام بعده «سنفرو» هرمين فى منطقتى دهشور وميدوم كما ذكرنا ؛ ولكن خوفو قد ترك هذه الجهات واختار لنفسه هضبة الجيزة ليقيم عليها هرمه الضخم ، وربما كان السر فى ذلك أن هذه الهضبة كانت قريبة من عين شمس مقر عبادة « رع »، وكذلك لأنها متسعة ومرتفعة لتجعل هرمه يشرف على كل ما حوله ، يضاف إلى ذلك ان أحجار هذه الهضبة صالحة لقطع أحجار المبانى لصلابتها ومتانتها ، فكان من السهل عليه أن يقطع الأحجار منها ليقيم بها هرمه الضخم ، وبمقارنة أحجار هذه المحاجر بأحجار الأهرام ؛ وجد أنها من

نوع واحـد ، وبذلك هدمت النظرية القـديمـة ، وهى نظرية «هردوت» القائلة بأن أحجار الأهرام كانت تجلب إليـه من محاجر الجهـة الشرقية من النيـل (محاجر طره) . وهو نفس الخطأ الذى وقـع فيـه بعض الأثريين الحـاليين ، والواقع أن الأحجار التى كانت تكسى بها الأهرام هى التى كانت تجلب من محاجر طره ، وكذلك كانت تستعمـل أحجار هـذه الجهة لصنع التماثيل ، ولعمل الأبواب الوهمية التى كان يكتب عليها النصوص الهيروغليفية ، وذلك لملاستها وناصع بياضها وسهولة الحفـر عليها. ومن ذلك يتضح أن موضوع بناء الأهرام لم يكن من الأعمال التى كانت تبذل فيها المشاق العظيمة التى كنا نقرؤها فى الـكتب القـديمة والحـديثة . والمحاجر التى قطعت منها أحجار الأهرام ظاهرة واضحة بجوار كل من الأهرام الأربعـة لمن يريد أن يراها الآن بعـد أن أزيحت عنها الرمال والأتربة التى غطتها منـذ آلاف السنين ، ومما سهل بناء الأهرام كذلك كيفية رفع الأحجار عنـد قدماء المصريين ، إذ قد ظـل العالم إلى زمن قريب جدا يعتقد أن المصريين كانوا يبنون المزالق فقـط لجر الأحجار عليها فى بناء الهرم ، ولـكن الـكشوف الحديثة برهنت على أن المصريين كانوا قد وصلوا فى هـذا العصر إلى استعمال « البـكر » لرفع الأحجار . وقد عثر فى حفائر الجامعة المصرية على بكرتين إحـداهما وجدت بجوار الهرم الثانى ، والأخرى عثر عليها فى إحـدى بيوت مدن الأهرام التى كشف عن جزء منها حديثـاً شرقى الهرم الرابع ، ومن كل ذلك يتضح للقـارىء

أن أجدادنا المصريين كانوا قد وصلوا إلى مدى عظيم فى فن البناء واستخدام قوى الطبيعة . وقبل أن نصف الهرم الأكبر يجب أن نذكر كلمة عامة عن الهرم وملحقاته والغرض من بنائه .

اختلف علماء الآثار فى تكييف شكل الهرم عند قدماء المصريين وأصل بنائه ، والواقع أن أشكال الأهرام تختلف فى منظرها وفى تركيبها فى كثير من الأحيان . فمثلا نجد الهرم المدرج فى سقارة قاعدته مصطبة مربعة فوقها عدة مصاطب تصغر تدريجاً ، وهناك هرم آخر قاعدته مربعة وفوقه عدة مصاطب مربعة أصغر من الأولى ، ولكن بدون قمة ، وهناك الهرم الرابع ويختلف عن الأهرام كلها ، فإن قاعدته المربعة تحمل فوقها تابوتاً . وأحسن بناء هرمى تام أهرام الجيزه .

ويتبع البناء الهرمى عدة ملحقات مكملة له ومن لوازمه ، وبدونها لا يعتبر هرماً بالمعنى الحقيقى .

أولا : يكون للهرم فى الجهة البحرية أحياناً بابان . واحد فى المداميك السفلى والثانى فوقه بقليل ، وكل منهما يوصل إلى حجرة الدفن ؛ ومن المؤكد أنه كان يوجد أمام الباب محراب صغير للعبادة .

ثانياً : فى الجهة الشرقية من الهرم كان يقام معبد ضخم يسمى «المعبد الجنائزى» وهذا المعبد كان يتصل بمعبد آخر يسمى « معبد الوادى» بطريق مبنى بالأحجار الضخمة المحلية يبلغ عرضه أحيانا نحو ٢٥ متراً ، وفى وسطه طولا أقيم ممر ضيق مسقوف كان يستعمل لمرور الكهنة الذين كانوا يقومون بالمراسيم

الدينية للملك من المعبـد الجنائزى إلى معبد الوادى أو بالعـكس . وهـذا الطريق الذى كان يوصل بين المعبدين طويل جـدا ، وقد بلغ طوله نحو ٦٠٠ متراً للهرم الثانى . ولما كان من المستحيل اختراق هذا الطريق عرضاً كان ينحت فى منتصفه نفق تحت الأرض ؛ تسهيلا للذين يريدون أن يعبروا الطريق عرضاً.

المعابد الجنائزية

أما المعبد الجنائزى الذى يقام ملاصقا لجدران الجهة الشرقية من الهرم فكان يقسم قسمين : قسم يعتبر معبدا للوجه البحرى ، وآخر للوجه القبلى . وعلى جانب معبد الوجه القبلى كان يحفر الملك لنفسه قاربين ليقوم فيهما بسياحته اليومية مثل الشمس ، إذ كان الفرعون يعتبر نفسه بعد موته كالشمس ، يولد صباحًا ويسبح فى الأفق طول النهار فى سفينة خاصـة ، ثم ينقل عند الغروب إلى سفينة أخرى ليقوم فيها بسياحته ليلا ، ثم يعود إلى الدنيا ثانيـة وهكذا . ولما كان المفروض أن سفينة الليل لا ترى فقد أخفاها المصريون عن العيان ، وذلك بأن جعـلوا لها سقفًا ، ويبلغ طول سفينة النهار نحو ٢٩ متراً وطول سفينة الليل نحو ٣١ متراً ، وقد وجد فى الجهة البحرية من معبد الوجه البحرى قاربان مماثلان لمركبى الوجـه القبلى ولـكنهما أقل حجما .

وفى محاذاة الهرم من جهة الشرق كذلك كانت تنحت سفينة ضخمة للحج إلى العرابة(؟)وقد بلغ طول هذه السفينة المحاذية للجهة الشرقية من الهرم الثانى نحو ٤٢ متراً.

ثالثا :وكان من مستلزمات الهرم كذلك أن يقـام حوله سور ضخم

حتى لا يقرب منه أحد غير الكهنة ، وهذا السور كان يبنى بالحجر أو باللبن حسب مقدرة الفرعون .

رابعاً : وكانت تقام بالقرب من كل هرم مدينة مبنيـة باللبن للكهنة والخدم الذين يقومون بأداء الواجب نحو الملك المتوفى ، وقد عثر أخيراً على هـذه المدن فى الجهة الشرقية من الأهرام ، وكشف عن جزء كبير منها، غير أن معظمها لا يزال مطموراً تحت الرمال ، وربما تكشف لنا عن صفحة جديدة فى الحضارة المصرية من ذلك العهد الغامض .

ورغم ما عثرنا عليه من التماثيل الجميلة والأوانى الفاخرة فى معبدى الوادى والجنائزى للهرم الثـانى والثالث فإنه قد وضاع جزء كبير منها إذ قد هشم الثوار بعد الأسرة السادسة معظم مخلفات الأسرة الرابعة .

وقد عثرنا بجوار الهرم الثـانى على بقايا أكثر من ٢٠٠ تمثال خلاف ما نقله الألمان إلى « ميونخ » و« هلدسهيم » من بقايا هذه التماثيل .

ورغم كل ما كشف حديثاً حول أهرام الجيزة فإن معلوماتنا لا تزال ناقصة عن الهرم وكنهه ، وإلى أن يكشف أحد الأهرام من كل جهاته كشفاً علميا تاما فإننا سنبقى فى الظلام وستبقى الأهرام سراً غامضاً .

الهرم الأكبر

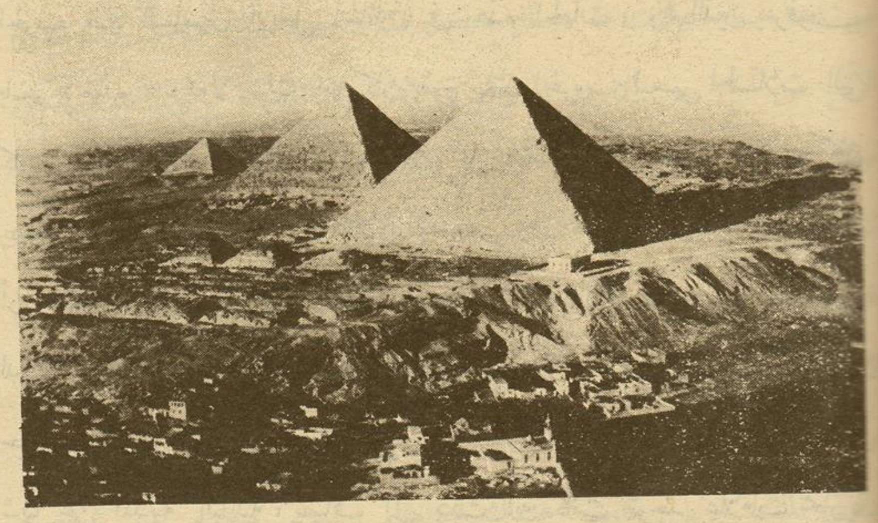
الهرم الأكبر

يعد الهرم الأكبر الذي بناه الملك « خنوم خوفو » « كيوبس » أضخم الأهرام الموجودة فى مصر . وقد زالت كسوته التى شيدت من الحجر

الجيرى الأبيض المقطوع من محاجر طرة . ويبلغ طول قاعدته نحو ٥ و ٢٢٧ متراً ، أما ارتفاعه الحالى فيبلغ نحو ١٣٧ متراً . ويبلغ حجمه نحو مليونين ونصف مليون من الأمتار المكعبة . أما عدد أحجاره فيبلغ نحو ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ ، ويبلغ وزن كل منها ٢ ١/٢ طنا ، أى أن مقدار وزن الهرم يبلغ نحو ستة ملايين طنا . وإذا علمنا أن سنى حكم « خوفو » لم تتجاوز العشرين عاما فإننا نقف حائرين أمام هذا المجهود الجبار الذى أقام هذا البناء الضخم فى تلك السنين القليلة . هذا على الزعم القديم من أن الأحجار كانت تجلب لبنائه من محاجر طرة ولكن إذا علمنا أن الأحجار التى استعملت لبناء الهرم قطعت من محاجر مجاورة له ، وأن البكر كان يستعمل لرفع هذه الأحجار، سهل علينا فهم المجهود العظيم الذى قام به « خوفو » ، وبخاصة إذا علمنا أن جما غفيرا من المصريين كانوا يشتغلون فى بنائه طول مدة الفيضان من كل سنة ، وذلك لخلوهم من أعمال الزراعة فى فترة الفيضان ، ولا تزال المساكن التى كانوا يقطنونها تشاهد منحوتة فى الصخرة العظيمة الواقعة قبلى الهرم الأكبر ولا شك أن السر فى إنجاز هذا العمل العظيم بسرعة يرجع إلى تنظيم العمل وإدارته بالطرق الفنية .

ورغم أن الهرم الأكبر يعد أعجب شىء فى مصر ، فإنه لم يكشف عنه من كل جهاته ، ولا يزال معبده الجنازى ومعبد الوادى مطمورين تحت الأرض ، والظاهر أن الطريق الموصل بين المعبدين كان ظاهرا فى عهد « هردوت » ، وقد قال عنه أنه كان أعجب من الهرم نفسه ، والآن

تقوم حفائر فى الجهة الشرقية من هذا الهرم فى المعبد الجنائزى اوقفت فجأة ،
وقد عثر على صورة للملك « خوفو » منقوشة على أحد أحجار المعبد ، وكذلك
عثر على بعض نقوش وصور تدل دلالة واضحة . على أن المعبد الجنائزى
للملك « خوفو » وجد عليه نقوش و كتابات ، وبذلك هدمت النظرية القائلة
بأن معبد الهرم الأكبر لم يكن عليه نقوش ، والواقع أن رسم « خوفو »
الذى عثر عليه هنا هو أول صورة معروفة له فى التاريخ ، وآخر ما عثر عليه
سفينتان للشمس يبلغ طول الواحدة منهما نحو ٥٥ مترا وسفينة أخرى يتوصل
إليها بدرج ويبلغ طولها نحوها ٤٠ متراً .



منظر من الجو لاهرام الجيزة يظهر فيه الهرم الاكبر والاهرام الصغيرة التابعة له فى الجهة الشرقية

أقام « خوفو » هذا الهرم ليكون مأواه الأبدى ، إلا أنه لم يمكث فيه

طويلا ، إذ وجد تابوته المحفوظ فى حجرة دفنه خاليا خلوا تاما من كل شيء ، ولا بد أن حجرة دفنه قد اقتحمت فى عهد الثورة التى قامت بعد تدهور حكم ملوك الأسرة السادسة ، على أننا نجد آثار التخريب الذى قام فى الفترة بين أواخر الأسرة السادسة والأسرة الحادية عشرة ظاهرة فى هذه المنطقة كما سنتكلم عنه فيما بعد .

وربما يتوهم البعض أن بناء الهرم الأكبر قد شغل « خوفو » عن باقى أعمال ملكه، ولكن الواقع أننا نجد له آثارا باقية فى مدن ملكه مثل« قفط » و«دندرة» و«تل بسطة» وغيرها . وقد ترك خوفو اسمه منقوشاً فى مناجم النحاس والفيروز فى شبه جزيرة سينا ، والنقوش التى بقيت فى هذه المنطقة تخبرنا أنه أشعل نار الحرب ضد الساميين الرحل الجائلين فى هذه الجهات ، وهم الذين يعرفون باسم « منتيو » ، ولا شك أنه كان يقوم بهذه الحروب ليحمى الحملات التى كان يرسلها إلى هذه الجهات للحصول على المعادن والأحجار ، وقد كان يضطر أحيانًا إلى اقتفاء أثر هؤلاء اللصوص إلى مسافات بعيدة شمالا ، حتى أن الفرص سنحت له لأن يختلط بالمدنية الشمالية والشرقية ، ورغم أنه ليس لدينا براهين قاطعة من ذلك العهد المتوغل فى القدم ، على وجود علاقات حقيقية بين مصر وبابل ، فإنه من المؤكد أن المصريين كانوا يعلمون شيئًا عن المدنية البابلية ، يضاف إلى ذلك أنه كانت توجد علاقات تجارية من حين لآخر فى ذلك العصر بين بعض القبائل التى كانت تسكن الصحراء بالقرب من حافة وادى النيل وبعضها ، وقد كان قيام هذه العلاقة ميسوراً وبخاصة

من جهة الجنوب ، لأن النيل كان يسهل هذه التجارة ، أما النوبيون فقد أحجموا عن الإغارات على حدود الفرعون ، ثم قبلوا أن يكونوا تحت سلطانه .

الملك « ددف رع »

والظاهر أنه بعد وفاة «خوفو» قامت منازعات على الملك ، إذ نجد فى قوائم الملوك التى وصلت إلينا أن الملك الذى خلف خوفو هو «ددف رع» ولكن بعض العلماء ينكرون ذلك وقد استمر فى الحكم مدة ثمانية أعوام ، ولكن المدهش فى أمره أنه لم يقم هرمه فى منطقة الجيزة ، بل اتخذ « أبو رواش » مكاناً مختاراً له لإقامة هرمه الذى تهدم الآن ولم يبق منه إلا الشىء اليسير . والظاهر أن سبب هذه المنازعات يرجع إلى تعدد زوجات « خوفو » . وقد كان كل ملك يتزوج من عدة نساء ، وكانت له حظايا كثيرات . وفى هذا الوقت كان زواج الأخ من أخته من الأمور المألوفة فى الأسرة المالكة ، على أنه لم يكن تولى امرأة عرش الملك مألوفاً ، والأمثلة التى لدينا قليلة معدودة تنحصر إلى الآن فى « خنتكاوس » فى أوائل الأسرة الخامسة ، و« سبك نفرو » آخر من حكم الأسرة الثانية عشرة ، و « حتشبسوت » من الأسرة الثامنة عشرة. ورغم ذلك فإن الملك كان يثبت حقه فى الملك حينما تكون زوجته أو أمه من دم ملكى . ولم تكن الوراثة هى الطريق الوحيد لتولى الملك ، بل كانت هناك عوامل أخرى ترجع إلى شخصية الفرد وأخلاقه ، أو إلى المؤامرات التى يقوم بها حريم القصر ، ولذلك كانت وراثة الملك أحياناً مفتوحة أمام صغار أفراد الأسرة المالكة ، بل أمام أفراد

نظام وراثة العرش

خارجين عنها بتاتًا ، ويظهر أن تولى فرد من غير الأسرة المالكة عرش الملك كان يعد بداية أسرة جديدة ، وكان هـذا المؤسس الجديد يعمل على تثبيت ملكه بزواجه من إحدى قريبات الملك ، أى من الدم الملكى الحقيقى ، وقد كانت التقاليد أو القانون المتبع يقضى بأن تكون الأحقية فى الملك حسب النظام التالى :

١ — أن يكون الوارث للعرش ابن ملك ولد من زواج ملك بأخته وكلاهما من الدم الملكى الخالص .

٢ — أن يكون الوارث ابن ملك ولد من زواج ملك ليس من الدم الملكى الخالص بابنة ملك من الدم الملكى الخالص .

٣ — أن يكون الوارث للعرش رجلا قويًا تزوج من إبنة ملك من دم ملكى خالص .

ومما سبق يتضح أن تولية العرش فى مصر لم تكن من الأمور الهينة وبخاصة إذا علمنا أن « خوفو » تزوج من عدة نساء ، وأن المنافسات قد قامت بعده بين أولاد زوجاته المتعددات على تولى عرش الملك . والظاهر أن «ددف رع» لم يكن حقه فى الملك قويا كأخيه «كاوعب» إذ يظن أن « ددف رع » كان ابن ملكة لوبية الأصل وليست من الدم الملكى ، وقد تزوج من أخته « حتب حرس الثانية » ابنة الملكة « حتب حرس الأولى » وهى المعروفة بالشقراء ، ولذلك نجد أن ملامح « ددف ـ رع » تختلف عن ملامح ملوك هذه الأسرة ، والظاهر أن فرع أسرته الأصلى كان فى عداء

ظاهر له ، إن لم يكن فى مشاحنات ضد تسلطه على العرش ، على أنه لما توفى وخلفه أخوه « خفرع » لم تسكت على ذلك أسرة « ددف ـ رع » إذ قام ابنه « باكارا » يناهض « خفرع » مدة أعوام بدون جدوى .

خفرع

عند ما تولى خفرع عرش مصر لم تكن يده مطلقة التصرف بسبب المنازعات الداخلية التى قامت بينه وبين أولاد « ددف ـ رع » غير أن ذلك لم يثن عزمه عن إقامة هرم يضارع هرم « خوفو » فى عظمته وفخامته وإن كان أقل منه حجما بقليل ، والناظر إلى الهرم الثانى الآن يجد أنه فى شكله أكثر أناقة واحتفاظاً برونقه من الهرم الأكبر ، إذ لا يزال الجزء الأعلى من كسوته التى أحضرت له من محاجر « طرة » باقياً إلى الآن .

الملك « خفرع »

وقد دلت الحفائر التى عملت حديثاً فى جهته الشرقية على أن قاعدة الهرم من جهاتها الأربع مكسوة بدماكين من الجرانيت الأحمر المحبب ، ولا تزال بقايا هذه الأحجار فى مكانها من الجهة الشرقية إلى الآن . هذا وقد كشف عن المعبد الجنائزى الملاصق للهرم من جهته الشرقية وكذلك عن الطريق الموصل إلى معبد الوادى ويبلغ طوله نحو ٦٠٠ متر تقريباً ،



الهرم الثانى والطريق المقدس الموصل من المعبد الجنائزى الى معبد الوادى

وبجوار المعبد الجنائزى كشف عن سفن الشمس وسفينة الحج إلى العرابة ، وعثر
فى المعبد الجنائزى وما حوله على بقايا أكثر من مائتى تمثال « لخفرع » ليس بينها
تمثال واحد سليم ، ويرجع السبب فى ذلك إلى عصر الثورة التى قامت
بعد سقوط الأسرة السادسة فحطمت كل ما كان أمامها . أما التماثيل التى
عثر عليها فى معبد الوادى المبنى بالقطع الضخمة من الجرانيت الأحمر المحبب .
وهو المعبد الملاصق لأبى الهول ، فقد وجد منها اثنان سليمان ، ويعد

أحدهما وهو المصنوع من الديوريت من أجمل ما أخرجه الفنان المصرى فى كل عصوره ؛ بل ومن القطع النادرة فى عالم الفن .

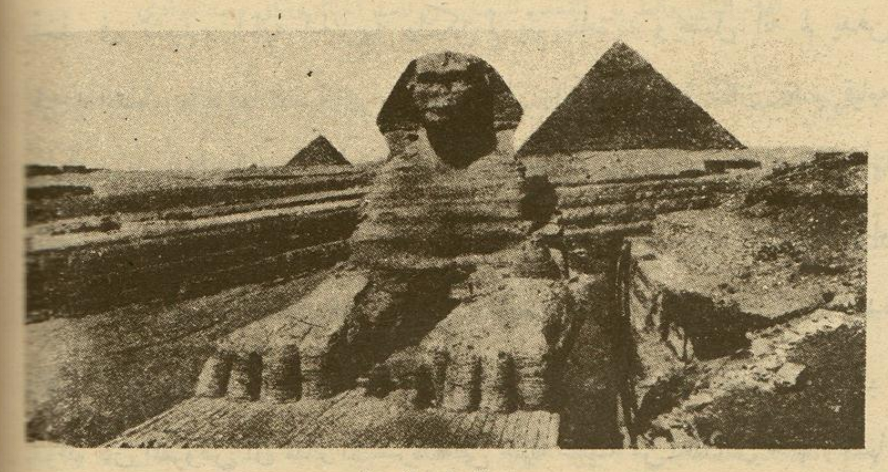
وقد بقيت أسرة « خفرع» مجهولة فى معظمها إلى عهد قريب ؛ فلم يكن يعرف من أولاده أكثر من ثلاثة ، أما الآن فقد كشف عن معظم أفراد الأسرة ويبلغ عدد أولاده نحو ١٦ فرداً من الذكور والإناث ، وقد وجدت مقابر بعضهم سليمة لم تصل إليها أيدى اللصوص ؛ ومعظمهم قد نحتوا لأنفسهم قبوراً فى الصخر ، وهى إما فى الجهة الشرقيـة أو الجهة القبلية من هرمه ، وإما بجوار الطريق الموصل بين معبده الجنائزى ومعبد الوادى ؛ والظاهر أن « خفرع » لم يتمكن من بناء أهرام صغيرة فى الجهة الجنوبية من هرمه لزوجاته ، كما فعل «خوفو» من قبله و « منكاورع » من بعده ؛ وربما كان السبب فى ذلك قيام المشاحنات على العرش ، وقد كانت قائمة بينه وبين أخلاف « ددف رع » ، ويظهر ذلك جليا فى الهرم الذى أخذ فى تشييده بالجهة الجنوبية ولكن لم يتم بناءه ، ويحتمل أنه لم يدفن فيه أحد ، وبقاياه لا تزال موجودة إلى الآن . وربما كان عدم قيامه بحملات إلى البلاد الأجنبية شمالا أو جنوبًا يرجع إلى نفس السبب ، إذ الواقع أننا لم نعثر على اسم «خفرع» فى الجهات التى كان فراعنة مصر يرسلون إليها البعثات أو الحملات التأديبية أو للبحث عن المعادن. ومما يعزز هذا الرأى أن مقابر أسرته العدة التى كشف عنها حديثًا لم يكن قد تم نحتها عند الدفن ، وبقيت كذلك إلى الآن .

وقد كان المفروض أن مقابر الأسرة تعطى عناية عظيمة من الملك فى نحتها ونقشها.

أبو الهول

جرت العادة عند علماء الآثار والمؤرخين أنهم عند ما يكتبون عن الملك « خفرع » أن ينسبوا إليه تمثال أبي الهول قائلين بأن هذا التمثال العجيب هو للملك « خفرع » بعينه ، ولذلك يعتقد الكثيرون أن المَعبد المجاور له هو معبد أبي الهول . والواقع أن تمثال أبي الهول ليس له علاقة قط بالمعبد المجاور له وأنه كان إلٰها يعبده الملك خفرع وله معبد خاص قائم أمامه ، كما سنفصل ذلك فيما يلي .

لم تصل إلينا معلومات عن هذا التمثال من مؤرخي اليونان الذين زاروا مصر قبل الميلاد ؛ بل كان كل همهم موجها إلى الأهرام ووصفها ، ولا ندري لذلك من سبب ، فهل كان أبو الهول مغموراً بالرمال أم أنه لم يلفت نظرهم ؟



تمثال ابى الهول

موقعه

يقع هذا التمثال فى الجهة الشمالية من نهاية الطريق الممتد بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى للملك خفرع، وهو محفور فى قطعة واحدة نحتت من صخرة محلية، ولكن الناظر إليه الآن لا يصدق ذلك؛ والسبب فى هذا أنه رمم فى عصور مختلفة، ويبلغ طوله ٤٦ متراً وارتفاعه من الأرض إلى قمته ٢١ متراً؛ والظاهر يدلنا على أنه تمثال، رأسه رأس إنسان وجسمه جسم أسد.

تاريخه

أما تاريخ نحته فقد اختلف فيه المصريون أنفسهم، فهناك نقوش متأخرة تدل على أنه نحت فى عهد «خوفو»، ولكن برهن البحث العلمى على أنها نقوش دخيلة من عصر الدولة الحديثة وما بعدها؛ وقد غالى بعض المؤرخين فقال إن هذا التمثال قد نحت فى عهد ما قبل الأسرات، وقد بقيت الآراء متشعبة فى تاريخ نحته وفى كنهه وما يرمز إليه.

ومما يؤسف له أننا إلى الآن لم نعثر على تاريخ أو نقش معاصر له يدلنا على زمن نحته بالضبط، ولذلك يعده الأثريون لغزاً من الألغاز فى تاريخ مصر، ولكن إذا تأملنا فيما كان يحوطه به ملوك مصر من الاحترام والتقديس وخاصة من أوائل الأسرة الثامنة عشرة إلى آخر عهد الرومان، إتضح لنا أن هذا التمثال لا بد أن يكون معبوداً من المعبودات المصرية القديمة، وإذا كانت الاشياء يحكم عليها باشباهها، فلدينا فى التاريخ المصرى ما يثبت ذلك؛ إذ منذ الأسرة الخامسة نجد أن الملك كان يشبه بعد وفاته دائماً بالإله «أتوم» الذى كان يعد أعظم الآلهة المصرية قوة وسلطاناً، ولذلك مثل هذا الإله برأس

إنسان أى القوة المفكرة ؛ وجسم أسد أى القوة الجسمانية ، هذا إلى أن الملك نفسه كان يمثل نفسه بهذه الكيفية ، وقد بقى هذا التمثيل إلى أواخر العهد الرومانى ، ومن هنا جاء الالتباس بأن « خفرع » هو الذى صنع تمثال أبى الهول ليمثله نفسه وبخاصة لأنه بجوار معبده ، وقد أثبت الكشف الحديث أنه صنع فى عهد الملك « خفرع » وعلى صورته ، ولكنه يمثل إله الشمس عند الغروب ، وقد كان يطلق عليه للمصريون اسم « أتوم » .

ولكن المصريين أنفسهم قد أخبرونا كتابة أن تمثال أبى الهول هو الإله « حور ام اخت » أى حور فى الأفق (الملك المتوفى) ؛ وقد ذكره المؤرخون الإغريق باسم « حرماخيس » وليس أدل على ذلك من اللوحة التى كتبها « تحتمس الرابع » تعبداً لهذا الإله ، وسرد ما فعله لربه من الخدمات إجابة لطلبه عند ما أظهر « حور أم اخت » رغبته فى إزالة الرمال التى كانت متراكمة حوله ؛ ولا يزال أثر هذا العمل الجليل الذى قام به « تحتمس الرابع » باقياً إلى الآن ؛ إذ نجد أنه بعد أن أزال الرمال التى كانت متراكمة حوله ، بنى من جهاته الأربع سوراً من اللبن لا يزال جزء منه باقيا إلى الآن . وعلى مسافة نحو أربعين متراً غرب السور أقام سوراً آخر لحماية السور الأول من إغارة الرمال . وقد جاء بعده ملوك من الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين بنوا مساكن للكهنة الذين كانوا يقومون بتأدية الفرائض الدينية لهذا الإله ، وبخاصة عند ما نعلم أن ملوك هذه الأسر كانوا قد اتخذوا البقعة التى حول أبى الهول مكانا للصيد والقنص

لشهرتها بحيوانات الصيد ، ولذلك كانوا يطلقون على هذه الجهة اسم « وادى الغزلان » . وقد عثر أخيراً على بيت وحمام « لتوت عنخ أمون » فى هذه الجهة ، ربما كان لراحة الملك عند خروجه للصيد ، ولما جاء « رعمسيس الثانى» نقش اسمه على هذا البيت بعد أن طمس بطبقة من الجص نقوش « توت عنخ أمون » . ونجد كذلك أن جسم الحيوان قد رمم فى أزمان مختلفة وبخاصة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة والأسرة العشرين ، وفى عهد الإغريق والرومان . ومبانى هذه العصور نراها واضحة فى الترميات التى أدخلت عليه وخاصة فى جانبيه وذيله .

ومع كل هذا بقى الاعتقاد عند علماء الآثار سائداً بأن أبا الهول يمثل الملك « خفرع » إلى أن كشف حديثا عن معبد منفصل تمام الانفصال عن المعبد المجاور له أى معبد « خفرع » ، وموقعه فى الجهة الشرقية من وجه أبى الهول ،وهذا المعبد قد أقيم لعبادة هذا الإله ، وقد نصبت فيه تماثيل الملك الذى أقامه غير أنه لم يبق منها إلا قواعدها تدل عليها .

أبو الهول يمثل الشمس عند الغروب

لكن الواقع أن هذا التمثال يمثل الشمس عند الغروب وهى تعد أكبر المعبودات عند المصريين ، وأن هذا المعبد الذى أنشىء أمامه أقيم خاصة لعبادته ولا يمكن أن يكون قد أقيم لعبادة « خفرع » ، إذ أنه قد أقام لنفسه معبدين أحدهما جنوب هذا المعبد وهو معبد الوادى ؛ والآخر هو المعبد الجنائزى الواقع شرق هرمه مباشرة ، ولا غرابة فى إقامة تمثال أبى الهول فى هذه الجهة إذ كان على مقربة منه بلدة عين شمس التى كانت تعد أكبر

مركز لعبادة الإله « أتوم » إله هذه الجهة المحلى . وكان يمثل فيها بشكل أسد رأسه رأس إنسان ، وكان أمام معبده طريق تحفه تماثيل أبى الهول التى يمثل الإله المحلى لهذه الجهة .

ومما يعزز إلاهية أبى الهول أن الأهلين فى عصور مختلفة كانوا يصنعون تماثيل لهذا الإله ويعدونها تذكاراً فى الحفلات الدينية التى كانت تقام له ، وقد عثر منذ بضع سنوات على أكثر من عشرين تمثالا له صغيرة الحجم فى الرمال التى كانت تغطى معبده ، وعلى تماثيل متوسطة الحجم أمام معبد « أمنحتب » الثانى الذى أقام فيه لوحته المشهورة .

والحقيقة إذن أن تمثال أبى الهول ليس بلغز وما هو إلا الإله « أتوم » وإنما أخذ العالم على عاتقه أن يجعله لغزاً إلى الأبد ، وسيبقى كذلك ولو ظهرت كتابات تدل على أصله وكنهه .

تاريخ نحت أبى الهول

أما العهد الذى نحت فيه أبو الهول فقد عرف على وجه التقريب ، إذ دلت الكشوف الأخيرة على أنه نحت بعد إقامة الطريق الموصل بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى للملك « خفرع » ؛ أى أن أبا الهول لا بد أن يكون قد نحت فى عهد « خفرع » بانى الهرم الثانى أو بعده ؛ وهذا أول تاريخ ثابت فى عمر أبى الهول .

وفى عام ١٩٣٧ قامت مصلحة الآثار بحفائر لتنظيف المنطقة التى تقع حول أبى الهول والحفرة التى هو فيها ، وقد أدت هذه الحفائر إلى كشف النقاب عن نيف ومائة وخمسين لوحة تذكارية وآثار أخرى وبعض

مقابر فى الجهة البحرية يرجع عهدها إلى الدولة القديمة . وأهم هذه اللوحات لوحة الملك « أمنحتب الثانى » وقد نصبها داخل معبد خاص له تذكاراً لزيارته لمنطقة الهرم وأبى الهول ، وفيها ذكر أبا الهول بأنه هو الإله « حور أم آخت » وأنه الإله « أتوم » وتكلم عن الأهرام بأنها أهرام أبى الهول أى أنه نسبها إلى هذا التمثال العظيم بصفته إلها. أما اللوحات الكثيرة التى كشف عنها هذا العام فقد استخلصنا منها معلومات جديدة تلقى بعض الضوء على هذا التمثال فيما يلى :

دلت البحوث التى حول هذا التمثال على أن ملوك الفراعنة منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية العهد الرومانى كانوا يزورون هذا المكان المقدس، وكذلك كان يتقرب الأهلون إلى أبى الهول بتقديم القرابين ، واللوحات التذكارية ، كما كانوا يتقربون إلى الآله أوزير فى العرابة المدفونة . فكانت هذه المنطقة تعد فى نظر القوم والملوك أنها بقعة مقدسة وقد كانوا يطلقون على معبد أبى الهول اسم (المكان المختار) .

منطقة الصيد التى حول ابى الهول

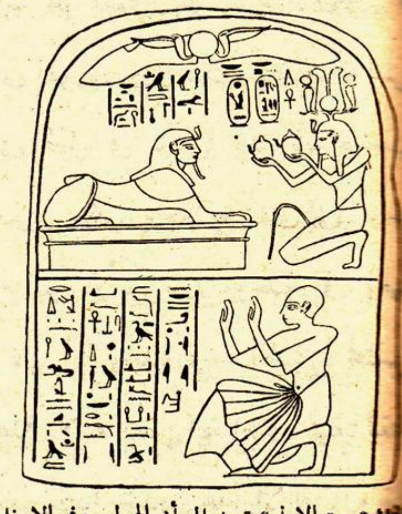
ولا شك فى أن فراعنة مصر فضلا عن تقديسهم لأبى الهول فإنهم كانوا يأتون إلى هذه المنطقة لصيد الغزلان والأسود ، ولا غرابة فى ذلك فإن هذه المنطقة كان يطلق عليها اسم (وادى الغزلان) ، وتدل اللوحات التى كشفت فى هذا المكان على ما يثبت ذلك . فنجد أن من زار هذه البقعة حسب ما وصلت إليه معلوماتنا هو ابن « تحتمس الأول » ثم « تحتمس الثالث » ، وأمنحتب الثانى » صاحب اللوحة المشهورة التى كشف عنها حديثاً .

وهى التى يقول فيها إنه أتى بعربته من منف إلى مكان أبى الهول الذى بنيت من أجله الأهرام ؛ ثم « تحتمس » الرابع الذى ذكر فى لوحته أنه جاء فى هذا المكان وهو أمير لم يتول الملك بعد ، وأخذته سنة من النوم فى ظل أبى الهول ، وطلب إليه « حور ام اخت » (أبو الهول) أن يزيل عنه الرمال عند ما يتولى عرش الملك ، رغم أن « تحتمس الرابع » لم يكن الوارث الحقيق للعرش . وقد بر بوعده . ثم جاء بعده « أمنحتب الثالث » ؛ وقد رسم فى لوحة فتيا ، للصيد والقنص ، وكذلك حضر « توت عنخ آمون » إلى هذا المكان المقدس ، وأقام فى الجهة القبلية منه مكانًا للراحة باللبن وشيد فيه حمامًا ليستحم فيه بعد الصيد والقنص . وقد كشف عن هذا المكان حديثًا . غير أن « رعمسيس الثانى » كعادته وضع طبقة من الجص فوق النقوش التى نقشها « توت عنخ آمون » على واجهة الاستراحة التى بناها فى هذه الجهة ، وكتب اسمه وألقابه . وقد وجدنا النقشين أحدهما فوق الآخر ورغم ذلك فإن « رعمسيس الثانى » أصلح ما أفسده الدهر من الأجزاء التى تآكلت من تمثال أبى الهول . وكذلك أتى إلى هذا المكان الملك « آى » ثم الملك « حورن ام حب » ، ثم « سيتى » الأول وترك الأخير لنا لوحة عثر عليها فى معبد « أمنحتب الثانى » المقامة فى الجهة البحرية من أبى لهول ، وفيها يذكر صيده للغزال ، والأسود ثم أتى الفرعون « منفتاح » ، وترك لنا نقوشًا تدل على مقدار اهتمامه بأبى الهول ، وهكذا تواترت زيارة الفراعنة ، والأباطرة لهذا المكان حتى عهد الامبراطور « سبتميس سفرس » ١٩٣–٢١١ بعد الميلاد

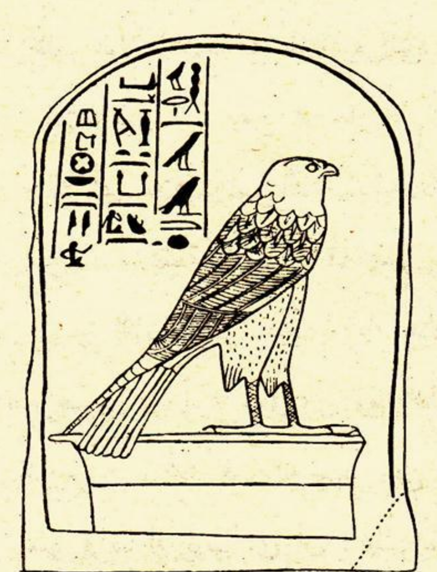
زيارة الملوك لمنطقة أبو الهول

وأدهش ما كشف فى هذا المكان أن قوما من الكنعانيين وفدوا على مصر ، وسكنوا فى منطقة أبى الهول فى عهد الدولة الحديثة ومن المحتمل جدا أن ذلك كان فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة كما يدل على ذلك لوحة الفرعون « آى » من أواخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ؛ إذ جاء فيها أنه اقتطع ضيعة للحيثيين فى هذه الجهة . وقد دلت اللوحات المكشوفة على أن هؤلاء الكنعانيين (أو السوريين) كانوا يسكنون فى هذه المنطقة فى بلدة سميت باسم إلههم الذى كانوا يعبدونه فى بلادهم ، وأعنى بذلك الإله « حورون » وهذا الإله كان يمثل عندهم بشكل صقر . ولما كان أبو الهول عند المصريين ، وبخاصة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة يسمى « حور إم أخت » أى « حور الأفق » ، وكان يمثل بصقر ، فقد

أبو الهول هو «حورنا» إله الكنعانيين



الملك «سيتى الاول» يتعبد إلى أبى الهول. وفى الاسفل شخص يتعبد إلى أبى الهول بصفته « حول » أو « حور أم أخت » (حرمخيس)



أبو الهول فى شكل صقر . وقدس فى النقش بصفته « حورنا » أو « حور أم أخت »

راعى فيه هؤلاء الأسيويون أنه يمثل إلههم الذى تركوه فى بلادهم ، ولذلك أطلقوا على أبى الهول اسم « حورنا » أو « حورون » أو « حول » . هو « حور إم أخت » ، ومن ذلك يتضح جليا أن الاسم الجديد الذى أصبح يطلق على هذا التمثال هو اسم سامى الأصل ؛ ولا غرابة فى أن المصريين عبدوا الإله « حورنا » أو « حورون » فى مصر ، ووحدوه مع أبى الهول . فإن ذلك له ما يماثله فى هذا العصر إذ عبد الإله « ستخ » . وهو أسيوى الأصل فى مصر ، وأصبح موحدا مع الإله « ست » إله الحرب . وكذلك الإلهة « عشترت » ، فهى إلهة سورية نقلت عبادتها إلى مصر ، ووحدت مع الإلهة « حتحور » ، وهكذا كان بعض الملوك فى فترة فتوحهم العظيمة يقربون بين البلاد السورية ومصر بكل الوسائل . ثم أطلق هؤلاء القوم على الحفرة التى فيها أبو الهول اسم « بر - حول » (بيت حول) . ومن ثم جاء اسم أبى الهول ؛ ومن ذلك يتضح أنه ليس هناك أى علاقة بالمعنى الذى نعطيه لأبى الهول فى عصرنا هذا بأنه صاحب الفزع ، والحقيقة كما ذكرنا أنه إسم مصرى سامى يرجع عهده إلى أواخر الأسرة الثامنة عشرة عند ما جاء هؤلاء القوم الأسيويون ووحدوه فى إلههم « حورون » ، أو « حول » . ومن الطريف أننا وجدنا لوحة أقامها « تحتمس الرابع » ، نجد فيها أنه حبس على هذا الإله بعض الضياع فى فينقيا ليقدم منها قربانا له يوميا أى أن الملوك أنفسهم كانوا يعبدون هذا الإله ، ويقال إن اسم الملك «حورن ام حب» يحمل فى تركيبه إسم هذا الإله . هذا

أصل كلمة أبى الهول

وقد تعبد إليه « رعمسيس الثانى » صراحة ، وكشفت لهذا الإٰله مجموعة تماثيل فى جهة « تانيس » مثل فيها هذا الإٰله على شكل الإٰله « حور » ، ومعه « رعمسيس الثانى » ، ولكن إسم الإٰله لم يكتب « حور » بل كتب « حورنا » . ولا أدل على وجود مستعمرة من هؤلاء الكنعانيين فى هذه الجهة من اسم القرية التى كانوا يقطنونها فى ذلك الوقت ؛ وقد بقى لنا محفوظا بنصه فى اسم قرية صغيرة بالقرب من أبى الهول فى جنوبه الشرقى وبينهما كيلو متران ونصف ، وهى تسمى الآن « الحارونية » نسبة إلى الإٰله « حورنا » أى أبو الهول كما ذكرنا ، وهى تنقسم قسمين الحارونية القبلية والبحرية ، وقد جاءت النقوش مؤكدة لذلك إذ وجد على لوحة من اللوحات « حارونية » بالمخصص الذى يدل على لفظة بلد فى اللغة المصرية القديمة ، وهى نسبة إلى الإٰله « حورون » . وقد بقيت شخصية هذا الإٰله « حورنا » مجهولة عند علماء الآثار حتى جاء العالم « فيرولو » سنة ١٨٣٧ ، ونشر قطعة من قصيدة شعر « رأس شمر » ، وقد ظهر فيها اسم الإٰله « حورون » بصفة قاطعة ، وظهر أنه كان يعبد فى «صيدا».

بلدة الحارونية ونسبتها لابى الهول

ومن ذلك يتضح أن أبا الهول ذلك اللغز العظيم قد اشترك فى عبادته ، وتقديسه بصفته إٰله الموتى ، وحارس الجبانة ، السوريون ، والمصريون على السواء.

ولا نزاع فى أن أبا الهول كان يمثل الإٰله « رع » عند الغروب أى « آتوم » ، وأنه كان يعتبر فى نظر القوم بأنه حارس الجبانة إذ ورد على تمثال له ما يأتى ، مخاطبا المتوفى : « إنى أحمى مقصورة مدفنك ، وإنى

أبو الهول يحمى الموتى

أحرس حجرة دفنك ، وإنى أقصى كل أجنبى يريد اقتحامها ، وإنى أقضى على الأعداء بسلاحهم ، وإنى أقصى المؤذى عن قبرك ، وإنى أصرع أعداءك فلا يعودون إليه قط » .

وتدل كل الآثار التى كشفت فى هذه المنطقة حتى الآن ، على أن أبا الهول هو الإله الذى يحرس الموتى فى الغرب ، وأنه مظهر الشمس عند غيابها فى الأفق ، وسنكتفى هنا بهذا القدر عن أبى الهول ، إذ خصصنا له بحثا خاصا فى مجلدين ضخمين سننشرهما عند ما تتهيأ الأحوال لذلك إن شاء الله .

منكاورع

خلف « خفرع » على عرش مصر الفرعون « منكاورع » ، وبقى على أريكة الملك أكثر من عشرين عاما ، ومن المحتمل أنه ابن خفرع ، وعلى أية حال فإن والده ترك له المشاحنات التى قامت بينه وبين أسرة « ددف رع » ؛ ويظن أنه الذى أكمل مقابر أسرة والده ، ومقبرة والدته « خع مرر نبتى » فى الصخرة الواقعة فى الجنوب الشرقى للهرم الثانى . ولما استتب له الأمر أخذ فى الاستعداد لبناء هرمه الصغير بالنسبة لهرمى خوفو ، وخفرع ؛ غير أنه وضع تصميمه على أن يكسى بجرانيت أسوان الأحمر بدلا من الحجر السلطانى الأبيض الذى كان يجلب من طرة ؛ ومع ذلك فقد كانت تكاليفه أقل بكثير من تكاليف أهرام أسلافه . غير أنه أثناء قيام هذا العمل

مات « منكاورع » فجأة ، وكان الهرم فى تلك اللحظة قد كسى إلى نحو الثلث أى (١٦ مدماكا) ، ومعبده الجنازى قد كسى جزء منه من الخارج . وكذلك حجرة القرابين فقد كسيت بالجرانيت الأحمر والأسود . أما معبد الوادى فإنه لم يتم فى عهده وأتمه من بعده « شبسسكاف » باللبن ووضع فى المعبد كل أدواته من تماثيل وأوان ، غير أن بعضها غير تام . وتدل الحجر الداخلية فى هذا الهرم على حصول تغيير فى تصميمها أثناء سير العمل . وقد دخل اللصوص هذا الهرم عام ١٢٢٦ ميلادية وقد وجدوا تابوته خاليا : . . . ووجدوا فى هذا التابوت (لا بد أن يكون تابوتا آخر) بعد أن كسروا غطاءه ، بقايا جسم إنسان من غير حلى ما ، اللهم إلا بعض ألواح ذهبية مكتوبة بحروف لا تفهم . وفى عام ١٨٣٧ دخل الكولونيل «هاورد فيس» حجر هذا الهرم فوجد فى الحجرة العليا قطعا من تابوت خشبى تعزى إلى « ملك الشمال والجنوب منكاورع حيا إلى الأبد » ومعه بقايا إنسان ملفوف فى ثوب من الصوف الخشن لونه أصفر ، وقد وجد كذلك فى الحجرة السفلى تابوتا من البازلت ، وهو الذى خيب آمال لصوص سنة ١٢٢٦ . وقد نقل التابوت وبقايا الجسم إلى المتحف البريطانى . أما التابوت البازلتى فإنه شحن إلى انجلترا ، ولكن السفينة غرقت به فى « الجهورن » فى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٣٨ ؛ ولا يزال فى قعر البحر إلى الآن .

« شبسسكاف » يتم بناء الهرم الثالث

ما وجد فى الهرم الثالث

وقد كشفت لنا حفائر الدكتور « ريزنر » فى معبد الوادى «لمنكاورع» عن نفائس فنية ودينية ؛ وهذه المجموعة تعد أنفس مجموعة وجدت فى الدولة

القديمة من الاسرة الرابعة . ومن بينها مجاميع إلهات المقاطعات ، وكذلك تمثالان « لمنكاورع » وزوجته فى قطعة واحدة بالحجم الطبيعى تقريباً من الجرانيت ، وهما يعدان أجمل قطع فى الفن المصرى فى هذا العصر . ولم يصلنا شىء عن بعثات هذا الملك للخارج سواء أكانت للفتح أم لقطع الأحجار . وأهم وثيقة وصلت إلينا من عهده عثر عليها فى مقبرة أحد كبار موظفيه المسمى « دبجن » وفيها يقص هذا الموظف الكبير كيف أن مولاه قدم له خمسين عاملا لبناء مقبرة خادمه الأمين . وهذه المنحة وإن كانت تعتبر فى أعيننا شيئاً قليلا لكنها أكبر خدمة يقدمها الملك إلى رجل خدمه بصدق وأمانة ؛ وقد تعطف عليه « منكاورع » بذلك حينما كان جلالته على الطريق التى بجانب هرم « حر » يتفقد حال العمل فى هرمه المسمى « المقدس » وهو اسم الهرم الثالث . أما هرم « حر » فلا بد أن يكون هرماً آخر له علاقة « بمنكاورع » من جهة ما ؛ وقد ظن البعض أن « منكاورع » كان له هرمان كبعض أسلافه مثل « سنفرو » ، وهذا غير مطابق للواقع . والحقيقة أن هرم « حر » هو هرم ابنته « خنت كاوس » ، وفعلا عثرنا على الطريق التى تربط الهرمين ببعضهما . وقد كشف منه جزء وقد سمى هرمها « حر » أى العالى من مسميات الأضداد إذ الواقع أن هرم الملكة « خنت كاوس » فى منخفض وسنتكلم عليه فيما بعد .

كشف « ريزنر » عن الهرم الثالث

وثيقة قبر « دبجن »

الهرم « حر »

ومن الطريف أنه جاء فى نقوش « دبجن » هذا أن الملك أمر بإحضار بابين وهميين من الحجر ، وكذلك كتلتين لواجهة المقبرة ، وتمثال بالحجم

الطبيعى لتقام فى مقبرته ، وقد وجدت كل هذه الهدايا التى أمر بها الملك فى مقبرة « دبحن » عند الكشف عنها فى عام ١٩٣٤ ، غير أن التمثال لم يوجد منه إلا بقايا مهشمة وفى عهده أرسل ابنه « حرددف » ليفحص المعابد المصرية بأجمعها ؛ وقد كشف هذا الأمير فى الأشمونين الفصلين ٣٠ و ٦٤ من كتاب الموتى (كما فى النسخه الصاوية) . وكان « منكاورع » يعرف فى الأزمان التى تلت عهده بأنه رجل تقى ، وكان يحترم ويقدس كحكيم من الحكماء فى عصر الرعامسة .

الملك شبسكاف

لما تولى « شبسسكاف » عرش مصر بعد والده « منكاورع » لم يشيد لنفسه هرماً مثل والده على هضبة الجيزة بل رجع إلى مكان أجداده بالقرب من سقارة ، وابتدع لنفسه مقبرة فريدة فى بابها ؛ وذلك أنه بنى لنفسه مصطبة ضخمة وبنى فوقها مصطبة أخرى على شكل تابوت . غير أنه جعل لهذه المقبرة كل الملحقات التى تتبع الهرم . وهذا البناء يعرف عند أهالى جهة دهشور باسم مصطبة فرعون .

مصطبة فرعون

وإذا اعتمدنا على النقوش القليلة التى كشفت وحكمنا بأن هذا البناء الغريب هو قبر « شبسسكاف » كان أمامنا سؤال لا بد من الأجابة عليه وهو : ما السبب الذى دعا « شبسسكاف » إلى العدول عن السنة

المتبعة فى بناء القبور على شكل هرمى ، وابتداع شكل غريب كهذا .

والظاهر فى تفسير ذلك أن الهرم قد بنى ليكون مقبرة للملك ولم يتخذ هذا الشكل اعتباطا بل لأنه رمز لعبادة الشمس فى بلدة عين شمس . وفى إقامة المقبرة على هيئة الهرم اعتراف بإلآهية الشمس وسلطانها العظيم ، ووضع المتوفى تحت حمايتها ليصل إلى العالم الآخر . وإذا لاحظنا أنه منذ بداية حكم الملك الثالث من الأسرة الرابعة قد دخل فى تركيب اسم الملك لفظة « رع » أى الشمس ، ولاحظنا أنه فى أوائل الأسرة الخامسة اعتبر ملوك هذه الأسرة أنفسهم أولاد « رع » مباشرة وخلفاءه على العرش. لعرفنا منزلة ذلك الإله فى نفوسهم وتأثيره عليهم ولأدهشنا أن نرى ثلاثة ملوك لم نجد فى تركيب أسمائهم لفظة « رع» كأسلافهم وهم « شبسسكاف» « وخنتكاوس » و« وسركاف » ؛ وفى ذلك ما يدل على أن هؤلاء الملوك قد تنحوا عن الانتساب إلى عقيدة عين شمس التى احتلت منزلا ممتازا فى ذلك الوقت ، وما يفسر لنا موقف شبسسكاف من قبره ، والعدول عن المألوف عند أسلافه فى بنائه .

مناهضة عبادة « رع»

وقد كان هو أول من تخلى عن هذه العقيدة ، وأظهرها فى بناء قبره مقتنعا بفكرة أقل روحانية ، وهى أن يخلد فى القبر نفسه بدلا من السماء ، وذلك بأن يبنى لنفسه قبرا على شكل تابوت ضخم « وهو المكان الذى تأوى إليه «الكا» (أى الروح المادية) وتجعل الجسم المادى مخلدا ما دامت تزوره» . ولا شك أن هذه الحركة كانت لا بد قائمة ضد كهنة عين شمس الذين

كان سلطانهم يزداد كل يوم على سلطان الملك كما حدث فيما بعد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وربما كان الواضع لهذه الفكرة هو « شبسسكاف » نفسه حصنا له ضد كهنة عين شمس . . وفى عهد هذا الملك كان « فتاح شبسس » الذى يعد من أهم الشخصيات التى عاشت فى هذه الفترة وقد ترك لحسن الحظ ترجمة حياته كما كتبها بنفسه مما يلقى بعض الضوء على تاريخ هذا العصر من بعض النواحى ، ولا غرابة فى ذلك فإنه كان أعظم المعمرين بلغ من العمر أرذله إذ أفنى فى خلال حياته الطويلة ستة فراعنة ، تقلب مدة حكمهم فى وظائف عدة ، ولا نبالغ إذا أطلقنا عليه عميد الموظفين . ولقد أحصى الوقت الذى خدم فيه هؤلاء الملوك فوجد أنه يربو على الثمانين حولا . والظاهر أنه كان موظفا حكوميا بالمعنى الذى تتطلبه هذه المهنة فى مصر ؛ إذ كان لا يحسب للمبادىء أى حساب ؛ بل كان بطبيعة الحال يميل عند تأدية عمله إلى ما يجر له المنفعة الشخصية أولا ، ولا أدل على ذلك من أنه رغم رابطة الرحم التى كانت تربطه بالأسرة الرابعة فإنه لم يجد أى وازع يردعه عن الخدمة تحت لواء ملوك الأسرة الخامسة الذين ربما كانوا هم المغتصبين لعرش الملك منه ؛ إذ كان متزوجا من كبرى بنات الملك « شبسسكاف » الذى لم يرزق وارثا ذكرا ليتولى الملك بعده . وقد كان فى استطاعة « فتاح شبسس » فى مثل هذه الأحوال أن يطالب بالعرش لنفسه ، ولكنه كما يظهر لنا ، كان رجلا حريصا عاقلا قنوعا فلم يزج بنفسه فى مثل هذه المغامرة . ورضى

تاريخ حياة « فتاح شبسس »

أن يتقاضى مرتبا دسما تحت لواء أى ملك يقبض على ناصية الأمور ، وتاريخ حياة « فتاح شبسس » استغرقت عهد ستة ملوك من فراعنة الأسرة الخامسة خدمهم كلهم موظفا حكوميا مطيعا . ولكن لما كانت أول خطوة خطاها نحو الرقى فى الوظائف جاءت فى عهد الأسرة الرابعة فقد آثرنا أن نجعله يتكلم هنا بنفسه عن ترجمة حياته كما دونها على مقبرته ، وبخاصة إذا اعلمنا أنه يعدد فيها لنا أسماء الملوك الذين جاءوا بعد « شبسسكاف » ووظف فى بلاطهم . فيقول مع ذكر اسمه فى نهاية كل فقرة : (ولد فى عهد « منكاورع » الذى رباه مع أطفال الملك فى الحريم الملكى) ؛ وكان مقربا لدى الملك أكثر من أى ولد — « فتاح شبسس » (وكان لا يزال يلبس الحزام) فى عهد الملك شبسسكاف الذى رباه بين أولاد الملك فى قصر الملك ، وفى داخل الحريم الملكى . وكان مقربا لدى الملك أكثر من أى شاب — « فتاح شبسس » (وقد لقى حظوة عند جلالته) وزوجه جلالته من كبرى بناته « معات — خع » لأن جلالته أراد أن يكون بصحبته أكثر من أى رجل آخر — « شبسس فتاح » .

(المقرب من « وسركاف » ، كبير كهنة منف) المحترم من الملك أكثر من أى خادم ، فكان ينزل فى كل سفينة تابعة للبلاط ، وكان يدخل بطريق القصر الجنوبى فى كل أعياد التتويج — « فتاح شبسس » .

التابع « لسحورع » المبجل عند الملك أكثر من أى خادم ، الذى كان يعمل أمين سر لكل الأعمال التى يريد إنجازها جلالته . وهو الذى

كان يسلى قلب سيده كل يوم - « فتاح شبسس »

التابع للملك « نفر إر كا رع » والمبجل عند الملك أكثر من أى خادم وعند ما يثنى عليه جلالته لأمر ما ، كان جلالته يسمح له بأن يقبل قدمه ، ولم يرض جلالته أن يقبل الأرض - « فتاح شسبس »

التابع للملك « نفر ف رع » المبجل لدن الملك أكثر من أى خادم وكان ينزل فى السفينة المقدسة فى كل أعياد التتويج ، المحبوب من سيده - « فتاح شبسس » .

المحبب لقلب سيده «نوسررع» عاش أبديا فى بلاطه ، المحبوب من سيده والمحترم لدى الإله « فتاح » ، وهو الذى يفعل ما يرغب إلهه ، والذى يرتاح إليه كل فنان فى عهد الملك — « فتاح شبسس » .

ولا جدال فى أن «فتاح شبسس » كان رجلا قد أسعده الحظ ، إذا كان مقياس السعادة بالحظوة الملكية التى عاش يرتع فى بحبوحتها ويتقلب فى أعطاف نعيمها طوال حياته فى عهد كل هؤلاء الملوك دون أن يغضب عليه واحد من بينهم إذا صدقنا ما رواه عن نفسه ؛ على أن أكبر فخر ناله فى حياة أولئك الملوك ما حباه به الفرعون « نفر إر كا رع » الذى سمح له أن يقبل قدمه بدلا من أن يلثم التراب الذى تحت قدميه وهو ملقى على بطنه أرضا حسب التعبير المصرى الصحيح .

على أن أكبر درس اجتماعى نخرج به من حياة هذا الرجل هو ما نشاهده فى خلال هذا العصر السحيق فى القدم من أن الوظائف الحكومية

كانت الهدف الذى يرمى إليه كل عظيم مهما بلغت درجته ، ولقد بقى هذا الداء العضال يتوارثه المصريون إلى يومنا هذا . نعم إن المصرى كان بطبعه يتمسك بالعادات والأخلاق التى نشأ عليها أجداده ، وكان الابن يرثها عن الأب ولكن سنن الرقى كان من شأنها أن تجعله يتخلى عن بعض هذه العادات الموروثة ، إلا حب الوظائف الحكومية ، فإنه لا ينفك يطلبها ويرى أن كل عمل سواها حقير ضئيل ، وأنه فى سبيلها يجب أن يضحى بكل شىء .

عظم مكانة الوظيفة الحكومية عند المصرى

ولا نزاع فى أن « فتاح شبسس » قد ضرب الرقم القياسى فى ذلك المضمار دون مراعاة أى مبدأ . ولا أكون مبالغًا إن قلت أنه لا يوجد فرد واحد فى مصر عاش فى خلال الأربعين قرنا التى تلت وفاة عميد الموظفين ، يتردد لحظة فى أن يضحى بمبدئه وعقيدته فى سبيل أبهة الوظيفة والتنافس فى نيل رضاء الحاكمين وعطفهم مهما كلفه ذلك غاليا .

وقد ذكر المؤرخون بعد حكم « شبسسكاف » ثلاثة ملوك غير أن الآثار التى كشفت إلى الآن ، لم يأت فيها ذكر واحد منهم ، وهكذا بقيت نهاية هذه الأسرة غامضة لا يعرف عنها شىء حتى عام ١٩٣٢ ؛ وذلك عند ما كشفت بعثة الجامعة المصرية القائمة بأعمال الحفر فى منطقة أهرام الجيزة عن الهرم الرابع الذى دفنت فيه الملكة « خنت كاوس » .

الملكة خنت كاوس

ومما لا شك فيه أن « خنت كاوس » هى بنت الملك « منكاورع » لأن « شبسسكاف » مات ولم يترك له خلفًا من الذكور فقامت « خنت كاوس » مطالبة بالعرش بعده ؛ والظاهر أنه كان لها بعض المنافسين على العرش غير أن الدم الملكى الذى يجرى فى عروقها جعل لها الأولوية فى تولى الملك ولذلك كتبت على باب هرمها « ملك الوجهين القبلى والبحرى ، والأم الملكية وبنت الأله ، وكل شىء تأمر به ينفذ لأجلها » . ويتضح لنا من هذا النص أنها تزوجت بأحد عظماء القوم المنتخب وليًا للعهد ، ولذا سميت الأم الملكية، غير أنها لم تذكر اسم زوجها لأنه ليس من دم ملكى خالص ؛ وأطلقت على نفسها لقب « ملك الوجهين القبلى والبحرى » لا ملكة الوجهين ، كما فعلت الملكة « حتشبسوت » فى الأسرة الثامنة عشرة وأن هذا ليدل على سمو مكانة المرأة عند المصريين القدماء فى ذلك العهد .

أول ملكة تلقب بلقب الملك

والظاهر أن عصرها كان حافلا بالاضطرابات ، والمشاحنات على تولى الملك . وقد ذكرت قوائم الملوك بعض أسماء فى نهاية الأسرة الرابعة غير أنها لم تذكر على هذه الآثار (١) .

ولما تزوجت « خنت كاوس » الوارثة الحقيقية للملك وأنجبت « وسركاف » خلصت البلاد من تلك الفوضى السياسية ، وكانت هى الحلقة الموصلة بين الأسرتين الرابعة والخامسة .

« خنت كاوس » مؤسسة الاسرة الخامسة

---

(١) فذكرت ورقة تورين ومانيتون أنه كان هناك ملك حكم البلاد بين « شبسسكاف و« وسركاف » وهو « امحوتب » وقد وجد له نصوص فى محاجر سينا .

وهنـاك أقصوصة تكاد تكون خرافة عن أصـل الأسرة الخـامسة ، وربما كان لزواج « خنت كاوس » من أحد الأفراد أو الـكهنة وتأسيس الأسرة الخامسة صلة بها . وذلك أنه جاء فى ورقة « وستكار » المنسوبة لأحد السحرة أن « حرددف » بن « خوفو » مثل بين يدى والده ، وهو يقدم ساحرا اسمه « ديدى » ، وقد تنبأ هـذا الساحر بولادة أطفال ثلاثة ستلدهم زوجة كاهن هليوبوليس من « رع » إله الشمس ثم تسميهم الإلهات بأسماء تشبه فى لفظها أسماء الملوك الثلاثة الأول للأسرة الخامسة وهم « وسركاف » ، و« سحورع » و« كاكاو » ، وكذلك تنبأت الإلهات بأن كل منهم سيحكم البلاد قاطبة .

ورقة « وستكار »

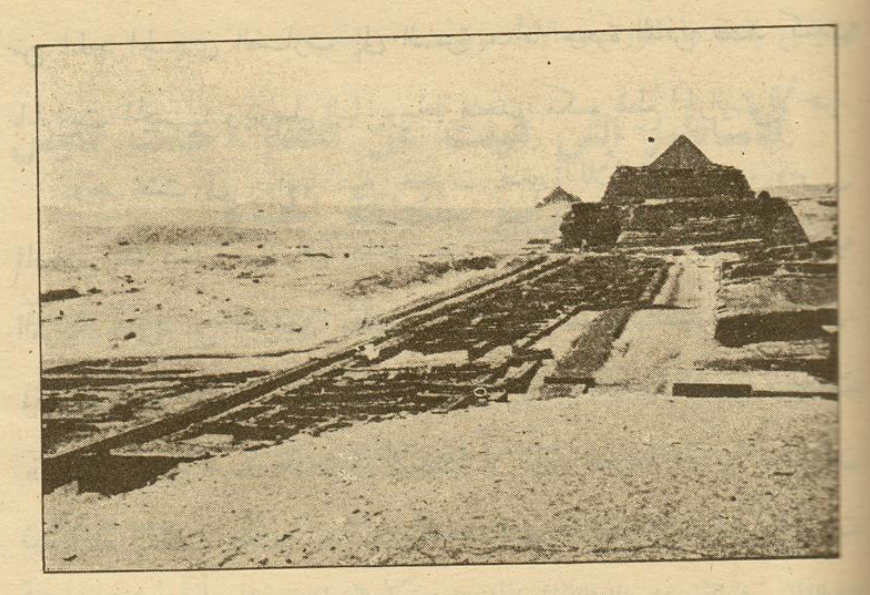
ولا شك فى أن هذه القصة تنطوى على ارتباك تاريخى إذ لا يعقل أن يولد « كاكاو » ثالث ملوك الأسرة الخامسة فى عهد « خوفو » . ولـكن المهم فى هذه الخرافة أن هؤلاء الملوك الثلاثة هم الذين ورثوا الملك بعد أولاد خوفو وأحفاده كما أخبر « ديدى » الساحر الملك بقوله « إن ابنك سيحكم وابن ابنك سيحكم ثم واحد منهم » . ـ يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الملوك قد ولدوا من زوجـة كاهن « رع » التى حملتهم من الإله نفسـه وان الإله وعد الأم بأنهم سيحكمون وأن أكبرهم سيكون كاهنا أكبر لعين شمس .

ومن المحتمل جداً أن تـكون « خنت كاوس » قد تزوجت من كاهن عظيم لعـين شمس ، وبذلك يـكون الدم الملكى يجرى فى أولادهما ؛

ويعزز كهنة « رع » الذين أخذ حظهم يرتفع ، ولذلك أصبح الملك يسمى (ابن الشمس) وربما ادعى الملك نفسه أنه هو ابن الشمس الحقيق ؛ لأن والده هو كاهن الإله « رع » أو الصورة التي تقمص فيها « رع » .

هرم « خنت كاوس »

وقد أقامت « خنت كاوس » فى عهد وصايتها على الملك هرماً خاصاً بها فى منطقة أهرام الجيزة ، وهجرت المنطقة التى بنى فيها « شبسسكاف » مقبرته الغريبة فى بابها .



الهرم الرابع « لخنت كاوس » ومدينته

ولا غرابة فى ذلك فإن « خنت كاوس » أرادت أن تكون بجوار والدها « منكاورع » . غير أنها لم تتخذ شكل الهرم تماما بل استحدثت فى المعمار المصرى طرازا جديدا يجمع بين الشكل الهرمى والهيئة الجديدة التى خصت بها مقبرة أخيها « شبسسكاف » ؛ ولذلك جعلت قاعدة هرمها

مربعة الشكل كما هو الحال فى أهرام الجيزة ؛ وأقامت على هـذه القـاعدة شكل تابوت لتحاكى مقبرة أخيها فى دهشور ، ويبلغ طول قاعـدة هذا الهرم نحو ٤٥ مترا وارتفاعه نحو ٣٥ مترا ، وقد قطعت القـاعدة فى الصخر المحلى ثم كسيت بالحجر الجيرى الأملس من طرة . ووضع معبـده الجنازى فى داخل مربع قاعدته ، ويتجه بابه شرقا ، وقد كسى معظم هذا المعبد بالجرانيت الأحمر ، ونقشت جدرانه بالمنـاظر الدينية ، والقرابين على كسوة من الحجر الجـيرى الضـارب إلى السمرة . أما حجرة الدفن فقـد كسيت بالجرانيت المحبب ؛ ويتوصل إليها بوساطة منحدر مكسو بقطع الجرانيت الأحمر .

وقد نحتت فى جوانبها سبع حجرات صغيرة للأثاث المأتمى . ومن المدهش أننا وجدنا بابًا وهميًا داخل هذه الحجرة ، وكان بنهايتها من الناحية الغربية حجرة من الجرانيت وضع فيها تابوت الملكة المصنوع من المرمر ، وقد عثرنا على أجزاء صغيرة منه . وأمام الهرم من الناحية الشرقيـة أقامت « خنت كاوس » مدينة صغيرة لـكهنتها لا تزال منازلها المبنيـة من اللبن حافظـة لشكلها وبجـوار معبـد والدها الذى أقامـه فى الوادى شيـدت « خنت كاوس » معبدها أيضًا ، وهما متشابهان فى نظامهما وبنائهما من اللبن ؛ وهناك أحواض ثلاثة لمـاء التطهير أحـدهما بالقرب من الهرم والثـانى فى وسط المدينة ، والثالث بجوار معبد الوادى . وقد نحتت فى الناحيـة الجنوبية الغربيـة من الهرم سفينة تحـكى سفن الشمس التى وجدت بجـوار أهرام « خوفو » و « خفرع » وغيرهما من ملوك الأسرة الخامسة ، ويحيط بالهرم

مدينة هرم « خنت كاوس »

سفينة الشمس

والمبانى الملحقة به سور عظيم يجمع بينها ويجعلها وحدة قائمة بذاتها .

وقد أثبتت البحوث التاريخية أخيراً أن « خنت كاوس » ربما كانت هى الملكة « نيتوكريس » التى ذكرها المؤرخون ونسبوا إليها إتمام الهرم الثالث ، وأن التحريف جاء من النطق فحسب كما سنذكر بعد . ولا شك فى أن هذه النظرية يقبلها العقل إذا علمنا أن « خنت كاوس » هى بنت «منكاورع» وأنها قد بنت معبدها بجواره ؛ فلا يستغرب أن تكون هى التى يقصدها المؤرخون الأقدمون .

الملكة «خنت كاوس» هى « نيتوكريس »

الأساطير التى قيلت عن الملكة «خنت كاوس» بانية الهرم الرابع بمنطقة الجيزة

إن الباحث فيما تركه لنا مؤرخو اليونان عن منطقة الجيزة يلاحظ فى الحال أن هناك بعض أشياء تنطبق على الحقيقة تمام الانطباق . على أن هناك فى الوقت نفسه أشياء أخرى لا تقوم إلا على مجرد الأساطير . فمثلا نرى هؤلاء المؤرخين يعزون الهرم الأكبر إلى « خوفو » والهرم الثانى إلى « خفرع » والثالث إلى « منكاورع » . على أننا نرى من جهة أخرى أن « ديدور الصقلى » يذكر لنا استنادا على مصادر مصرية ، أو يونانية أن الأهرام الثلاثة هى « لأرمايوس » و« أموسس » و« أناروس » . وهناك أسطورة أخرى تدعى أن الهرم الثالث كان مقبرة لحظية تدعى

ما رواه اليونان عن الاهرام

« رودوبيس » وقد بناه لها بعض عشاقها من حكام الأقاليم . وظلت هذه الرواية الأخيرة متواترة . وقد ذكر « استرابون » الذى قال أن هذه الحظية كانت تدعوها « سافو » باسم « دوريخا » على حين كان يدعوها آخرون باسم « رودوبيس » . غير أن « هردوت » فند هذه الأسطورة قائلا أنه رغم الثروة التى جمعتها « رودوبيس » فإنه كان من الصعب عليها أن تجد الموارد التى تمكنها من أن تقيم مثل هذا الأثر . يضاف إلى ذلك أنها لم تكن معاصرة لبناء هذا الأثر إذ كانت تعيش فى عهد الملك « أماسيس » . وبعد ذلك نجده يقص علينا تاريخ « رودوبيس » ذاكرا أنها كانت امرأة تراقية الجنس ؛ وأنها كانت جاريه لشخص يدعى « جادمان » من جزيرة « ساموس » ، وأحضرت إلى مصر حيث أعتقها « كراسوس » أخو « سافو » التى أحضرتها إلى مصر حيث أقامت فيها حطية .

وقد ذكر المؤرخ « أفريكانوس » نقلا عن مختصر تاريخ مصر لمانيتون ، أنه فى نهاية الأسرة السادسة حكمت البلاد الملكة « نيتوكريس » وهى التى أقامت الهرم الثالث وقد وصفها بأنها أقوى وأجمل نساء عصرها ، وأضاف إلى ذلك أنها كانت شقراء . أما نص « يوزيب » (نقلا عن مانيتون أيضاً) فيصفها بأنها شقراء وردية الوجنتين . ولعل السبب الذى دعا إلى وضع « رودوبيس » مكان « نيتوكريس » يرجع إلى وصف الملكة « نيتوكريس » بكونها شقراء ذات وجنتين ورديتين لأن لفظة « رودوبيس » تعنى المرأة ذات الوجه الوردى اللون ، وعلى ذلك يجب ألا يفهم من

ارتباك الروايات عن « نيتوكريس »

الاسم الذى جاء فى هـذه الأسطورة الإغريقية أنه اسم علم ، بل يجب أن يفهم منـه أنه وصف « لدوريخا » . يضاف إلى ذلك أن « نيتوكريس» و« رودوبيس » توصفان بأنهما أجمل نساء عصرهما . وقد بذلت محاولات شتى بطرق مختلفة لحل التناقض الذى يظهر لنا فى هذه الروايات فلم تسفر عن شىء ، ولا جدال فى أن « مانيتون » كان يعرف أن الهرم الثالث ينسب « لمنـكاورع » وأن اسمه كان يقرأ عليـه . وفى قائمة المـلوك المصريين يوجـد فى بدء الأسرة السابعـة اسم « من كا رع » وهو اسم يشبـه اسم « منكاورع » . وقـد ظن هـذا الاسم أنه لقب التتـويج للملكة « نيتوكريس » التى وضعت تقريبا فى هذا الموضع فى قائمة الملوك . ولـكن هـذا الفرض مشكوك جـدا فى صحته . ويعلل الآخرون النسبة المزدوجة لبناء الهرم الثـالث بحقيقة وجود حجرتين للدفن فيه ، إحداهما فوق الأخرى وفى كل منهما آثار للدفن . وأخيرا ظن البعض أن هـذه الأسطورة ليست لها علاقة ببناء الهرم بل بأتمامه وذلك لأن « ديدور » ذكر أن « منكاورع » مات قبـل أن يكمل بناء مقـبرته . ولـكن ليس من المعقول أن نذكر أن « نيتوكريس » أو أية ملـكة أخـرى هى التى أتمت الهرم لأنه معروف لدينا أن « شبيسـكاف » بن « منكاورع » هو الذى قام بإكمال معبد الوادى الذى تركه والده ناقصا . وعلى ذلك فإن الأسطورة القائلة بأن « نيتوكريس » « رودوبيس » هى بانيـة الهرم الثالث لم تفسر بعد .

والآن أصبح من المحقق لدينا تحديد نسبة هرم الجيزة الرابع . فاعتمادا على النقوش المكتوبة على مدخله نعرف أنه « لخنت كاوس » « ملك الوجه القبلى والبحرى ، وأم الملك » . والآن بعد هذا الكشف نرى أن رواية بناء ملكة لهرم يظهر أنها قد نقلت من الهرم الرابع إلى الهرم الثالث . وهذا التخمين قد أيده نص « يوزيب » الذى ذكر أنه فى الأسرة السادسة كانت « نيتوكريس » تحكم البلاد وكانت (أقوى من كل من كان فى عهدها وأجمل النساء جميعًا) ، شقراء لها وجنتان ورديتان ويظن أنها بانية الهرم الثالث الذى يشبه تلّا .

كشف الهرم الرابع يوضح بعض الشيء تضارب الروايات

ولكننا نرى من جهة أخرى أن الهرم الثالث لا يختلف فى شكله عن هرمى « خوفو » و« خفرع » وعلى ذلك يظن أنه قد وقع خطأ فى نص « يوزيب » ، وذلك لأن الوصف الذى أورده ينطبق تمام الانطباق على الهرم الرابع ، فهو مبنى على قطعة منحوتة فى الصخر ويظهر فى الحقيقة على شكل تل .

ولا نستطيع على وجه التأكيد ذكر السبب الذى أدى إلى اختلاط الأمر بين الهرمين ومن المحتمل أنه فى النص الاصلى « لمانيتون » ، قد جاء ذكر الهرم الرابع . ولكن الكتّاب الأقدمين قد اعتادوا أن يتكلموا عن أهرام ثلاثة بالجيزة . ويحتمل أنه قد وقع خطأ فى النص فى هذا الموضوع فوضع اسم الهرم الثالث مكان الهرم الرابع . ومَن المحتمل كذلك أنه قد ظن أن الهرم الرابع لوقوعه بالقرب من معبد الوادى للهرم الثالث قد بنى

لأحدى بنات « منكاورع » . وفى عام ١٩٢٧ كشفت حفائر بعثة « هارفرد ـ بوستن » فى مصر شرقى الهرم الأكبر عن مقبرة الملكة « مرسى عنخ الثالثة » . وقد رسم على الجدار الغربى للحجرة الرئيسية صورة أمها « حتب حرس الثانية » زوجة الملك « ددف رع » على شكل أمراة شقراء ترتدى رداء يختلف عما يرتديه عادة النساء المصريات ، ومن المحتمل جداً أنها من نسل « خوفو » عن طريق زواجه بامرأة أجنبية من أصل لوبى .

نسبة « خنت كاوس » للاسرة الرابعة

أما « مرسى عنخ » ابنة « حتب حرس الثانية » وقد تكون زوجة « منكاورع » فهى ممثلة فى شعرها وجلدها باللون المصرى المعتاد . ولكن يحتمل أن الدم الأجنبى قد تسرب ثانية فى عروق الجيل التالى . وعلى ذلك يرجح أن « خنت كاوس » هى حفيدة « حتب حرس الثانية » . ويحتمل كذلك أن الدم الأجنبى قد انتقل من زوجة « خوفو » الشقراء وبذلك ليس مصادفة أن تتحدث الأسطورة دون انقطاع عن ملكة جميلة شقراء صاحبة لهرم إذ أنها قد تكون منحدرة من جنس أشقر . وهنا يظهر لنا مرة أخرى شىء من التفاصيل قد يبدو لنا فى ظاهره غير مهم ولكنه ينتقل من عصر إلى عصر لأهميته .

وعلى ذلك فإن كل شىء يشير إلى أن ما جاء فى « مانيتون » خاصا بهرم الملكة له أساس من الصحة . وإنما جاء التناقض من تشابه الأسماء ووضع أثر مكان أثر ، وعلى ذلك « فخنت كاوس » ، « نيتو كريس » هما اللتان أقامتا الهرم الثالث وقد وضع اليونان مكانهما « رودوبيس »

وبهذه الكيفية انتقلت الأوصاف المستهجنة إلى الصورة الروائية للملكة التى ذكر عنها مانيتون أنها كانت تسمى أقوى وأجمل النساء . على أن حكاية « رودوبيس » ظلت متواترة فى أسطورة عربية تروى أن الهرم الثالث ينسب إلى روح أنثى تحوم حوله وتذهل عقول الرجال الذين يقعون فى حبها .

الأسرة الخامسة

كان من جراء انتشار عبادة الشمس فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها ازدياد نفوذ الكهنة فى بلدة عين شمس وقد كان الإله « رع » فى بادىء الأمر الإله المحلى لهذه البلدة ويعرف باسم الإله « أتوم » ؛ وقد جاء فى إحدى الخرافات التى وصلت إلينا عن عهد « خوفو » أن أحد أفراد الأسرة المالكة قد تزوج من إحدى بنات كهنة « رع » ؛ يضاف إلى ذلك أن « منكاورع » قد أعلن فى أحد ألقابه الرسمية أنه (ابن الشمس) مباشرة، وقد أصبح لقب (ابن الشمس) من الألقاب الرسمية التى يلقب بها الفرعون .

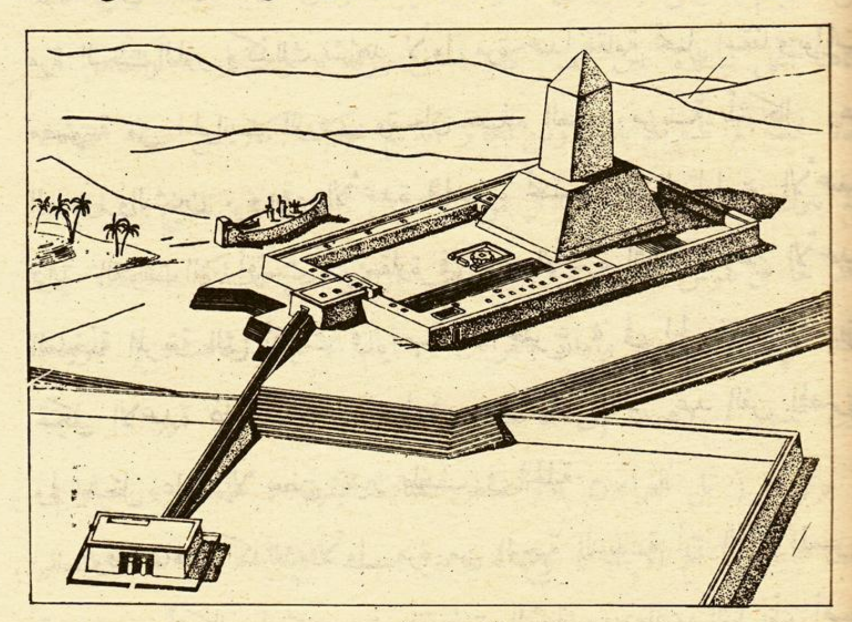
ولما كان آخر ملوك الأسرة الرابعة قد توفى دون أن يكون له وارث فى الملك من الذكور قامت « خنت كاوس » بنت « منكاورع » وادعت لنفسها الملك بصفتها بنت ملك ، أى يجرى فى عروقها الدم الملكى ، والظاهر أنها تزوجت من أحد علية القوم أو من أحد أفراد الأسرة الذين لهم حق فى وراثة الملك ، ومن المحتمل أنه كاهن عين شمس فقامت

« وسركاف » بن
« خنت كاوس » (؟)

بنفسها بأعباء الملك مع زوجها الذى لم يذكر اسمه على الآثار ، ولكنها رزقت ولداً كان الوارث للعرش الفرعونى ، وهذا الفرعون هو « وسركاف ».

وإذا صدقنا الرأى القائل بأن « خنت كاوس » هى أم « وسركاف » فلا بد أن يكون اللذان خلفاه على عرش الملك هما أخواه « سحورع » و« نفر إر كا رع » ، والظاهر أنهما تمسكا بعبادة الشمس كما يدل على ذلك تركيب اسميهما.

ولا أدل على تمجيد الشمس وعبادتها فى هذا العصر من ظهور مبان خاصة بنيت لتكون هياكل للشمس ، إذ كان يوجد بجوار الهرم الذى كان مخصصا لدفن جثة الفرعون معابد خاصة أطلق عليها علماء الآثار الآن (معابد الشمس) ؛ وقد كان كل منها يحتوى فى بهوه على مسلة ، وعلى جدران



صورة كاملة لما كان عليه أحد المعابد الشمسية

المعبد قد نقشت قوارب كبيرة تمثل القارب الذى تسبح فيه الشمس نهاراً من الشرق إلى الغرب والآخر الذى تسبح فيه من الغرب إلى الشرق . يضاف إلى ذلك أن القبر الذى كان يدفن فيه الملك كان على شكل حجر يعرف عند المصريين بلفظة « بن بن » وهو يشبه الشكل الهرمى . وهذا الشكل الهندسى الخاص كان مقدسا فى معبد عين شمس ويعتبر رمز الإله « رع » ؛ ومن أجل هذا السبب اتخذه الملوك شكلا لمقابرهم وسنفرد فصلا خاصا للكلام عن عبادة « رع » فى الأسرة الخامسة .

معابد الشمس

وهؤلاء الملوك الثلاثة المذكورون يضاف إليهم الملك « نوسررع » هم الذين أقاموا معابد الشمس وبنوا الأهرام التى بجوارها فى (أبى صير) الواقعة على مقربة من سقارة . وعلى جدران هذه المعابد نشاهد لأول مرة النحت البارز وكذلك نشاهد لأول مرة عمدا مقامة تحمل أسقفا وبوابات مصنوعة من الجرانيت الوودى وتيجان هذه العمد مزينة بأشكال زهر البردى والبشنين . وهذه الأعمدة الجديدة تختلف اختلافا تاما عن الأعمدة ذات القنوات التى أقيمت فى سقارة فى عهد الأسرة الثالثة ، وعن الأعمدة الضخمة المربعة التى أقيمت فى معبد « خفرع » فى الجيزة . وقد بقى شكل الأعمدة ذات التيجان متبعا فى مصر إلى أواخر عهد الفن المصرى ولم يدخل عليها إلا بعض تغيير طفيف فى الحلية .

الفن فى هذا العصر

وقد شاهدنا كذلك لأول مرة من الوجهة الدينية أن الآلهة المصرية رسمت بأشكال لم تتغير حتى انقرضت الوثنية من وادى النيل أى أصبح

الإله يمثل بجسم إنسان ورأس حيوان أو طائر حسب أصله .

الملك وسركاف

ونعود الآن إلى ذكر هؤلاء الملوك وأعمالهم فنجد أننا إلى الآن لا نعلم إلا شيئا يسيرا عن الملك « وسركاف » خلافا لما ذكر فى ورقة « وستكار » التى كتبت بعد نحو ألف سنة من موته وقد عثر منذ بضع سنوات على رأس ضخمة لتمثال من الجرانيت الوردى فى سقارة بالقرب من هرم هذا الملك . وهذا الرأس يعتبر المثل الوحيد الذى وجد لتمثال ضخم أكبر من الحجم الطبيعى بكثير فى الدولة القديمة ، وكان قبل توليته عرش الملك كاهنا أعلى لبلدة عين شمس كما جاء فى ورقة « وستكار » والظاهر أن مدة حكمه لم تدم طويلا ، ومن الجائز أنه لم يحكم أكثر من سبعة أعوام ، ولم يترك وراءه ما يستحق الذكر من الأعمال الجليلة فى تاريخ البلاد ، وقد جاء فى نقوش حجر « بلرم » أنه وهب أراضى من أملاكه الخاصة إلى معبد الإله « رع » وأمده بالقرابين فى أيام الأعياد الخاصة (بأرواح عين شمس) . هذا إلى أنه قد بنى محرابا فى معبد « حور » بمدينة « بوتو » (تل الفراعين) وخصص لعبادة البقرة « حتحور » ضياعا فى الدلتا باعتبارها أم الإله « رع » وبنى معبدا للإله « سبا » (الصقر الناشر جناحيه) وأوقف له ضيعة صغيرة . وعلى وجه عام أظهر العناية

« وسركاف » كان فى منصب كاهن قبل تولى الملك

احترامه للآلهة

اللازمة نحو الآلهة ولا سيما أنه ينتسب إلى طائفة الكهنوت . وقد عثر على خاتم أسطوانى الشكل محفوظ الآن فى المتحف البريطانى منقوش عليه لقب لهذا الملك ينم عن ميوله الدينيـة « محبوب الآلهة » وأقام هـذا الملك مثل أخلافه معبداً للشمس يحتمل أنه كان فى (أبى صير) بالقرب من سقارة، غير أنه اختفى نهائيا مثل هرمه ولا يبعد أنه استعمل فيما بعد موردا ومحجرا لمبانى العصور التى تلت ، واسم هذا المعبد « نخن رع » (بلاط قربان رع) . وقد عثر على إناء من المرمر الأبيض منقوش عليه اسم معبده فى « سريجو » Cirego مما يدل على أنه كانت هنـاك معامـلات من نوع مّا بين مصر وجزر بحر إيجا فى هذه الفترة .

منحة الضياع لاقامة الشعائر الدينية

وعثر فى بلدة طهنة على مقبرة لأحد عظماء مصر فى عهد هذا الفرعون اسمه « نـكعنخ » ويحمل لقب مدير القصر، وحاكم المدن الجديدة والكاهن الأعظم للإِلهه « حتحور » وسمير الملك . ولا شك فى أن « وسركاف » كان محتاجـاً فى هـذا الظرف الخاص إلى أن يستميل إليه عظماء بلاده ، ولذلك منح « نـكعنخ » وظيفتين عظيمتين الأولى أنه نصبه كاهنا للإِلهة « حتحور » فى نفس بلدته ، وكذلك عينه كاهنا مشرفا على أوقاف «خنوكا » أحد عظماء البلاد وأشرافها فى عهد «منكاورع» وقد خصص لذلك أراضى شاسعة تبلغ مساحتها نحو ١٢٠ ستاتا (١) ومما يذكر أن « نـكعنخ » قد كان رب أسرة كبيرة يبلغ عدد أفرادها ١٣ شخصاً، وكتب وصيته بتقسيم هذه المنح الملـكية بينهم على أن يقوموا

(١) كل ستات واحد يساوى ٢/٣ فدان تقريباً

بالواجبات التى تتطلبها هاتان الوظيفتان ؛ وسنرى أهمية هذه الوصية عند الكلام على الأسرة فى عهد الأسرة الخامسة . وبعد تقسيم الضياع بين نسله نقش على قبره ما يأتى: لقد كان جلالة الملك « وسر كاف » ، الذى حبانى بأن أكون كاهنا للإلهة « حتحور » سيدة « قوص » ، وكان كل ما يجبى للمعبد كنت أنا الكاهن (الذى يتسلم) كل شىء يدخل للمعبد . والآن فأن أفراد أسرتى سيكونون من بعدى كهنة للإلهة « حتحور » سيدة « قوص » كما كنت ، وإنى سأذهب إلى الغرب الجميل رجلا محترما تاركا كل هذا فى ذمة خلفى من بعدى .

الملك سحورع

خلف « وسركاف » على عرش الملك « سحورع » ولا نعرف نسبته إليه بالضبط ؛ ويقال إنه أخوه ويعد من الملوك الحربيين إذ عثر له فى شبه جزيرة سينا على لوحة مثل فيها مرتديا تاج الوجه القبلى ويضرب الأسيويين . وكذلك وجد له نقش باسمه فى « توماس » ببلاد النوبة مما يدل على أن حدود بلاده لم تكن تنتهى عند الشلال الأول ، هذا إلى أن النقوش التى وجدت له فى معبد الشمس الذى أقامه (بأبى صير) تدل على أنه أرسل أسطولا إلى ساحل « فنيقية » . وفى أواخر حكمه ذكر لنا حجر بلرم أنه قام بحملة إلى بلاد بنت عادت منها حاملة ٨٠٠٠٠ مكيال من الروائح العطرية و٦٠٠٠ مكيال من الذهب ، ٢٦٠٠ عصا ربما كانت من الأبنوس .

نشاط « سحورع »

وأهم عمل قام به فى داخل البلاد هـو بناء معبد الشمس العظيم فى (أبى صير) بالقرب من منف ، ونموذج هذا المعبد كان المميز لمبانى معابد الملوك فى الأسرة الخامسة ؛ وكان مقاما بالقرب من هرم الفرعون ، وزين بأشكال العمد الجديدة التى سبق الكلام عنها .

نقوش الطبيب « نى عنخ سخمت» ومغزاه

ومن بين النقوش التى لها قيمة اجتماعيـة فى عهد هـذا الملك لوحة جنازية لرئيس أطباء الملك « نى عنخ سخمت » . وقبره فى سقارة ؛ ورغم أنه قبر متواضـع إلا أنه زين ببـاب وهمى من حجر طرة الأبيض . وقـد ذكـر الطبيب على هـذا البـاب الجميـل مـا يأتى معتزا : رئيس الأطباء « نى عنخ سخمت » يقول فى حضرة جلالته : ليت شخصك المحبوب من « رع » يأمر بأن أمنح بابا وهميا من الحجر لقبرى هذا الذى فى الجبانة . وقد أمر جلالته بأن يؤتى له ببابين من حجر طرة وأن يوضع فى قاعـة مجلس البيت المسمى « سحورع يضىء بالتيجان » ، وأن يعطيـا لـكاهنى منف العظيمين ، وصناع الجبانة وأن يقوم العمل لإعدادهـا فى حضرة جلالة الملك نفسه . وقد قام العمل فعلا كل يوم ، وكان يفحص ما أنجز يوميا فى البلاط . وبعد ذلك لونّهما جلالته ثم صقلهما باللون الأزرق.

وقال جلالته لرئيس الأطبـاء « نى عنخ سخمت » ما دام أننى سليم والإله تحبنى فإنى أتمنى لك أن تذهب إلى الجبانة بعد عمر طويل مقربا . وقد دعوت للملك كثيراً وصليت لـكل إله من أجل « سحورع » . وذلك لأنه يعرف كل رغبات أتباعه . على أن كل شىء يتفوه به جـلالته ينفـذ

لأن الإله وهبه معرفة الأشياء التى فى باطن الأنسان ، ولأنه مبجل أكثر من أى إله ، فإذا كنت تحب « رع » فعليك أن تدعو كل إله من أجل « سحورع » الذى فعل ذلك لى . ولقد كنت مقربا عنده ، هذا فضلا عن أنى لم أفعل أى شىء يضر بإنسان ما .

ولا غرابة فى أن نرى رئيس الأطباء يدون مثل هذا النقش على باب وهمى أهداه إليه الفرعون اعترافًا منه بالجميل ؛ ليدلل أولا على حظوته عند الملك ، وثانيا لأن تلك المحاجر كانت خاصة بالملوك ولم يكن فى مقدور الأفراد أن يقوموا بقطعها ، ونقلها منها ؛ وذلك لكثرة التكاليف . فكان الفرعون هو الذى يهب من يشاء من رجال دولته القطع اللازمة لأقامة مقابرهم ، وقد بقيت محاجر طرة وقفا على الملوك وأسرهم ومن هم فى ركابهم فقط . وربما كان « اسم الحجر السلطانى » الذى يطلق على أحجار طرة حتى الآن قد جاءنا من عهد الفراعنة . والظاهر أن الفرعون عند ما كان يهب عظماء دولته حجارة من هذه البقعة أو غيرها من المحاجر كان يأمر بكتابة اسم صاحب الأحجار بالمداد الأحمر بالخط الهيراطيقى على كل حجر يقطع ثم توزع على أصحابها فى الجبانة . وقد عثر على مقابر فيها أحجار قطعت من طرة ، منقوش على ظهرها اسم صاحب المقبرة . فقد وجدنا مثلا فى جبانة الجيزة أحجارا باسم « وب أم نفرت » صهر الملك « نوسر رع » وكذلك وجد اسم « رع ور » على كثير من أحجار مقبرته بالجيزة أيضًا وهو من عهد الملك « نفر إر كا رع » ثالث ملوك الأسرة الخامسة وهكذا .

محاجر طرة وأهميتها

وكذلك كانت أحجار معابد الملوك وأهرامهم تعلّم بالمداد الأحمر باسم الفرعون وباسم المكان الذى كانت ستوضع فيه ، وأحيانًا مقاييسها ، كما نشاهد بين الأحجار التى عثر عليها بجوار الهرم الأكبر وأهرام سقارة نفسها .

ولا يبعد أن تكون المناظر الحربية التى بين الأسيويين والمصريين التى على مقبرة « إنتا » فى دشاشة ترجع إلى عهد ذلك الملك الحربى . إذ فى هذه النقوش نشاهد المصريين يغزون مكانا فى آسيا يسمى « نديا » (لا يعرف موقعه) . والمناظر توضح لنا تماما أطوار الحرب المختلفة فى صور ساذجة ؛ فنرى أولا المصريين يحاربون الأسيويين محاربة القرن للقرن والرجل للرجل ثم ينتهى الأمر بانتصار المصريين . وعلى أثر ذلك يفر الأسيويون ويحتمون بقلعة « نديا » فيحاصرها المصريون محاصرة فنية منظمة ثم يتغلبون عليها فيثقبون جدرانها بوساطة خوابير مدببة من الخشب . ثم يستعملون سلاليم طويلة للهجوم النهائى على القلعة ؛ وبعد ذلك يقبل المنهزمون على رئيسهم فيخبروه بمصير القلعة فيشد شعر رأسه يأسا . وفى أثناء ذلك نشاهد النساء يحملن القتلى ويسعفن الجرحى . وبعد النصر النهائى نرى المصريين يقودون عددا كثيرا من الأسرى رجالا ونساء وأطفالا . ويحتمل جدا أن تكون هذه الجملة هى المذكورة على جدران المعبد الجنازى لهذا الملك فى أبو صير ومما يحملنا على هذا الظن أن حملة الملك هذه ضد آسيا لم توصف بالتفصيل ولم يمثل منها على جدران المعبد غير خروجها من مصر ورجوع الجيش منتصرا ؛ إذ نجد الفرعون على رسوم المعبد يتقبل غنائم الأسيويين

حروب « سحورع » مع الاسيويين

النساء تسعف الجرحى

وفى حضرته شخصيات عظيمة من رجال بلاطه كل ثلاثة يكونون جماعة، ومن بينهم جماعة من موظفى ضياع القصر الملكى عددهم ثلاثة أيضا ، وكذلك نجد فصائل من الجنود كل فصيلة تحمل شعارا خاصا مثل : « ما أجمل سحورع أمام الزينة » ؛ ومثل : « ما أعظم حب سحورع » .

الملك نفر اركارع (كاكاو)

تولى الملك بعد وفاة « سحورع » الملك « نفر إر كا رع » ، ولم تبق لنا الأيام من هرمه ومعبده الذى أقامه لنفسه فى أبى صير إلا بعض كتل منقوشة عليها ألقاب وأسماء بعض الموظفين المعاصرين له ، واسم معبده « مقر رع المحبب » . واسم الهرم « نفر إر كارع ظاهر » وتدل الآثار التى وجدت بعده على أنه كان ملكا محبيا لدى رجال بلاطه ، وأنه كان يعنى عناية خاصة بالمحافظة على معابد أجداده ، ويبذل الهبات للآلهة . وقد ذكر لنا حجر بلرم بعض هذه الهبات ، ومنها هبة عظيمة وقفت باسم التاسوع المقدس أطلق عليها اسم « نفر إر كا رع » المحبوب من التاسوع المقدس ، وأوقاف أخرى لأرواح عين شمس سماها « نفر إر كا رع محبوب أرواح عين شمس» ؛ وهذه الأوقاف كانت تحتوى على ٢٥١ س) أرورا [١] فى المقاطعة ١٤ من الوجه البحرى تحت إشراف كاهنين عظيمين

المحافظة على معابد أجداده ومعابد الآلهة

---

(١) الارورا نحو ثلثى فدان تقريبا ، واللفظة المصرية هى ستات كما سبق ذكر ذلك .

من كهنة عين شمس . وكذلك قدم للإ'له « رع » مذبحا وللإ'لهة « حتحور » مذبحا و ٢١٠ قرابين مقدسة و ٢٠٣ قرابين من الخبز والنبيذ . . . . وفلاحين تابعين لهذه الآلهة ، وقدم لها كذلك تمثالا من الذهب المخلوط بالفضة . كل ذلك كان فى السنة الأولى من حكمه ، وقد قرب قربانا أخرى ، وأوقافا غير أنه بكل أسف نجد الحجر هنا مكسورا .

ومما سبق يمكننا أن نلاحظ أن اهتمام الفرعون كان عظيما بآلهة عين شمس وتاسوعها والإ'لهة « حتحور » مما يؤكد لنا تماماً ميل هؤلاء الملوك إلى عبادة الشمس ومقرها بلدة عين شمس ، يضاف إلى ذلك أن عبادة الفرعون فى عهد الأسرة الخامسة كانت لها المكانة الأولى بعد الأ'له « رع » فلم يكن يحتفل بها فى معابد الملك فحسب ، بل كان يحتفل بها كذلك فى كل معابد الآلهة فى طول البلاد وعرضها حيث كان يقدم كما ذكرنا موائد قربان أو مذابح للإ'له « رع » وللإ'لهة « حتحور » والملك معاً .

ولقد بلغ من اهتمام هذا الفرعون بمعابد الآلهة أنه كان يصدر المراسيم لحكام جهات القطر بالمحافظة على حقوق المعابد ، وما لها من ضروب الأعفاء من الأعمال ، والميزات التى كانت تتمتع بها . ويعد هذا المرسوم أقدم وثيقة عثر عليها من هذا النوع إلى الآن وهو كما يأتى : حور أوزير كا و«نفر إر كا رع».

مرسوم ملكى لمنع السخرة عن أوقاف المعابد

مرسوم ملكى لرئيس الكهنة « حمور » . إنى لا أسمح لأى إنسان له السلطة أن يأخذ أى كاهن من الكهنة الذين فى المقاطعة التى أنت فيها لأى عمل فى المقاطعة تسخيرا أكثر من العمل الذى يقوم به للأ'له شخصيا

فى المعبد الذى هو فيه ، ويجب كذلك القيام بحسن المحافظة على المعابد بوساطة الكهنة القائمين فيها ؛ ولا يفرض عمل ما تسخيرا على حقل ما من حقول الإله المكلفة به كل الكهنة ، ولا يؤخذ لأية سخرة كانت فى المقاطعة ، فلاحون أيا كانوا من الذين فى أى حقل من حقول الإله المكلفة به كل الكهنة . وذلك لأنهم معفون لمدة الأبدية وذلك طبقا لمرسوم ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى « نفر إركارع » . ولا توجد أية وثيقة فى هذا الموضوع فى أية مصلحة .

وكل فرد من المقاطعة سيستولى على كهنة ممن فى حقل الإله المكلفين به فى هذه المقاطعة ويسخرهم فى المقاطعة . يجب عليك أن توجه إلى بيت زراعة المعبد حتى يشتغل فى كل أعمال التسخير الخاصة بمصلحة الحرث هذه فى هذا المعبد ، وهكذا مع كل فلاح فى حقل الإله .

وكل أمير من أمراء الجنوب أو كل موظف ، أو قريب للملك أو رئيس شرطة يعمل ضد تعليمات هذا المرسوم الذى اتخذ لقلعة « حور » ، وذلك بالتصرف فى ممتلكات الإله ، أو فى الرجال أو فى الممتلكات الأخرى أيا كانت مما يتملكها ، فإنه سيكون تحت طائلة أى تسخير من أعمال المقاطعة .

ختم فى حضرتى أنا الملك فى الشهر الثانى من فصل الصيف اليوم العاشر .

ورغم تعقيد هذا المرسوم فإننا نفهم منه جيدا أن الفرعون كان يعمل على معافاة رجال الدين وفلاحيهم الذين فى ضياع المعبد من القيام بأى عمل آخر فى المقاطعة مهما كان نوعه . وسنرى أن تعدد مثل هذا الإعفاء ،

واستقلال الكهنة بالأملاك التى كانت توقف على المعابد من الأسباب التى أدت إلى ضعف الفرعون فيما بعد وأدت إلى سقوط الدولة القديمة فى النهاية .

ومن أهم مظاهر عصر هذا الفرعون العظماء الذين عاشوا فى عهده ، وكانوا معه على أحسن حال من الود والصفاء المتبادل مما جعله مضرب الأمثال عندهم فى الرقة وحسن المعاملة ؛ ونخص بالذكر من بينهم أولا « رع ور » الذى كشفت الجامعة المصرية عن مقبرته عام سنة ١٩٢٩ بالقرب من أبى الهول من الجهة القبلية . وهذا القبر يعد أكبر مقبرة ظهرت فى الدولة القديمة إلى الآن . وكان « رع ور » هذا يحمل من ألقاب الدولة ما لا يقل عن ثلاثين لقبا ، منها أنه كان الكاهن لإلهة الوجه القبلى ، والكاهن لإلهة الوجه البحرى وأكبر كاهن فى الدولة ، والسمير الوحيد ، ومدير القصر ، ورئيس أسرار الملك . وكان له خدم وموظفون بنوا قبورهم داخل مقبرته أو حولها . أهمهم « مرسو عنخ » الذى كان مدير ماليته .

أهمية مقبرة «رع ور»

والواقع أن ما احتواه هذا القبر من الحجرات والتماثيل يكاد يضارع ما تفعله الملوك لنفسها إذ عثر فى قبره على مالا يقل عن ١٢٠ تمثالا معظمها هشمها الدهر والسرقة ، وعدد حجراته لا تقل عن ٥٠ حجرة ولا نزاع فى أن نفوذه كان عظيما فى البلاط الملكى ، ومقامه كبيرا عند الملك نفسه يؤيد ذلك القصة التى وجدناها منقوشة على الحجر الجيرى الصلب وقد نصبت فى واجهة جدار أحد سراديبه التى كان يوضع فيها تماثيله بمقبرته ؛ وتفصيل ذلك أن الملك كان يقوم بافتتاح احتفال عيد خاص بجر سفينة

قصة « رع ور » مع الملك

الوجه البحرى ، وكان « رع ور » فى ملابسه الرسمية وتصادف أن كان بجوار سيده فلطمت عصا الفرعون ساق « رع ور » عفوا . وعند ما لاحظ الملك ذلك ، ذعر واعتذر عما بدر منه نحو « رع ور » عن غير قصد . وقال له إنك أحب رجل عندى وأخص الناس بعطفى . ولكن الملك لم يكتف بذلك ؛ بل أراد أن يعترف له أمام الناس ، وأمام الخلف بمكانته عنده ؛ فأمر بتدوين الحادث بفصه ونصه على حجر ، وان يوضع فى قبر « رع ور » بجبانة الجيزة . وقد بقى هذا الأثر مختفيا عن العالم حتى كشف حديثا كما ذكرنا .

ولدينا وثيقة اخرى من عهد هذا الفرعون تدلنا على مقدار حنوه وتقديره لرجاله العاملين . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنها وجدت مهشمة ومشتتة ، إذ يوجد جزء منها فى « ابردين » والآخر فى متحف القاهرة ، والكل كان فى مقبرة بسقارة لكبير المهندسين المعماريين، ورئيس القضاة الوزير «وشبتاح» .

والواقع ان « وشبتاح » نفسه لم يقم هذا القبر بل الذى بناه هو ابنه ؛ وقد ذكر لنا السبب فى ذلك العمل الذى لم يجر عليه العرف كثيرا . ويتلخص فى أن « وشبتاح » كان رجلا مثقلا بأعباء الأعمال التى كانت تتطلبها مهنه المتعددة أمام ملك البلاد ؛ ومن أهمها أعمال العمارة التى كان يشرف عليها بنفسه ، واتفق أنه كان منهمكا فى بناء عمارة هامة ، وتصادف أن جاء الملك وأسرته ذات يوم لفحص هذه العمارة ومشاهدتها . وقد سروا سرورا عظيما بجمالها واعجبوا أيما إعجاب أكثر مما يتصور ولكن تأمل

فقد أثنى عليه جلالته من أجل هذا . غير أن الإجهاد الذى بذله هذا الوزير أضناه حتى سقط على غفلة مغشيا عليه ، وذلك عند ما كان الملك يتحدث إليه · وعلى أية حال فإن جلالته لاحظ أنه لا يصغى له فصاح قائلا إن « وشتاح » مريض (وإن كان ذلك لم يذكر فى المتن) وعند ما سمع أولاد الملك والأصدقاء الذين كانوا من رجال الحاشية استولى على قلوبهم الهلع أكثر مما يتصور .

وفى الحال حمل المهندس المعمارى المصاب إلى قصر الملك الخاص وعندئذ أحضر جلالته صندوق مخطوطات ، ولا ريب أنها كانت أوراق بردى طبية ، لأن جلالته جريا على التقاليد الموروثة منذ أقدم العصور، كان مغرما بالطب وعلومه ؛ ولكن لم يكن فى وسع أحد إسعافه لأن الحالة كانت على ما يظهر نزيفا فى المخ نتج عن الإجهاد فى العمل . وعندئذ تركه الملك بقلب محزون ليصلى عليه فى خلوته . وقد ذكروا أمام جلالته أنه مات . . . . ، وكان قلب جلالته فى شدة الحزن بدرجة لا مثيل لها ، وقال جلالته أنه سيفعل كل شىء حسب رغبة « وشبتاح » وعاد إلى حجرته الخاصة حيث صلى للإله « رع » . وعند ما جاءت النهاية ؛ أمر جلالته بأن يصنع له تابوت من خشب الأبنوس المرصع ، وهذا لم يصنع لواحد مثله من قبل . وكذلك أمر بتحنيطه أمام جلالته . أما الذى نقش هذا النص فهو ابنه الأكبر الذى كان يحمل لقب « الأول بعد الملك » ، و« محامى الناس » « مرنثر نسوت »

عنـد ما كان بقبره بالجبـانة . وقـد أمر الملك بأن تـكتب على قبره ، وقد دعا له (الابن) جلالته بسبب ذلك ، وشكر الإله كثيرا (أى الملك) .

وهناك قطعـة من النقش نفهم منها أن الملك لم ينس خادمـه المتوفى لأنـه حبـس على مقـبرة « وشبتـاح » أوقافا بالقرب من الهـرم المسمى « سحورع يضىء » .

حقا إن ما ذكرناه من النوادر فى حياة هذا الفرعون مع كبار رجال دولته لا يعد فى أعين الـكثيرين تاريخا إذ كان التاريخ فى نظرهم لا يعرف إلا بالأرقام والحقائق الجافة ، والمواقع الحربية ؛ ولـكن إذا نظرنا إلى هذه القصص من جهتها الأجتماعية والأنسانية ، وما نقف منها عن علاقة الانسان بأخيه الأنسان منذ أقدم عصور تاريخ الأنسان المتحضر اى منذ نحو ٤٠٠٠ سنة ، فإن ذلك يـكون له قيمة عظيمة فى نظر المؤرخ الحقيقى اكثر من آلاف التواريخ ومن كتب مليئة بالحقائق الجافة . ومن اهم مرامى التاريخ ان يوقفنا على عهود من سبقنا من أجدادنا وغيرهم ممن عاشوا منذ آلاف السنين بعيدين عنا ، وعلى علاقة بعضهم ببعض وحـال مجتمعهم ، وهـل كانوا مثلنا من دم ولحم يشعرون ويتألمون ، ويحبون ويخافون ويتعاطفون ويتراحمون عند ما تدعو الطبيعة إلى ذلك رغم الفوارق الأجتماعية ، وهل سيموتون فى النهاية كما نموت . ومن اجل ذلك فإنا نعتبر قص مثل هذه الذكريات التى نتصيدها من مجاهل المـاضى ، ونقتنصها من جوف أرض مصر مما يبرز لنا صورة واضحة للشعور الأنسانى المتبادل بين الملك ورجال

معنى التاريخ

شعبه العاملين فى هذه الأزمان السحيقة ، وبين أفراد الشعب . وفى اعتقادى أن مثل هذه الصور الحية تعد اثمن خلاصة للتاريخ البشرى . ولا عجب فإن « نفر إر كا رع » قد ضرب المثل الأعلى فى هـذا المضمار وبخاصة فى حسن المعاملة وطيب العلاقة بينه وبين كبار رجال دولتـه على مرأى من عامة الشعب فى واقعتين سجلهما التاريخ ، لم تـكونا من وقائع حروب تقتل فيها النفوس بل وقائع رحمة وإخاء تؤثر فيها الأرواح .

اخلاف « نفر إر كا رع »

وبعـد وفاة « نفر إر كا رع » تولى الملك ثلاثة من الفراعنة ، يظهر أنهم كانوا إخوة غير أننـا لا نعرف قرابتهم للفراعنة الثلاثة الذين سبقوهم ؛ على أن الاثنين الأولين وهما «شبسس كا رع» و«نفر ف رع» . لا نعرف عنهما شيئاً. أما ثالثهم وهو « نوسررع » فيظهر أنه كان شخصية هامة فى تاريخ الأسرة الخامسة ، وقد حكم نحو ٣٠ عاماً ؛ وقد عثر على معبده وهرمه فى أبى صير ووجد منقوشاً على معبده أقـدم رسم لاحتفال عيد « سد » الرسمى ، وهو العيد الذى كان يقيمه الفرعون ، إما عند بلوغه الثلاثين أو بعد حكمه ثلاثين عاماً ؛ وذلك ليعيد إلى نفسه الشباب والقـوة الحيوية . ولا يفوتنا أن نذكر أن من بين كهنة هرم هذا الملك الكاهن « تى » بسقارة وقـد عثر حديثاً على حجرة دفن ابنه ووجـد فيها بعض أشياء قيمة . ، ومقـبرة « تى » تمدنا بمعلومات قيمـة جـدا عن حيـاة هـذا العصر من الوجهـة الأجتماعية والدينية .

عيد «سد» ومعناه

مقبرة « تى » بسقارة

وتدل النقوش على أنه حارب فى شبه جزيرة سينا حيث ترك لنا لوحة

فى وادى مغارة يظهر فيها ممثلا وهو يضرب الأسيويين ، وقد نقش عليها مايأتى : « قاهر الأسيويين من كل الأقطار » . على حين أن معبد هرمه فى أبى صير كان محلى بالنقوش التى تشاهد عليها انتصاراته على اللوبيين والأعداء من سوريا .

حروب «نوسر رع»

وقد حفظت لنا النقوش اسماء اثنتين من زوجاته «ختى خوى » و« نبت » وكذلك نعرف اثنتين من بناته وهما « خع مرر نبتى » و« مرتاتس » .

ويعتقد بعض المؤرخين أن « فتاح ختب » مؤلف كتاب الحكم هو ابن « نوسررع » ولكن هذا الرأى لا يستند على اسانيد تاريخية ، بل الواقع أن هناك ما ينفى ذلك .

وقد كشف عن بعض نقوش من عهد هذا الملك فى مقابر رجال عظماء بلاطه ، تكشف لنا بعض نواحى خلقية للمصريين ، ومعاملتهم للموتى فمن بين هؤلاء « حتب حرى أخت » ، وكان قاضياً ونائب الملك فى « نخن » . وقد نقل هذا القبر إلى ليدن كغيره من قبور الدولة القديمة ، التى كانت مصلحة الآثار تبيعها بأبخس الأثمان لمتاحف العالم(١) .

والنقوش التى على قبر هذا العظيم تدل على سلامة القلب التى بها يغرى المارين على قبره ليعاملوه كما يحبون أن يعاملوا هم فيقول : لقد اقمت هذا القبر من متاعى الحقيقى ، ولم أستول على شىء للغير ، فالذين سيقدمون

---

(١) نقلت مبانى مقابر كاملة إلى لندن ، وباريس ، وبرلين وليدن ، وبروكسل وغيرها . كان بعضها يباع بعشرة جنيهات . وتحتوى على روائع الفن المصرى .

إلىّ قربانا فيه فإنى سأقوم نحوهم بالمثل وسأدع لهم الإله لذلك كثيرا جداً، وسأفعل ذلك لهم مقابل الخبز والجعة، والملابس والعطور والحبوب بكميات عظيمة.

خوف المصرى من نهب قبره بعد وفاته

بعد ذلك نرى أن « حتب حرى أخت » يظهر لنا تخوفه على قبره فيكشف لنا القناع عن ناحية أخرى من نواحى الخلق المصري فى معاملة مبانى موتاهم ، ومحتوياتها ومالها من الأوقاف . فنجده يرى لزاما عليه أن يعترف على نقوش مقبرته بأنه لم يسرق مقبرة أى إنسان ، وكذلك يحذر كل مار من التعدى على قبره ، أو أى شىء من محتوياته فيقول : لقد أقمت قبرى هذا على المنحدر الغربى فى مكان طاهر ، بكر (أى لم يستعمل من قبل) ؛ ولم يكن فيه قبر أى إنسان ، لأجل أن يحافظ على أملاك الذى قد رحلْ إلى قريته « السكا » . أما من جهة

تهديد المتوفى من يحاول الاضرار بقبره

دخول بعض الناس هذا القبر مدعين أنه عقار مأتمى لهم ، أو إحداث أى شىء ضار به فإنهم سيحاكمون من أجل ذلك أمام الإله العظيم ولقد شيدت هذا القبر لأنى رجل مبجل لدى الملك الذى أحضر لى تابوتا . ولعمرى فإن هذا المتن يدلنا دلالة واضحة عن مبلغ تخوف المصرى مدة حياته وما عساه أن يلحق بقبره بعد مماته ؛ لأنه كان يرى بعينه ما يحدث لقبور الغير ، وما كان عليه الخلق المصرى من هذه الناحية، ولقد بقى هذا الداء الدفين أهم ما يشكوا منه المصريون طوال تاريخ حياتهم ؛ وقد تفننوا فى الوصول إلى استئصال هذا الداء ، ولكنه كان يزداد كلما ازدادت ثروة البلاد ، كما سنرى فيما بعد .

الملك منكاوحر

جاء بعد « نوسررع » الفرعون « منكا وحر » ، وكل ما نعـرفه عنه أنه أرسل حملة إلى شبه جزيرة سينا غير أن نقوشها وجـدت مهشمة فى معظمهـا ، وما بقى منها هو : « حور منخو » ملك الوجـه القبلى ، والوجه البحرى « منكا وحر » معطى الحيـاة والثبـات . . . . . . ، ومما يؤسف له جد الأسف أن اسم القائد الذى كان على رأس هذه الحملة وجد ممحوا ، ولذلك لم نتمـكن من معرفة اسم أول قائد حملة فى التـاريخ المصرى إلى هذه الجهات ، تجاسر أن ينقش اسمه بجوار اسم الملك . وكانت هـذه الميزة وقفا على الفراعنة ولـكن بعد عهـد هـذا الملك أصبح القواد ينقشون أسماءهم بجانب اسم الملك على اللوحة التـذكارية التى كانت تقام فى هذه الجهات تخليدا لعملهم . ويوجد الآن فى متحف اللوفر نقش غائر للملك « منكا وحر » . عثر عليه فى إحدى جدران مدفن السرابيوم بسقارة ومن المحتمل جدا أنه اغتصب من معبد هذا الملك الذى اختفى الآن جملة ؛ والظاهر أنه لم يمكث على العرش أكثر من ثمانية أعوام .

إرسال حملة إلى شبه جزيرة « سينا »

الملك اسيسى

جاء بعـد « منـكا وحر » الملك « زد كا رع » (إسيسى) ولا نعرف صلة الرحم بينهما . والظاهر أن عصر « إسيسى » كان عصرا حافلا

بالأعمال العظيمة . فنى عهده أرسل المستشار الملكى « با ور دد » إلى بلاد بنت (الصومال) القاصية ومن هناك أحضر قزما من نوع نادر. وقد أدمج مع أقزام آخرين للقيام باحتفالات الرقص التى كانت تعمل للآلهة : وقد كان لهذا القزم الشرف كذلك بالرقص مع الأميرات ونساء القصر الملكى اللائى كن يقمن بوظائف الكاهنات فى المحراب الملكى .

الاقزام ووظيفتهم فى عهد الدولة القديمة

وعثر لهذا الملك فى شبه جزيرة سينا على ما لا يقل عن أربعة نقوش فى وادى مغارة . كتب على واحد منها « ابن الشمس » مما يدل على التوغل فى عبادة الشمس ، وأن هذا اللقب أخذ يكثر استعماله ، وأرسل كذلك حملة إلى بلاد النوبة كما يدل على ذلك النقش الذى وجد على صخرة « توماس » . ووجد كذلك نقش فى وادى حمامات عليه اسم هذا الملك . أما النقش الذى يلفت النظر لهذا الفرعون فقد وجد فى سينا وقد جاء فى مقدمته التاريخ كما كان يدون وقتها : السنة التى تتلو المرة الرابعة لتعداد كل الحيوان : الكبير والصغير عند ما جعل الإله الحجر الثمين يوجد فى المنجم السرى ـ الذى هو لوحة بخط الإله نفسه ، « حور زد خعو » ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى محبوب الإلهتين « زد خعو » ، و« حور الذهبى » . . . . عاش أبديا . بعثة ملكية قام بها ضابط البعثة « نى عنخ خنتى خت » إلى المرتفع الذى يسمى الدهنج (ملخيت) . ويعد هذا الضابط أول قائد حملة معروف لنا نقش اسمه بجوار اسم الملك . وقد ظن بعض المؤرخين أن الحجر الثمين الذى يشير إليه فى النقش هو حجر بلرم المشهور ولكن

حملة إلى سينا

هذا مجرد تخمين لا أساس له .

ومن الطريف أن « فتاح حتب » صاحب التعاليم المشهورة التى تعد أقدم ما وصل إلينا من حكم المصريين للآن ، كان مربى الملك « إسيسى » وقد أملى تعاليمه فى شيخوخته وذلك لإعداد ابنه ليتولى بعده وظيفته فى البلاط . وسنذكر هنا مقدمة هذه التعاليم لنبرز للقارىء السمو بالأسلوب المنمق لهذا الشيخ المسن ، والميل الخاص عند الموظف المصرى فى هذه العصور للمحافظة على توارث الوظيفة بقدر ما تسمح به الأحوال . هكذا تكلم إلى جلالة الملك « إسيسى » . قد حلت الشيخوخة ونزل هذيانها ، وامتلأت الأعضاء آلاما وظهرت حالة الشيخوخة كأنها شىء جديد ، وانمحت القوة أمام الهزال ، وصمت الفم فلم ينطق ، وغارت العينان وصمّت الآذان ، . . . .

مقدمة تعاليم « فتاح حتب »

والقلب كثير النسيان غير ذكر الأمس ، والعظام تتألم من كبر السن ، والأنف كتم وأصبح لا ينفس ، والقيام والقعود سيان كلاهما مؤلم ، والطب أصبح خبيثا ، وكل ذوق قد ولى . وما يفعله التقدم فى السن مع الإنسان هو أن يصير حاله سيئا فى كل شىء . فمرنى أن أصنع عكازا لكبر السن ، ودع ابنى يأخذ مكانى لأعلمه أحاديث من يسمعون ، وأفكار من سلفوا وهم الذين خدموا السلف فى الأزمان الخالية ، وليتهم يصنعون لك المثل حتى يتقى الشجار بين القوم ، ويخدمك شاطئى النهر (أرض مصر) فقال جلالته : علمه أولا الحديث . . . . وليته يكون مثالا لأولادى العظماء ، وليت الطاعة تكون رائده ، ويدرك كل فكره صواب من يتكلم

معه ، وليس هناك ولد يحرز الفهم من تلقاء نفسه .

حب الوظيفة قديم

ولا نزاع فى أن الملك « إسيسى » قد أجاب ملتمس « فتاح حتب » بعد كل هذه التوسلات ، والتضرعات المؤثرة ، وبذلك نال بغيته وسر؛ لأن الذى كان أعظم ما تصبوا إليه نفسه فى حياته ككل مصرى ، أن ينصب فى وظيفة حكومية يتقاضى منها مرتبا ضخما ويتيه بها على أقرانه الذين لم يسعدهم الحظ بمثل ما أسعده .

ومن عظماء رجال هذا العصر الجديرين بالذكر « سنزم إيب » ، وكان يشغل أعظم مناصب الدولة ؛ إذ كان وزيرا وكبير المعماريين ، وكبير القضاة . والواقع أنه كان أعظم رجل فى عهد هذا الفرعون . وقد دون على قبره القريب من هرم « خوفو » ما نالة من الحظوة فى بعصر مليكه ، منها خطاب كتبه بخط سيده . وسبب ذلك ان الملك طلب إلى « سنزم إيب » أن يعمل له تصميم بحيرة ؛ فقام هذا المهندس بعمل تصميم بحيرة يبلغ طولها ١٢٠٠ ذراعا ، فسر « إسيسى » من المشروع سرورا عظيما وأرسل له خطابا يظهر فيه ارتياحه وإعجابه بكبير مهندسيه فيقول « سنزم إيب » :

الملك يكتب بخطه لاحد عظماء دولته

إن جلالة الملك كتب بأصبعه نفسه ليثنى علىّ لأنى انجزت كل عمل أمر بعمله جلالته بغاية الأتقان والكمال كما يريد قلب الملك أن يفعل له ، وقد كتب له الملك : إن جلالتى قد اطلع على خطابك الذى أرسلته لتخبرنى وأن كل شىء قد تم من جهة المبنى الذى يسمى محبوبة من « إسيسى »وهو الذى بنى لأجل قصر « إسيسى » الذى يسمى «نهبت» ، وطولها ٣٠٠ ذراعا،

وعرضها ٢٢١ ذراعا حسب الأوامر التى أعطيتك إياها . . . . حقاً إنك « سنزم إيب » (فرح القلب) عندما أدخلت الفرح على قلب « إسيسى » .

وفى هذا الخطاب تورية بين اسم « سنزم إيب » وفرح قلب الفرعون.

وقد ذكر ابنه على مقبرة والده ، أن الملك قد خصص له أوقافا أبدية لأبنه « سنزم إيب » وأنه أمر باحضار تابوت له إلى مقبرته بالقرب من هرم « خوفو » . والظاهر أن عظماء هذا العصر كان كل ما يحرصون عليه أن يدون بعدهم على قبورهم ، التى كانوا يعتقدون ولو ظاهرا أنها أبدية ، ما كان ينالهم من الملوك من الحظوة ، وما قاموا به من جلائل الأعمال ، مع بعض المبالغة أحيانًا ، وهذه الوثائق تكاد تكون مصدرنا الوحيد لتاريخ البلاد . وقد مكث « إسيسى » ما يقرب من ٢٨ سنة على أريكة البلاد .

الاوقاف الملكية تخصص لرجال الدولة

الملك وناس

يعتبر وناس فى نظر التاريخ أنه آخر ملوك الأسرة الخامسة ، ومن أعظم ملوكها وقد بقى قابضا على صولجان الملك حوالى ثلاثين عاما تقريبًا، وتنحصر شهرته فى نظرنا فى هرمه الذى بناه فى سقاره وقد وجدت حجرة دفنه التى فيها تابوته ، منقوشة كل جدرانها بتعاويذ وصلوات دينية كان الغرض منها أن تحفظ المتوفى فى آخرته . وهذه هى أول مرة نجد حجرة الدفن فى الأهرام مكتوبة بمتون دينية ، وقد فتح « مسبرو »

العالم الفرنسى باب هذا الهرم ، وكذلك أبواب أهرام ملوك الأسرة السادسة، وهم « تيتى » و« بيبى الأول » و« مرن رع » « وبيبى الثانى » . وكلها فى منطقة سقارة ، وكان ذلك فى عام ١٨٨١ أى بعد وفاة مريت باشا مؤسس المتحف المصرى ، وهذه المتون المنقوشة فى حجر دفن هذه الأهرام متاشبهة وتحتوى على آلاف من الأسطر . وقد ترجمها « مسبرو » العالم الفرنسى . ثم أعاد ترجمة معظمها حديثاً العالم الألمانى زيته ؛ وتعد هذه المتون الآن الأساس الأكبر لمعرفة ديانة قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة.

متون الاهرام

ولما جاء عصر الدولة الوسطى وجدنا متونا مشابهة لها مكتوبة بالمداد الأسود على توابيت خشبية لعلية القوم . أما فى عصر الدولة الحديثة فقد وجدنا متونا أكثر نموا وأغزر مادة مكتوبة على ورق بردى كان يوضع مع المتوفى فى قبره ، ويسميها علماء الآثار الآن بكتاب الموتى ، وتقع فى أكثر من ١٢٠ فصلا . وكل هذه المتون فى العصور المختلفة ـ أصبحت مصدرا لا ينفذ لتعرف ديانة القوم ، وأساطيرهم الدينية . ورغم أن هذه المتون قد وجدت لأول مرة فى عهد الملك « وناس » إلا أنها تدل على أن أصلها يرجع إلى زمن سحيق فى القدم ، وربما ظهر ما يثبت ذلك فى المستقبل . (انظر ص ٢٥٧ - ٢٥٨)

كتاب الموتى

وفى العام الماضى كشف عن المعبد الجنازى لهذا الملك ثم عن جزء من الطريق الموصل لمعبد الوادى ، وفى الوقت نفسه كشف عن جزء من معبد الوادى ويظهر أنه أعظم مساحة مما كنا نتصوره . ومن المدهش أن الطريق

الذى يوصل بين المعبدين وجد بعض أجزاء مما كشف منه سليمة نوعا ما، وقد كشفت لنا عن صفحة جديدة فى تاريخ المعابد المصرية فى عهد الدولة القديمة ، ألقت شعاعا من النور على بعض الحقائق الجنازية والاجتماعية كانت مجهولة لدينا ؛ فقد وجدنا أولا أن هذا الطريق كان مبنيا بالحجر الجيرى الأبيض ، ومسقوفا كذلك بقطع ضخمة من نفس الحجر فيها منافذ لأضاءة الطريق ، وهذا السقف مزين بالنجوم لتمثل فيه السماء ، أما جانبا الطريق فقد نقشا بمناظر غاية فى الأتقان ، بعضها جنازى ، والبعض الآخر يمثل الحياة العامة ، وحياة البلاط . فنجد مثلا حاملى القربان يذهبون نحو الهرم ، والآلهة مختلفين يباركون الملك ، ونجد مناظر تمثل الملك ، وهو يتقبل القربان، وأخرى وهو يحارب الأعداء ويقتلهم ، كما نشاهد رجال البلاط آتين فى خضوع للملك كل يقدم طاعته ، بينما يصطف رجال الجيش أمامه كل يحمل لقبه ، وفى جهة أخرى نشاهد جنود الملك يقتلون الأعداء من البدو بحرابهم ومداهم ؛ وهناك نرى مناظر الزرع والحصاد ونباتات كل فصل ، وجنى الشهد وتوالد الحيوان ، وفى أحد المناظر نشاهد صيد حيوان الصحراء من كافة أنواع الغزلان والأسود من بينهما الزرافة التى لم يكن قد عثر على رسمها فى نقوش الدولة القديمة . كل هذا كان مهيأ لمنفعة الفرعون ، وكذلك نشاهد النيل وفيه كل أنواع الأسماك ، والحقول وما فيها من طيور . ثم نشاهد بعد ذلك مناظر قد عنى الفرعون بها خاصة ليظهر لأخلافه كيف كان يعنى بتشييد معبديه ؛ إذ نشاهد منظرا لبعض السفن المحملة

المناظر التى على طريق معبدى « وناس »

بالأعمدة الجرانيتية وقطع الكرانيش التى كانت تستعمل فى تشييد المعبد الجنازى ، وقد كتب عليها « أعمدة من الجرانيت أحضرت من أسوان ».

الجرانيت يجلب مصنوعا من محاجر اسوان

ومن المدهش أن هذه الرسوم تدل دلالة واضحة على أن هذه الأعمدة والكرانيش قد صنعت فى أسوان ثم وضعت على زحافات ، وربطت ، ثم وضعت فى السفن لتكون جاهزة لأقامتها فى أماكنها بمجرد وصولها ؛ أى أنه كان يوجد فى أسوان مدارس صناعات لهذا الغرض ، ولم يشهد التاريخ منظرا قبل هذا ولا بعده اللهم إلا مسلة الملكة « حتشبسوت » التى حملت من أسوان غير أنها لم تكن قد تم نقشها ، يضاف إلى ذلك أننا عثرنا على صور مراكب منقوشة على جدران هذا الطريق أعظم حجما من السفن النيلية ، وقد وجد فيها قوم أسيويون شبه أسرى، وهذه المراكب بلا شك آتية من بلاد سوريا مما يدل على العلاقة بين البلدين فى هذا العصر بل وسيطرة مصر عليها بعض الشيء . وآخر منظر كشفنا عنه هو منظر للسوق المصرى، وتبادل السلع وصنع الذهب ووزنه . وقد كشف حديثاً عن مقبرة زوجته «نبت» ، ومقبرة لأحد أولاده المسمى «وناس عنخ»

العلاقة بين مصر وسوريا

ظهور عبادة الإله « رع » فى الأسرة الخامسة

لاحظنا أنه منذ عهد الفرعون «شبسسكاف» قامت نهضة لمقاومة عبادة إله الشمس « رع » الذى أخذ فى النهوض والظهور منذ أواسط الأسرة الرابعة؛ ولكن تدل الأحوال على أن نجم هذا الإله أخذ يعلو فى عهد الأسرة

الخامسة ثانية ، وأخذت عبادته تنتشر حتى أصبحت عبادة الدولة الرسميـة.

سيادة عبادة « رع » فى الاسرة الخامسة

على أن إله الشمس « رع » الذى يحكم العالم لم يـكن يعبد فى مصر من قبل إلا عند ما كان يمثل فى الإله « آتوم» معبود بلدة عين شمس المحلى ، ولكن مصر قد أصبحت الآن أمة عظيمة متحضرة تعتقد فى نفسها أنها مركز العالم ، وأن أمم المعمورة الأخرى ليس لها أية أهميـة . وقد كان كل هم الإله « رع » حاكم العالم أن يهتم بالبلاد المصرية وفرعونها . وقـد أخـذ الآن يحل محل الإله « حور » فأصبح إله الدولة والمسيطر على كل البلاد، وصارت الآلهة المحليـة للمقاطعات كلها دونه وتحت سلطانه ،كما كانت حـكام المقاطعات تدين لسلطان الفرعون و إرادته ؛ وقد أدى ذلك إلى القيام بواجب جديد نحـوه كان لا بد للفرعون وشعبه من القيام به . وهو أن يعترفـوا بفضل الإله « رع » وأن يظهروا هذا ببناء المعابد وتقديم القرابين . وقـد كان أول من ضرب المثل لذلك كما ذكرنا الفرعون « وسركاف » ثم قفاه فى هذا السبيل من خلفه . وبعد ذلك أحدث الفرعون « كاكاى » ثالث ملوك الأسرة الخامسة نظامًا جديداً نحو تمجيد إله الشمس والاعتراف به ، وذلك أنه أضاف لاسمه الملـكى اسم « نفر إركا رع » ومنه نلاحظ أنه أراد أن يكسب لنفسه صفة من صفات الإله « رع » ـ « جمال قرين رع » ، وقد أصبح هذا الاسم هو الذى يذكر فى كل نقوشه تقريبًا . وقد حذا حذوه كل أخـلافه دون استثناء فى خلال هـذه الأسرة . ولا يخفى أنه منـذ الأسرة الرابعة كان يسمى الفرعون « ابن الشمس » وذلك طبعا فى أحوال

تمجيد الآله «رع» فى عهد الفرعون « كاكاى »

شيوع استعمال لقب « ابن الشمس »

فردية . غير أن هذه التسمية أصبحت أكثر استعمالا فى عهد الأسرة الخامسة ؛ ولكن فى خلال الدولة الوسطى منذ عهد الأسرة الأهناسية والأسرة الحادية عشرة أخذ هذا اللقب يدخل تدريجا فى السجلات الملكية. ولقد شاهدنا الفرعون « نوسررع » عندما أهدى معبده للإله « رع » ، لم يذكر بالتخصيص أن الإله « رع » هو والده كما كان الحال مع الفراعنة الذين جاءوا فيما بعد ، ولم ينسوا أن يذكروا ذلك . ولكن من جهة أخرى نشاهد أن كل فرعون كان بمجزد اعتلائه عرش الملك يقوم فى الحال بإقامة معبد جديد للشمس وذلك مما يدل على أنه كانت هناك علاقة شخصية تربط الفرعون بالإله « رع » . والواقع أن الديانة فى عهد الأسرة الجديدة كان ينظر إليها نظرة مخالفة لما كانت عليه من قبل ، إذ كان أهم واجب على الفرعون أن يسهر على العناية بتمجيدها . ولا أدل على ذلك من المرسوم الذى أصدره الملك « نفر إركارع » وحفظ فى العرابة ، وهذا المرسوم خاص بكل الدولة وفيه كما ذكرنا آنفا يحرم الفرعون فرض أى سخرة على الكهنة وفلاحى أى معبد ، أو أن ينتزعوا شيئا من الضياع التابعة للمعابد ؛ ولا نزاع فى أن قصة ورقة « وستكار » خرافة ؛ ولكن إذا كانت تجعل ولادة ثلاثة الملوك الأول من الأسرة الخامسة من زوجة كاهن للإله « رع » ، وإذا كان « رع » نفسه قد أنجبهم حتى يعتلوا عرش ملك مصر ، ويبنوا المعابد للإله ويقربوا الضحايا ، ويغذوا موا القربان بالخيرات التى منها يشرب الإله ، ويحبسوا عليها الأوقاف الطائلة ،

محتويات ورقة «وستكار» ترتكز على أصل تاريخى

لا نشك فى أن هذه القصة تعتمد على أصل تاريخى ، هذا إلى أن
الملك « وسركاف » كما ذكرنا فى حينه كان كاهنا أعظم للإله « رع »
فى عين شمس قبل تولية العرش .

والحق أن العبادة الجديدة قد نشأت فى هذه المدينة ، ومنها خرجت
عبادة « رع » وأصبحت مهد الحياة الدينية فى كل جهات القطر . وكان
مثل معابد الإله « رع » فى الأسرة الخامسة مثل الأهرام تقام على
حافة الهضبة الصحراوية الغربية خلف المدن الملكية فى منطقة « منف » .
وترتيب بناء هذه المعابد فى مجموعه يذكرنا بالتصميم الذى كان متبعا فى
المعابد الجنازية فى عهد الأسرة الرابعة . فكان يخرج من المقر الفرعونى
طريق منحدر بعض الشىء ينتهى فى طرفيه بأروقة توصل إلى المعبد نفسه
وهو مقام على تلعة ممهدة رقعتها ومثبتة بالأتربة المنقولة ، وكانت تقام فى
وسط ردهة عظيمة غير مسقوفة مسلة ضخمة يبلغ ارتفاعها نحو ٦٠ مترا
على قاعدة تشبه فم الخياط ، وهذه المسلة كانت مبنية من كتل من الحجر
الجيرى المرصوص بعضه فوق بعض . وأمام هذه المسلة كانت تقام مائدة
قربان أو مذبح عظيم الحجم منفرد من المرمر ، وعلى جوانب هذه الردهة
كانت توجد مخازن المعبد . وطراز هذا الهيكل يختلف عن كل المعابد
المصرية ، إذ لا يحتوى على أى تمثال لإله ، ولذلك لم يكن فيه أى
« ناووس » أو محراب للتعبد ، وذلك لأن الإله الذى كان يعبد فيه
لم يكن مقره على الأرض ، ولم يتقمص أى حيوان ، أو تمثال . ولكنه

معبد الشمس يختلف عن كل المعابد

يسطع فى السماء كل يوم بكل جلاله وبهائه ، أما المسلة التى يحتمل أنها كانت فى الأصل قطعة حجر منصوبة ، فليست إلا رمزاً قديماً لعبادة الشمس القديمة . ومن ملحقات هذا الهيكل سفينتا الشمس وهما اللتان يسبح عليهما الإله فى السماء . ، وقد كشفت سفن من هذا النوع منذ الأسر الأولى . ففى معبد « خفرع » كشفت اثنتان للشمس واحدة للسباحة من الشرق للغرب وأخرى من الغرب للشرق . والثانية مغطاة بالأحجار لأنها تسبح ليلا ومفروض أنها لا ترى . وكذلك كشف فى العام الماضى عن سفينتين لمعبد الملك « خوفو » ويبلغ طول الواحدة منهما أكثر من خمسين متراً كما سبق الكلام عن ذلك ، مما يدل على أن عبادة الشمس كانت شائعة فى الأسرة الرابعة تماما . والطريق المنحدر الذى يبتدىء من المقر الملكى عبارة عن طريق مغطى ينتهى عند المرتفع ذى القاعدة المكعبة . ومن هذا المكان يخرج الفرعون من الظلمات إلى نور النهار ، محييا الإله الذى يبزغ من الشرق منذ مطلع الفجر ومعه جم غفير من القوم يحملون أمامه القربان إلى المائدة .

سفن الشمس

النقوش التى على جدران المعبد

وفى هيكل الفرعون « نوسررع » نجد على جدران دهليز معبده ، وعلى جدران حجرة متصلة به نقوشا بارزة ذات جمال خارق لحد المألوف ، وهى تمثل إما احتفال تأسيس الهيكل والعيد الثلاثينى ، أو تمثل نشاط إله الشمس الخالق ما على سطح الأرض مثل حياة النبات ، ودنيا الحيوان وذلك فى خلال فصول السنة الثلاثة . وقد عثر فى العام الماضى على مثل

هذا المنظر فى طريق معبد الملك « وناس » فى سقارة ؛ ومن ذلك يتضح لنا أن هياكل الشمس هذه لم تبن عبثا ، بل لتحقيق فكرة دينية عظيمة ؛ ولا شك فى أن هذه الفكرة قد استعير بعضها من المبانى التى سبقتها لتعبر عن عناصر قديمة . فمثلا نجد أن هذه الأروقة ، والدهليز هى نفسها التى توجد فى المعابد الجنازية للأهرام . أما مناظر الفصول فقد كانت بلا نزاع على جدران معابد الأهرام كذلك ، ولكن لم يعثر عليها لأن كل مبانى معابد الأسرة الرابعة قد اندثرت ، ولم يبق منها إلا أشياء طفيفة جدا . وحقيقة كانت فكرة هذه الهياكل وتصميمها فذة وليس لها نظير فى المبانى الدينية فى كل عصور التاريخ المصرى .

الفرق بين عبادة «رع» وعبادة «آتون» فى عهد اخناتون

ولكن إذا نظرنا إلى ظواهر الأمور وجدنا أن عبادة « رع » التى أدخلها ملوك الأسرة الخامسة قد أضافت إلها جديدا للآلهة القديمة فحسب ، وذلك لأن الفراعنة كانوا يحتفلون بعبادة الآلهة الآخرين بنفس الحماس الذى أظهروه « لرع » فكانوا يحبسون عليها القرابين والأراضى كما كانوا يفعلون للإله الجديد ؛ وقد كان يعبد كذلك فى هياكل « رع » مثيل له قد اختلط معه فيما بعد وأعنى بذلك إله النور الذى يطلق عليه « حور الأفق » (حور أختى) ، وكذلك إلهة السماء « حتحور » ، وقد كان هذا هو الفارق الرئيسى بين عبادة « رع » فى هذا العصر ، وبين عبادة « إخناتون » التى أسست فيما بعد . ومع كل ذلك فإنه يجب أن نتعرف فى نفس عبادة « رع » خاصيات تجعلها

مغايرة تماما لعبادة الآلهة الأخرى . وذلك أن فى عبادة « رع » عنصرا خارقا للطبيعة ، أى أن هناك فكرة عالية عن اللاهوت ظهرت فى حياة المصريين . هذا إلى أنه فى الوقت نفسه نجد أن فكرة الملكية المقدسة التى فرضت على الشعب فى عهد الأسرة الرابعة وجدت ما يناهضها فى عبادة « رع » . فإذا كان واجب الفرعون منذ اعتلائه عرش الملك فى عهد الأسرة الرابعة هو إقامة مقبرة ضخمة ؛ فإنه منذ الاسرة الخامسة أصبح عليه واجب آخر لا يقل عن الأول فى صعوبته وخطورته وذلك هو بناء هيكل جديد لعبادة إله الشمس . على أن تأثير هذه الفكرة الجديدة يمكن ملاحظته تماما عند ما بدأ آخر ملكين من ملوك هذه الأسرة يتنحيان عن بناء معابد جديدة للإله « رع » . ومنذ ذلك العهد أخذت عبادة « رع » تتضاءل كما سنرى أمام عبادة الآلهة الأخرى (وبخاصة الإله فتاح) . وهى الآلهة التى كانت عبادتها راسخة فى ضمائر عامة الشعب .

مناهضة عبادة «رع» لعبادة الملك

وليس شك فى أن هؤلاء الآلهة قد خضعوا لنفوذ الإله « رع » خلال الأسرة الخامسة كما خضعوا من قبل لعبادة الإله « آتوم » فى عين شمس ، وكان رجال علماء الدين ، والمهذبون من أفراد الشعب يعتقدون أن الآلهة المحلية ليس لها أى نفوذ أو سلطان إلا لأنها مظهر من مظاهر الإله « رع » . أما الآلهات فكانت فى اعتقادهم آلهات السماء ؛ أو بعبارة أخرى أمهات للشمس . ، وكذلك كان الحال فى فكرة الملكية : فإذا كان الملك يعتبر أنه ابن ملك العالم « الشمس » فإننا نجد سلطانه من هذه الناحية يزداد ؛

بداية تضاؤل عبادة الشمس

ولكن من جهة أخرى نجد شخصيته أصبحت خاضعة لفكرة دينية أكثر سموا ، فلم يصبح موقف الفرعون متساويا مع والده « رع » فى أنهما يستمدان حقوقهما من مصدر واحد ، (وهذا كان فى الواقع موقف الملك بين الآلهة إذ كان يعتبر « حور » الحى المتربع على العرش) ؛ بل إن الفرعون أعلن على العكس طاعته وخضوعه وتنفيذه لإرادة والده « رع » وهذا هو السر فى أنه لم يعد يطلق عليه اسم « الإله العظيم » فيما بعد كما كان ينادى فى عهد الدوله القديمة ، بل أصبح لا ينادى إلا بلقب « الإله الطيب » .

الملك يعتبر ابن «رع»

الأسرة السادسة

لم تكشف لنا الآثار للآن عن أصل قيام الأسرة السادسة والظاهر أن ملوكها قد تولوا حكم البلاد من غير شبوب ثورات أو قيام خلاف كبير. وقد ظل فراعنتها على عرش الملك ما يقرب من قرنين من الزمان .

ويظن أن مؤسسها هو الملك « سحتب تاوى تيتى » ولا نعرف عن حكمه إلا الشىء القليل .

وقد علمنا التاريخ فى كل العصور أن كل مؤسس جديد لا بد أن يكون رجلا ذا بطش وقوة ، ولكن قناع الوجه الذى عثر عليه الأثرى

« كويبل » بالقرب من معبد هرم « تيتى » فى سقارة تدل ملامحه على أن ذلك الملك كان رجلا ناعم الخلق رقيق العاطفة إذا صح أن هذا القناع قد عمل شبيها لوجهه لا لإنسان آخر .

ويعزو المؤرخ مانيتون أصل هذه الأسرة إلى منف وربما كان محقا فى ذلك بعض الشىء لأن الأسرة الخامسة كانت كل ميول ملوكها متجهة نحو عباده عين شمس (الإله رع) أما ميول ملوك الأسرة السادسة الدينية فكانت تتجه إلى عبادة الإله فتاح فى منف .

وقد وصلت إلينا وثيقتان صادرتان عن كبير كهنة الإله فتاح فى منف وهما تدلان على أن الملك « تيتى » كان متجها بميوله إلى تنظيم كهنوت « فتاح » وقام فعلا بإصلاحات وتغييرات هامة فى نظام كلية الكهنة ، على حين أنه توجد كذلك لوحة فى المتحف البريطانى نقشت عليها قصيدة من هذا العصر نسب فيها أصل كل ما ظهر وما خفى إلى الإله فتاح الإله الواحد الخالق لكل شىء وكذلك عثر فى سقارة على مقبرة لكاهن أعظم للإله فتاح فى عهد الملك وناس اسمه « سابو ابيبى » وقد أخبرنا فى نقوشه أنه خدم فى عهد وناس « ثم أصبح اليوم فى حضرة ابن الشمس تيتى » عاش أبديا ، كاهنا أكبر لفتاح ، ومحترما من الملك أكثر من أى خادم آخر . . . . . وكاهن « فتاح » الأكبر وحامل كأس الملك ، ورئيس الأمور السرية للملك فى كل مكان.

ظهور عبادة « فتاح »

ومن هذا يتضح أن الكاهن الأكبر للإله فتاح فى العهد الجديد كانت له مكانة ممتازة قريبة من الملك ، كان لا يمكن أن يصل إليها

عند ما كان نفوذ عين شمس سائرا فى البلاد . هذا إلى أنه عثر على تمثال الملك « تيتى » نقش عليه : « محبوب فتاح » .

على أنه فى استطاعتنا أن نستنتج من كل ذلك احتمال قيام حركة رجعية ضد سيطرة بلدة عين شمس ومحبذة لمناصرة مناظرتها منف مقر « فتاح » .

ومما يؤسف له جد الأسف أن هرم « تيتى » قد نهبته اللصوص إذ حرقوا كل ما فى طريقهم إلى حجرة الدفن وهشموا الحواجز الجرانيتية .

نقوش هرم «تيتى»

وقد نقش على جدران حجرة الدفن سلسلة نقوش ، كثير منها مطابق لما وجد فى هرم « وناس » . وهذه النقوش قد كتبت بحروف وإشارات أصغر حجما من التى وجدت فى هرم « وناس » . ولم يفلت من يد اللصوص من جسم الملك إلا ذراع وكتف . وقد ذكر لنا مانيتون أن هذا الملك قد قتله الحراس ، ولكن ليس لدينا ما يثبت ذلك اللهم إلا أن الملوك الذين أتوا بعده لم يمكثوا على عرش الملك إلا فترة قصيرة وربما كان سبب ذلك عدم استتباب الأمن كما يحدث عادة عند قيام عصيان فى الجيش أو ثورات داخلية .

بداية حياة العظيم « ونى »

وفى عهد تيتى بدأ « ونى » حياته وهو يعد من أكبر الموظفين المصريين فى هذا العصر وقد عاش فى عهد عدة ملوك . وقد دفن فى العرابة وترك لنا هناك على أحد جدران مقبرته أطول نقش عن حياة شخص ، ويعد أهم وثيقة تاريخية وصلت إلينا من الدولة القديمة . على أن ما وصل إليه من علو المكانة قد بلغه فى عهد الملوك الذين سيأتى ذكرهم بعد ، إذ وصل

إلى رتبة أمير وحاكم الجنوب وتشريفى ، ونائب الملك فى « نخن » وسيد « نخب » والسمير الوحيد.

بداية حياة « ونى »

وقد حدثنا « ونى » عن نفسه فى عهد « تيتى » قائلا : كنت طفلا لا يزال متمنطقا الحزام فى عهد الملك « تيتى » ، وقد كانت وظيفتى مدير بيت الزراعة ، وكنت أشغل وظيفة مدير ضياع القصر الملكى .

«وسركارع» أحد الملوك النكرات

وقد تلا حكم « تيتى » عصر غامض ربما كان سببه الاضطراب الذى حدث بعد قتله إذا صدقنا « مانيتون » ، وكل ما نعلمه عن هذه الفترة أن قائمة الملوك بالعرابة ذكرت لنا اسم ملك خلف « تيتى » لا نعرف عنه شيئاً مطلقا وهو « وسركارع » . على أننا من جهة أخرى عثرنا على نقش من هذا العصر فى وادى حمامات لملك يدعى « إتى » . وقد جاء فيه أن موظفا اسمه « فتاح ان كاو » جاء إلى هذه الجهة ومعه ٢٠٠ من الرماة و ٢٠٠ من الحجاريين ليقطعوا أحجارا لهرم الملك « إتى » . وقد ظن بعض المؤرخين أن « وسركارع و « إتى » ، اسم لملك واحد . ولا نعلم عدد سنى حكم هذا الملك . ويحتمل أنه لم يخلف « تيتى » إذ لم يذكره لنا « ونى » ضمن الملوك الذين عاش فى عهدهم وبخاصة أنه ذكرهم لنا بالترتيب التاريخى وربما كان عدم ذكره لسبب لا نعرفه .

الملك « اتى »

الملك بيبى الأول

ظهر بعد هذا الغموض على عرش البلاد ملك فتى يدعى « بيبى » وقد ظل قابضا على زمام الأمور فى البلاد بقوة وعزم نحو نصف قـرن من الزمان. وهو يعد بحق من أكبر الفراعنة الذين قبضوا على ناصية الحال فى مصر فى كل عصور تاريخها بحزم ونشاط . حقا أنه لم يترك لنا وثائق تدل على أعماله مثل « رعمسيس الثانى » أو « أحمس الأول » ، اللهم إلا نقوش « ونى » ولكنا نستعيض عن ذلك بالآثار التى تركها ونقوش المحاجر والتحف التى خلفها وعظماء الرجال الذين عاشوا فى عصره مما يلقى بعض الضوء على عهده وما حدث فيه من جليل الأعمال ، والظاهر أنه كان محببا إلى أفراد رعيته إذ تسمى الكثير منهم باسمه وربما كان يشبه فى ذلك « تحتمس الثالث » و إن كان وجه الشبه هنا ضئيلا لبعد ما بينهما من الزمن ، ولكن رغم كل هذا فإن دلائل الأمور تنبئ بأن بيبى كان محببا فى أعين شعبه وأنه كان الفرعون النابه بين ملوك أسرته .

تمثال «بيبى» أجمل قطعة فنية فى عصره

وقد عثر له على تمثال آية فى دقـة الصنع من النحاس ولا نكون مبالغين إذا قرنا أن دقة صنع هذا التمثال وقربه من الحقيقـة تفوق كل ما صنع قبله من التماثيل حتى التى عثر عليها لخفرع . و «منكاورع» . وهو يعد بلا نزاع من أعظم الكنوز التى عثر عليها علماء الآثار فى عصرنا الحالى وقد كشفه الأثرى « كويبل » ومعه تمثال آخر صغير من نفس المعدن ،

عند ما كان يحفر فى بلدة هيراكنبوليس (الكاب) . والظاهر أن التمثالين منسوبان لشخص واحد وقد ظن بعض علماء الآثار أنهما يمثلان « بيبي الأول» نفسه وابنه الأمير « مرن رع » الذى خلف والده مباشرة أو يمثل الأمير «نفر كارع بيبي الثانى»، ولكن الأستاذ «فلندرز بترى» يعتبر أن التمثالين هما للملك بيبي نفسه ، وذلك ليترك الخيار لقرينه أن يلبس جسم الملك فى حداثة سنه أو فى كهولته .

ويظن بعض المؤرخين أن « بيبي » هو ابن الملك « إتى » وبخاصة إذا علمنا أن الملكة « أبوت » أم بيبي لم تكن زوج «تيتى» ولكن كل ذلك من ضروب التخمين المقبول شكلا ؛ ويمكننا أن نستدل بعض الشىء على نشاط هذا الفرعون خلال حكمه الطويل من المبانى التى أقامها أو التى أصلحها فى طول البلاد وعرضها . ولا نزاع فى أن مبانى « بيبي » الأصلية قد اختفت بسبب إعادة بنائها فى العصور التى تلت ، ولكن على الرغم من ذلك نجد بعض بقايا من آثاره لا تزال موجودة . إذ عثر له فى تانيس وتل بسطة والعرابة ودندرة وقفط على آثار منقوش عليها اسمه . هذا إلى أنه خلف نقوشا على الصخور حتى إقليم بلاد النوبة السفلية .

مخلفات «بيبي» الأثرية

والظاهر أن « بيبي » لم يكن موفقا فى داخلية بيته إذ نجد إشارة فى نقوش « ونى » إلى أن الملك أمر بمحاكمة زوجته « إمتس » أمام محكمة شكلت خاصة لهذا الغرض ، ولكن لا نعلم شيئًا خلاف هذه الإشارة ، وقد تركنا التاريخ فى ظلام حالك عن سبب هذه المحاكمة وكنه الجريمة التى

مؤامرة نسائية ضد الملك فى القصر

ارتكبها ، ولا يبعد أنها أرادت أن تتآمر على الملك غيرة منها عند ما رأت أنه تزوج من اثنتين غيرها كل منهما باسم « مرى رع عنخس » . وعلى أية حال فإنا سنظل نجهل السر أبديا أو نعثر على أثر يكشف القناع عن هذا السر الغامض .

وقد كان المكلف بهذه المحاكمة كما ذكرت « ونى » وقد لمح لها فى نقوشه بكل حذق ومهارة دون أن يحكم على الملكة بالبراءة أو الإجرام ، وبعد ذلك لم نسمع عنها فى النقوش شرا ولا خيرا ؛ أما زوجتا الملك الأخريين فإنهما كانتا أختين وقد كانتا كذلك سيدتين عظيمتين من نسل أمير وراثى وحاكم ، وكاهن اسمه « خوى » وزوجته « نبت » . والظاهر أن أملاك أسرتهم كانت فى العرابة المدفونة . وقد رزق من كل منهما بوارث للملك . ولا غرابة إذا كنا نجد شقيق هاتين الملكتين الذى ينسب إلى أسرة أمراء بالوراثة قد أثرى ثراء عظيما وأصبح يحمل من ألقاب الدولة أعظمها فكان يحمل « زاو » شقيق الملكتين لقب الحاكم ، وكبير القضاة ، ووزير ورئيس الملابس الملكية ، وحافظ خاتم الفرعون ، وغير ذلك من الألقاب فى عهد ابن اخته الصغير « بيبى الثانى » . ولما كان « زاو » هذا مدينا لأختيه بالرقى والحظوة التى نالها فإنه أراد أن يعترف لهما بالجميل وقد نحا فى ذلك نحو الطريقة المصرية البحتة ، وذلك بإقامة لوحة فى العرابة أشاد فى نقوشها بذكرهما إذ جاء فيها ما يأتى : زوجة الملك ، التابعة للهرم المسمى « مرى رع يبق جميلا » ، المحبوبة جدا ، المحظوظة جدا ، عظيمة الممتلكات ،

« بيبى » تزوج من أختين

الامير «زاو» وألقابه

رفيقة« حور»(الملك) أم الملك ، وقد كان «مرن رع» هو ابن الملكة «مرى رع عنخس الأولى » أما «مرن رع الثانية» فهى التى أنجبت الملك بيبى الثانى « نفر كا رع » الذى عاش طويلا حتى ناهز المائة وجلس على العرش ما لا يقل عن ٩٤ عاما . وقد ظن بعض المؤرخين أن « مرى رع عنخس الأولى » قد توفيت بعد الوضع مباشرة ولذلك تزوج « بيبى الأول » أختها « مرى رع عنخس الثانية » وقد يكون ذلك صحيحا ، كما أنه لا غرابة فى خلق ملوك المصريين أن يجمعوا بين الأختين . وقد بنى « بيبى » لنفسه هرما فى سقارة وأطلق عليه اسم « الحسن التأسيس » وهو أكبر من هرم « وناس » ومن هرم « تيتى » . وقد نقشت على جدران حجرة الدفن الداخلية متون مماثلة لما فى هرمى « وناس » و« تيتى » وكتابته أقل حجما من كتابة هرم « تيتى » ، ويمتاز هذا الهرم بالتفنن فى إخفاء حجرة الدفن والعناية بوضع العقبات فى طريق الوصول إليها ؛ ولكن رغم كل التحفظات التى بذلت فى هذا السبيل فإن اللصوص نفذوا إلى مكان التابوت المصنوع من حجر البازلت وهشموه ومزقوا جثة هذا الفرعون العظيم ، هذا فضلا عن أنهم أزالوا كل خرطوش ملكى فى الممر المؤدى إلى حجرة الدفن ؛ ومن المحتمل أن هذا التخريب البالغ قد حدث فى نهاية هذه الأسرة فى الفترة التى كانت الثورة متأججة فى البلاد بدرجة أن ذكرى « بيبى » وعظمته لم تقللا من حدتها عند الثوار . غير أن عمل الثوار هذا قد كشف لنا عن طريقة إقامة هذا الهرم ؛ إذ نجد جدران جسم الهرم من قشور الحجر الأبيض محشوة بقطع صغيرة

مميزات هرم « بيبى »

من شظايا الجير ، بدلاً من الكتل الحجرية التى بنيت بها أهرام الجيزة العظيمة كلها ، ومن ذلك نعلم أن القصد من بناء الهرم بهذه الكيفية أن يكون ظاهره جميلا ولا يهم حشوه بعد ذلك من الداخل ، وتلك لعمري إحدى علامات الضعف التى أخذت تدب فى نواحى المرافق العامة فى البلاد رغم قوتها الظاهرة وعظمتها .

إحدى علامات الضعف فى الاسرة السادسة

وتدل الآثار التى كشف عنها حديثا على أن أشراف البلاد وعظماءها أخذ نفوذهم يزداد تدريجا وينالون الحظوة لدى الفرعون ولم يكن لديهم وسيلة لأظهار سلطانهم وحظوتهم للخلف إلا بتدوينها على مقابرهم التى كانوا يعتقدون أنها ستكون أبدية وأن السلف سيقرءون عليها أعمالهم العظيمة ومكانتهم الممتازة لدى الفرعون . وتلك ميزة امتاز بها المصرى عن باقى أمم الشرق ولذلك نجد بصيص ضوء يرسل علينا أشعته من وقت لآخر من الكشوف الأثرية التى تقوم فى طول البلاد وعرضها مما خلفه لنا هؤلاء العظماء فيجعلنا نعيش فى وسطهم رغم تطاول الآباد والأجيال . فمن أعظم مخلفات هذا العصر النقوش التى تركها لنا « ونى » السالف الذكر وقد عاش فى عهد أكثر من ثلاثة ملوك ، وقص علينا ما كان يقوم به من جليل الأعمال وما ناله فى عهد كل فرعون من الرقى وها هو الآن يحدثنا عن الحوادث التى جرت له فى عهد «بيبي الأول» . قال لقد أصبحت كبير بيت الزينة فى عهد جلالة «بيبي الأول» وقد رقانى جلالته إلى رتبة سمير وكاهن أعظم لأوقافه الجنازية (أى لأوقاف هرمه). و بعد ذلك نصبنى جلالته قاضيا لنخن، ورئيس المجلس الأعظم للستة.

تدوين المصريين لاعمالهم على الآثار

« ونى » يقص ما قام به فى عهد بيبي الاول

وكان قلبه مفعما بى أكثر من كل خدامه الآخرين . وكنت أحقق فى قضاياه وليس معى غير الوزير ، بكل تكتم باسم الملك ، وكان ذلك خاصا بالحريم الملكى ، وكذلك فى المحكمة العظيمة للستة ، وذلك لأنى كنت محببا إلى قلب جلالته أكثر من كل أشرافه وأكثر من كل عظمائه ومن كل خدامه الآخرين .

إهداء تابوت من الملك .

ولقد رجوت جلالة سيدى أن يأمر بإحضار تابوت لى من حجر طرة ، ولهذا الغرض سمح جلالته بأن يقلع حامل خاتم ملكى ومعه فصيلة من البحارة تحت إمرته لإحضار هذا التابوت من طرة . وقد عاد حامل الخاتم بالتابوت فى سفينة عظيمة من سفن البلاط ومعه غطاؤه ، واللوحة ، وخدتان للباب ، والقاعدة والأرضية . على أن هذا لم يفعل قط لخادم آخر لأنى كنت فى منزلة فائقة فى قلب جلالته ، وكنت محببا لجلالته ، وكان جلالته يميل إلىّ .

وعلى حين كنت قاضيا ، وفم بلدة نخن (اى رئيس مجلس محكمة الستة) فإن جلالته نصّبنى سميرا وحيدا ، ومدير الأوقاف الملكية ، وبهذا التعيين حللت محل أربعة المديرين الآخرين الذين كانوا قبلى هناك ولقد عملت حتى إن جلالته أثنى علىّ .

وبمناسبة قضيته فى الحريم الملكى ضد الزوجة الملكية « ورت حتس » وقد أديرت سرا ، فإن جلالته قد منحنى القيام بعمل تحقيق ، وقد كنت منفرداً وليس معى وزير أو عظيم ، ولكن كنت وحدى . لأنى كنت

مثال الإستقامة ومحبباً إلى قلب جلالته ولأن جلالته كان ميالا إلىّ . وقد
كنت أنا الذى أقوم بدور الكاتب ، وكنت وحيداً ومعى قاض واحد ،
وفم نخن ، على حين أن وظيفتى كانت : رئيس أوقاف القصر ، ولم يحدث
قط أن فرداً مثلى قد حقق قضية سرية خاصة بالحريم الملكى من قبل
ولكن جلالته أعطاها إياى لتحقيقها لأنى كنت ذا مكانة فى قلب جلالته
أكثر من كل عظمائه الآخرين ، ومن كل أشرافه ومن كل خدامه الآخرين .

«ونى» يحاكم الملكة

التأهب لمحاربة أهل البدو. ولقد قام جلالته بحملة تأديبية ضد الأسيويين
رؤساء الرمال وقد جهّز جلالته جيشا مؤلفاً من عشرات الآلاف من الرجال
من كل الوجه القبلى من أول الفنتين فى الجنوب حتى إطفيح شمالا ومن
الوجه البحرى أيضا ، وقد جندتهم إدارة جيش المرتزقة بأجمعهم فى القلعة ،
فى داخل القلاع ، من بين نوبى بلاد أرثت ، والمجا ، « و إيام» و « واوات »
و« كاوو » ومن بلاد لوبية .

مسير الجيش بإمرة « ونى » . وقد وضع جلالته الجيش تحت
إمرتى ، على حين أن فيه الأمراء ، وحاملى خاتم الملك فى الوجه البحرى ، والسمار
الوحيدين أصحاب القلاع العظيمة ورؤساء القلاع ونوابها فى الوجه القبلى
والوجه البحرى ، والسمار مديرى القوافل ، ومديرى الكهنة للوجه القبلى والوجه
البحرى ، ومديرى الجيوش المرتزقة . وكان كل منهم على رأس فيلق من
قلاع الوجه القبلى والبحرى والضياع التى يحكمونها وعلى رأس « النحسى »
(الزنوج) من البلاد الأجنبية ؛ وقد كنت أنا الذى أسهر على نظامهم مع

كونى كنت مدير أوقاف القصر وبسبب مكانتى ، لم يأخذ أحد مكان جاره ولم يسرق واحد منهم عجينة أو نعلا من السابلة ، ولم يأخذ واحد منهم ملابس من أية بلدة ، ولم تغتصب ماعز أى شخص .

وقد قدت هؤلاء الجنود بطريق جزيرة الشمال ، وبوابة « إمحوتب » ، وصقع «سنفرو» .....

وقد استعرضت كل فيلق من هؤلاء الجنود أمامى ، على أنه لم يحدث أن خادما (لملك) قد استعرض جنودا من قبل مثلى .

عودة الجيش : لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن خرّب بلاد البدو ، لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن نهب بلاد سكان الرمال . لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن أزال قلاعهم .

لقد عاد هذا الجيش سالمًا بعد أن قطع أشجار تينهم وكرومهم .

لقد عاد هذا الجيش سالمًا بعد أن حمل الحديد والنار بين كل سكانهم .

لقد عاد هذا الجيش سالمًا بعد أن ذبح كل جنودهم بعشرات الألوف العدة .

لقد عاد هذا الجيش سالمًا بعد أن جاء معه بجنود عدة أسرى .

ولقد أثنى على جلالته لهذا أكثر من أى شىء .

إخضاع عصيان الاقوام المقهورة

ولقد أرسلنى جلالته خمس مرات لقيادة هذا الجيش لسلب بلاد البدو، فى كل مرة يثورون ؛ ومعى فصائل من الجنود . وقد عملت بطريقة امتدحنى جلالته من أجلها .

الحملة ضد فلسطين

وقد حدث أن جاءت الأخبار بأن ثورة انفجرت على إثر حادث ما بين المتوحشين فى جهة الكرمل (بلاد أنف الغزال) « وعلى إثر ذلك أبحرت فى سفن البحر ومعى فصائل جنود . ونزلت خلف مرتفعات الجبال الواقعة شمالى بلاد سكان الرمال ؛ وعندما سار هذا الجيش على المرتفعات سرت وقبضت على الثوار بأكملهم وقضى على كل العصاة » .

لقد تركنا « ونى » يتكلم عن أعماله وما حدث له فى عهد الملك « ببى الأول » غير أنه يجب علينا قبل تركه إلى عهد « مرن رع » أن نشير هنا إلى أن الحملة التى قام بها إلى فلسطين تعد الأولى من نوعها فى تاريخ مصر بل وفى تاريخ العالم على ما نعلم . إذ الواقع أنها تعتبر أول حملة اشترك فيها الجيش والأسطول دوّنها لنا التاريخ . وقد برهن المصريون فى هذه الحملة على أنهم بحارة حقيقيون لا كما يدعيه البعض

بأنهم غير أكفاء فى جوف اليم ، ولقد فطنوا بسرعة بل وقدروا الميزة التى يجنيها الجيش من نقله بوساطة البحر إلى نقطة الهدف الذى يريدها ، فتجنبوا الطرق الصحراوية الطويلة الخطرة التى ربما أفنت الجيش وجعلت عودته مغامرة عظيمة ، لذلك يمكننا القول بأن مصر كانت أول دولة فى العالم قامت بحملة حارب فيها الجيش المصرى يحميه أسطول .

سبب الحملة إلى فلسطين

والظاهر أن سبب قيام الفرعون بهذه الحملة إلى فلسطين ما يقال عن هجرة جم غفير من الشمال الشرقى من بلاد ما بين النهرين (مسوبوتاميا) وتقدمهم فى هجرتهم إلى أن وصلوا إلى فلسطين بل والحدود المصرية فاضطر فرعون مصر إذ ذاك إلى منع هؤلاء المهاجرين الأسيويين من دخول مصر .

وقبل أن ننتقل بالقارىء إلى عهد الفرعون « مرن رع » سنلقى نظرة خاطفة على نقوش مقبرة من عهد « بيبى الأول » لكبير من عظماء البلاد الذين تسموا بإسمه تيمنا وهو « نى عنخ بيبى » .

وقد كشف قبره فى العام الماضى بسقارة ويحمل ألقابًا ضخمة ؛ فكان يلقب بالسمير الوحيد ، ورئيس الكهنة المرتلين ، ورئيس أوقاف هرم « بيبى ». والظاهر أنه بدأ حياته فى عهد « وناس » إذ من بين ألقابه « المقرب من ملك الوجه البحرى والوجه القبلى وناس » . وقد عمّر حتى عهد « مرن رع » إذ كان اسمه الثانى « نى عنخ مرن رع » .

وقد نحت قبره فى الصخر وكسا واجهته بالحجر الجيرى الأبيض ونقش عليها نقوشا تكاد تكون فريدة فى بابها لغرابتها بالنسبة للنقوش التى كشفت

للآن فى عهد الدولة القديمة . وذلك لأنها تكشف لنا عند ناحية خاصة وهى مقدار تخوف المصريين من سلب قبورهم بعد وفاتهم واحتيالهم على ذلك بتهديد الأحياء بعذاب الآخرة والحساب أو بإقناعهم بأن صاحب المقبرة رجل قوى سيخرج من قبره ويعذب من يضره بكسر عنقه .

وأخيرا يوحى إلى الأحياء بأنه يعرف السحر ويمكنه أن يضر من يؤذيه والنقش كما يأتى . « السمير الوحيد ، المرتل شريف الفرعون » يقول: أما من جهة أى فرد يريد أن يلحق أى أذى بهذا القبر الذى فى المقبرة وهو الذى تابوته مركب فيه الأب فوق أمه (أى الغطاء فوق التابوت) فإنى سأتقاضى معه فى المجلس المبجل الفاخر للإله العظيم رب الغرب ، وسأقبض على رقبته كما يقبض الإنسان على عصفور ، وسيسرى خوفى فيه أمام كل من على الأرض ، وكل الأحياء سيرتعدون من الأرواح الممتازة، وإنى روح ممتازة ، ليس السحر أمامها بالشىء المستعصى ، أما كونى حاذقا فإنى مرتل حاذق ورجل عالم (بأمور السحر) .

وعلى جانب آخر من باب مقبرته يستعطف المارة ويستجديهم ليقدموا له قربانا فإذا لم يكن فى مقدورهم أن يقوموا بذلك ماديا فليفعلوه بقراءة التعاويذ التى كان يعتقد أنها تقوم مقام المادة إذ كان مجرد قراءتها يجعلها بقوة السحر تنقلب إلى صورها الحقيقية فيقول « السمير الوحيد والمرتل وشريف الفرعون ورجل البلاط : أنتم أيها الأحياء الذين على الأرض ، والمحترمون المحبوبون من الإله ، الذين سيمرون بهذا القبر ، صبوا الماء

والجعة مما معكم ، وإذا اتفق أن لم يكن لديكم شىء فقولوا بأفواهكم، وضعوا مما فى أيديكم خبزا نقيا ، وجعة ، وحيوان قربان وطيورا وبخورا نقيا لشريف الملك « بى عنخ بيبى » ؛ ولا شك أننا نرى فى هذه المتون أن المصرى فى هذا العهد كان يرهب بل يرتعد من نهب مقبرته بعد وفاته أو الأضرار بها ، ولا غرابة فى ذلك فقد عثر فى نفس العام الذى كشفت فيه هذه المقبره على مصطبة أخرى لوزير من عهد الملك « وناس » ملاصقة لها ، ومن المدهش أن مقبرة هذا الوزير لم تكن قد أقيمت له بل كانت لوزير سبقه وجاء هو واغتصبها لنفسه وذلك بمحو اسم سلفه من كل جدران حجرة المقبرة حتى فى حجرة الدفن فقد وجد التابوت قد محى من جوانبه اسم صاحب المقبرة الأصلى وكتب عليه اسم المغتصب الجديد . وليس هناك شك فى أن « نى بيبى عنخ » كان حاضرا والوزير « نى كاوو حور » المغتصب يمحو اسم الوزير « اخت حتب » من كل مكان فى المقبرة ليغتصبه لنفسه ، ولعمرى فإن هذا هو السبب الذى دعاه ليكتب هذا التحذير على قبره فقد رأى الاغتصاب جهارا أمامه وبجوار مقبرته . وهذا مثل من أفظع الأمثلة فى عدم المبالاة بحقوق الأموات والتهكم بالعقائد الدينية والحساب والعقاب ؛ وربما كان هذا هو السر فى كثرة التعاويذ السحرية التى طغت على الدين فى هذا العصر لأرهاب الناس من مفعولها

مثل من أمثلة التعدى على المقابر

الملك مرن رع

تولى أريكة البلاد بعد « بيبى الأول » بكر ولديه « مرن رع » وكان لا يزال صبيا ، ومن المحتمل جدا أن بيبى تزوج من والدته فى أواخر أيامه . ولقب هذا الفرعون « محتى ام ساف » ومعناه (الإله محتى حاميه). ولم يمكث على عرش الملك أكثر من سبعة أعوام ، ومات وهو لا يزال فى بداية العقد الثانى من عمره . ولا نزاع فى أنه قد بدأ بناء هرمه عند توليه الحكم مباشرة كما هو الحال عند كل فراعنة هذا العهد . وسنرى أن الرجل الذى كان يشرف على هذا العمل هو « ونى » .

الملك «مرن رع» يتولى الملك صغيرا

وقد دخل هرمه حديثا حوالى عام ١٨٨٠ ولحسن الحظ وجدت مومياؤه سليمة ، وهى فى الواقع أول جثة عثر عليها لفرعون بقيت إلى عهدنا هذا . حقا إنها جردت من كل كفنها باللصوص الذين نهبوا الهرم فى الأزمان القديمة وقد لوحظ أن خصلة الشعر التى كان يتميز بها الفتيان الحديثو السن لا تزال عالقة بجمجمته مما يدل على أن « مرن رع » كان لا يزال صبياً عند وفاته .

أول جثة ملكية عثر عليها سليمة

وتدل النقوش التى من عهده على أنه قد وجه جل عنايته إلى الجنوب ؛ وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله عين « ونى » حاكما ومسيطرا على كل الوجه القبلى بلقب حاكم الجنوب وسندع « ونى » يقص قصته فى عهد هذا الفرعون وما قام به من جلائل الأعمال .

« ونى » يتولى منصب حاكم الجنوب

ولما كنت موظفاً حاملا لنعلى (الفرعون) فى القصر العظيم ، ونصّبنى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى مولاى « مرن رع » أميرا ومدير الجنوب من « الفنتين » (أسوان) جنوبا إلى إطفيح شمالا ؛ لأنى كنت مثلا أعلى فى قلب جلالته ، وما دمت مزدهرا فى قلب جلالته ، كنت ملء قلب جلالته ؛ وقد أثنى علىّ جلالته وأنا حامل نعليه لليقظة التى كنت أقوم بها فى القصر ؛ وقد مدحنى أكثر من أى عظيم ، أو شريف أو خادم . على أن مثل هذه الوظيفة لم تمنح لأحد ما من قبل . وقد قمت بعمل حاكم للوجه القبلى بما يرضيه ، حتى إنه لم يغتصب أحد مكان جاره . وقد أنجزت كل عمل ، وأجريت حساب كل شىء خاص بالخزينة فى الوجه القبلى مرتين ، وكل ساعات السخرة التى كانت تخص الخزينة فى الوجه القبلى مرتين أيضا . وكنت فى ذلك أقوم بعمل وظيفتى على أحسن مثال فى الوجه القبلى هذا . على أنه لم يعمل شىء كهذا فى الوجه القبلى من قبل . وقد عملت كل شىء لأستحق ثناء جلالته .

الحملة إلى محاجر « إبهات » ببلاد النوبة ومحاجر الفنتين

وقد أرسلنى جلالته إلى « إبهات » لإحضار تابوت (صندوق الأحياء) وغطائه ، وكذلك قطعة هرمية صغيرة ثمينة ومحترمة لأجل هرم « مرن رع » الذى يسمى (خع نفر مرن رع) . وبعد ذلك أرسلنى جلالته إلى الفنتين لأحضر لوحة من الجرانيت وقاعدتها وجانبيها ، وكذلك لأحضر أبوابا من الجرانيت ورقعتها للحجرة العليا لهرم « مرن رع » المسمى (خع نفر مرن رع) وقد

سحت فى النهر من هناك حتى هرم «مرن رع» (خع نفر مرن رع »؛ بست سفن نقالة وثلاثة قوارب تشد بالأمراس بوساطة ستة عشر رجلا ، كل ذلك تم فى بعثة واحدة . على أنه لم تعمل رحلة واحدة قط إلى «إبهات» والفنتين دفعة واحدة فى عهد أى ملك ما . وكل شىء أمر به جلالته قد نفذ برمته كما أمرنى به جلالته .

البعثة إلى محاجر المرمر فى « حتنوب » فى مصر الوسطى

وقد أرسلنى جلالته إلى «حتنوب » لأحضار مائدة قربان من المرمر؛ وقد سرت فى النهر شمالا من أجل الملك لاستخراج هذه المائدة من محاجر « حتنوب » فى سبعة عشر يوما . وسحت شمالا فى سفينة نقالة . والواقع أنى بنيت نقالة لهذا الغرض من خشب السنط طولها ستون ذراعا وعرضها ثلاثون ذراعا . وقد جمعت الأحجار فى ١٧ يوما خلال الشهر الثالث من فصل الصيف ؛ ورغم أن ماء النهر كان قريب الغور فإنى وصلت سالما معافا إلى هرم « مرن رع » (خع نفر مرن رع) . وقد أتممت كل العمل بنفسى حسب الأمر الذى أمرنى به جلالة سيدى .

وقد أرسلنى جلالته لحفر خمس ترع فى الجنوب ، ولأصنع ثلاث نقالات وأربعة قوارب تجر بالحبال من خشب سنط أصقاع « واوات » ، وقد كان رؤساء أقطار إرثت ، وواوات ، وإيام ، ومجا ، يقدمون الخشب لهذا الغرض .

وقد أنجزت كل العمل فى سنة ، يدخل فى ذلك السياحة وتحميل الجرانيت بكمية لهرم « مرن رع » المسمى (خع نفر مرن رع) . يضاف

إلى ذلك أنى قد حققت الاقتصاد فى الزمن لأجل القصر وذلك بفضل هذه الترع الخمس معاً .

كل ذلك بسبب قيمتى ، وصفاتى الشخصية ، والاحترام الذى أكنه لقوة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « مرن رع » عاش أبديا ، أكثر من كل الآلهة ، لأن كل شىء قد حقق حسب الأوامر التى أعطاها إياى الملك .

وإنى محبوب والده ، والممدوح من والدته ، وزينة إخوته أنا الأمير ، حاكم الوجه القبلى المعظم من الإله أوزير « ونى » .

أثر رحلات « ونى »

ومما سبق يمكننا أن نرى أن « ونى » كان له تأثير فعّال فى بلاد الجنوب إذ أصبح يجلب كل شىء من أسوان وبخاصة الأحجار بسهولة دون أن يحتاج إلى عدد عظيم من الجنود .

أما آخر أعمال « ونى » فى عصر هذا الفرعون فهو حفر القنوات الخمس عند الشلال الأول لتسهيل سير السفن التى كانت تعترضها الصخور، وقد أتم هذا العمل فى سنة واحدة وذلك بمساعدة رؤساء الزنوج الذين كانوا على ما يظهر رهن إشارته .

والظاهر أن حفر هذه القنوات كان جزءا من سياسة عامة شرع فى تنفيذها فى عهد هذا الفرعون ، وتنطوى على كشف كل الجهات الجنوبية كشفاً منظما وتحسين طرق التجارة والعمل على إنمائها بين مصر وبلاد النوبة . وقد كان آخر عمل قام به « مرن رع » زيارة حدود بلاده . ولا نعلم إذا كانت قد حدثت قبل اعتزال « ونى » خدمة مليكه أو

بعدها ، ولكن يغلب على الظن أن « ونى » قد شاهد سيده يرى آخر أعماله التى كانت تعد من أكبر مفاخر ما تم على يديه (حفر القنوات) وعلى أية حال فإن الزيارة قد تمت وخلدها الفرعون بنقشين عند الشلال الأول . وهذه الرسوم تمثل « مرن رع » متكئا على عصا وخلفه الإله « خنوم » (إله الشلال) وأمراء النوبة . ، ونقشت ألقابه الآتية « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى مرن رع محبوب خنوم رب الشلال » . والتاريخ الذى حدثت فيه الزيارة هو السنة الخامسة ، الشهر الثانى من الفصل الثالث ، اليوم الثامن والعشرون ، ورسم مجىء الملك نفسه وهو يظهر خلف البلاد الجبلية ، حتى أنه يتمكن من مشاهدة ما فى هذه البلاد ؛ على حين أن امراء « المجا » ، و « إرثت » ثم « واوات » كانوا يقدمون الخضوع والطاعة ويمتدحونه مدحًا عظيما .

زيارة الملك « مرن رع » لحدوه مصر الجنوبية

ولقد كان من جراء فتح هذا الطريق وتسهيل التجارة بين مصر وبلاد النوبة ؛ أن قامت رحلات للتوغل فى مجاهل هذه البلاد ، وارتياد أقطارها والاتصال بأهلها اتصالا وثيقا . ويعد « حرخوف » أحد عظماء حكام « الفنتين » الذى لا يزال قبره محفوظا لنا للآن على الضفة الغربية من شلال أسوان ، من أعظم أبطال هذا المضمار . وقد قام « حرخوف » هذا ثلاث رحلات فى داخل الأقطار الإفريقية قبل وفاة سيده « مرن رع » . وقد كان يحمل لقب (مدير القوافل) ؛ وقد قص علينا بنفسه المخاطرات المختلفة التى قام بها ، على قبره بكل دقة واختصار وسندعه كطريقتنا فى

مثل هذه الأحول يتكلم بنفسه . وقد بدأ يذكر ألقابه فيقول : الأمير ، السمير الوحيد ، الكاهن المرتل ، التشريفى للملك ، نائب الملك فى « نخن » ورئيس عبادة « نخب » ، حامل الخاتم الملكى ، مدير القوافل ، رئيس كل الأسرار الخاصة بكل أوامر الحدود الجنوبية ، محبوب الملك ، « حرخوف » الذى يحمل كل محصولات الأقطار الأجنبية لسيده والذى يأتى بالجزية التى تستحق ، لأقامة المراسيم الملكية ومدير كل الأقطار الأجنبية فى الحدود الجنوبية ، والذى ينشر سطوة « حور » بين الممالك الأجنبية ، والذى ينفذ كل ما يرغب فيه سيده .... « حرخوف » .

الحملة الاولى : أرسلنى جلالة « مرن رع » سيدى كما أرسل والدى السمير الوحيد والمرتل « إرى » إلى بلاد « إيام » لأكشف الطريق الذى يؤدى إلى البلاد الأجنبية . وقد قمت بهذا العمل فى ستة أشهر فقط ؛ وقد عدت بكل أنواع الهدايا من هذه البلاد ..... وقد أثنى على كثيراً من أجل ذلك .

الحملة الثانية : أرسلنى جلالته مرة ثانية وكنت وحدى . وقد سرت على طريق الفنتين وذهبت نحو « إرثت » ، و « مخر » وأرض « ترس » ، وذلك فى مدة ثمانية اشهر . وقد عدت بعد أن حملت معى منتجات هذه البلاد الأجنبية بكميات وافرة ، ولم تعرف نظائر لهذه الأشياء قد جىء بها من هذه البلاد من قبل . وقد نزلت من مساكن رئيس جهات « سشو » و« إرثت » بعد أن ردت مجاهل هذه البلاد الأجنبية ؛ والواقع أنه لم

يتسن قط لأى سمير ومدير قوافل أن يفعل ذلك ممن وفـدوا إلى قطر « إيام » من قبل .

<u>الحملة الثالثة</u> : أرسلنى جلالته مرة ثالثـة إلى بـلاد « إيام » Iam ؛ فرحلت من « ستشت » (المقاطعة السابعة من الوجه القبلى) عن طريق منطقة الواحات(؟)، وقد وجدت رئيس « إيام » الذى قام ضد بلاد لوبيا « تمح » ليحاربهم حتى الحدود الغربية .

وقد سرت بعده لغاية بلاد لوبيا . وأخضعته لدرجة أنه عبـد آلهـة مليكى . . . . . و بعد أن أخضعت رئيس « إيام » نزلت . . . . حتى « إرثت» وحدود « سشو » ووحدت رؤسا و « إرثت » و «سشو » و « واوات » .... ثم عـدت بنحو ٣٠٠ حمار محملة بالبخور ، والأبنوس ، والزيت ، . . . . وجلود الفهود ، والعـاج ، . . . وكل المنتجات الطيبة ؛ وعنـد ما رأى رؤسـاء «إرثت» ، و« سشو » و «واوات» عظم عدد جنود «إيام» وقوتهم ، وهم الذين عادوا معى إلى البلاط ، وكذلك الجنود الذين كانوا قد أرسلوا معى ، فإن هؤلاء الرؤساء احضروا لى هدايا من الثيران ، والحيوانات الصغيرة وقادونى نحو طرق جبال « إرثت » ، وقد كانت عينى ساهرة بفطنة اكثر من كل سمير ومدير قوافل من الذين أرسلوا إلى « إيام » قبلى . ومن ثم عاد فى النهر الخادم « حرخوف » نحـو البلاط . وقـد أرسل (الفرعون) الأمـير ، السمير الوحيـد ومدير قاعـة المرطبات المزدوجة ، « خونى » لمقابلته ومعه سفن محملة بنبيذ البلح ، والفطير والخبز والجعة . الأمير ، حامل الخاتم الملكى ، والسمير الوحيد ، والكاهن

المرتل ، وحامل الخاتم الملكى ، ورئيس اسرار كل أوامر حدود الجنوب ، المقرب « حرخوف » .

ولا شك أن الذى يمعن في تفاصيل ما جاء فى هذه الرحلات لا يتردد لحظة فى الحكم على « حرخوف » بأنه كان كاشفاً عظيما فى عصره ، وأنه يعد أول من فتح الطريق للكاشفين والرواد العظام فى عصرنا للتوغل فى مجاهل إفريقية وقد جلب الخيرات منها لمليكه « مرن رع » وسهل سبيل التجارة بين مصر وتلك الأقطار النائية التى لم يجسر أحد قبله أن يجوب مجاهلها ويستفيد منها مثله . ولا غرابة إذن إذا أرسل إليه الفرعون من يستقبله وهو عائد من تلك الرحلة الفذة . ولكن أطماع « حرخوف » لم تقف عند هذه الرحلة بل سنسمع عنه فى عهد الملك الصغير الذى تولى زمام البلاد بعد وفاة « مرن رع » .

« حرخوف » أول كاشف لمجاهل إفريقية

الملك بيبى الثانى (نفر كارع)

تدل كل شواهد الأحوال على أن الملك « مرن رع » قد توفى وهو لا يزال فى بداية العقد الثانى من حياته ؛ وخلفه على العرش أخوه « بيبي الثانى » . وقد ذكر لنا « مانيتون » أنه جلس على عرش البلاد وهو فى السادسة من عمره . والواقع أن « مانيتون » لم يخطىء فى ذلك ، وبخاصة عند ما قال إنه حكم حتى بلغ المائة من عمره ، وبذلك يكون قد حكم نحو ٩٤ عاما إذ كل هذا قد حققته الآثار . ومن الطريف أن

المؤرخ « اراتستونيس » الإسكندرى قد أخبرنا أنه حكم مائة عام إلا ساعة واحدة. ولا نزاع فى أن « بيبى » ضرب بسهم صائب فى طول الحكم، وليس هناك من يضارعه، غير أنه كما يحدث غالبا، فى مثل هذه الأحوال، أن نهاية حكمه الطويل كانت نكبة على البلاد، ورغم تولية الملك صغيرا لم يحدث فى البلاط أى اضطراب، وقد يعزى هذا إلى ان « زاو » خاله ووزيره فى آن واحد، قد حافظ على استتباب الأمن وقمع كل خلاف من هذه الناحية. والظاهر أن أمه قد لعبت دورا تمثيليا معه فى الحكم فى بادىء الأمر، وربما كان ذلك هو السبب فى ظهور اسمها وصورتها معه على إحدى نقوش وادى مغارة، إذ فى هذا النقش الذى دوّن ذكرى لحملة فى تلك المحاجر، نرى أن الملك رغم أنه ذكر بالاسم فإن صورته لم ترسم، على حين أن صورة والدته قد رسمت. وتدل ألقابها على أمومتها لهذا الملك وللملك بيبى الأول: أم الملك، التابعة للهرم المسمى « نفر كارع يبقى حيًا »، وروج الملك ومحبوبته التابعة للهرم « مرى رع يبقى جميلا » « عنخس مرى رع التى يحبها كل الآلهة ».

اشتراك الملكة فى حكم البلاد لصغر سن الملك

وفى الحق كانت مدة حكم هذا الملك الذى عمّر على عرش الملك طويلا مليئة بالبعثات إلى البلاد الأجنبية، وبخاصة فى الفترة الأولى من حكمه. ولا غرابة فى ذلك فإن سياسة استثمار البلاد الجنوبية كانت قد رسمت من عهد أسلافه وسارت بكل نشاط وفلاح، ولم يستجد أمام هذا الفرعون ورجال دولته ما يعوقهم عن المضى فى هذا السبيل المنتج، وبخاصة أنه

كان يدر الخيرات على مصر من تلك الجهات فى عهد كانت موارد الملك قليلة نسبيا . ففى السنة الثانية من حكمه قام « حرخوف » بحملته الرابعة وتعد المفخرة العظمى التى توجت تاريخ حياته . والظاهر أنه توغل فى داخل بلاد النوبة حتى وصل إلى أقزام أواسط إفريقية وأفلح فى اقتناص قزم أو إغراء واحد منهم ليصحب القافلة إلى البلاط المصرى ؛ وقد كان المصريون فى كل عصورهم يجعلون لهؤلاء الأقزام أعظم قيمة على أنهم أداة من أدوات الزينة واللهو فى البلاط الفرعونى ، ولذلك كانوا يسرون كل السرور عند ما يحصلون على واحد منهم يضاف إلى ذلك ابتهاج صبى صغير فى الثامنة من عمره ، فضلا عن أنه كان فرعونًا ، عند سماعه بإحضار لعبة جديدة حية يتسلى بها ، ولذلك فإن خطابه الذى أرسله إلى « حرخوف » ليسرع فى الحضور بالقزم ليس فيه ما يدعو للدهشة بل كان شيئًا طبيعيا جداً . ولقد كان من حسن حظ التاريخ أن يكتبه « حرخوف » بنصه على جدران مقبرته مفتخرا بذلك الشرف العظيم ، وعليه نكون قد وصلت إلينا أقدم وثيقة فى التاريخ عن كشف مجاهل إفريقية وارتياد أقطارها التى كانت لم تطرق من قبل . ولا يسعنا هنا إلا أن نقدم للقراء هذا الخطاب الملكى برمته :

الرحلة الرابعة لحرخوف

أهمية الاقزام فى البلاط الملكى

ختم بالملك نفسه فى السنة الثانية ، للشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الخامس عشر .

مرسوم ملكى للسمير الوحيد ، الكاهن المرتل ، ومدير القافلة « حرخوف ».

لقد فهمت المقصود من خطابك هذا ، الذى أرسلته إلى الملك فى القصر لتنبئه بأنك قد عدت سالما معافى من بلاد « إيام » بالجيش الذى كان معك . ولقد ذكرت فى هذا الخطاب أنك أحضرت معك كل المحصولات العظيمة والطيبة ، التى منحتها « حتحور » سيدة « إماو » إلى حضرة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نفر كارع » (بيبى الثانى) الذى يحيا أبديا ومخلدا. وقد ذكرت فى هذا الخطاب أنك أحضرت قزما (دنج) يرقص رقصاً مقدساً من أرض الأرواح (تا إخو) مثل القزم الذى أحضره حامل الخاتم المقدس « با وردد » من بلاد « بنت » فى عهد الملك إسيسى(١) . وقد قلت لجلالتى « لم يحدث قط من قبل أن واحدا مثله قد أحضر ممن زاروا «إيام».

نص خطاب الملك لحرخوف

حقا إنك فعلت ما يحبه ويمدحه سيدك ، حقا إنك تمضى النهار والليل فى عمل ما يرغب سيدك ويحب ويأمر . وجلالته يرغب فى أن يمنحك كثيرا من الشرف العظيم حتى تصبح زينة لابن ابنك أبديا ، لدرجة أن كل إنسان سيقول عند ما يسمع ما فعلته لجلالتى : « هل هناك شىء يماثل لما عمل للسمير الوحيد « حرخوف » عند ما عاد من بلاد « إيام ». وذلك بسبب اليقظة التى أظهرها لعمل ما يرغب فيه سيده ، وما يحبه وما يأمر به .

عد حينئذ فى الحال إلى البلاط نازلا فى النهر واترك كل شىء آخر (؟) وتحضر معك هذا القزم الذى جلبته معك من بلاد الأرواح حياً وسليما معافى حتى يقوم بالرقص المقدس وليسرى عن القلب وليسر فؤاد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نفر كارع » عاش أبديا .

(١) كشفت أخيراً مقبرته فى سقارة وفيها رسم قزمة .

وعند ما ينزل معك فى السفينة اعمل على أن يكون رجالك اليقظون حوله من ناحيتى السفينة ، واعمل على ألا يسقط فى الماء ، وعند ما ينام فى الليل اعمل على أن يكون رجالك اليقظون نائمين حوله فى حجرته (الكبين) وفتش عليه عشر مرات كل ليلة لأن جلالتى يريد أن يرى هذا القزم أكثر من كل محصولات بلاد « البنت » وكنوزها .

وإذا وصلت إلى البلاط وبصحبتك هذا القزم حياً سليما معافى فإن جلالتى سيقوم بعمل أشياء عظيمة لك ، تفوق التى عملت لحامل الخاتم الإلهى « باوردد » فى عهد الملك إسيسى وذلك لرغبة قلب جلالتى فى رؤية القزم . وقد أعطيت الأوامر لحاكم إقليم البلاد الجديدة ، السمير ، مدير الكهنة ليأمر باعداد المأكولات فى كل قصر ببيت المحراث (ضياع ملكية) وفى كل معبد دون استثناء .

ولدينا من عهد هذا الملك نقشان اخران لعظيمين من رجالات الفنتين لهما أهمية عظمى فإنهما يظهران لنا مقدار النشاط فى الكشف الذى كان يقوم به رجال هذا العصر رغم الأخطار التى كانت تحدق بهم ، ورغم انقطاع أخبار بعض الكاشفين ، وكذلك تبرز لنا ناحية خاصة من نواحى التفكير المصرى والعقائد التى كانت تسود هذا العصر . حقا إن المصرى كان يعتقد بأن ارتياد مجاهل البلاد النائية ، كانت من الأعمال الجليلة ، غير أنه كان لا يقبل بأية حال أن يترك جسمه يدفن فى هذه الجهات القاصية ، إذا حدث أن لاقى حتفه فيها ، بل كان يعمل ذووه المستحيل

يحضروه إلى موطنه الأصلى حتى يكفن وتعمل له كل الطقوس والمراسم الجنازية التى كان لا بد منها حتى يكون له نصيب فى الخلود بعد الموت، وذلك لأنه كان يعتقد أن خلوده فى القبر كان يتوقف على هذه التجهيزات والاحتفالات التى كان لا يتسنى عملها فى البلاد القاصية ، ومن أجل ذلك كانت ترسل بعثة خاصة إذا قضت الحاجة لأحضار جثة ، الكاشف المتوفى. وقد حدث أن كاشفاً قد قام بإحضار جثة أحد هؤلاء الرواد فكان الثناء الذى ناله على ذلك عظيما ولم ينل أى ثناء على إحضار فيل يبلغ طول خرطومه نحو تسعة أقدام . وليس عجيبا أن يقال فى مصر أن التقوى تحل أولا ثم تحل بعدها الفائدة المادية ، وإن كنا أحيانا نشاهد التقوى يضرب بها عرض الحائط إذا تعارضت مع الفائدة الشخصية كما أسلفنا فى اغتصاب المقابر.

الاهتمام بدفن الجثث فى مصر واحضارها من البلاد الاجنبية لهذا الغرض

والنقش الأول لموظف كبير يدعى « بيبى نخت » وقد قام برحلتين إحداهما إلى بلاد النوبة والثانية نحو شمال البحر الأحمر .

وكان « بيبى نخت » يحمل ألقابا عدة منها أنه كان السمير الوحيد ... الملك فى « نخن » ، ورئيس عبادة « نخب » ومدير كل القوافل والمحترم من الإله العظيم « بيبى نخت » . يقول : كنت رجلا يقول ما هو حسن ، ويكرر ما يحب ، ولم أقل قط شيئاً يسىء إلى رجل قوى ... فى أى شخص ، لأنى كنت أرغب فى أن تعرض الأشياء من ... حسنة فى حضرة الإله العظيم . لقد أعطيت خبزاً للجائع وكسوت العريان ولم أقض قط بين أخوين بحيث يحرم ابن من متاع والده ، ولقد

نقش « بيبى نخت »

كنت محبوبا من والدى ، ممتدحاً من والدتى ومحبوباً من إخوتى ذكورا وإناثاً .

لقد أرسلنى جلالة سيدى لأخرّب بلاد « إرثت » ، فعملت ما مدحنى عليه سيدى ، ولقد ذبحت منهم عدداً عظيما ، من بينهم أولاد الرؤساء والضباط المتفوقين من المحاربين (؟) وقد أحضرت معى عدداً منهم أسرى أحياء إلى البلاط ، لأنى كنت بطلا على رأس جيش عظيم من الجنود الأقوياء . وقد سر قلب سيدى منى لكل البعوث التى وكل أمرها لى .

وعقب ذلك أرسلنى جلالة سيدى لتهدئة الأحوال فى هذه الممالك . وقد قمت بذلك حتى أن سيدى أثنى علىّ كثيراً أكثر من أى إنسان آخر . ولقد أحضرت معى رئيسى هاتين المملكتين سالمين معافين إلى البلاط . ومعهما ثيران وماعز حية إلى البلاط . وكذلك أحضرت أطفال الرئيسين وضابطى المحاربين الذين كانوا معهما .

أما السبب فى القيام برحلة البحر الأحمر فكان للنجدة ويلخص ذلك فى أن أحد الضباط الذين أرسلوا فى حملة إلى سواحل البحر الأحمر واسمه « عنخت نينى » وكان يريد أولا بناء سفينة والسفر بها إلى بلاد « بنت » التى كان يعتقد فيها المصريون أنها شبه مقدسة وأن أصلهم يرجع إليها ، وعند ما كان « عنخت نينى » هذا منهمكا فى بناء سفينة غير ملتفت إلى ما حوله ، انقض عليه وعلى رجاله قوة من البدو وقضوا عليهم ؛ وقد كان من الضرورى معاقبة المعتدين على فعلتهم هذه ، ولكن أهم

من ذلك كان إحضار جثة « عنخت نينى » إلى مصر ولذلك أرسل « بيبى نخت » ثانية للقيام بهذه المهمة ؛ فيقول : وعقب ذلك أرسلنى سيدى نحو بلاد « العامو » (الأسيويين) لأحضر له السمير الوحيد . . . . من البحارة « كاعبر » مدير القافلة « عنخت نينى » الذى كان مشتغلا هناك ببناء سفينة (للسفر بها) إلى بلاد بنت ، وقد داهمه الأسيويون الذين ينتمون إلى أهل البدو ، فذبحوه هو وفصيلة الجنود الذين كانوا معه . بعد ذلك نجد أن النقش مهشم وكل ما يمكن فهمه هو أنه قام بإنجاز المهمة التى أرسل من أجلها . فيقول : لقد ذبحت خلقاً منهم أنا وجنود الجيش الذين كانوا معى .

حملة «سبنى» واحضار جثة والده

أما ثالث هؤلاء الرحالة من عظماء أسوان فهو « سبنى » فقد قام بحملة شبيهة بحملة « بيبى نخت » الأخيرة غير أنه لسوء حظه كانت الجثة المكلف بإحضارها لمصر هى جثة والده وكان فى هذه المرة قبائل الزنوج هم الذين سطوا عليه وذبحوه . ونقوش « سبنى » مهشمة فى البداية غير أنه فى إمكاننا أن نفهم منها المعنى المقصود جملة . ولم يكن « سبنى » عند قيامه بهذه الحملة جاهلا بأحوال هذه البلاد التى قتل فيها والده بل يظهر أنه كان مدرباً على ارتيادها وكان لا بد له من ذلك ، لأن وظيفة قيادة القوافل على ما نعلم كانت وراثية فى حكام هذه المنطقة كما شاهدنا ذلك فى «حرخوف» ووالده ؛ فكان الوالد يعلّم ولده الأعمال التى كانت تتطلبها وظيفته .

قام « مخو » والد « سبنى » برحلة ولكنه مات فى خلالها فى

جهة ما فى قلب مجاهل إفريقية فقام ابنه بالبحث عن جثة والده فكتب على مقبرته التى لا تزال إلى الآن بتلال أسوان مع قبر والده يقول : الأمير حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، مدير الجنوب ، السمير الوحيد ، الكاهن المرتل « سبنى » :

وعندئذ ذهب ضابط السفينة « أنتف » ومدير . . . . « بهكيسى » ليحملوا الخبز ، إن السمير الوحيد والكاهن المرتل « مخو » قد مات وعندئذ صحبت معى جنودا من ضيعتى ومائة حمار وأخذت كذلك عطوراً وشهداً ، وملابس وزيتًا و . . . . لأقدمها هدايا فى هذه الأقطار وسرت نحو بلاد النحسى (العبيد) هذه . . . . وقد أرسلت أناسا كانوا عند بوابة الفنتين وكتبت خطابات لأخبر الملك بأنى سافرت لأحضر من « واوات » و « أوثث » ولقد هدأت الأحوال فى هذه الأقطار الأجنبية . . . . وفى الأقطار . . . التى تسمى « عا تم ثر » . ثم حملت جثة هذا السمير الوحيد على ظهر حمار ثم أرسلته مع فصيلة من جنود أوقافى . وصنعت له تابوتا . . . . وأحضرت معى . . . . لأجل أن أنقله من هذه الأقطار الأجنبية ، ثم عدت نحو « واوات » و« أوثك » وأرسلت الشريف الملكى « إرى » مع اثنين من ملاّك الفلاحين من ضياعى طليعة ومعهما الروائح العطرية . . . . وحاجز من العاج لأعلم . . . أنى حملت جثة والدى وكل أنواع هدايا هذه الأقطار . ثم عدت لأضع والدى . . . . أما من جهة « إرى » الذى كان فى البلاط فإنه أحضر أمراً بتحنيط الأمير ، حامل خاتم الوجه البحرى ، السمير

وحيد ، الكاهن المرتل « مخو » وقد أحضر . . . محنطين ، والـكاهن المطهر الأعلى والتشريفى ، والكاهن الأعلى للأوقاف المأتمية والبكائين وكل قربـان بيت التحنيط . وأحضر زيت الطقـوس الخـاص ببيت التحنيط ، والأشياء السرية لبيت التطهير المزدوج والخاصـة ببيت السلاح . وملابس من بيت المال ، وكل الملحقات الجنازية أتت من البلاط كما كان الحال فى أمر الأمير « مرو » . وعندما وصل « إرى » أحضر معه مرسوما ليثنى علىّ على ما فعلته وقد ذكر فى هـذا المرسوم : « لقـد فعلت لك كل الأشياء الممتازة تذكاراً لهذا العمل العظيم لأنك أحضرت والدك . . . . » ولم يحدث مثل هذا من قبل .

احضار جثة والد «سبنى» المسمى «مخو» وتجهيزها

ودفنت والدى فى هذا القبر من الجبانة ، على أنه لم يدفن رجل فى هـذه الدرجة بالطريقة التى دفن بها . ثم نزلت فى النهر نحـو « منف » حاملا معى منتجات هذه الأقطار الأجنبية وكذلك ما كان والدى قـد جمعه . . . . جيشى و« النحسى » (النخاسة) . . . . . والخادم « سبنى » قد أثنى عليه فى البلاط ووجه الملك له مدحاً لأنه كان صاحب حظوة عظيمة عند الملك . . . . وقـد أعطيت صندوقا من خشب الخروب يحتـوى على عطور وزيوت . وكذلك منحت حقيبـة من الـكتان . . . . . وملابس . وكذلك أعطيت ذهب الجدارة ، وكذلك تسلمت قرابين مَن اللحم والطيور . . . . . وعندما كانت تقرّب الذبائح كان يذكر ما فعله لى سيدى .

وقد قيـل للخادم « سبنى » : لقد أوتى بمرسوم من القاضى الأعظم

والوزير . . . . . بلدة « نخب » الكاهن الأعظم « آنى » الذى كان وقتئذ في « برحتحور رسيت » قائلا : إنه يمكننى أن أحضر والدى فى الحال ويمكننى أن أدفنه فى قبره شمالى « نخب » . ولقد منحت ٣٠ أرورا (١) من الأرض فى الشمال والجنوب وقفا من الهرم المسمى « من عنخ نفركارع » تقديرا لى .

ولسنا فى حاجة للتعليق على رحلة « سبنى وما قام به نحو والده فالمتن يعطينا صورة ناطقة عن العادات والشعائر الدينية التى كانت تجرى فى هذه الفترة فى مصر وسنترك ذلك للقارىء نفسه .

أسرة « زاو » فى المقاطعتين ١٢ ، ٨ من الوجه القبلى

وقبل أن نتمم كلامنا عن عصر « بيبى الثانى » نرى لزاماً علينا أن نلقى نظرة إجمالية عن بيت أسرة الأمير « زاو » وهو كما ذكرنا من قبل شقيق زوجتى « بيبى الأول » وخال « بيبى الثانى » ووزيره لفترة من حكمه الطويل . وقد كان أمراء هذا البيت حكاماً ووراثيين لمقاطعتى هراكنبوليس (مقاطعة جبل الثعبان وهى الثانية عشرة بالنسبة لمقاطعات الوجه القبلى) وكذلك كانوا حكاماً لمقاطعة طينة (المقاطعة الثامنة من الوجه القبلى وهى العرابة) .

والظاهر أن هذه الأسرة يرجع نسبها إلى الوزير « مرى » ، وقد تزوج من إحدى بنات الملك « تيتى » ، وقد بقى عظماء هذه الأسرة يتقلبون فى مناصب الدولة العظيمة حتى تولى « زاو » رياسة الوزارة فى

---

(١) الارور مقياس يونانى ويقابله بالمصرية « استات » وهو يساوى نحو ثلثاى فدان تقريباً

عهد « ببى الثانى » وأصبح هو المسيطر على كل الأمور فى البلاد لما له
من الصلة الوثيقة بالفرعون الصغير وقد ترك من بعده ابنه « إبى » وكان
فى أول الأمر حاكماً لمقاطعة « هراكنبوليس » ثم المقاطعة « طينة »
بالوراثة عن أبيه . وأخيراً عين حاكماً للجنوب . وقد ترك كل من « زاو »
و « إبى » نقوشاً على قبريهما . وهذه النقوش لا تختلف كثيراً عن
النقوش التى كانت شائعة الانتشار فى هذا العهد ، اللهم إلاّ بعض جمل
تخرج أحيانًا عن حد المألوف قد جاءت ضمن نقوشها فمثلا نجد على مقبرة
الأمير « زاو » : إنى لم أقدم احترامى لأى رجل ولكن احترامى كان
يقدمه لى العظماء ، ولقد عمل لى تابوت وقربان ملكية من البلاط
بمقدار عظيم جداً فى عهد جلالة الفرعون « مرن رع » .

« زاو » وزير «ببى الثانى»

أما مقبرة « إبى » فقد وجدنا فى نقوشها الروح التى يظهرها كل مصرى
تحايلا على استمرار بقاء وقف قبره وعدم الاعتداء عليه ، ولذلك قد استعان
بالتهديد وبقوة التعاويذ السحرية التى كانت شائعة الانتشار فى هذا العهد،
وبخاصة أن الملوك كانوا يستعملونها ويستعينون بها على المحافظة على أهرامهم ،
وأوقافها وكذلك كان يبرىء نفسه أمام العالم من كل المظالم التى كان يقترفها
الناس فيقول : إذا دخل أى إنسان هذا القبر مدعيا ملكيته فإنى سأنقض
عليه كطائر مفترس ، وإنى روح فائقة ، وإنى أعرف كل التعاويذ وأسرار
البلاط فى الجبانة،وإنى المحبوب من والده والمثنى عليه من والدته و«المقرب» «إبى»
ثم يقول : إنى أعطيت خبزا للجائع ، وملابس للعريان ، ... وحبوبا ،

نقوش مقبرة « إبى »

وثيرانا وفلاحين من أوقافى الخ .

وقد ترك « إبى » وريثا له على مقاطعتيه ابنه « زاوشما » ولكن يظهر أنه لم يعمّر طويلا فورثه ابنه وسميّه « زاو » ، وكان كذلك حاكما على طينة ؛ وقد دفن مع والده « زاوشما » فى المقبرة التى أقامها له فى جبانة « هراكنبوليس » فى عهد « بيبى الثانى » .

وقد ذكر لنا كيف دفن والده بكل عظمة وأبهة ونجد ذلك كثيرا على مقابر هذا العصر ولكن الأمر الذى يلفت النظر فى هذه النقوش أنه أظهر رغبته فى أن يدفن مع والده فى القبر الذى أقامه هو له ؛ ولم يكن ذلك من عجز كما يقول فى عمل مقبرة أخرى له خاصة ولكن حباً منه فى أن يكون على مقربة من والده ويراه كل يوم . فيقول : لقد دفنت والدى الأمير « زاو » بطريقة فاخرة جميلة أحسن من أى فرد من أسرته الذين فى الجنوب . وقد التمست أن يشرفنى جلالة سيدى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نفركارع » (بيبى الثانى) عاش أبديا بمنحى تابوتا وملابس وعطورا جنازية لوالدى « زاو » هذا ؛ وقد أمر جلالته مدير الأوقاف بأن يحضر تابوتاً من الخشب وكذلك زيت العيد ، وملابس و ٢٠٠ قطعة من الكتان الممتاز ومن كتان الجنوب الرقيق ، وأقمشة تصرف من بيت المال (البلاط المزدوج) لوالدى « زاو » هذا على أن هذه الأشياء لم تعط قط لأحد فى نفس هذه المنزلة .

دفن الابن مع والده فى مقبرة واحدة

وكذلك وصيّت أن يكون دفنى فى نفس القبر مع « زاو » هذا

حتى أكون فى صحبته فى نفس المكان ، ولم يكن ذلك عن عجز
منى لبناء مقبرة ثانية ، ولكنى فعلت ذلك رغبة منى فى رؤية « زاو »
هذا كل يوم ، ولأنى أريد أن أكون معه فى نفس المكان .

هذه صفحات من أخلاق هذا العصر وعاداته وهى فى الحق تكشف
لنا عن نواح طريفة مختلفة فى حياة المصرى رغم أنها قد كتبت على
القبور والباحث فى تاريخ مصر لا يمكنه أن يصل إلى معرفة تاريخ البلاد
إلا بتحليل مثل هذه النقوش واستنباط الحقائق التى نراها قد جاءت عفوا
وعن غير قصد . والواقع أنا نجد فى أسرة « زاو » دروساً عدة من
الوجهة السياسية والاجتماعية والدينية . فقد كانوا هم القابضين على زمام
البلاد فى عهد « بيبى الأول » و « بيبى الثانى » لما كان لهم من المكانة
فى البيت المالك لقرابتهم له ولما لهم من المجد القديم ؛ إذ كانوا حكام
مقاطعتين وراثيتين من أعظم مقاطعات البلاد ، وكذلك لأنه كان منهم
الوزير وحاكم الجنوب ، ولكن رغم كل هذا فإن عوامل الضعف كانت
قد أخذت تدب فى البلاد ، وكانت قوة الملك أخذت فى التدهور شيئاً
فشيئاً مما سنفصله بعض الشىء هنا . إذ بعد اختفاء « بيبى الثانى » هوت
البلاد دفعة واحدة إلى الحضيض ولم تقم لها قائمة مدة طويلة من الزمان
والأسباب التى أدت إلى ذلك سنشرحها ببعض التفصيل فيما بعد .

نفوذ أسرة زاو

وخلف « بيبى الثانى » فرعون آخر يدعى « مرن رع محتى إم ساف »
غير أننا : لا نعرف شيئا عن حكمه وتولى العرش بعده كما يقول « مانيتون »

ملكة تدعى « نيتوكريس » التى كانت تعد أجمل نساء عصرها ، وكانت شقراء اللون . وقد تكلمنا عن هذه الملكة والملابسات التى حدثت فى اسمها واسم الملكة « خنت كاوس » عند الكلام عن الأخيرة ولا غرابة فإن نهاية الأسرة السادسة كانت غامضة ولم تعثر فى الآثار للآن على ما يكشف لنا القناع عن الحقيقة وربما بقى ذلك سراً غامضاً إلى الأبد ، لأن خاتمة الأسرة كانت عصر ثورات واضطراب لم يقم فيه من الآثار ما ينير لنا الطريق .

سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية

لقد كانت سلطة الفراعنة فى الأسرة السادسة آخذة فى التدهور شيئاً فشيئاً وبخاصة فى عهد الفرعون « بيبى الثانى » الذى حكم البلاد أكثر من ثلاثة أجيال وقد انتهى الأمر بعده بانحلال البلاد وتفشى الثورة فيها مما قلب الأمور رأسا على عقب كما سيأتى شرحه . ويرجع السبب فى ذلك إلى أمرين هامين : الأول إغارة الأجانب من البدو على البلاد من جهة والحروب الداخلية من جهة أخرى . وتفصيل ذلك أن البدو رغم الهزيمة المنكرة التى لحقت بهم فى عهد « بيبى الأول » لم يفقدوا الأمل فى غزو البلاد المصرية التى كانت فى تلك الفترة تزخر بالثراء والغنى . وقد سنحت لهم الفرصة فى عهد الملك « بيبى الثانى » لنيل مأربهم إذ كانت الأحوال

ميثة لهم . فقد كان كل حاكم من حكام المقاطعات الوراثيين منهمكا في
المحافظة على مقاطعته التي كانت تعد بمثابة مملكة صغيرة مستقلة . أما في
الوجه البحري الذي كان فيه مقر الملك فيحتمل أن القوم كانوا ملتفين حول
الملك بعض الشيء ، ودافعوا عن بلادهم ، غير أنه ليست لدينا وثائق
تاريخية تحدد لنا الموقف بالضبط ولكن على أية حال كان موقف الحكومة
المصرية في هذا العهد في حالة يرثى لها حتى إن الشعب انتهز هذه الفرصة
وقام بثورة اجتماعية طاحنة امتد أمدها أكثر من قرنين من الزمان كانت
البلاد ترزح خلالها تحت عبء ثقيل من الفوضى والخراب إذ كان سلطان
فرعون قد زال وأملاكه قد اختفت والحقوق المدنية والدينية قد تولاها
كل من كان في قدرته أن يبسط يده عليها ، وأخذ كل شخص يغير على
ما يستطيع أن يصل إليه ، ضاربا بكل نظام وقانون عرض الحائط ، وقد
كان من جراء امتداد هذه الفوضى أن ساد البلاد الخوف وانتشر
القحط وعم الانحلال الخلقي وعدم المبالاة بالتقاليد الدينية والمعتقدات الموروثة
وليست لدينا وثائق تاريخية تنير لنا الطريق خلال هذا العصر المظلم اللهم
إلا معلومات ضئيلة جدا ولكن من جهة أخرى قد أسعفتنا الوثائق الأدبية
الشعبية إذ الواقع أن أزمة هذا العصر طال أمدها فأثرت على
أذهان القوم وبخاصة على أفكار الحكماء وأهل الفكر وعلى خيال القصاصين
تراهم يصورون ما حاق بالبلاد من ضنك وشدة وما قاست من ويلات
الخراب بعبارات مؤثرة جداً خارجة من الأعماق . وأهم كتاب وصل

عصر الفوضى

موضوع تحذيرات نبى

إلينا من هـذا العصر هو « تحـذيرات نبى » وهو من الـكتب الأدبية النـادرة فى حسن تركيبها وتأثيرها فى النفس حتى أن أدباء العصـور التى تلت كانوا يتخذونها نموذجا أدبيا يدرس فى المدارس، ومن المرجح جداً أنها كتبت فى عهد الأسرة التاسعة والعاشرة . ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه القطعة الأدبية تصف لنا أول انقلاب اجتماعى فى آخر عهد الدولة القديمة الذى كان سببه الفوضى ويشبه فى تصويره حالة البلشفية المتطرفة فى تاريخ العالم .

وموضوع هذه التحذيرات هو أنه حاقت بالبلاد مصيبة شنعاء فى عهد أحد حكام الأزمان القديمة فثار عامة الناس على الموظفين وعلية القوم ، وكذلك عصى الجنود المرتزقة من الأجانب قادة البلاد ، ويحتمل أن الأسيويين هددوا الحدود الشرقية أيضا ؛ وبذلك انحل الحكم المنظم فى مصر جملة . ولـكن الملك الطاعن فى السن كان يعيش فى طمأنينة فى قصره لأنه كان يغذى بالأكاذيب . وعندئذ ظهر حـكيم يدعى « إبور » وأخـبر الملك بـكل الحقيقة فوصف له البؤس الذى عم البلاد وتنبأ بما سيأتى بعد ، وحرّض سامعيه على أن يحاربوا أعداء البـلاد ، وذكّرهم بأن عبادة الآلهة لابدّ أن تعاد إلى ما كانت عليه .

والعهد الذى حدث فيه هذا الانحلال فى نظام الحـكم لا بد أن يكون فى نهاية الدولة القديمة وذلك أنه فى ختام الأسرة السادسة (٢٥٠٠ ق . م) أختفت مصر عن الأعين فجأة وصارت فى ظلمة كأن مصيبة عظمى قـد نزلت بها . وأن ما ذكر هنا من أن الملك الذى كان يخاطبه الحـكيم كان

ـناً يتفق تماماً مع الحقائق التاريخية ، لأن الملك الذى اختفت معه الدولة
ـقديمة عن أعيننا لا يكون إلا الملك « بيبى الثانى » الذى جلس على
ـرش الملك فى السنة السادسة من عمره وحكم مدة أربعة وتسعين عاماً
كما نقل عن المصريين أنفسهم .

يبتدىء المتن بوصف البؤس العام الذى حلّ بالبلاد من سرقة وقتل
وتخريب وقحط ، وتشريد الموظفين وتفكك الإدارة ، والقضاء على
التجارة الخارجية وغزو الأجانب البلاد وتولية الغوغاء مراكز الطبقات العليا
فيذكر الحكيم : إن أهالى الصحراء قد حلوا مكان المصريين فى كل
مكان وأصبحت البلاد ملأى بالعصابات حتى أن الرجل كان يذهب
ليحرث أرضه ومعه درعه ، وشحبت الوجوه وكثر عدد المجرمين ولم يعد
هناك رجال محترمون ، وفقد الناس الثقة فى الأمن ؛ وعلى الرغم من
فيضان النيل فإنهم أحجموا عن الذهاب لفلاحة أراضيهم خشية اللصوص
وقطاع الطرق ، وصارت النساء عاقرات ولم يعد هناك حمل بسبب إعراض
الإله « خنوم » عن هذا العمل غير المجدى . وأصبح المعوزون يمتلكون
أشياء جميلة بينما نجد الأشراف فى حزن لا يشاطرون أهاليهم أفراحهم ،
ثم أن القلوب صارت ثائرة والوباء انبث فى كل الأرض والدم أريق فى
كل مكان . وكثر عدد الموتى حتى أصبحت جثثهم من الكثرة بحيث
استحال دفنها ؛ ولذا فإنها ألقيت فى الماء كالماشية الميتة . وأصبح أصحاب
الأصل الرفيع مفعمين بالحزن بينما امتلأ الفقراء سروراً ؛ وكل بلدة تنادى

قائلة فليقص أصحاب الجاه عنا ؛ وصارت الأرض تدور كعجلة صانع الفخار، فأصبح اللص صاحب ثروة وتحول النهر إلى دماء عافتها النفوس ، ودمرت البلاد وصار الوجه القبلى صحراء جرداء ، وأصبحت التماسيح فى تخمة بما قد سلبت ، وانتشر حفارو القبور فى كل مكان بسبب كثرة الموتى ، وخربت المنازل ، وأصبح المصريون لا يرون الآن ، وصار الذهب واللازورد والفضة والياقوت تحلى جيد الجوارى بينما تمشى السيدات النبيلات فى طول البلاد يقلن : « ليت لدينا بعض الشىء لنأكل ، وصارت أعضاؤهن فى حالة يرثى لها لما عليها من الخرق البالية ؛ وقلوبهن تنفطر حزنًا عند ما يشاهدون أنفسهن فى حالتهن هذه . وأصبح مهندسو السفن الملكية يشتغلون عمالا عاديين . ولم يعد الناس يذهبون إلى « ببلوص » (وهى جبيل بلبنان) لاحضار خشب الأرز لأجل الموميات وأصبحت المدن لا تؤدى الضرائب بسبب القلاقل وصارت الخزينة من غير دخل . وقضى على الضحك ولم يعد يسمع ، بينما أخذ الحزن يتمشى فى طول البلاد وعرضها ممزوجًا بالأسى ، وكره الناس الحياة حتى أصبح كل واحد منهم يقول « ليتنى مت قبل هذا » والأطفال الصغار يقولون : « كان يجب عليه ألا يجعلنا على قيد الحياة » ، وأولاد الأمراء يضرب بهم عرض الحائط والأطفال الحديثو الولادة يلقون على قارعة الطريق ، وانتزعت موميات علية القوم من مقابرها وألقيت فى الطريق العام وأصبح سر التحنيط جهراً . وألقى المواطنون على أحجار الطواحين ، وأصبح الذين كانوا يرتدون الكتان الجميل يجلدون ،

واضطرت سيدات الطبقة الراقية اللائى كن يسكن فى البيوت إلى العمل الشاق فى حرارة الشمس ، وأصبحت اللائى كن على أسّرة أزواجهن ينمن على مضاجع مُقضة وصارت السيدات مثل الجوارى . وتحولت أغانى العازفين إلى أناشيد حزن ، وأصبح الرجل الأحمق يشك فى وجود (الإله) فيقول : . . . . « إذا عرفت أين يوجد الإله قدمت له قرباناً » ، وأصبحت الماشية والقطعان تندب بسبب حالة البلاد ، والرجل يقتل أخاه من أمه ، والطرق شائكة ، فاللصوص يكمنون فى الحشائش حتى يأتى المسافر فى ظلام الليل ليسلبوا منه حمله ويسرقوا ما عليه ثم يضربوه بالعصى حتى يقطع نفسه ثم يذبح ظلماً . وقد انمحى ما كان يشاهد بالأمس واتلفت المحاصيل ، وأصبح القوم يأكلون الحشائش ولم تعد هناك فاكهة ولا أعشاب تقدم للطيور . وقد أصبحت القاذورات تختطف من أفواه الخنازير بسبب الجوع ، وانعدمت الغلال وجرد القوم من الملابس والعطر والزيت وصارت المخازن خاوية ، وسلبت كتابات قاعة المحاكمة الفاخرة وأذيعت التعاويذ السحرية التى كانت ملكا للحكومة ، ونهبت الإدارات العامة ومزقت قوائمها ، وذبح الموظفون وصار القوم يطأون بأقدامهم قوانين قاعة المحاكمة ، والفقراء يروحون ويجيئون فى البيوت العظيمة (المحاكم العليا القديمة) دون خوف ولا وجل .

الكفر بالله

وبعد ذلك يأخذ الحكيم فى وصف مصائب حلت بالبلاد تفوق بمراحل تلك التى سبق أن شكا منها ؛ إذ تنهار الملكية وينتصر العامة وهنا يظهر ثانية كيف أن الأغنياء أصبحوا فقراء بينما أصبح الغوغاء أثرياء فيقول . (أنظر

فقد حدثت أشياء لم تحدث فيما مضى ؛ إذ اغتصب الفقراء القبر الملكى ، وأصبح الملك الذى دفن كصقر يرقد على نعش ، وآل الأمر إلى أن حرمت البلاد الملكية بسبب بعض القوم الذين لا شعور لهم ، وأظهر الناس العداء للملك الذى جعل الأرضين فى سلام ، وأفشيت الأسرار الملكية وأصبح مقر الملك رأساً على عقب ، وامتلأت الأرض بالعصابات ، واغتصب الجبناء الرجال الشجعان ، وأصبح من لم يكن فى مقدوره أن يصنع لنفسه تابوتاً يملك قبراً قد اغتصبه لنفسه ، وألقى بأرباب المكان الطاهر (الموتى) على قارعة الطريق . وحدث أن الذى لم يكن يستطيع أن يقيم لنفسه حجرة يملك فناء مسوراً ، وطرد حكام البلاد وأصبحوا ينامون فى المخازن ، واضطرت السيدات الكريمات إلى الرقاد على الفراش الخشن وأصبح الرجل الميسور ينام ظمآن ؛ وذلك الذى كان يستجدى منه العقاقير صار يملك الجعة المسكرة ، والذين كانوا يملكون الملابس أصبحوا فى خرق بالية ، وذلك الذى كان لا ينسج لنفسه أصبح يملك الكتان الجميل ، ومن لم يبن لنفسه قارباً أصبح الآن صاحب سفن ، ومن لم يكن له ما يظله أصبح يملك أفياء ، وهؤلاء الذين كانوا يملكون ما يأويهم أصبحوا الآن عرضة لزعازع العواصف ، وأصبح من كان يجهل الضرب على العود يملك قيثاراً ، وذلك الذى لم يكن يغنى له أحد أصبح الآن مثنى عليه من إلهة الموسيقى ، وأصبح من كان ينام أعزب بسبب الحاجة يجد الآن سيدات نبيلات ، ومن كان لا يملك شيئاً ، صاحب ثروة ويمتدحه الأمير تملقاً ؛ ومن كانت لا تملك صندوقاً صاحبة

صوان ، ومن كانت تشاهد وجهها فى المـاء صاحبة مرآة ؛ وأصبح القصابون يغشون الآلهة ، فيقدمون لهم ذبيحة من الأوز بدلا من الثـيران ولم يعد هناك موظف فى موضعه اللائق به ؛ وأصبح النـاس كالقطيع المذعور من غير راع . أما المـاشية فهى تجول ولا أحـد يعنى بها وكل إنسان يأخذ لنفسه منها ما يريد ، وأصبح الرجل يذبح بجوار أخيـه فيـتركه فى الضيق لينجو بنفسه ، ولم يعد هناك صانع يعمل إذ أن العدو قد حرم البلاد حرفها) .

ثم يأخذ الحكيم فى حث المخلصين للعرش على مقاومة اعداء الجالس عليه فيأمرهم بتدمير خصوم المقر الملكى صاحب الموظفين المتفوقين وصاحب القوانين العدة .

ثم ينتقل الحـكيم إلى تذكير القوم بعبـادة الآلهة وكيف كانت تجرى فيما مضى وكيف يؤل أمرها فى المستقبـل : فيـذكرهم كيف كانت تجلب الأوز سمينة وتقرب إلى الآلهة ، وكيف كانت تقام عمـد الأعـلام عنـد مدخل المعبد . وتنقش ألواح القربان وكيف كان الـكهنة يطهرون المعابد ، وكيف كانت ترعى الأنظمة وتذبح الثيران .

ينتقل الحـكيم بعد ذلك إلى مخاطبة الملك المسن فيقول له : إن القيادة والفطنـة والصدق معك ولـكنك لا تنتفع بها ، فالفوضى ضـاربة أطنابها فى طول البلاد وعرضها ، ولكنك مع ذلك تغذى بالأكاذيب التى تتـلى عليك ، فالبلاد قش ملتهب والإنسانية منحلة ، ليتك تذوق بعض هـذا البؤس بنفسك) . . .

بعد ذلك يصف لنا الوقت السعيد الذى يحفظه المستقبل فيذكر : أنه

لحسن عند ما تشيد أيدى الناس الأهرام ، وتحفر البرك ، وتنشىء للآلهة مزارع فيها أشجار ، وعند ما يكون السرور شاملا وكبار الموظفين واقفين ينظرون إلى الأفراح وهم يرتدون أجمل الثياب ، وعندما تكون الأسرّة وثيرة ووسادات العظماء محمية بالتعاويذ التى تقيهم الأرواح الشريرة . بعد ذلك نشاهد فجوة كبيرة فى المتن لا بد أنها كانت تحوى جواب الملك على هذا الكلام . ثم يجيبه الحكيم بأن القوم يغطون وجوههم من المستقبل ويستمر فى وصف سوء حال البلاد واقتحام مقاصير القبور وحرق التماثيل . غير أن المتن مهشم تمامًا .

الأسرتان السابعة والثامنة

مقدمة : يعد العصر الذى تلا الأسرة السادسة إلى ظهور الأسرة الحادية عشرة من أظلم العصور فى تاريخ مصر . وقد أختلف المؤرخون فى تقدير طول هذا العصر فقدره الأستاذ فلندرز بترى بنحو ٣٤٤ سنة وذلك من بداية الأسرة السابعة الى الأسرة الحادية عشرة . وقدره الأستاذ برستد بنحو ٣١٥ سنة من الأسرة السابعة الى الأسرة العاشرة .

والواقع أن هذا العصر مجدب فى الحقائق التاريخية وماذلك إلا لعدم وجود آثار معاصرة وبخاصة فى عهد الأسرتين السابعة والثامنة . وكل ما يمكن الإشارة إليه من الآثار فى عهد هاتين الأسرتين بعض جعارين للفرعون « نفركا رع » الذى يظن أنه من فراعنة الأسرة السابعة . وكذلك اسطوانة

من حجر اليشم الأخضر تعزى إلى الفرعون « خندو » ويقال أنها من صناعة سورية . وهذا الفرعون « خندو » ينتسب إلى ملوك الأسرة الثامنة. وكذلك عثر على خاتم للفرعون « نفر كا رع تلولو » رب الشمال ، وعلى مراسيم للفرعون « نفر كاوحور » وسنتكلم عن محتوياتها فيما بعد .

عثر على جعران لفرعون اسمه « رع إن كا » وهذا الجعران رغمَ ما عليه من الإشارات المصرية فإنه وجد عليه رسم يدل على إنه من أصل سامى محض وهو يشبه الرسم الذى على إسطوانة الفرعون « خندو » . وهذه الدلائل التى ذكرناها رغم قلتها مضافة إلى الفوضى التى سادت البلاد فى هذا العصر تزكى الفكرة القائلة بأن البلاد فى هذه الفترةِ قد غزاها قوم من أهالى سوريا . وهى نظرية يميل اليها الكثيرون من المؤرخين المحدثين.

غزو البلاد فى عهد الاسرتين السابعة والثامنة

والظاهر أن هؤلاء الفراعنة الذين حكموا البلاد فى خلال هاتين الأسرتين لم يشيدوا مبانى عظيمة كأسلافهم فى طول البلاد وعرضها ؛ إذ الواقع أننا لم نعثر لهم فى محاجر سينا والحمامات على أى أثر من النقوش ؛ إذ كان المتبع فى عهد أسلافهم أن كل ملك من الذين أقاموا المعابد العظيمة ينقش اسمه على صخور هذه الجهات تذكاراً للحملات التى كان يرسلها لقطع الأحجار النادرة لعماراته ومقابره الخالدة . ويظن الأستاذ بترى أن الوجه البحرى وجزءاً من الوجه القبلى قد غزيا فى نهاية الأسرة السادسة بل يقال إن قوماً من الشمال الشرقى من سوريا فتحوا مصر ولا يبعد أن يكون ذلك مقدمة للغزوة العظيمة التى قام بها الهكسوس للبلاد فيما بعد ،

وأهم ما لدينا من الدلائل على حدوث هذه الغزوة ظهور الازرار التى كانت تتخذ شارات منذ نهاية الأسرة السادسة ثم اختفت فى الأسرتين التاسعة والعاشرة . وهـذا النوع من الأزرار التى عثر عليها فى مصر رغم وجود بعض الأشـكال المصرية البحتة عليهـا أحيـانًا مثل عـلامة (☥ الحيـاة) وعلامــة الصقر — كان الطابع الأجنبى ظاهراً فى صناعتها واضحًا . هذا إلى أن الإسطوانات الخضراء التى عثر عليها من عصر الملك « خندو » هى صناعة أجنبية بغير شك ؛ وإن كان بعض التفاصيل التى عليها مصرية . ولا يفوتنا كذلك ذكر بعض أسماء وجدت فى هذا العصر مثل « شماى » و« نى » و« تلولو » و« عانوا » يستـدل من تركيبها أنها سـامية الاشتقاق . وكذلك كان نفوذ الفرعون قد تدهور تدهوراً عظيما فى نهـاية حـكم الملك « ببى الثانى » كما أسلفنا ، وسادت الفوضى البلاد حتى أننا لا نعرف من الآثار التى بقيت لنـا من عهد الأسرة السابعة شيئًا محدوداً . وكل ما وصل إلينا كان عن طريق رواية « مانيتون » . فقد روى لنا أن هذه الأسرة كانت تضم سبعين فرعونًا حـكموا سبعين يومًا ؛ ولا نظن أن مثـل هذه الأسرة كان لها وجود بهذه الصفة ، بل ربما ضرب لنا «مانيتون» ذلك مثلا للفوضى التى كانت ضاربة اطنابها فى البلاد بعد سقوط الأسرة السادسة .

الأسرة الثامنة القفطية (٢٢٨٠ — ٢٢٤٠ ق . م)

أما الأسرة الثامنة فرغم ورود أسماء مـلوك لها فى قوائم الفراعنـة فإن تاريخها غامض غموضًا تامًا اللهم إلا بعض حقائق عن بعضهم ضئيلة سنذكرها

فيما بعد . ففى قائمة العرابة نجد أسماء ١٧ فرعونا حكموا زمنا فى عهد هذه الأسرة وفى قائمة تورين نجد مذكورا ثمانية فراعنة فقط ؛ أما المؤرخ « مانيتون » فانه ذكر لنا أن عدد ملوكها ثمانية عشر دون أن يذكر أسماءهم ؛ على حين أن قائمة سقارة لم يرد فيها ذكر فرعون بعد « بيبى الثانى » الى أوائل الأسرة الحادية عشرة ، أى أنها أهملت الأسرات السابعة والثامنه والتاسعة والعاشرة؛ هذا ما ورد فى القوائم ، أما الآثار فإنها لم تذكر لنا ما يشفى غلة . حقا أنه يوجد فى سقارة بعض أهرام لابد أنها أقيمت بعد عهد « بيبى الثانى » غير أننا لم نتحقق من بينها اسم ملك . ولكن إذا حكمنا حسب الأسماء التى ذكرتها لنا قائمة العرابة فى عهد الأسرة الثامنة وجدنا أن فراعنة هذه الأسرة قد بقوا محافظين على تسمية أنفسهم بأسماء اسلافهم فى معظم الاحيان. فمثلا نجد من بين ملوك الأسرة الثامنة خمسة فراعنة تسموا باسم « نفركارع » وواحد تسمى باسم « ددف رع » وآخر اطلق على نفسه أسم « نفر إر كا رع » وهكذا . والظاهر أنه كان من جراء الحركة التى قام بها حكام المقاطعات للمحافظة على إستقلالهم فى مقاطعاتهم منذ الأسرة السادسة ، أن حاكم مقاطعة قفط آنس من نفسه القوة فضم الى مقاطعته المقاطعات السبع العليا من الوجه القبلى . واسس منها مملكة مستقلة تحت سلطانه عن أسرة منف . ومما يؤسف له أن « مانيتون » لم يذكر لنا شيئا مطلقا عن هذه الأسرة القفطية ويرجح أنها قد مكثت نحو أربعين عاما . وقد حفظت لنا الآثار أسماء بعض فراعنتها إذ عثر فى قفط نفسها على بعض أثار تدل على أن فراعنتها كانوا يحملون

كل الألقاب الفرعونية . وقد كانت نقطة ضعف ملوكها أنهم كانوا يغمرون وزراءهم الذين كانوا ينتخبون من أسرة خاصة بسلطة واسعة حتى أنهم كانوا فى الواقع هم المسيطرون الحقيقيون على شئون هذه المملكة . وقد عثر على مراسيم عدة للفرعون « نفركاوحور » أحد ملوك هذه الاسرة فى قفط نفسها ، منها مرسوم خاص بوقف تمثال لفرعون . وقد أرسل الامر الخاص بهذا الوقف إلى رئيس كتبة الحقول للمقاطعات الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة من مقاطعات الوجه القبلى لتنفيذه ؛ ولا نزاع فى أن جميع الحقول الفرعونية فى المقاطعات الخمس السالفة الذكر هى المقصودة لتحبس على هذا التمثال مما يدل دلالة واضحة على أن هذه الممتلكات كانت ضئيلة وإن أملاك الفرعون فى المقاطعات أخذت تتناقص وتتضاءل بسبب ما كان يهبه الفرعون لحكام الأقاليم من أملاكه الخاصة فى هذه الجهات مما زاد فى سلطانهم وقلل من نفوذه وأضعف سلطانه . وكذلك لدينا مرسوم آخر يعد من أهم المراسيم الإدارية التى عثرنا عليها من هذا العصر إذ فيه نصب الفرعون وزيره « شماى » مديرا على الوجه القبلى ووضع تحت سلطانه الاثنى والعشرين مقاطعة التى كان يشتمل عليها صعيد مصر مع ذكر اسم كل منها من البداية إلى النهاية حسب ترتيبها الجغرافى . وبعد فترة عين الفرعون وزيرا آخر لا نعرف اسمه ويحتمل أنه ابن « شماى » ليكون مديرا للوجه القبلى ؛ غير انه قد حدد اختصاصه بالمقاطعات السبع الجنوبية فقط ، ومن ذلك نرى أن الوزير قد اشترك معه إبنه فى حكم المقاطعات التى

تحت سلطانه (من المقاطعة الأولى إلى السابعة) من الوجه القبلى . ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن وظيفة الوزير التى أنشأها الفرعون لكبح جماح حكام الأقاليم أصبحت وراثية يتولاها الإبن عن الاب مما جعل نفوذ الملك صفرا . وقد كان كذلك من حسن الصدف أن عثرنا فى هذا العهد على مرسوم آخر فى قفط لفرعون يدعى « دمزاب تاوى » وهذا الفرعون لم يذكر فى قوائم الفراعنة المعروفة لدينا لهذا العهد ، غير أنه من المحقق أنه من هذه الاسرة وقد تأكدنا ذلك من اسم الوزير الذى ذكر معه . وقد جاء فى هذا المرسوم أن الفرعون كان يهدد بالعقاب الصارم كل أهل هذه الارض الذين يعتدون على الأوقاف أو يتلفون أو يهشموا النقوش أو المعابد أو موائد القربان أو تماثيل الوزير « إدى » التى توجد فى كل المعابد والأماكن الدينية . أليس من المدهش أن نرى للوزيز « إدى » تماثيل وقربانا فى كل المعابد التى فى الوجه القبلى وأن يحافظ عليها ويعتنى بها بهذه الكيفية ؟

وأدهش من ذلك أنه بجانب العقاب الدنيوى الذى يلقاه كل من تعدى على حقوق هذا الوزير أن نرى الفرعون يعلق أهمية كبرى على العقاب فى الآخرة . إذ يقول : أن المعتدين لن يجمعهم الإله ؟ مع الملائكة المطهرين بل سيوثقون ويكبلون ويساقون أسرى للإله أوزير ولآلهة مدنهم . وهنا نشاهد أن الإله أوزير والآلهة المحلية كانت تعد قضاة وقد كانت هذه المكانة محفوظة للإله « رع » حتى هذة الفترة وذلك مما يدل على الإنقلاب الدينى ضد عبادة هليوبوليس (عين شمس) ومملكة منف.

وأخـيراً نرى أن الفرعون « دمز إب تاوى » يهـدد بسخطه وغضبه كل الموظفين بما فيهم الفرعون والوزير والأمراء الذين يعارضون فى تنفيذ هـذا المرسوم . على أننا سنشاهد مثل هذا التهديد للفرعون فى مرسوم فى عهد أواخر الدولة الوسطى وهو عصر يشبه الذى نحن بصـدده الآن من حيث الاضطراب والفوضى والغزو . ولا شك أن مثل هذه الحالة من العلامات المميزة لعصور الفوضى والاضطراب . ومنـذ بضع سنين عـثر على مقبرة لأحد حـكام مقاطعة أدفو فى بلدة المعـلّة وتقع فى منتصف الطريق بين إسنا وأرمنت على الشاطىء الأيمن للنيـل . ونقوش هذه المقبرة لم تنشر بعد رغم أنها فى غاية الأهميـة من الوجهة التـاريخية وربما كانت النقوش الفريدة التى نفهم منها أن الثورة التى قام بها فراعنة قفط لم تقبلها حـكام المقاطعات الجنوبية الثلاثة ـ الفنتين وادفو وهيرا كنبوليس ـ عن طيب خاطر بل حارب أهلها من أجـل استقـلالهم بكل عنف وبسالة إذ الواقـع أن النقوش تدلنـا على أن أهلهـا حاربوا ضـد طيبة وقفط فى جانب ملك لم نعرف اسمه بـكل أسف على وجه التحقيق . وقد ختمت هـذه الحروب بانتصار طيبة وقفط طبعاً غير أن نقوش هذا الحاكم لم تذكر لنا هذا الانتصار .

ومن المحتمل جـداً أن الأسرة الثـامنة المنفية قد أختفت حوالى عام ٢٢٤ ق . م . والظاهر أن قبـل هـذا التـاريخ بعامين كانت المملـكة الشمالية الصغـيرة التى كانت قد حرمت ريفها الخصيب ، قد اقتطـع منها إقليم آخر يحتـوى عـدة مقاطعات . وذلك أن حاكم مقاطعـة إهنـاس

(هراكليوبوليس) واسمه « حيتى » أعلن نفسه فرعونًا على مصر السفلى ومصر العليا . واتخذ لنفسه لقب « مر إيب » ؛ ولا نعلم كيف انتهت تلك المملكة المنفية على أن شواهد الأحوال كلها كانت تنذر باختفائها إذ كانت فريسة بين الأسيويين الذين كانوا يحتلون الدلتا وبين ملوك إهناس الجدد ، ولذلك لم يعد فى مقدور ملوكها البقاء وقضى عليها من عالم الوجود . ومن ذلك الحين نرى أن مصر فى هذا العهد كانت مقسمة ثلاثة أقسام ففى الشمال كانت الدلتا فى يد الأسيويين وفى مصر الوسطى كان حكام إهناس هم المسيطرون ، وفى الوجه القبلى نجد أن البلاد كانت ملتفة حول حكام طيبة ولا نعرف شيئًا عن اختفاء أمراء قفط الذين كانوا أصحاب السلطان فى المقاطعات الجنوبية . وربما يعزى ذلك إلى ضعفهم وتغلب حكام طيبة عليهم . ويظن الأستاذ « بترى » أن الوجه القبلى فى هذا العهد قد غزاه قوم من الجنوب وكان من جراء ذلك أن الغزاة استوطنوا طيبة ؛ وكان منهم فيما بعد سلالة ملوك الأسرتين الحادية والثانية عشرة . وقد اعترف الدكتور هول بهذه الفكرة فى كتاباته عن مصر فى هذا العهد . ومما يدعم هذا الرأى وجود الدم النوبى فى عروق هؤلاء الملوك الذين كان يطلق عليهم اسم « منتوحتب » أو « سنوسرت » أو « امنمحيت » . ومن كل ذلك نستخلص أن البلاد فى هذا العهد قد اجتيحت بالغزوات الأجنبية من كل الجهات فانقض عليها الأسيويون من الشمال والنوبيون من الجنوب واللوبيون من وسطها وعادت البلاد إلى

سيرتها الأولى من الفوضى والإنقسام . ولم يبق فيها تحت سلطان الجنس المصرى الحقيقى إقليم واحد . هذا إذا سلمنا بأن ملوك إهناس يرجع أصلهم إلى الجنس اللوبى (؟)

الأسرتان التاسعة والعاشرة

كان مقر فراعنة الأسرتين التاسعة والعاشرة مدينة هيرا كليوبوليس وهى المعروفة الآن باسم إهناس المدينة ويظن بعض المؤرخين أن ملوكها من أصل لوبى وإنهم غزوا مصر عن طريق الفيوم حتى وصلوا إلى مدينة إهناس واتخذوها عاصمة لملكهم لما لها من ماض مجيد من الوجهة التاريخية والمكانة الدينية فضلا عن أنها كانت أعظم مدينة صادفتهم أثناء زحفهم على البلاد . وأهم حاضرة فى وسط القطر . والواقع أن مدينة إهناس كانت حاضرة ملوك الوجه القبلى (نسوت) قبل توحيد الأرضين . هذا إلى أنها كانت من أقدم المواطن المقدسة فى البلاد ، إذ يعزى إليها حسبما ذكر فى التقاليد الدينية والأساطير أن الإله « شو » إله الفضاء قد رفع فى هذه المدينة السماء عن الارض وكانتا رتقا إذ ذاك . وجعل الأرض يابسا . وكذلك جاء فى الأساطير الدينية أن الإله رع (إله الشمس) أرسل إلى هذه المدينة الإلهة « سخمت » إلهة الحرب لتهلك بنى الإنسان بسبب عصيانهم وثورتهم على هذا الإله المسن . يضاف إلى ذلك أنه جاء

مركز « إهناس » السياسى والاجتماعى والدينى

فى الاقاصيص الدينية أن الإله « أوزير » والإله « حور » ابنه قد توجا ملكين على البلاد فى هذه المدينة ، وقد ذكر كذلك فى كتاب الموتى فى الفصل ١٢٥ أن أحد القضاة الإثنين والأربعين الذين يحاكمون الموتى فى قاعة الحساب ويدعى (كاسر العظام) أصله من هذه البلدة . واول فرعون تولى عرش الأسرة التاسعة فى إهناس هو « خيتى الأول » وقد كانت له شهرة سيئة فى التاريخ حسبما جاء فى الروايات التى رواها لنا عنه مانيتون المؤرخ المصرى . ومن بعده المؤرخ الإسكندرى إرستاتونيس . فقد ذكر الأول أن من بين الفراعنة التسعة عشر الذين حكموا فى إهناس نحو ٤٠٩ سنة كان « اختبوى خيتى » هذا أسوأ أسلافه وقد أنزل الضرر بكل سكان مصر وانتهى أمره بأن جن جنونه واغتال حياته تمساح . وهذا مثل صارخ من العدالة الإلهية إذا كان حقا « خيتى » كما صوره لنا المؤرخون . اما « أرستاتونيس » فإنه يروى أن الفرعون السابع والعشرين من ملوك طيبة الذى يطلق عليه اسم « خوتورتوروس » العاتى ، حكم سبعة أعوام (حوالى عام ٣٦٦٣ ق . م) وقد ارتكب فى خلالها مظالم كثيرة ولا نزاع فى أن « خيتى » الذى عثرنا على اسمه فى النقوش هو نفس « اختيوس » الذى ذكره « مانيتون » ؛ غير أنه ليست لدينا وثائق تاريخية تؤكد لنا ما وصفه به مانيتون ونسبة اليه زميله من الأعمال . ولكن حوادث التاريخ تعلمنا أن العظماء الذين يقومون بتأسيس دولة باغتصاب عرش غيرهم ، لا يبالون بمن يعترضهم فى طريقهم ولا يقيمون وزنا للمظالم التى

يرتكبونها فى سبيل الوصول إلى أغراضهم وفتح طريق الفلاح امامهم .

ولا غرابة إذا كان « خيتى » ظهر بهذا المظهر الوحشى عند تأسيس ملكه فى إهناس . ولا غرابة كذلك اذا كان هذا الفرعون قد أحاط نفسه بهالة من الخوف والفزع حتى لا يقترب أحد منه أو يجرأ على منازعته. ومما يؤسف له ان بعض أخلافه لم يكن فيهم شىء يذكر من قسوته وفظاظته بل على العكس كانوا على جانب عظيم من التقى والصلاح كما سنرى . واذا كان «خيتى» الذى نحن بصدده الآن هو نفس«نب كاو رع خيتى» الذى ذكر فى قصة شكاوى الفلاح ؛ فإنه بلا شك كان يمتاز بالنكات وحب المزاح ؛ وربما كان للمؤرخ مانيتون عذر فى وصفه بما وصفه به اذ فى قصة الفلاح كان الفرعون يقصد المزاح فى شدته معه ؛ ولكن القوم كانوا يرون فى ذلك شدة وعنفا وظلما حقيقيا . غير أن ذلك لم يحقق، بل يعده بعض المؤرخين آخر ملوك هذه الاسرة . ومما يؤسف له جد الأسف أنه لا يمكننا أن نعطى رأيا قاطعا فى ترتيب فراعنة « إهناس » خلال الأسرة التاسعة ولكن المعترف به مؤقتا أن خيتى الاول هو « مرى إيب رع » وقد

حكم خيتى الاول

حكم نحو ٢٢ عاما (٢٢٤٢ — ٢٢٠٠ ق . م) حسبما وصلت إليه معلوماتنا إلى الآن ؛ غير أن البلاد كانت فى ارتباك ومشاحنات من طرفيها ولم يكن فى مقدور فرعون إهناس أن يقبض على زمام الأمور بعزم وحزم . فكانت الدلتا كما ذكرنا « خيتى الثالث » عندما كان ينصح ابنه « خيتى الرابع » فى حال سيئة ولم يكن فى مقدور « خيتى الثالث » إلا أن يهدىء الأحوال بعض

الشيء بعد جهد جهيد . وقد واتاه الحظ فى الدلتا فنجح فى التغلب عليها أما فى الجنوب فكان حظه عاثرا . والواقع أن سلطان فراعنة « إهناس » كان ضئيلاً بل منعدماً فيما خلف حدود مدينة طينة وبلدة العرابة المدفونة . وكذلك كان نفوذه فى شمال طيبة نفسها ضعيفاً ويرجع ذلك إلى أن الأمراء المحليين فى أسيوط وإن كانوا يدينون بسلطان فراعنة « إهناس » إلا أنهم كانوا فى الواقع أعظم منهم قوة وأعز نفراً . وكانوا يعملون جهد طاقتهم على حفظ كيان الفرعون الذى أخذ فى التداعى والإنهيار . وقد خلف لنا أمراء أسيوط الذين نحن بصددهم وثائق تاريخية هامة عن هذا العصر نقشوها على مقابرهم الضخمة ومن بين هذه النقوش ثلاثة خاصة بالعصر الذى نتكلم عنه الآن . ومما يؤسف له أننا لم نوفق إلى الآن لترتيب هذه النقوش حسب مكانها فى التاريخ . ولكن الظاهر أن الأمير الذى كان يقال بأنه « خيتى الثانى » (كان أمراء أسيوط فى هذا الحين يطلق على كل منهم اسم خيتى تيمناً بأسماء فراعنة إهناس) هو صاحب النقش الأول ولذلك يعتبر أول الأمراء الثلاثة ، ثم تبعه « تف إيب » ثم « خيتى الثانى » . ومهما يكن من أمر فإن نقوش « خيتى الثانى » تنبئنا عن عصره بأنه كان عهد رخاء وهدوء وسكينة مما جعله فريدا فى زمن هذه الأسرة حتى ختامها .

نفوذ إهناس

وقد حدثتنا النقوش أن أمير مقاطعة أسيوط قد تربى وترعرع مع أولاد الفرعون وذكرت لنا بعض التفاصيل الغريبة فيقول هذا الأمير : « أن الفرعون أمر بتعليمى السباحة مع أطفاله » . وقد ذكر لنا أنه كان له جيش

حكم «خيتى الثانى»

وأسطول مؤلف من سفن عظيمة وقد جعلها فى خدمة مليكه كلما اقتضت الأحوال ذلك ؛ وأنه قام بأعمال مجيدة لمقاطعته ، وأن البلاد أثرت فى عهده إذ يقول : إن أسيوط كانت مرتاحة مطمئنة لإدارتى ودعى الإله لى أهل إهناس . أما « خيتى الثانى » فرعون البلاد فلا نعلم عنه شيئًا إلا أنه مات فى سلام ودفن فى قبره . تولى بعده الملك « خيتى الثالث » ومنذ اعتلائه أريكة البلاد قام بينه وبين أحد البيوتات الكبيرة فى الجنوب نزاع كان له خطره عليه وعلى أخلافه بل وعلى مستقبل البلاد المصرية والعالم المتحضر فى تلك الفترة . وقد كان مقر حكومة هذا البيت العظيم الذى ظهر فى الجنوب بلدة طيبة وكان حاكمها فى هذا العهد فى الغالب هو « أنتف » العظيم (أنتف عا) ابن « أنتف الأول » مؤسس هذا البيت .

تولى « خيتى الثانى » الملك

وكان « أنتف الأول » هذا هو الحاكم الحقيقى على المقاطعات الجنوبية لمصر وأن لم يكن يدعى لنفسه لقب الفراعنة والواقع أنه كان يحمل عدة ألقاب عظيمة وهى : النبيل بالوراثة حاكم مقاطعة طيبة ، والذى يشبع كل أغراض الفرعون ، وحارس بوابة الحدود ، وعمود الجنوب ، والحاكم الإدارى ، والذى جعل كل أراضيه تحيا ، ورئيس الكهنة . وهذه الألقاب كانت تمنح لكثير من عظماء الدولة المخلصين . وليس لدينا من المعلومات ما يحملنا على الظن بأن « أنتف » هذا كان غاضبًا على الفرعون أو خارجاً عليه، وبخاصة بعد أن علمنا أنه يحمل لقب « الذى يشبع كل أغراض الفرعون » .

« أنتف عا » أول مؤسس لبيت طيبة

ورغم ذلك فإن ظواهر الأحوال كانت تدلنا على أنه ذو قوة عظيمة

كما نشاهد ذلك فى « خيتى الثانى » أمير أسيوط . وربما كان الفرق بين الأميرين أن « خيتى » أمير أسيوط كانت تربطه رابطة شخصية بفرعون إهناس ، إذ تربيا معًا فى البيت الفرعونى أما الثانى فكان لا رابطة بينهما إلا ما يوجد بين الفرعون وأحد أمراء مقاطعاته . وفى الحق أنه لم يكن هناك ما يدعو أمير طيبة للخضوع لفرعون البلاد ولذلك كان يتحين الفرص ليشق عليه عصا الطاعة ويعلن استقلاله . ولم يكن ذلك ليحدث إلا على يد أمير طموح وقد حانت الفرصة فعلاً عند ما تولى « أنتف العظيم » حكم طيبة وكان تواقًا للمعالى والعظمة كما يشعر اسمه بذلك . وكانت طيبة فى هذا العهد تشغل مكانة ضئيلة من حيث الشهرة بالنسبة لما وصلت إليه فيما بعد . فكان سكانها فى درجة منحطة من حيث الثقافة إذا ما قرنت بالمدن الشمالية منها التى كانت دائمًا على اتصال بالحركة العلمية فى عهد الدولة القديمة .

مكانة طيبة فى هذا العهد

وكان لا بد أن تتغير هذه الحال وفعلا بدأت فى مراقى التقدم حتى وصلت إلى درجة من الحضارة لم تبلغها مدينة مصرية فى كل عصور التاريخ المصرى إلى أن تدهورت البلاد وضاع استقلالها . ومن المحتمل جداً أنه لم يمض طويل زمن على تولى « أنتف العظيم » حتى قامت المشاحنات بين فراعنة إهناس وبين أمراء طيبة . وقد بدأ النزاع من جانب الفرعون كما ذكر لنا « خيتى الثالث » مظهراً أسفه وحزنه على ما بدر منه وأن كان كل هذا قد حدث عفواً ولم يشعر بنتائجه حتى حلت الكارثة . وقد استقينا معلوماتنا عن هذا الحادث من تعاليم الفرعون « مرى كارع » نقلا عن بردية

تدعى ورقة « بطرس برج » ويرجع تاريخ كتابتها إلى حوالى عام ١١١٦ ق . م) وهـذه البردية قد وصلت إلينا منقولة عن نسخة يرجـع تاريخها للأسرة الثامنة عشرة . وقد عزى المؤرخون تأليف هذه التعاليم إلى الفرعون « خيتى الثالث » وقد كتبها ينصح بها إبنه « خيتى الرابع » ويملى عليه تجاربه حتى تكون درساً له . وفى هـذه الوثيقة نجـد أشارتين إلى سبب النزاع الذى قام بين « خيتى » ملك إهناس وامير طينة الذى كان يعد من رعاياه فى الظاهر ؛ ففى الإشارة الاولى نجـد « أن مصر تحارب فى الجبانة وتخرّب المقابر . . . وقد فعلت ذلك نفسى ، وقد حدث ذلك فعلا . وهذه إشارة الى انتهاك حرمة المقابر ولا بد أنها تشير الى مدينـة طينـة المقدسة ويقول عنها الفرعون : إننى استوليت عليها بالهجوم كالصاعقة . وبعد ذلك بقليل يقول خيتى : تأمل لقد حلّت فى زمنى كارثة خرّبت احياء طينة . وقد حدث ذلك فعلا وقد كنت انا السبب وقد احسست بجرمى بعد أن اقترفته وكان ذلك من سيئاتى فاحذر ذلك لانه من عمل سيئة يجزى مثلها. والواقع اننا لا نعلم ما جرى بالضبط لأن المتن غامض ولـكن يمـكن أن نقرأ بين السطور مايأتى : كان كل من « خيتى » فرعون إهناس و «أنتف» العظيم امير طيبة يدعى لنفسه السلطان على طينة والعرابة المدفونة التى تتاخمها. فكان الفرعون يوءآزره « تف إيب » أمير اسيوط يعتقدان أن هاتين البلدين يعدّان حصن باب الجنوب لاملاكهما . أما « أنتف العظيم » فكان يراهما الباب المؤدى الى الشمال لاملاك الفرعون . ومن المحتمل جـداً أنه قامت

تعاليم « الثالث خيتى »

سبب الحرب بين « خيتى » و« أنتف »

بعض مشاحنات بين القابضين على إدارة تلك الجهة من كلا المتعادين ، مما ادّى إلى نشوب حرب وجعل « خيتى » يشير فى تعاليمه لابنه عن هذا الحادث المؤلم . اذ كانت نتيجته أن نهبت المقابر الفرعونية المقدسة التى كانت فى تلك الجهة . وقد حزن « خيتى الثالث » لأرساله الجنود الذين ارتكبوا تلك الفظائع . وقد شعر بجرمه غير أنه لم يكن يعلم الحقيقة إلا بعد وقوعها ، ولا غرابة فان كل البلاد لا بد قد ارتاعت من تخريب الاماكن المقدسة التى كانت تعد اقدس بقعه دينية فى البلاد المصرية قاطبة . وقد انتهز « أنتف » هذه الفرصة للكيد لعدوه ؛ إذ حمّله مسئولية تخريب الاماكن المقدسة ونهبها على جنوده وأعوانه مما أشعل نار الغضب فى قلوب الرأى العام ضد « خيتى » مناهضه . ومن هذا العهد نجد أن « أنتف » أخذ يحمل لقب « حور » الفرعونى فسمى نفسه « حور واح عنخ أنتف عا » .

ظهور « أنتف العظيم » وتلقيبه بلقب الملك

وقد قام « أنتف العظيم » هذا بحملة نيلية فى أسطول سار به شمالا مظهراً العصيان الصريح ضد فرعون البلاد وكذلك لينتقم لنفسه وشرفه ودينه ؛ ولكن محاولته هذه كان مآلها الفشل التام ؛ وفى ذلك يقول أمير أسيوط: إن أول مرة حاربت فيها جنودى المقاطعات الجنوبية طاردوا فيها الأعداء إلى أقصى الحدود الجنوبية ؛ وعند ما وصلت إلى المدينة هزمت العدو وأقصيته حتى حصن باب الجنوب . وقد حاول قائد « أنتف العظيم » كرة أخرى أن يغير على بلاد الفرعون فكان نصيبه الفشل التام والهزيمة المنكرة وقد قصّت النقوش علينا ذلك نقلا عن أمير أسيوط عضد الفرعون

الاعظم إذ يقول : « وقد جاء آخر كأنه الفهد المفترس بجيش ثان مؤلف من أحلافه فخرجت لملاقاته ولم أتوان لحظة عن منازلته فى سفنى وقد حاولت استخدام ريح الشمال وريح الجنوب وكذلك الريح الشرقية والريح الغربية حسب الأحوال الجوية . وقد انتهت هذه الحرب بأن غرق العدو وسفنه فى النيل وكانت جنوده تفر كالثيران عند ما تهاجمها الحيوانات الوحشية رافعة ذيولها إلى الأمام » . وتعد هذه الموقعة الأولى من نوعها فى المواقع البحرية فى التاريخ ولا غرابة إذا كان أمير أسيوط يفخر بها . والواقع أن أهالى الصعيد كانوا فى حاجة ماسة إلى رجل قوى الشكيمة ليصدهم ويكبح جماحهم ويذيقهم الذل والهوان وقد قيّض الله لهم « أنتف عا » (أنتف العظيم) فى حينه . وقد كان من سوء طالع « تف إيب » وسيده فرعون إهناس أن أمير طيبة لم يخضع لهما حتى بعد أن هزم فى الواقعتين السالفتين بل سار بجيشه شمالا كرة أخرى ، وفى هذه المرة يقص علينا « أنتف عا » ما حدث بنفسه إذ يقول : « لقد جعلت حدودها الشمالية (أى مملكته) حتى إطفيح وقد رسيت بسفنى عند الوادى المقدس واستوليت على كل مقاطعة طينة وفتحت معاقلها وجعلتها باب الشمال لأملاكى بعد أن كان « تف إيب » قد اتخذ منها حصناً لباب الجنوب بالنسبة لأملاك فرعون إهناس .

أول موقعة بحرية فى التاريخ

إنتصار « أنتف العظيم على « تف إيب» و « خيتى »

أما « خيتى الثالث » فكان لا يزال يشعر بوخز ضميره وكانت ترتعد فرائصه فى قصره بإهناس كلما فكر فى جرم انتهاك حرمة الأماكن

المقدسة وبخاصة إذا علمنا أنه كان رجل تقى وورع. ولقد ظهر أثر ذلك فى تعاليمه لابنه إذ يقول : « إن الضربة تقابل بمثلها ». والواقع أنه ربما كان يظن أن « أنتف عا » قد قابل فعلة « خيتى » بمثلها واستفاد منها أيضاً . وهذا ما يقرره الواقع ؛ إذ نرى أن « خيتى » قد فقد سلطانه على بلاد « أنتف العظيم » وفى الوقت نفسه كان يشعر بالآم نفسية لما أحاق بطينة والعرابة من التخريب والنهب يضاف إلى ذلك أن هذه البقاع المقدسة أصبحت مغلقة فى وجهه ؛ وكان لزاماً على كل مصرى بعد موته أن يحج إلى تلك الأماكن المقدسة التى كانت تعد بمثابة طريق إلى الجنة فى السماء . وقد أحزنه حرمانه ذلك ولكنه رضى الواقع ، وعدّه عقابا من الإله على ما ارتكبه فى حياته ضد هذه البقعة الطاهرة المقدسة ؛ ومن المدهش أن الفرعون « حور واح عنخ أنتف عا » لم يتقدم فى سيره فى الغزو بعد استيلائه على طينة والعرابة ؛ وربما يعزى ذلك إلى أنه كان من الرجال العظماء الذين لا يغالون فى أطماعهم ويعرفون متى يجب أن يقفوا عند حدودهم . وقد كان صمم على أن يمحو عن نفسه عار انتهاك حرمة الأماكن المقدسة حتى بعد أن هزم دفعتين . والآن وقد واتاه الحظ وانتصر على عدوه نصراً لم يكن يحلم به فعقد معه صلحاً وكفّ عن دفع الجزية التى كان يحملها سنوياً للفرعون فى إهناس وسمح له أن يستخرج ما يلزمه من حجر الجرانيت من محاجر أسوان التى كانت ضمن المقاطعات التى تحت سلطانه . وقد رضى بذلك « خيتى الثالث » ونصح لخلفه

انتصار « أنتف » العظيم وعقد صلح مع « خيتى »

بأن لا يهاجم عدواً أقوى منه وأكثر بطشا وسلطانًا . وقد أشار إلى ذلك مرات عدة فى تعاليمه . إذ يقول : لا تخلقن أسباب عداء بينك وبين الأرض الجنوبية لأنك تعلم ما تنبأ به مقر الملك من هذه الناحية . وقد يحدث ذلك كما حدث فعلا (أى هزيمة نفسه) . كن لين الجانب معها لأن ذلك خير للمستقبل ، كن على وئام مع الأرض الجنوبية وبذلك يأتى إليك القوم محمّلين الهدايا . وقد قفيت فى ذلك أثر الأجداد . ورغم أنه ليس لديها ما تقدمه لك من القمح فإنه من الخير أن تبقى وأن يظهر أهلها لك الضعف والاستكانة . واقنع بما عندك من خبز وجعة (أى لا تحرك هؤلاء القوم ضدك للشر) بجعلهم يدفعون إليك الجزية . هذا إلى أن الجرانيت الاحمر يأتى إليك دون عائق (أى يجب عليك أن تحمد الله على هذا لأنه فى يدهم) . ومن المدهش أننا نرى أن هذا الفرعون المسن يشير فى تعاليمه إلى عادة كانت فاشية فى مصر فى كل عصورها وكانت تعد من أكبر الجرائم التى كان يقترفها الفراعنة والأفراد على السواء وأعنى بذلك أن يستولى على ما قام به الفراعنة وغيرهم من علية القوم من المبانى والمخلفات التى كانت كمقابر أو معابد لهم دون مراعاة حرمة فى ذلك . ولعمرى لو كانت نصيحة الفرعون « خيتى » هذه قد أصغى إليها أخلافه لتغير وجه التاريخ المصرى تغيراً عظيما من الوجهة (المعمارية) والتاريخية فكم من مبان عظيمة اختفت نهائيًا وكم من وثائق تاريخية كانت منقوشة عليها ضاعت إلى الأبد ولو وعى مثل هذه النصيحة

الملك ينصح باحترام المبانى الدينية وعدم اغتصابها

« رعمسيس الثانى » ومن بعده « منفتاح » ابنه لعرفنا كثيراً من تاريخهما على الوجه الحق فيقول « خيتى » : لا تعتدين على آثار غيرك بل إقطع لنفسك أحجاراً من طرة ولا تشيدن قبرك من أنقاض غيرك ،. ولكن « خيتى » كان رجلا عاقلا حنكته التجارب مفعم قلبه بالتقى ولم يكن نداؤه هذا إلا صوت رجل ينادى فى الصحراء ولم يعمل به أحد. فمضى الأمير والفرعون كل فى طريقه يخرّب وينهب معابد أسلافه ومقابرهم كلما دعت مصلحة إلى ذلك. بعد أن برّأ « خيتى » نفسه أمام ربه من الذنوب التى ارتكبها فى الوجه القبلى أخذ ينصح ابنه شارحاً الحالة التى كانت عليها أجزاء البلاد الأخرى. والواقع أنه وإن كان قد أساء التصرف فى الجنوب إلا أنه عزّى نفسه بتحسين الأحوال فى الدلتا إذ يقول : لقد هدأت كل الجهات الغربية إلى حافة البحيرة. وكذلك ساد الأمن الجهة الشرقية من الدلتا ؛ حيث كانت الأحوال قد ساءت فقسمتها مراكز ومدن وأصبحت السلطة التى كانت فى يد حاكم واحد فى أيدى عشرة (الظاهر أن أمراء الدلتا وأشرافها الذين كانو يشعرون بقوة أكثر مما يجب قد أخضعوا) ، فصاروا يقدمون الآن كل أنواع الضرائب وأصبح الكهنة يملكون الحقول والضرائب تجبى لك دفعة واحدة. ولن يحدث أن يأتى أعداء أشرار ولن يأتى النيل منخفضاً فتتأثر البلاد بسببه وسيكون لك محصول بلاد الدلتا. أما فى شرق الدلتا فإن الفرعون المسن كان يشعر أنها آمنة مطمئنة بعض الشىء ؛ وما ذلك إلا بفضل الميزات الخاصة التى كانت يمتاز

نظام الحكم فى الدلتا فى عهد « خيتى »

بها العرب الرحّل وكانت هـذه الصفات سليقة فى نفوسهم وما زالت منذ القدم باقية فيهم لم يطرأ عليها أى تغيير إلى يومنا هـذا إذ يقول : تأمل لقد وطدت سلطانى فى الشرق فصارت الحـدود من « هيتو » إلى ممر « حور » معمورة بالمدن الآهلة بالسكان من صفوة رجال البلاد وخيرتها وما ذلك إلا ليصـدوا غارة الأسيويين . . . وقـد ذكر هـذا كذلك للأقوام المتبربرين : « إن الأسيوى الخاسىء أينما حل يتبعه الشقاء فى الأرض التى يحل بها حيث المـاء الآجن ولا يمكن المرور فى أرضـه بسبب كثرة أشجارها وكذلك الطرق فإنها وعرة بسبب جبالها وهو لا يسكن فى مكان واحد بل يرخى لساقيه العنان ، ومنذ أقدم العصور فإنه يحارب ولـكنه لا يهزم ولا يهزم ولا يعلن اليوم الذى سيشن الغارة فيه » . ولعمرى ليس هناك وصف أدق لأهل البـادية من وصف « خيتى » لهم فى هـذه الجمل الموجزة .

« خيتى » يصف أهل البادية

وقد هدّأ « خيتى الثالث » فى نصائحه روع ابنه « خيتى الرابع » من جهة قوة اهل البادية الضعيفة الأثر فى الحاق الضرر والأذى إذ يقـول : « لا تتعبن نفسك من جهتـه (البدوى) فأنه لا ينهب إلا مسكنا منعزلا وليس فى مقدوره ان يستولى على مدينة آهلة بالسكان » . ولقـد كان الجنوب فى الواقع هو مصدر الخطر الذى يهدد الفرعون المسن باستمرار إذ كان يعتقد أن أية ثورة تقوم ضده فى مصر الجنوبية ستقضى قضاء عاجلا على كل الاعمال العظيمة التى قام بها فى الدلتا اللهم إلا اذا اتخذ العدة فى

الدلتا نفسها وقد كان فعلا بعيد النظر من هذه الوجهة إذ أقام عدة مدن محصّنة ، الغرض منها كبح جماح أى إقليم يقوم بثورة أو عصيان . وقد كتب لأبنه فى نصائحه مشيرا إلى ذلك فيقول : إذا قامت بلادك من جهة الجنوب بثورة فان ذلك يكون حافزاً لقيام الأجانب فى الشمال بحروب ضدك فعليك إذن أن تقيم مدنًا فى الدلتا . ولا يكون اسم الرجل صغيرا بما فعله من جلائل الأعمال ؛ والبلد الآهلة بالسكان لا تمس بسوء ، فابن مدنًا . والواقع أن « خيتى » كان يقدّر حرج مركزه اذ كان يقع بين شرين: أهالى الجنوب فى الصعيد والبدو فى الشمال ؛ ولذلك اتبع سياسة حكيمة لم تتح لإبنه فرصة إقتفائها من بعده .

أنشاء مدن محصنة فى الدلتا

ولا نزاع فى أن أغرب شىء فى تعاليم الفرعون « خيتى الثالث » هو نصائحه لإبنه فى كيفية إدارة سكان البلاد سياسا إذ يقول: أما من جهة الرجل الذى له اتباع عدة وتنظر اليه عبيده وخدمه بعين الحب والمودة ويتكلم كثيرا « فاقض عليه ، واقتله ، وامح اسمه واقتلع ذكراه وذكرى أتباعه الذين يحبونه ؛ لان الرجل المشاغب يكون دائما مصدرا للقلق بين سكان المدن . وهو الذى يخلق فريقين متنافرين بين الشباب ، واذا رأيت الشبان ينضمون اليه فما عليك إلا أن تذكر اسمه امام رجال البلاط ثم اقض عليه اذ هو فى الواقع عدو أيضاً » .

سياسة القضاء على أصحاب الجاه فى البلاد وقت الشدة

ولا نزاع فى أن هذه هى السياسة الحازمة فى مثل هذه الأوقات المضطربة ، ولكن بكل أسف لم يكن لدى « خيتى الرابع » الفرصة ليستفيد

من هذه النصائح ويجرّبها فى الحياة وقد كان « خيتى » يرى أن يكون رجال الحكم ممن عندهم كرامة وعفة وطهارة ذيل ويعود فيقول ناصحا ابنه: « اجعل مستشاريك عظماء حتى ينفذوا قوانينك لان الرجل الغنى فى بيته لا يتحيز فى حكمه، وذلك لانه مثر فلا يحتاج الى شىء ، ولكن الرجل الفقير لا ينطق بالحق ، والحاكم الذى يقول ليت لى، لا يكون عادلا ، اذ ينحاز الى من يغريه بالمال . وعظيم الرجل العظيم الذى يكون مستشاروه عظماء . وقوى ذلك الفرعون الذى له محكمة (من الطراز الصحيح) . تكلم الصدق فى بيتك حتى يخافك الأشراف الذين يتسلطون على البلاد ، والسيد الذى له قلب سليم تصلح أحواله . وما فى داخل البيت هو الذى يوحى بالرهبة فى خارجه » .

سياسة انتخاب المستشارين

وكذلك نلاحظ فى هذه التعاليم أن « خيتى » يرى الإله موجودا فى كل امور الناس ؛ وقد اتخذ ذلك اساسا لاعتداله فى الحياة فيقول : « إحذر ان تعاقب إنسانا خطأ ولا تقتلن احدا فان ذلك لا يجديك نفعا ، وعاقب بالضرب والسجن (من لا يمكن اصلاحه) والإله يعرف الشقى وينتقم منه بأشد العقاب (على ذلك فالعقاب المحتّم يمكن تركه لله) والإله يقول: إنى انا المنتقم وسأعاقب كلا بذنبه . وعلى الأنسان ان يعمل كل ما يريد ؛ على ألاّ ينس الحساب الأخير عند ما يشرف « تحوت » إله الحكمة على المحاكمة . والقضاة الذين يقتصون للمظلوم يوم القيامة فإنك تعلم بأنهم ليسوا متهاونين فى ذلك اليوم الذى يقضون فيه للتعس وبخاصة عند ساعة

الله فى كل شىء

النطق بالحكم . وكم تكون الطامة كبرى اذا كان المتهم هو الواحد الحكيم. ولا تعتمد على أنك ستعمر سنين عدة فإنهم ينظرون الى مدى حياة الأنسان كأنه ساعة زمن . ويعيش الأنسان بعد الموت وتكون اعماله بجانبه مكدسة . وسيبقى هناك أبد الآبدين ، وانه لأحمق من يستخف بهم (قضاة قاعة العدل) . اما الأنسان الذى يدخل عليهم دون أن يرتكب خطيئة فإنه سيبقى هناك كإله ويتقدم امامهم بخطى ثابتة إلى الامام كإله الأبدية . هذه هى تعاليم الفرعون « مرى كارع خيتى » وتعد من أعظم الذخائر العلمية التى عثر عليها وبخاصة فإنها تلقى ضوءاً على مستوى الفكر الإنسانى فى هذا العصر وعن الفكرة التى كان ينظر بها الفرعون فى طريق حكم البلاد . ومن المحتمل أن قارىء هذه التعاليم ربما يحكم على « خيتى الثالث » بأنه كان فرعوناً مذنباً أمام الله لإنتهاكه حرمة طينة المقدسة ، ولذلك أراد أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والغفران . على أنه فى الواقع لم يمتز عن باقى فراعنة مصر الذين سبقوه فى شىء من الأمور الدنيوية ، ولكنه كان رجلا يمتاز بأخلاقه الدينية وصلاحه . ورغم كل ذلك فإن الصورة التى رسمها لنا تعد من أحسن الصور التى تصور لنا فرعوناً وليس لدينا ما يفوقها إلى الآن فى مخلفات المصريين وحقاً إنها رغم نقائص مؤلفها الظاهرة تشعرنا بعد قراءتها بأننا قربنا من فهم صورة الفرعون الإنسان ، لا الآلة الحكومية.

أعمال الانسان تشفع له يوم الحساب

اخلاق « خيتى » ومركزه فى التاريخ

ومما يؤسف له جد الأسف أن إبنه « خيتى الرابع » لم يستفد من نصائح

والده وتجاربه ولم يكن ذلك عن ضعف منه ، بل لأن مركز إهناس كان مزعزعاً رغم مؤآررة أمراء أسيوط لها . وكل مالدينا من الوثائق التاريخية عن آخر فرعون فى الأسرة التاسعة وصل إلينا من نقوش « خيتى الثانى » ابن « تف إيب » أمير أسيوط . وقد قفا هذا الأمير خطوات والده واستمر يعضد عرش إهناس الذى كان فى حاجة لكل مساعدة . ولا نعلم كيف بدأ هذا النزاع بالضبط من نقوش « خيتى » . والظاهر أن القلاقل التى قامت ، كانت قد بدأت فى عاصمة البلاد نفسها أى فى إهناس ؛ ثم تخطتها إلى الجهات الأخرى غير أن أمير أسيوط بقى فى خلال ذلك على ولائه لمليكه وسار بجيشه وأسطوله النيلى فقوّى عرش البلاد الذى كان آيلا للتداعى . وكان أول عمل قام به أن أخضع الثورة التى كانت فى إهناس نفسها ، وبعد ذلك سار الفرعون وأمير أسيوط نحو الجنوب بجيشهما حتى الحدود . والظاهر أنهما هدّأا الأحوال هناك مؤقتاً ثم عاد الفرعون المنتصر وحليفه أمير أسيوط إلى الشمال . وقد كان أسطولهما العظيم يغطى النيل مسافة عدة أميال كما يرويه أمير أسيوط . إذ يقول : « لقد أدّبت مصر الوسطى وذلك طلباً لمرضاة (الفرعون) وأصبحت كل البلاد تدين له (كما دان له) أمراء مصر الوسطى وعظماء إهناس وإقليم سيدة الأرض (الآلهة المحلية) وهم الذين جاءوا ليكبحوا جماح المسىء . وقد كانت الأرض فى ذعر واستولى الخوف على مصر الوسطى . وكان كل الأهلين فى وجل والقرى فى فزع وتسرب الخوف إلى أعضائهم أما موظفو العرش

أعمال أمير أسيوط

فكانوا فريسة للخوف والمقربون ضحية للذعر فى إهناس (أى أن العصيان كان بين كبار رجال البلاط) وكانت البلاد تحترق بلهيبها ..... ولم يحدث أن مقدمة الأسطول وصلت إلى « شطب » على حين أن مؤخرته كانت لا تزال فى (؟) ولقد نزلوا بالماء ورسوا فى إهناس وجاءت المدينة فرحة مستبشرة بسيدها وابن سيدها . واختلط الرجال بالنساء والشيوخ بالأطفال . وقد كان هذا البصيص من النجاح آخر ضوء سطع على أسرة إهناس الفرعونية ثم تلته فترة هدوء وسكنية وطمأنينة كأنها برق خلّب قام فى خلالها ولاة الأمور بعض أعمال عامة فى البلاد ، ففى مدينة أسيوط أقيم معبد للإله « وبوات » الإله المحلى للمقاطعة (معناه فاتح الطريق أو دليل الموتى) أما الفرعون فإنه شيّد هرماً له بسقارة وصنع لنفسه تمثالا . ومن المحتمل أن أمير أسيوط قد مات فى خلال تلك الفترة دون أن يرى نذير الشر الذى كان يقترب من البلاد إذ أن ختام نقوشه يدلنا على الثراء والخير والفلاح الذى كانت تنعم البلاد فيه فيقول : « إن إله مدينتك يحبك ، أنت يا خيتى تف إيب » .... ما أسعد ما حدث فى وقتك ، والمدينة راضية عنك ، وما كان قد أخفى عن الناس فإنك قد فعلته علنا حتى يقدم هدايا لمدينة أسيوط حسب رأيك فقط . وكان كل موظف قائماً فى عمله ، فلم يكن هناك من يحارب أو من يفوّق سهما . ولم يهن الطفل على مرأى من والدته ، ولا المدنى على مرأى من زوجه . ولم يكن هناك مسىء فى .. ولا إنسان يرتكب أى عنف فى بيته ، والإله

وصف ثروة أسيوط ورخائها فى عهد « خيتى تف إيب »

مدينتك هو والدك الذى يحبك ويرشدك » . وفى خلال هذه المدة توفى « أنتف العظيم » وخلفه إثنان من الأمراء حكم كل منهما مدة قصيرة حدث فى خلالها بعض قلاقل واضطرابات . ثم خلفهما فرعون يدعى « منتوحتب الثانى » . وقد جاء فى نقوش له عثر عليها فى « الجبلين » أنه قبض على أمراء الأرضين وأنه المسيطر على الجنوب والشمال وعلى الأرض المرتفعة وعلى القطرين وعلى قبائل البدو التسع وعلى الأرضين . ومن ذلك نعلم أن المصيبة التى حاقت بفراعنة بيت إهناس الذين حكموا مصر فى عهد الأسرتين التاسعة والعاشرة لا بد أنها حدثت فى المدة التى ظهر فيها « منتوحتب الثانى » فرعوناً على عرش مصر فى طيبة .

ظهور أول ملوك الاسرة الحادية عشرة

وليست لدينا معلومات عن كيفية حدوث هذا التغير وكل ما نعلمه أن « مانيتون » ذكر لنا أن الأسرة العاشرة فى إهناس كانت تتألف من ١٩ فرعوناً حكموا البلاد نحو ١٨٥ عاماً . وهذه معلومات لا يعتمد عليها قط إذ ليس لدينا من الآثار ما يثبتها ، وكل ما وصل إلينا من مخلّفات هذه الأسرة من الآثار ثلاث جعارين بإسم ملك يدعى « شنيس » ويحتمل أن يكون من فراعنة هذه الأسرة . والواقع أننا فى هذه الفترة نواجه عهداً كانت البلاد فيه منقسمة ضد نفسها ولم يكن هناك دواء ناجع للقضاء على عللها إلا حروبا داخلية تطهر البلاد وتمكن بيت طيبة الناشىء الفتى من بسط نفوذه ووضع البلاد تحت حكم سلطة قوية منظمة تسير بها نحو الفلاح والمجد .

الحاجة إلى حكومة حازمة

مراجع التاريخ المصرى فى عهد الدولة القديمة

تنقسم مراجع تاريخ مصر فى عهد الدولة القديمة قسمين . مصادر أصلية وهى النقوش التى عثر عليها منذ حل رموز اللغة المصرية وقبلها ؛ ثم مصادر ثانوية وهى الكتب التى استنبطها علماء الآثار والمؤرخون من هذه النقوش ونظموها على شكل تاريخ للبلاد متتابع حتى بداية الفتح الفارسى للبلاد عام ٥٢٥ ق . م .

ويرجع الفضل فى جمع كل النقوش التاريخية المصرية منذ ظهور الكتابة حتى الفتح الفارسى وتنظيمها وترجمتها إلى الإنكليزية ، إلى الأستاذ « جيمس برستد » جمعها فى خمسة مجلدات ، ولم يترك شاردة ولا واردة خاصة بالتاريخ إلا وضعها فى مؤلفه هذا . وقد كان أكبر مساعد له على جمع هذه النقوش وترجمتها بطاقات قاموس اللغة المصرية الذى كان ولا يزال يؤلف فى برلين . إذ منذ عام ١٨٩٧ . أخذ المجمع العلمى الألمانى يجمع مواده من كل متاحف العالم وما كشف من الآثار المصرية حتى يومنا هذا وقد ظهر أول جزء منه فى عام ١٩٢٥ تقريبا وتم الآن طبعه وقد اشترك فى جمع مواده أكثر من ثلاثين عالما كل فى اختصاصه ، وقد جمع الأستاذ برستد ما هو خاص بالتاريخ من بين هذه المواد الضخمة فى كتاب سماه : Ancient Records of Egypt. 5 Vol. Chicago, 1906.
ولم يترك أى نقش خاص بالتاريخ معروف لديه إلا دونه . والجزء الأول

منه جمع فيه كل نقوش الدولة القديمة حتى عام ١٩٠٥ (من صفحة ٥١ ـ ١٩١).
وبعد هذا التاريخ ظهرت نقوش عدة من الحفائر التى عملت فى منطقة سقارة وأهرام الجيزة ـ وقد جمع كل هـذه النقوش الأستاذ « زيته » فى مجلد خاص حسب ترتيبها التـاريخى تحت اسم : « وثائق الدولة القـديمة » ، Urkunden des Alten Reiches, Leipzig, 1932. والواقع أن هـذا الـكتاب أكبر مصدر عن تاريخ الدولة القديمة وتوجد ترجمة معظم نقوشه فى كتاب « وثائق التاريخ المصرى » للأستاذ برستد السالف الذكر.

يضاف إلى ذلك بعض نقوش لم تطبع بعد ، كشف عنها فى منطقة الأهرام وفى سقارة وقد أشرنا إليها فى خلال كلامنا عن تاريخ الدولة القديمة.

أما أهم المصادر الثانوية التى يمـكن الاعـتماد عليها فى تـاريخ الدولة القديمة فهى ماياتى :

1. J. Pirenne. Histoire des Institutions de l'Ancienne Egypte, 3 Vol. Bruxelles 1935.

بحث القانونى « بيرن » فى هذا المؤلف الممتع كل الأنظمة المصرية الحكومية فى عهد الدولة القديمة منذ الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة ، وقد استند فى استنتاجاته على النقوش المصرية وهذا الـكتاب يعد فريدا فى بابه إذ لم يترك بابا من نواحى الأنظمة المصرية إلا تناوله بكل دقة ومهارة من البداية حتى النهاية ، اللهم إلا بعض هفوات صغيرة لا تقلل من قيمة مؤلفه.

2. Breasted, A history of Egypt. 1905.
3. « A history of the Ancient Egyptians, 1908.

(١) كتب الأستاذ « برستد » الكتاب الأول : مطولا عن تاريخ مصر مستندا إلى المصادر الأصلية التى جمعها فى مؤلفه العظيم .

(٢) ثم كتب مختصراً له مستندا نفس المصادر . وما كتبه الأستاذ برستد عن تاريخ مصر يعد أكبر مصدر يمكن الاعتماد عليه ، ولكن منذ آخر طبعة ظهرت آثار جديدة جعلت كتبه تحتاج إلى تغيير غير أن المنية عاجلته منذ عامين قبل أن يدخل التغييرات على كتبه . وكان آخر ما كتبه فى التاريخ بعض فصول عن تاريخ مصر فى كتاب:

4. Cambridge Ancient history, 1924-36.

وقد كتب فى هذا المؤلف بعض علماء الآثار عدة مقالات . عن تاريخ مصر القديم نخص بالذكر منهم الأستاذ هول Hall ، والأستاذ إرك بيت Eric Peete .

5. Ed. Meyer. L'Egypte jusqu'à des Hyksos. Paris, 1914.

هذا الكتاب يعد من أحسن الكتب التى ألفت عن مصر فى عهد الدولتين القديمة والمتوسطة . وقد ترجمه إلى الفرنسية عن الألمانية الأستاذ « موريه » A. Moret.

6. Maspero,The dawn of civilisation Egypt &Chaldaea, Translated by Sayce, London, 1910.

وقد كتب فى هذا المؤلف الأستاذ « مسبرو » فصولا ممتعة عن تاريخ مصر فى عهد الدولة القديمة ، وترجمه إلى الإنكليزية الأستاذ « سايس » بعد أن أضاف إليه كل المعلومات الجديدة التى ظهرت فى عالم الآثار بعد الطبعة الأولى الفرنسية . وهو يعد من أكبر المصادر الغزيرة المادة فى

التاريخ المصرى .

7. Gauthier, Précis d'Histoire d'Egypte, le Caire, 1932.

هذا المؤلف قد كتبه عدة علماء ولكن الجزء الفرعونى منه اختص به الأستاذ « جوتييه » من صفحة ٥١ ـ ٢٥١ وهو مختصر لا بأس به عن تاريخ الفراعنة .

والجزء الأول منه خاص بالدولة القديمة .

8. Petrie. A history of Egypt, 3 Vol. London.

ويمتاز هذا الكتاب عن غيره بكثرة المصادر التى يذكرها فى أول كل باب أو أول حكم كل ملك .

9. Weigall, A short history of Egypt, London, 1934.

يمتاز كتاب الأثرى « ويجول » بأنه من نوع التاريخ السهل الممتنع ولكن مؤلفه يترك لنفسه الخيال كثيرا فى موضوعات شتى لا ترتكز على أصل تاريخى

10. Moret, L'Egyte Pharaonique dans Hanotaux, Histoire de la Nation Egyptienne, t. II Paris, 1932.

هذا المؤلف تناول تاريخ مصر فى العهد الفرعونى ، ويمتاز بأنه قد تناول موضوع الدين المصرى فيه أكثر من أى شىء كما هو عادة مؤلفه فى كل كتبه .

11. Weidmann, Ægyptische Geschichte, Von den Altesten zeiten bis zum Tode Tutmes III, Gotha, 1884.

وقد جمع فيه تاريخ مصر باختصار ويمتاز بكثرة مصادره .

12. James Baikie, A history of Egypt, Vol II, London, 1929. From the earliest times to the end of the XVIIIth Dynasty.

يمتاز كتاب المستر « بيكى » بأنه يرتكز فى معلوماته على المصادر الأصلية ثم يحللها وإن كان أحيانا يخطىء فى النقل . وعلى العموم فهو من الكتب القيمة فى عهد الدولة القديمة .

13. Junker Delaporte, Volker des Antiken Orients Freibung im Breisgan, 1933.

كتب الأستاذ « ينكر » فى هذا الكتاب الجزء الخاص بمصر تحت عنوان : Geschichte der Ægypter فى ١٧٤ صحيفة وقد ضمن فيه كل آرائه الخاصة عن التاريخ المصرى القديم .

والجزء الخاص بالدولة القديمة يحتوى على نواح جديدة فى التاريخ المصرى وبخاصة عهد وانتقال الحكم من الأسرة الرابعة للأسرة الخامسة .

مقاطعات الوجه البحرى

رمز المقاطعة[1]	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليونانى
١ـ « إنب حز » ألجدار الابيض	العجل أبيس، الإله فتاح، الإلهة سخمت، الإله نفرتم ، ثم إله الجبانة «سكر»	« إنب حز »، ثم « من نفر » (البدرشين ، وميت رهينة)	Memphis منفيس
٢ـ « دواو » الفخذ	الصقر المحنط ، «حور خنتى إرتى»	«سخم»(هيكل الإله حور) بلدة أوسيم الحالية	Letopolis ليتو بوليس
٣ـ«إمن»(الغرب) = ريشة نعام	«أمنتى»، إلهة الغرب وعلى رأسها ريشة	« بحدتى » دمنهور الحالية	Hermopolis Parva هرمو بوليس برفا
٤ـ سهما الجنوب	الإلهة « نيت »	«زكا» (بالقرب من منوف ؟)	Prosopites بروزو بيتس
٥ـ سهما الشمال	الإلهة « نيت»	« ساو » صالحجر	Saïs سايس
٦ـ « كاخاست» ثور الصحراء	الإله « رع » ، « آمون رع »	« بوتو » (ابطو ؟) تل الفراعين	اكسوويس Xoïs (سخا)
٧ـ الخطاف الغربى	(١) «حا» إله الجبل (٢) الثالوث اوزير و إزيس وحور الطفل	«برحا نب أمنتى» (فوه ؟)بيت الإله «حا» (سيد الغرب)	Metelis ميتليس (فوة)

(١) رسم رمز كل مقاطعة موجود على خريطتى الوجه البحرى والوجه القبلى المرفقتين بالكتاب

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليونانى
٨ـ الخطاف الشرقى	الإله « آتوم »	(١) تكو (٢) « بر آتوم » (بيت آتوم) بالقرب من أبى الهول؟	Patanios. Pithom Heroonpolis بتاموس « بتوم » « هيرون بوليس » (بيت الإله حورون)
٩ـ « عنزتى » = الحامى	إله على رأسه ريشتين يسمى « عنزتى » ثم الإله «أوزير»	«بر أوزير نب زد» (بيت أوزير سيد « زد ») ، أبو صير القريبة من سمنود	Busiris «بوزيريس »
١٠ـ « كم ور » الثور الأسود العظيم	« حور خنتى خت » (حور الذى يسيطر على الجسم المقدس)	« حت تا حرى إب» (قصر الإقليم الاوسط)بنها الحالية	Athribis اتريبيس (تل إتريب الحالى)
١١ـ « كاحسب» = ثور حسب	« حور مرتى» والثور العظيم	«حسبت» (شدنو) هربيط	Pharboetus فاربوتس
١٢ـ عجل ثور	«أنحور»(أنوريس) والإلهة إزيس	« زبات نتر » (هيكل الإله) سمنود الحالية	Sebennytos سبنوتس Iseum إزيوم
١٣ـ «حكاعز »	(١) الفنكس (٢) الثور منفيس (٣) آتوم (٤) رع والتاسوع	« إيون الشمالية » (عين شمس) ثم « بر رع » (بيت رع)	Heliopolis هليوبوليس

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليونانى
١٤ـ «خنت إيابتى» = نهاية الشرق	الصقر « حور »	« زبات مح مسنت » ثم « بحدت محت » «هيكل الوجه البحرى للإله حور »	Sele Djalou زيله (زالو) تل ابو سفا (تانيس)
١٥ـ « تحوت » « أبيس »	الإله « تحوت »	« بر تحوت » تلة بلة ؛ (البقلية ؟)	Hermopolis Parva هرمو بولييس برفا
١٦ـ الدرفيل	التيس «خنوم» ثم «أوزير»	« بر با نب زد » (بيت روح سيد زد)	Mendes منديس تل الربع الحالية
١٧ـ « بحدتى » معبد حور	« أنوبيس » ، ثم « حور » ، ثم « آمون رع »	« بحد » و « بر إيو إن إمن » (بيت جزيرة آمون) (البلمون ؟)	Diospolis Parva ديسبوليس برفا (شرق بحيرة البرلس)
١٨ـ « إموختنى » (الطفل الملكى العلوى)	الإلهة « باست » (القطة)	« بر باست » تل بسطا الزقازيق الحالية	Bubastis بو بسطس
١٩ـ « إموبحو » (الطفل الملكى السفلى)	الإلهة « وزيت » الإله « وبوات » الإله «حور الطفل»	« إمت » ثم «بوتو » (تل نبيشة الحالى) فى الجنوب الغربى من صان الحجر (تانيس)	Bouto « بوتو »

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليونانى
٢٠ـ « عخم » تمر محنط على سرير	« حور سبد »	« بر سبد » صفت الحنا	Arabia العرب
مقاطعات الوجه القبلى			
١ـ تاستت أرض الآلهة « ستت »	(١) الكبش « خنوم » (٢) الإلهة « ستت » (٣) الإلهة « عنوقيت » (٤) الإله « ست »	« آبو » مدينة الفيلة (أمبوس)	Elephantine الفنتين
٢ ـ « وتست حر » (عرش حور)	(١) « حور حر اختى » « حور بحديتى » (٢) الآلهة « حتحور » (٣) « احى » ابنهما « حور » قاهر « ست »	« زبات بحدت » « مسنت » هيكل الوجه القبلى للصقر	Apollinopolis أبولونو بوليس ادفو
٣ـ « نخن ؟ » ريشتان	(١) الإلهة « نخبت » (٢) الإله « حور » (٣) الإلهة « نيت »	« نخب » على الشاطىء الأيمن للنيل و « نخن » على الشاطىء الأيسر ثم « إيونيت » وهى اسنا	اليتياسبوليس هرا كنبوليس
٤ـ « واس » الصولجان عليه ريشة	(١) الإله « منتو » (٢) « أمون رع » (٣) الإلهة « موت » على شكل نسر والإله (٤) خنسو (القمر) ابنهما	(١) « بر منتو » (أرمنت) (٢) « إيون شمع » عين شمس الوجه القبلى (٣) « واست » مدينة الصولجان وتسمى « نت آمون » مدينة آمون (طيبة)	Latopolis لاتوبوليس Hermonthis (هرمنتس) Diospolis magna ديو سبوليس مجنا ـ طيبة

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	اسم المقاطعة اليونانية
٥ ـ « نتروى » الصقران	١) « مين حـور » ٢) إزيس الأم للإله « مـين » « ست » و « نوبتى »	« جبتيو » بلد رجال القوافـل قفط	Kop tos قبتوس Ombos أمبوس
٦ـ « زام » التمساح وعلى رأسه ريشة	١) « حتحور »، ٢) « حور بحدتى »، ٣) « إيحى » ابنهما	« تا إيونت نترت » عمـود الآلهـة	Tentyris تانتيريس دندرة
٧ـ « سششت » رأس بقـرة ثم شخشيخة	١) « نبت حت » نفتيس ٢) « حتحور »	« حت » بـلدة هو (الحالية)	Diospolis parva. ديوس بوليس برفا
٨ « تا و ر » الأرض العظيمة ثم « آب »	١) « خنت ـ أمنتى » ٢) أوزير (فى الجبانة) على شكل ذئب	(تني) : طينة الجبانة : « أبدو »	Abydos أبيدوس العرابة المدفونة
٩ « خم؟ » صاعقة الإله « مين »، والريشة	« مـين »	« آبو » إخميم	Panopolis بانو بوليس
١٠ « وزيت » ثعبان على رأسه ريشة	البقرة « حتحور »	« زبتى » بلدة النعلين (أبوتيج) ؛ « بر وازيت » بيت وازيت فى الوجه القبـلى (كوم إشقاو الحالية)	Aphroditopolis أفروديتو بوليس
١١ « ست » حيوان الإله « ست » وفى رأسه سكين	١) « ست » ٢) الكبش « خنوم »	« شاس حتب » شطب الحالية	Hypselis هيبسيليس

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليونانى
١٢ـ « زوحفت » جبل النعبان ، أو « زوف »	« حور نبتى » ، « حور » قاهر « ست » الإلهة « ميتيت » على هيئة لبؤة	« بر حر نبتى » بيت حور نبتى قاو الكبير	Herakonpolis هرا كنبوليس Antiopolis أنتيو بوليس
١٣ـ « آتف خنتت » شجرة البطم العليا	« وبوات » لمصر العليا	« ساوتى » (سيوط)	Lycopolis ليكو بوليس
١٤ـ « آتف بحوت » شجرة البطم السفلى	« حتحور »	« جسا القوصية »	Kousai كوساى
١٥ ـ « ون » الأرنب البرى	« تحوت »	« ونت » بلدة الأرنب البرى ، « خمنو » بلدة تحوت الأشمونين الحالية	Hermopolis Magna هرمو بوليس مجنا
١٦ ـ « ماحز » وهى المها الأبيض يحمل الصقر فوق ظهره	« حور » قاهر المها	« حبنو » زاوية الميتين	Hibis هيبيس
١٧ـ « أنوبيس » (على ظهره ريشة)	(١) « أنوبيس » (٢) « حور »	« كاسا » القيس الحالية « حت نيسوت » قصر ملك الوجه القبلى	Cynopolis كينو بوليس (سينو بوليس)

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليونانى
١٨ـ « سبا » صقر محلق	« حور »	« سبا » ثم « حت بنو » قصر الفنكس	Hipponos هبونوس الحيبة الحالية
١٩ـ « وابو » الصولجان	« ست » « ارو شبسس » (الصورة الفخمة)	« واب سب موى » أو « بر مزد »	Oxyrhynkhos اوكسير نيكوس البهنسا
٢٠ـ « نعرت خنتت » (شجرة النخيل أو الرمان العليا)	الكبش « حرشف » (الذى على بحيرته)	« حنن نيسوت » بلد طفل الملك (إهناسيا)	Herakleopolis magna هرا كليو بوليس مجنا .
٢١ـ « نعرت بحوت » شجرة النخيل أو الرمان السفلى	« حور » والكبش « خنوم »	« شدت » « بر شدت » الفيوم « بيت التمساح » أو « سمن حور » (١) كفر عمار الحالية (؟)	Crocodilopolis كروكوديلوبوليس الفيوم
٢٢ـ « دمات » السكينة	« حتحور » « إزيس »	« بر حمت » بيت البقرة « حمت »	Aphroditopolis افروديتو بوليس الشمالية أطفيح الحالية

(1) J.E.A. vol. III, p. 142.

فهرس (الجزء الاول)

الأهـداء ، المقـدمة . قائمـة بأهم التـواريـخ

الفصل الأول مقدمة عن تاريخ مصر وما قبل التاريخ ـ ٧ . مصر والنيل ـ ١٣ . عصور ما قبل التاريخ ـ ١٦ . العصر الأيوليتى أى عهد فجر العصر الحجرى القديم ـ ١٧ العصر الحجرى القـديم ـ ١٨ . العصر الحجرى الحديث ـ عصر بداية استعمال المعادن ـ ١٩ . مدنيـة العصر الحجرى القديم ـ ٣١ . العصر الحجرى القـديم المتـ ـ ٣٦ . العصر الحجرى القديم الأعلى ـ ٤٧ . العصر المزيوليتى (المتوسط) ـ ٤٨ . العصر الحجرى الحديث ـ ٦٣ . عصر بداية المعادن ـ ٦٩ . مدنية الوجه البحرى ـ ٧٠ . مدنية الوجة القبلى ـ البدارى ـ ٩٢ . ديانة عصر بداية المعادن ـ ٩٥ . الفن ـ ١١٢ . المدنية فى عصر بداية استعمال المعادن ـ ١٦ ! مراجع فصل ما قبـل التاريخ ـ ١١٧ . المصادر العـامة ١٢٥ حل رموز اللغة المصرية القديمة ـ ١٤٠ . مصر وأصل المصريين ١٤٦ . نحو توحيد البلاد ـ ١٥٢ . تنظيم نتيجة السنة الشمسية . ١٥٤ . مينا وتوحيد البلاد ـ ١٥٧ . مصادر التاريخ المصرى القديم ١٦٦ . الألقاب الرسمية للفرعون ـ ١٦٩ . مقاطعات القطر المصري منذ أقدم العهود ـ ١٧٤ . تقسيم البلاد إلى أربعة أقاليم ـ ١٧٨ . رموز المقاطعات وآلهتها ـ ١٨٩ . آلهة المقاطعات . ٢١٤ . نظرة إجمالية فى أصول الديانة المصرية ـ ٢٤٧ . مصادر المقاطعات فى العهد الفرعونى وما بعده ـ ٢٥٦ . مصادر فصل الديانة ـ أهم المصادر الأصلية

٢٦٧ . الدولة القديمة (الأسرتان الأوليان) ـ ٢٦٩ . ملوك الأسرة الأولى ـ
مينا ـ عحا ـ زر ـ زت ـ ودمو عز إيب ـ سمرخت سمنبتاح ـ قع ـ الوزير حما كا
٢٧٥ . ملوك الأسرة الثانية ـ حتب سخموى ـ نب رع (كا كاو
نتر إن ـ بر إب سن ـ خع سخموى ـ ٢٧٨ . الاسرة الثالثة ـ الملك
زوسر ـ خع با ـ نفر كا ـ حو (حونى) ـ ٢٨٣ . الأسرة الرابعة ـ عصر
بناة الأهرام ـ الملك سنفرو ـ ٢٨٧ . الملك خوفو ـ ٢٩١ . الهرم الاكبر ـ ٢٩٥ .
الملك ددف رع ـ ٢٩٧ . خفرع ـ ٣٠٠ . أبو الهول ـ ٣١٠ . منكاورع ـ
٣١٣ . الملك شبسسكاف ـ ٣١٩ . الملكة خنت كاوس ـ ٣٢٣ .
الأساطير التى قيلت عن الملكة « خنت كاوس » بانية الهرم الرابع بمنطقة
الجيزة ـ ٣٢٨ . الأسرة الخامسة ـ ٣٣١ . الملك وسركاف ـ ٣٣٣
الملك سحورع ـ ٣٣٧ . الملك نفر إركارع (كا كا و) ـ ٣٤٧ . الملك
منكاوحر ـ الملك إسيسى ـ ٣٥١ . الملك وناس ـ ٣٥٤ . ظهور عبادة
الإله « رع » فى الأسرة الخامسة ـ ٣٦١ : الأسرة السادسة ـ
٣٦٥ . الملك بيبى الأول ـ ٣٧٣ . إخضاع عصيان الأقوام المقهورة ـ
الحملة ضد فلسطين ـ ٣٧٧ . الملك مرن رع ـ ٣٧٨ . الحملة إلى محاجر
« إبهات » ببلاد النوبة ومحاجر الفنتين ـ ٣٧٩ . البعثة إلى محاجر المرمر
فى « حتنوب » فى مصر الوسطى ـ ٣٨٢ . الحملة الأولى ـ الحملة الثانية ـ
٣٨٣ . الحملة الثالثة ـ ٣٨٤ . الملك بيبى الثانى (نفر كارع) ـ
٣٩١ . حملة « سبنى » واحضار جثة والده ـ ٣٩٥ . « زاو » وزير « بيبى
الثانى » ـ ٣٩٨ . سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية ـ ٤٠٠ . تحذيرات
نبى ـ ٤٠٦ . الأسرتان السابعة والثامنة ـ ٤٠٧ . الملك « خندو » ـ

الملك « نفر كا رع » ـ الملك « رع إن كا » ـ ٤٠٨ . الأسرة الثامنة القفطية .
٤١٤ . الأسرتان التاسعة والعاشرة ـ ٤١٥ . « خيتى الأول » ـ
خيتى الثانى » ـ ٤١٨ . « أنتف عا » المؤسس لبيت طيبة ـ
٤٢٠ . « خيتى الثالث » ـ ٤٢١ . ظهور أنتف العظيم وتلقيبه بلقب
الملك ـ ٤٣٣ . مراجع التاريخ المصرى فى عهد الدولة القديمة ـ ٤٣٨ .
(قائمة) بمقاطعات الوجه البحرى ـ ٤٤١ . (قائمة) بمقاطعات الوجه القبلى ـ
٤٤٥ . فهرس الجزء الأول ـ ٤٤٨ . خطأ وصواب :
خريطة الوجه البحرى ـ خريطة الوجه القبلى .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	٢	البردوة	البرودة
٢٠	١١	تلى	تلا
٣٤	١٠	فقد	قد
٣٧	هامش (١)	مزين	مزينا
٧٢	١ والهامش	حمامية	همامية
١٢٢	٥	مبانى	مبان
١٢٥	١	عاما	عام
١٣٩	٥	معهدا	معهد
١٤١	٩	أنحناء	أنحاء
١٦٦	هامش (٣)	العقال	العقاب
١٨٠	٥	ذات	ذو
١٨٤	١٤	كل	كَلا
١٩٤	الهامش	عشر	عشرة
٢٠٦	١	متقمصينها	متقمصيها
٢٠٨	١٣	من	إلى
٢٢٨	الهامش	أوزير	إزيس
٢٣٩	الهامش	قابض	قابضا
٢٩١	٩	وضاع	ضاع
٢.٣	٨	نحوها	نحو
٣١٦	٦	اعلمنا	علمنا
٣٣١	١٦	معبد	معبدا
٣٣٤	١٣	لإعدادها	لاعدادهما
٣٤٣	١٣	يوقفنا	يقفنا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٤٦	١	وسأدع	وسأدعو
٣٤٦	١٧	يشكوا	يشكو
٣٤٩	١٢	ينفس	يتنفس
٣٤٩	١٧	شاطئى	شاطئا
٣٥٢	٥	متاشبهة	متشابهة
٣٥٢	١٣	ينفذ	ينفد
٣٦٤	١٢	الحجاريين	الحجارين
٣٧٥	١	عنـد	عن
٣٨٢	١	الأحول	الأحوال
٣٨٣	٩	رؤساو	رؤساء
٣٩٤	الهامش	ثلثاى	ثلثى
٣٩٦	٢	وريثا	وارثا
٤٠٢	٨	يشاهدون	يشاهدن
٤٠٩	١٥	مقاطعتة	مقاطعته
٤١١	٩	يهشموا	يهشمور
٤١٤	١٦	الإٰلهةإٰلهة	الإٰلهةإٰلهة
٤١٥	١٧	ونسبة	ونسبه
٤١٩	١٤	يمضى	يمض
٤٢٠	١٧	هاتين	هذين
٤٢٥	٤	مفعم	مفعمـا
٤٢٥	١٢	مـدن	مـدنا
٤٢٨	١٧	ينس	ينسى
٤٣٥	٣	مستندا ...	مستندا على

نأسف لان عين الطابع قد غفلت عن بعض الاخطاء وقد صححنا المهم منها هنا والباقى لا يخفى على فطنة القارىء

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٤٠٩ / ٢٠٠٠

I . S . B . N 977 - 01 - 6754- 1

تم طباعة الموسوعة بالتعاون مع

شركة نهضة مصر للطباعة والنشر







بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة 2001

مهرجان القراءة للجميع



الهيئة المصرية العامة للكتاب

سعر رمزى خمسة جنيهات